

٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر رمضان

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ



ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر رمضان الجزء التاسع من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣٤ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٣ / ١٤٤٥
ردمك :٢-٣٠٣-٠٥-٦٠٣-٩٧٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عزَّ وجلَّ بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفِّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويُرضي الله عزَّ وجلَّ.





مُقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القارئ الكريم الجزء التاسع من كتاب "٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضمُّ فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي الله عزَّ وجلَّ. تمَّ تقسيمها على أيَّام السنة الهجريَّة بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كلِّ يومٍ يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيَّام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مُخصَّصٌ لفوائد شهر رمضان ، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحُجَّة لكاتبه وقارئه وكلِّ مَن أعان على نشْره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن

drkhalid63@gmail.com

الرياض

شهر رمضان ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر رمضان

غرة رمضان

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

شهر رمضان الكريم أحد الأشهر العربية المعروفة بالقمرية أو الهلالية، وهو الشهر التاسع من شهور السنة بحسب التقويم الهجري.

وفيما يأتي أقوال العلماء في اشتقاق اسم رمضان:-

القول الأول: أنَّ شهر رمضان وافق زمن الحرِّ وشدَّته وقساوته على الناس، فسُمِّي بذلك لارتماض العرب حرَّ الجوع وشدَّته، وبناءً على ذلك فيكون اشتقاق اسم رمضان من الرمض، والذي يعني حرَّ الحجارة بسبب حرارة الشمس[1].القول الثاني: أنَّ رمضان مُشتقٌّ من الرمضاء، والرمضاء هو المطر الذي يأتي قُبيل الخريف، ويُطهِّر وجه الأرض من الغبار، واللطيفة في ذلك أنَّ شهر رمضان يُطهِّر المسلمين من الذنوب كما يُطهِّر المطر وجه الأرض من الغبار[2]. وشهر رمضان من أكثر شهور السنة بركةً ورحمةً؛ فقد اختصَّه الله تعالى بفضائل عظيمةٍ؛ إذ أنزل القرآن الكريم فيه، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[3]، وكان نزوله في العشر الأواخر من رمضان، في ليلةٍ مباركةٍ، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[4]؛ حيث نزل القرآن الكريم كاملًا من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزَّة في السماء الدنيا في ليلة القدر، كما قال تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ① وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ② لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ③ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ④ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[5]، ثم نزل مُفرَّقًا على النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: إنَّ نزول

---

(١) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢٣٩). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

(٢) ينظر: الغنية لطالبي طريق الحق (٢/ ٨). الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، المؤلف: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي (المتوفى: ٥٦١هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمنصلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) الدخان: ٣.

(٥) القدر: ١ – ٥.



القرآن بدأ ليلة القدر، مع الإشارة إلى أنَّ القرآن كلَّهيُسمَّى قرآنًا، وكذلك الآية الواحدة منه، وقيل أيضًا: إنَّ نزول القرآن بدأ في شهر رمضان[(١)]؛ وكان القرآن يُعرَض على النبي صلى الله عليه وسلم من قبل جبريل– عليه السلام– في رمضان، كما روى الإمام البخاري:" أَنَّ جِبرِيلَ– عليه السَّلامُ– كان يُعارِضُ النبي صلى الله عليه وسلم بالقُرآنِ مَرَّةً واحِدةً كُلَّ عامٍ"[(٢)]. ولذلك اعتُبِرَ شهر رمضان شهر القرآن، قال سفيان الثوري في رمضان: إنَّما هو إطعام الطعام، وقراءة القرآن، فينبغي على المسلم أن يتأسَّى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يُدارس القرآن مَن هو أحفظ له منه في هذا الشهر المبارك[(٣)]. قال الشيخ العلامة ابن عثيمين– رحمه الله– قوله: ﴿ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [(٤)]، ﴿هُدًى﴾ من الهداية وهي الدلالة، فالقرآن دلالة للناس يستدلُّون به على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وقوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ عامَّة، كلُّ الناس يهتدون به؛ المؤمن والكافر يهتدون به الهداية العلميَّة، أمَّا الهداية العمليَّة فإنَّه ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ كما في أول السورة: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، فهو للمتقين هداية علميَّة وعمليَّة، وهو للناس عمومًا هداية علميَّة. ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ الفرقان مصدر أو اسم مصدر: فَرَّقَ، يُفَرِّقُ، تَفْرِيقًا، وفُرْقَانًا، فهو– أي القرآن– فرقان يُفرِّق بين الحقِّ والباطل، وبين الشرِّ والخير، وبين حزب الله وحرب الله، وبين النافع والضار، فرقان في كل شيء؛ ولهذا الموفَّق لهداية القرآن يجد الفرق العظيم تأثير ما دلَّ عليه القرآن، والإنسان الذي في قلبه زيغ– والعياذ بالله– تشتبه عليه الأمور، ولا يستطيع أن يُفرِّق بين الأمور المختلفة، قد تشتبه عليه الأمور

---

(١) ينظر: مجالس رمضان – أحمد فريد (٩/ ٢). مجالس رمضان، المؤلف: أحمد فريد، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٤) برقم (٣٦٢٤) كتاب المناقب باب علامات النلوة في الإسلام، ولفظه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضي الله عنها: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي». ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٠٤) برقم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٣) ينظر: مجالس رمضان – أحمد فريد (٩/ ٢).

(٤) البقرة: ١٨٥.



وتلتبس،فلا يُفرّق بين مختلفها، ولا يجمع بين ما توافق فيه موافقة؛ فالقرآن الكريم يُعدُّ سببًا من أسباب زيادة الإيمان[١].والقرآن من أعظم القربات في رمضان، ولقد شرعت عبادة تلاوة القرآن الكريم في شهر رمضان، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُطيل القراءة في صلاة القيام في شهر رمضان؛ بدليل ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، عن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- أنَّه قال:" صَلَّيْتُ مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِئَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلتُ: يُصَلِّي بهَا في رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلتُ: يَرْكَعُ بهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا"[٢]، وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإطالة في الصلاة تنحصر فيمَن يُصلي منفردًا، أو إمامًا لجماعةٍ يرضون الإطالة في الصلاة، وعلى الإمام أن يترفَّق بحال المصلّين، على أنَّ قراءة القرآن لا تنحصر في الصلاة، فيقرأ في الصلاة وخارجها.

وفضْل قراءة القرآن في رمضان من أعظم الأعمال عند الله عز وجل؛ إذ تعظم فيه الأجور والمنازل، كما أنَّ الإكثار من تلاوة القرآن وتدبُّره من أسباب الشفاعة يوم القيامة، كما أخرج الإمام مسلم في صحيحه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" اقْرَأُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ"[٣]، وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنَّه قال:" الصِّيامُ والقرآنُ يشفَعانِ للعبدِ يومَ القيامةِ، يقولُ الصِّيامُ: أي ربِّ؛ منعتُهُ الطَّعامَ والشَّهواتِ بالنَّهارِ فشفِّعني فيهِ، ويقولُ القرآنُ: منعتُهُ النَّومَ باللَّيلِ فشفِّعني فيهِ، قالَ: فَيشفَّعانِ" رواه أحمد[٤].

---

(١)ينظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣٣٤). تفسير الفاتحة والبقرة، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ..

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٠٤) برقم (٢٤٥٠)كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٣) برقم (٢٤٥٠)كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١١/ ١٩٩) برقم (٦٦٢٦). والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦١٢). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي — بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.



وقراءة الحرف من القرآن الكريم بحسنةٍ، والحسنة تُضاعَف بعشرة أمثال، كما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فلَهُ بِهِ حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها، لا أقول: الم حرفٌ، ولَكِن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ" رواه الترمذي(١).

والخلاصة أنَّ واجب المسلم تجاه القرآن في شهر رمضان تلاوته، والحرص على ختمه عدَّة مرَّات؛ وحفْظ شيء منه ولو كان يسيرًا، وتخصيص وقت للتدبُّر والتأمُّل فيما نصَّت عليه الآيات القرآنية، واستنباط الحكم والعبر منها، وقراءة شيءٍ من التفسير؛ إذ لا بدَّ من التدبُّر والتفكُّر في آيات القرآن حين تلاوتها، مع الحرص على حضور القلب أيضًا، ويتحقَّق بما سبق استثمار أوقات رمضان؛ اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم. كما ورد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر جودًا في رمضان، ومن الجود الاعتناء بالقرآن الكريم، ومُدارسته، وتلاوته، والتفكُّر والتدبُّر في معانيه ودلالاته، فقد رُوي عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-:"كانَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أجودَ النَّاسِ، وَكانَ أجودَ ما يَكونُ في رمضانَ حينَ يلقاهُ جبريلُ، وَكانَ جبريلُ يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ من شَهرِ رمضانَ فيدارسُهُ القرآنَ" رواه البخاري(٢)، ولقد بيَّن الإمام النووي- رحمه الله- العديد من الفوائد المترتِّبة على الحديث السابق، منها: استحباب الإكثار من الجود في رمضان، وحين ملاقاة العباد الصالحين، واستحباب مُدارسة القرآن؛ إذ إنَّ مدارسة القرآن تُجدِّد عهد النفس بالغِنى الذي يُعَدُّ سببًا من أسباب الجود والسَخاء(٣).

وأخيرًا قال الشاعر:

قـــفْ إنَّهــا بجلالهـــا الآياتُ   فيهـا هُـدًى وسـكينةٌ وثبـاتُ

رتِّلْ وجوِّدْ- ما استطـعتَ- حروفَها   وابسـطْ فؤادَكَ إنَّها النفحاتُ(٤)

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٧٥) برقم (٢٩١٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٥٩). سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨) برقم (٦) بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٣) برقم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ٦٩). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

(٤) لم أقف على قائلها، لكنها ذكرت في عدد من المواقع. ينظر:
https://alotruja.tumblr.com/post/76226419205/%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D8%AC%D9%85%D9%8A%D9%84%D9%87-



٢ رمضان

حال السلف في شهر رمضان

خصَّ الله عز وجل شهر رمضان بالكثير من الخصائص والفضائل، فهو شهر نزول القرآن، وهو شهر التوبة والمغفرة وتكفير الذنوب والسيئات، وفيه العتق من النار، وفيه تُفتَح أبواب الجنان، وتُغلَق أبواب النيران، وتُصفَّد الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر، وهو شهر الجود والإحسان، وهو شهر الدعاء المستجاب؛ لذا فقد عرف السلف الصالح قيمة هذا الموسم المبارك؛ فشمَّروا فيه عن ساعد الجد، واجتهدوا في العمل الصالح طمعًا في مرضاة الله ورجاء في تحصيل ثوابه.

قال ابن القيم- رحمه الله تعالى- في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد: وكان من هديه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان: الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل- عليه الصلاة والسلام- يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يُكثر فيه الصدقة، والإحسان، وتلاوة القرآن والصلاة والذكْر، والاعتكاف، وكان يخصُّ رمضان من العبادة ما لا يخصُّ غيره به من الشهور، حتَّى إنَّه كان ليواصل فيه أحيانًا ليُوفِّر ساعات ليله ونهاره على العبادة[(١)].

ولقد كان السلف الصالح يهتمون برمضان اهتمامًا بالغًا، ويحرصون على استغلاله في الطاعات والقُرُبات، كانوا سبَّاقين إلى الخير، تائبين إلى الله من الخطايا في كل حين، فما من مجال من مجالات البِر إلَّا ولهم فيه اليد الطولى، وخاصَّة في مواسم الخيرات، ومضاعفة الحسنات، ولقد كان ثمة مواقف تاريخية للسلف الصالح في رمضان تنمُّ عن تعظيمهم لهذا الشهر المبارك، ولا سيما أنَّ تعظيم شعائر الله دليلٌ على حُسْن إيمان المسلم لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[(٢)]، فقد كان للسلف الصالح في قيام الليل مذاهب في رمضان تُخطُّ بماء الذهب لشدَّة ما يلقى فيها المؤمن من ورعٍ واضحٍ، وتقوى لله تعالى في السر قبل العلن، فيروي أبو عثمان النهدي أنَّ أبا هريرة

%D8%AC%D8%AF%D8%A7-%D8%B9%D9%86-
%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-
%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٠). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٢) الحج: ٣٢.



وامرأته وخادمه- رضي الله عنهم- كانوا يُقسِّمون الليل ثلاثة أقسام للقيام؛ فكلَّما أراد واحدٌ منهم أن ينام أيقظ صاحبه فقام، حتى ينقضي الثلث الذي يقوم فيه(١).

وأمَّا شدَّاد بن أوس- رضي الله عنه- فقد كان إذا أوى إلى فراشه لم يستطع النوم وكان يقول: اللهمَّ إنَّ جهنم لا تدعني أنام، فكان يقوم فيُصلِّي(٢). وكان طاوس يقول: طيَّرَ ذِكْرُ جهنَّم نوم العابدين(٣). وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّه كان يقوم الليل في بيته، فإذا انصرف الناس من المسجد أخذ إداوة ماء وقصد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يخرج منه حتى يُصلِّي الفجر(٤). وقيام الليل هو ديدن الصالحين ودأبهم منذ فجر الإسلام؛ إذ فيه يناجون ربَّهم بعد أن يهجع الناس ويرقدون، ولا يبقى إلَّا من اصطفاه الله تعالى لهذه العبادة العظيمة، فقد كان الحسن البصري- رحمه الله- يقول: لم أجدْ شيئًا من العبادة أشدَّ من الصلاة في جوف الليل(٥).

ولقد ثبت أنَّهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يُبلِّغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبَّل منهم.

قال عبد العزيز بن أبي روَّاد: أدركتُهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهمُّ: أيُقبَل منهم أم لا؟(٦). ونجد أنَّ حال السلف مع القرآن في رمضان حال المستنفر نفسه لارتقاء المعالي، فهذا الإمام البخاري- رحمه الله- كان إذا كان أول ليلة من شهر رمضان؛ يجتمع إليه أصحابه فيصلِّي

---

(١) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٨٢). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٣٢) برقم (٣٥٥٩٧). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد — الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

(٣) ذكره ابن رجب في التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ٣٧). التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: بشير محمد عيون، دار النشر: مكتبة المؤيد - الطائف، دار البيان — دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ — ١٩٨٨.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٦٩٦) برقم (٤٢٨٠). السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٥) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص: ٢١٠) برقم (١٤٥٢). الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦) ينظر: تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٩). روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١م.



بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختم دعوة مستجابة(١).

ومن ذلك ما كان يفعله الإمام مالك إمام دار الهجرة في رمضان؛ فقد كان يُغلق كتبه، ويمتنع عن الفتيا، ويُقبل على قراءة القرآن من المصحف، وكذلك كان الإمام الشافعي إذا جاء رمضان فإنَّه يختم القرآن في كل يومٍ مرتين؛ أي: ستين مرة في رمضان، وكان الإمام أحمد بن حنبل يختم القرآن في رمضان ختمتين في الأسبوع، وفي غير رمضان كان يختمه مرة كل أسبوع، وكان سعيد بن جبير يختم القرآن في كل ليلتين، وأما قتادة السدوسي فقد كان يختم القرآن في رمضان في كل ثلاث ليالٍ، فإذا جاءت العشر الأواخر ختمه مرة في كل ليلة، وفيما دون رمضان كان يختمه في كل أسبوع مرة(٢).

أمَّا عن حال السلف مع العشر الأواخر من رمضان فهو القيام دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، وعمل الفائزين؛ ففي الليل يخلو المؤمنون بربِّهم ويتوجَّهون إلى خالقهم وبارئهم، فيشكون إليه أحوالهم ويسألونه من فضله، فنفوسهم قائمة بين يدي خالقها، عاكفة على مناجاة بارئها، تتنسَّم من تلك النفحات، وتقتبس من أنوار تلك القربات، وترغب وتتضرَّع إلى عظيم العطايا والهبات، وقد أدرك سلفنا الصالح هذه المعاني العظام، فنصبوا أقدامهم في محراب الإيمان، يمضون نهارهم بالصيام، ويحيون ليلهم بالقيام، ولعل ذلك الاجتهاد في تلك الأيام راجع لأن ليلة القدر قد أُخفيت في هذه الأيام العشر، فكان الصحابة ومن جاء بعدهم يسيرون على نهجه في هذه الأيام، فقد كان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يصلي في الليل في تلك الأيام ما شاء الله له، ثم يوقظ أهله وهو يتلو: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾(٣)(٤).

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٥٢٥). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر حال الأئمة في رمضان في: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠/ ٢٢٢). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن – دار الثريا، الطبعة: الأخيرة – ١٤١٣هـ.

(٣) طه: ١٣٢.

(٤) رواه البيهقي في السنن الصغير (١/ ٢٨٩) برقم (٨٠٢). والأثر صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٣٩٠).

وكانت امرأة أحد الصالحين تقول: قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا(١).

ويُستحَبُّ للمرء أن يوقظ أهله لقيام الليل للحديث الذي رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" رحِمَ اللَّهُ رجلًا قامَ منَ اللَّيلِ فصلَّى وأيقظَ امرأتَهُ فصلَّت، فإن أبَت نضحَ في وجهِها الماءَ، رحِمَ اللَّهُ امرأةً قامَت منَ اللَّيلِ فَصلَّت وأيقَظَت زَوجَها، فإن أبَى نضَحَت في وجهِهِ الماءَ" رواه أبو داود(٢).

وذكر الحافظ الذهبي عن أبي محمد اللبان أنَّه أدرك رمضان سنة سبع وعشرين وأربعمائة ببغداد، فصلَّى بالناس التراويح في جميع الشهر، فكان إذا فرغها لا يزال يُصلِّي في المسجد إلى الفجر، فإذا صلَّى درس أصحابه. وكان يقول: لم أضع جنبي للنوم في هذا الشهر ليلًا ولا نهارًا. وكان ورده لنفسه سبعًا مرتلًا(٣).

ختامًا: فلا بُدَّ أن نُذكِّر أنفسنا بشيء من حياة سلفنا الصالح؛ حتى يزداد إيماننا، وتقوى صلتنا بخالقنا، وحتى تقوى عزائمنا، وتشحذ هممنا، فنقتدي بهم- نرجو من الله ذلك.

---

(١) ينظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٨٦). لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٢)رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٣٧٢) برقم (٧٤٠٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٣) برقم (١٣٠٨) أبواب قيام الليل باب قيام الليل. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ١١٥) برقم (١٣٠٢) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، الترغيب في قيام الليل. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٢٤) برقم (١٣٣٦) كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ١٧١). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا — بيروت. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) تاريخ الإسلام (٩/ ٦٨٢). تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

اللهُ يجــزي الصــائمين لأَنَّهُــم	مِن أجله سخروا بكل صعابِ
لا يــدخل الــريَّانَ إلَّا صــائمٌ	أكرِمْ ببابِ الصومِ في الأبوابِ
ووقــاهُمُ المــولى بحــرِّ نهــارِهم	ريحَ السَّمومِ وشرَّ كلِّ عذابِ
وسُقُوا رحيقَ السلسبيل مِزاجُهُ	مِـن زنجبيـلٍ فـاقَ كُـلَّ شـرابِ
هذا جــــزاءُ الصائمين لربِّهم	سُـــعِدُوا بخيرِ كرامةٍ وجنابِ[1]

(١)ينظر: موقع وقفنا. https://waqfuna.com/waqf/?p=2046

٣رمضان

أيامًا معدودات

لا شكَّ أن التعبير القرآني البليغ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[(١)]؛ يأتي في سياق إشعار المسلم بسرعة حركة الزمن، ومنها بالطبع سرعة مرور أيام شهر رمضان، ورحيلها على عجل، ولعل هذا الخطاب القرآني البليغ يأتي ليُنبِّهنا في جانب من مُراداته بهذه الصيغة، حثًّا للمسلم على ضرورة اغتنام فرصة الزمن في العبادة، والحرص على أداء ما تتطلَّبه من صلاة وصيام وتلاوة القرآن؛ لما فيه من الثواب العظيم، ينبغي ألا يفوت المسلم بأي حال من الأحوال، فعلى المسلم أن يحرص على استغلال كل لحظة من أيام العمر. ولقد وردت الصفة {معدودة} بصيغة الإفراد في ثلاث آيات في القرآن الكريم: الأولى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[(٢)]، والثانية قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾[(٣)]، والثالثة قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[(٤)]. ووردت هذه الصفة بصيغة الجمع {معدودات} في ثلاث آيات أيضًا، وردت جميعها وصفًا لـ (أيام)، الأولى قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[(٥)]، وردت بعد الحديث عن فرضية صيام رمضان، والآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾[(٦)]، قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: هذه أيام التشريق يوم: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، ليس منها يوم العيد، كلها مشروع فيها الذكر من أولها إلى آخرها؛ من اليوم الأول من شهر ذي الحجة إلى اليوم الثالث عشر، كلها أيا ذكر وتكبير وتهليل، ويشرع للمسلمين فيها التكبير والتهليل في الليل والنهار، وفي المساجد، وفي الطرق، وفي البيوت، وفي كل مكان[(٧)]. والثالثة قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[(٨)]. قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: ﴿أَيَّامًا﴾ يعني: كتب

---

(١) البقرة: ١٨٤.
(٢) البقرة: ٨٠.
(٣) هود: ٨.
(٤) يوسف: ٢٠.
(٥) البقرة:١٨٤.
(٦) البقرة: ٢٠٣.
(٧) مجموع فتاوى ابن باز (٢٤/ ١٩٥). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
(٨) آل عمران: ٢٤.



عليكم أن تصوموا أيامًا معدودات، وقوله: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ نكرة، والنكرة تفيد القلة وتفيد الكثرة، وتفيد العظمة وتفيد الهون حسب السياق، لما قرنت هنا بقوله: ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ أفادت القلة يعني: هذا الصيام ليس أشهرًا، ليس سنوات، ليس أسابيع، ولكنه أيام، أيام معدودات قليلة، و﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ لا يخفاكم أنَّها من صيغ جمع القلة؛ لأنَّ جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم من صيغ جمع القلة، يعني فهي أيام قليلة[١]، وصدَقَ الله عز وجل؛ قليلة إذا نسبت ثلاثين يومًا لثلاث مئة وستين يومًا.

إنَّ رمضان أيامٌ معدوداتٌ، وفرص سانحات، ومواسم الطاعات، ومَجْمع الرحمات، وأسواق النفحات، وإنَّ اغتنام هذه الأيام لدليل الحزم، وإنَّ انتهاز تلك الفرص لعنوان العقل؛ ذلكم أنَّ الوقت رأس مالِ الإنسان، وساعات العمرِ هي أنفس ما عُنِي الإنسان بحفظه؛ فكل ساعة من ساعاتِ عُمُرِك قابلة لأن تضع فيها حجرًا يزداد به صرح مجدِك ارتفاعًا، ويقطع بها قومك في السعادة باعًا أو ذِراعًا؛ لذلك كان الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- إذا أقبلتْ مواسم الخيرات جَدُّوا، وإذا أظلَّتْهم سحائب المغفرة استمطروها، وإن طرقتْهم نفحات ربِّهم تعرَّضوا لها، وإن هبَّت بهم لفحات الهاجرة استعذبوا العذاب في ذات الله! وفي هذا قال الشاعر:

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تأتِي العَزائِمُ ... وَتأتِي علَى قَدْرِ الكِرامِ المكارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَينِ الصّغيرِ صغارُه ... وَتَصْغُرُ فِي عَين العَظِيمِ العَظائِمُ[٢]

ولئن كان حفظ الوقت مطلوبًا في كل حين وآنٍ؛ فلهو أَوْلَى وأحرى بالحفظ في الأزمنة المباركة، ولئن كان التفريط فيه وإضاعته قبحًا في كل زمان، فإنَّ قبح ذلك يشتدُّ في المواسم الفاضلة، ومن الناس من قلَّ نصيبه من التوفيق، فلا تراه يلقي بالًا لحكمة الصوم ولا لفضل الشهر، فتراه يجعل من رمضان فرصةً للسهر واللهو الممتد إلى بزوغ الفجر، والنومِ العميق في النهار حتى غروب الشمس، ولا يخفى على عاقل لبيب ما لهذا الصنيع من أضرار على دين الإنسان ودنياه، فهو قلب للفطرة، فالله عز وجل جعل الليل لباسًا، والنهار معاشًا، كما أنه إضاعة للوقت، وتعطيل للمصالح، ومن كان هذا صنيعَه فلن يُرجى منه خيرٌ- في الغالب- لا لنفسه ولا لغيره.

قال صلى الله عليه وسلم:" نِعمتان مَغبون فيهما كثير من الناس: الصحَّة، والفراغ" رواه البخاري[٣]، وأشدُّ ساعات الندم حين يقابل المرء بصحيفة عمله، فيرى فيها الخزي والعار؛ قال تعالى:

---

(١) ينظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣٢٠).

(٢) ينظر: الحماسة المغربية (١/ ٥٣٠). (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٨) برقم (٦٤١٢)كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة.

﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[٢]، ويقول الحسن البصري رضي الله عنه:" يا بن آدم؛ نهارُك ضيفُك؛ فأحسِنْ إليه؛ فإنَّك إن أحسنتَ إليه ارتحَل بحمدِك، وإن أسَأْتَ إليه ارتحل بذمِّك[٣]، أنت بين يوم مشهود، ويوم موعود؛ فقدِّم لليومينِ، واعمل للدارين؛ اعمل لغَدِك كما تعمل ليومِك، واعمل لمعادِك كما تعمل لمعاشِك، واعمل لآخرتك كما تعمل لدنياك، لا تتكاسل، ولا تتخاذل؛ فتحرم الخير في مواسم الخير!

ختامًا: (أيامًا معدودات) فيها أفضل العبادات، وأجلُّ الطاعات، جاءت بفضلها الآثار، ونقلت فيها بين الناس الأخبار، إنها أيام عظيمة، لا غنى للخلق عن التعبُّد فيها لله، ولا عمَّا يترتَّب عليها من ثواب ما فرضه الله على جميع الأمم، وفي هذه الأيام المعدودات المسرعات خاصة في مواسم الطاعة، في مواسم الخير، سواء في الصوم أو الحج أو غيرها، ينظر المرء ما قدَّمت يداه، ويحاسب نفسه قبل أن يلقى الله، يُقلِّبُ صفحات العام الماضي؛ ليكتب في صفحات العام الجديد، فإن وجد خيرًا فليحمدِ الله، وإن لم يجد فلا يلومنَّ إلا نفسه؛﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[٤]؛ فيجب على المسلم أن يُنظِّف صفحاته، ويُطهِّر سجلاته، ويُنقِّي عباراته، ويغضُّ نظراته، ويرشد خطواته قبل أن يلقى حتفه، ويقابل ربَّه، فيعرض عليه أعماله؛﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴾[٥]. قال الشاعر:

دعِ التكاسل في الخيرات تَطلبها ... فليس يَسعد بالخيرات كسلانُ

لا ظِلَّ للمرءِ يَعْرى مِن تُقًى ونُهى ... وأن أظلَّته أوراقٌ وأغصانُ[٦]

(١) الفجر: ٢٣ – ٢٤.

(٢) الزمر: ٥٦.

(٣) ينظر: البيان والتبيين (٣/ ١١٣). البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

(٤) الزلزلة: ٧ – ٨.

(٥) الحاقة: ١٨.

(٦) قصيدة عنوان الحكم (ص: ٣٨). قصيدة عنوان الحكم، المؤلف: علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البُسْتي، أَبُو الفَتح (المتوفى: ٤٠٠هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.



٤ رمضان

آداب تلاوة القرآن

القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة إلى يوم الدين، وكتابه المبين الذي أنزله نورًا وهدىً للناس، لا تستقيم حياة الإنسان دون تلاوته وتدبُّره واستقاء الأحكام من آياته﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[١]؛ لذلك يطلب من المسلم أن يتعهَّد القرآن الكريم بتلاوته، وأن ينصت ليستمع إليه عند قراءته؛ حتى يهتدي بهديه، ويتقرَّب إلى خالقه، وينتفع بما فيه من الحكم والمواعظ، فبالتلاوة يفوز المسلم بخير الدارين؛ لأنَّه يمتثل أوامر ربِّه بالتعبُّد بها، وقد أثنى الله عز وجل على مَن كان دأبه الإكثار من قراءة القرآن، فقال تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[٢]. ومن فضائل تلاوة القرآن الكريم أنَّ صاحبه ينال شفاعة القرآن يوم القيامة، ويفوز بأعلى الدرجات في الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يُقالُ لصاحِبِ القرآنِ: اقرَأ وارقَ ورتِّل كما كُنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا، فإنَّ منزلتَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرأُها " رواه أبو داود[٣]، وأنَّ المستمع لآيات من كتاب الله تُتلى عليه تكون له نورًا يوم القيامة، وأيضًا فإنَّ قلب الانسان يحتاج دائمًا إلى رعايته وإيقاظه بمختلف الرقائق والمواعظ والذكر؛ حتى لا تتراكم عليه الأكدار ووسوسة الشيطان، فيقسو قساوة الصخور، وإنَّ من هذه الصخور ما تتفجَّر منها الأنهار، وكل حرف يقرأه المسلم من القرآن يُثاب عليه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ" رواه الترمذي[٤].

وكما أنَّ الإنسان يتأدَّب دائمًا في الحديث مع مَن هم أعلى مقامًا منه، فلا بُدَّ للإنسان أن يراعي بعض الآداب عند تلاوة القرآن الكريم، وتوجد العديد من الآداب التي ينبغي على قارئ القُرآن أن يراعيها قبل تلاوته للقرآن، ومنها ما يأتي:

---

(١) محمد: ٢٤.

(٢) آل عمران: ١١٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٤٠٣) برقم (٦٧٩٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٣) برقم (١٤٦٤) باب تفريع أبواب الوترباب استحباب الترتيل في القراءة. والترمذي في جامعه (٥/ ١٧٧) برقم (٢٩١٤) أبواب فضائل القرآن باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧٢) برقم (٨٠٠٢) كتاب فضل القرآن، الترتيل. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح"كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ١٧١).

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٧٥) برقم (٢٩١٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٤١٠). صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

الإخلاص؛ والمعنى أن يقصد بتلاوته وجه الله ورضاه، وابتغاء الأجر منه، وليس التوصل إلى غرضٍ من أغراض الدُنيا؛ كالمال، أو الجاه، أو ثناء الناس عليه، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[١]، وقد حذَّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم من عدم الإخلاص بقوله:" من تعلَّم علمًا ممَّا يبتغى به وجهَ اللهِ تعالى؛ لا يتعلَّمُه إلَّا ليُصيبَ به عرضًا من الدنيا؛ لم يجِدْ عَرْفَ الجنةِ يومَ القيامةِ، يعني ريحَها" رواه أبو داود[٢]، وجاء في بعض الأحاديث أنَّ قارئ القُرآن غير المخلص في قراءته من أوائل" مَن تُسعَّر بهم النار يوم القيامة" رواه مسلم[٣]. ومن الآداب الوضوء؛ فيُسنُّ لقارئ القُرآن أن يقرأه وهو متوضئ، وقراءته للقُرآن من غير وضوء جائزة، ولكنه فعل خلاف الأفضل، وفي حال عدم وُجود الماء فيجوز الانتقال إلى التيمم، وأما من كان على جنابة أو من كانت حائضًا؛ فإنه يحرم عليهما قراءة القُرآن، مع جواز إمرار القُرآن على قلبيهما من غير أن يتلفَّظا به.

كذلك السواك؛ فيُسنُّ للقارئ أن يستعمل السواك قبل البدء بالتلاوة، فقد قال عنه النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" السِّواكُ مَطهَرةٌ للفمِ مَرضاةٌ للرَّبِّ" راوه أحمد[٤]. أيضًا النظافة عند تلاوة القرآن، والمقصود بها نظافة المكان الذي يريد القارئ القراءة فيه، ولذلك استحبَّ بعض العلماء القراءة في المسجد؛ لأنَّه جامع للنظافة وشرف المكان، وأما تلاوته في الطريق وغير ذلك؛ فهي صحيحة بشرط عدم الانشغال عنها، وأما في الأماكن التي ينشغل بها القارئ فهي مكروهة، وأما الحائض فيجوز لها قراءته ولكن من غير أن تمسَّ المصحف؛ لأنَّ عُذرها يمكثُ وقتاً طويلًا.

---

(١) البينة: ٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ١٦٩) برقم (٨٤٥٧). وأبو داود في سننه (٣/ ٣٢٣) برقم (٣٦٦٤) كتاب العلم باب في طلب العلم لغير الله تعالى. وابن ماجه في سننه (١/ ٩٢) برقم (٢٥٢) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب الانتفاع بالعلم والعمل به. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٨/ ١٦٤). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٣) ينظر: صحيح مسلم (٣/ ١٥١٣) حديث رقم (١٩٠٥) كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ١٨٦) برقم (٧). والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٧٥) برقم (٤) كتاب الطهارة، الترغيب في السواك. وابن ماجه في سننه (١/ ١٠٦) برقم (٢٨٩) كتاب الطهارة باب السواك. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ١٠٥). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.



استقبال القبلة؛ فيُسنُّ للقارئ عند قراءته للقُرآن أن يستقبل القبلة، وأن يجلس بِخُشوعٍ ووقار، وأما قراءته في الفراش أو مُضطجعًا؛ فهو جائز ولكنه خلاف الأولى.

الاستعاذة؛ وهي قول: " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(١)، وذهب أهل التفسير إلى أنَّ المقصود بذلك عند إرادة القراءة(٢).

البسملة؛ وهي قول: "بسم الله الرحمن الرحيم"، باستثناء البدء بسورة التوبة.

التطيُّب وطهارة اللباس عند إرادة التلاوة؛ لفعل النبيِّ صلى الله عليه وسلم إذ كان يمسُّ من طيبه عند تلاوته للقُرآن.

كما يُسنُّ لقارئ القُرآن استحباب التوقُّف عن القراءة عند التثاؤب؛ لأنَّ العبد يُخاطب ربَّه ويُناجيه، وكذلك عدم العبث أو الإكثار من الحركة لغير الحاجة، ووضْعِ المصحف على الأرض؛ لما في ذلك من الامتهان له. والوقوف عند آيات الوعد وسؤال الله من فضله، والوقوف عند آيات الوعيد والاستعاذة بالله من عذابه، لفعل النبيّ صلى الله عليه وسلم ذلك، حيث جاء في الحديث:" قمتُ معَ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فبدأ فاستاكَ، ثمَّ توضَّأ، ثمَّ قامَ يصلِّي، وقمتُ معَهُ، فبدأ فاستَفتحَ البقرةَ، لا يمرُّ بآيةِ رحمةٍ إلَّا وقفَ فسألَ، ولا يمرُّ بآيةِ عذابٍ إلَّا وقفَ يتعَوَّذُ" صحيح أبي داود(٣)، وأن لا يكون أكبر همهِ كثرة القراءة، قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾(٤).

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: فيقرأه بتمهُّل بدون سرعة، لأنَّ ذلك أعون على تدبُّر معانيه، وتقويم حروفه وألفاظه(٥).

مع استحضار القلب للآيات التي يقرأها، ويكره السرعة في تلاوة القرآن؛ لأنَّ ذلك منافٍ للتدبُّر.

---

(١) النحل: ٩٨.

(٢) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٢٩٣). جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٣)رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٤٠٥) برقم (٢٣٩٨٠). وأبو داود في سننه (١/ ٢٣٠) برقم (٨٧٣) أبواب تفريع استفتاح الصلاة باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٣٦١) برقم (٧٢٢) كتاب السهو، ذكر ما ينقض الصلاة، وما لا ينقضها، نوع آخر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/ ٣٧٣).

(٤) المزمل: ٤.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠/ ٢٧٨).

قراءة القُرآن بترتيلٍ وتأنٍ، ولا يَهذُّهُ هذًّا كالشعر.

والتغنّي بالقرآن؛ أي تحسين الصوت به عند قراءته، ويُعَدُّ ذلك من الآداب المستحَبَّة عند قراءة القرآن؛ لأنَّ المسلم مُطالَبٌ بالعناية بتلاوته؛ فقد جاءت الكثير من الآيات التي تحثُّ القارئ على التفكُّر والتدبُّر أثناء التلاوة، كقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1].

البُكاء أثناء التلاوة؛ حيث إنّها من علامات الصالحين، قال تعالى: ﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴾[2]. ويُستحبُّ الإسرار بالقراءة إن خاف القارئ على نفسه الرياء والعُجب، وإن لم يخف على نفسه من ذلك؛ فالجهر في حقه أفضل. ومن الآداب العامة التي ينبغي على قارئ القُرآن أن يلتزم بها الالتزام بتعاليمه، وتحكيمه في جميع شؤون الحياة، وجاء في ذلك العديد من الآيات، كقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[3]، وتعظيمه وتعاهده بالحفظ والعمل به، ومراقبة الله تعالى في جميع الأحوال، والبعد عن المنكرات والشهوات المحرَّمة، فقد جاء عن ابن مسعود–رضي الله عنه–:" أنَّه ينبغي لحامل القُرآن أن يُعرَف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مُفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون" رواه البيهقي في شعب الإيمان[4].

وأخيرًا ينبغي لقارئ القُرآن التحلِّي بأخلاق القُرآن في جميع حياته؛ كالاعتناء بأحكام القُرآن، وتفسيره، وفهْم معانيه، ومُراقبة الله في السر والعلن، والبُعد عن المنكرات والشهوات.

يَا مُنْـزِلَ الـوَحْيِ الْمُبِـينِ تَفَضُّـلًا ... نَـدْعُوكَ فَاقْبَـلْ يَا كَـرِيمُ دُعَـانَا
اجْعِـلْ كِتَابَـكَ بَيْنَنَـا نُـورًا لنَـا ... أَصْلِـحْ بِـهِ مَـا سَـاءَ مِـنْ دُنْيَـانَا
واحْفَـظْ بِـهِ الأوطـانَ واجمـعْ شملَنَـا ... فَالشَّـمْلُ مُـزَّقَ وَالْهَـوَى أَعْيَـانَا
وانصُرْ بِهِ قَوْمًـــا تَسِيلُ دِمَاؤُهُمْ ... فِي القُدْسِ فِي بَغْـــدَادَ فِي لُبْنَانَا[5]

---

(١) ص: ٢٩.

(٢) مريم: ٥٨.

(٣) النساء: ٦٥.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٨٨) برقم (١٦٦٨). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٥) الأبيات من قصيدة عن فضل القرآن وأهله للشاعر: مصطفى الجزار. ينظر موقع ملتقى أهل اللغة على الشبكة: http://www.ahlalloghah.com/showthread.php?t=387.



٥ رمضان

الحكمة من الصوم حصول التقوى

إنَّ الله تعالى لم يفرض علينا الصيام، ويمنعنا عن الطعام والشراب- اللذين أحلَّهما لنا- ليُعذِّبنا، فحاشا لله من ذلك، ولكنَّ للصيام الذي شرعه الله وفرضه على عباده حِكَمًا عظيمة وفوائد جمة، وأولى هذه الحكم وأجلُّها أنَّ الله سبحانه وتعالى إنَّما شرع الصيام وفرضه لتحقيق التقوى، والتدرُّب على الطاعات، فرمضان من مواسم الخيرات التي امتنَّ الله تعالى بها على عباده؛ ليقوى إيمانهم، وتزداد فيه تقواهم، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[(١)].والمقصود من التقوى هو امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وتلك هي الغاية من الصيام، وفيه تربية لنفسه، وتهذيبٌ لأخلاقه، واستقامة في سلوكه، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى قضية التقوى المقصودة من الصيام، فقال:" مَن لم يَدَعْ قول الزُّور والعملَ به، فليس للهِ حاجةٌ أن يَدَعَ طعامه وشرابه". رواه البخاري[(٢)].

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: ويُستفاد من الآية الكريمة فضْل التقوى، وأنَّه ينبغي سلوك الأسباب الموصِّلة إليه، لأنَّ الله أوجب الصيام لهذه الغاية، إذًا فهذه الغاية غاية عظيمة ينبغي على الإنسان أن يسلك السبل الموصِّلة إلى التقوى، وهذا يتفرَّع منه فائدة أخرى وهي: اعتبار الذرائع، يعني ما كان ذريعة إلى الشيء فإنَّ له حكم ذلك الشيء، فلمَّا كانت التقوى واجبة كانت وسائلها واجبة، ولهذا يجب على الإنسان أن يبتعد عن مواضع الفتن، لا ينظر إلى المرأة الأجنبية ولا يُكلِّمها كلامًا يتمتَّع به معها؛ لماذا؟ لأنَّه يُؤدِّي إلى الفاحشة فيجب اتقاء ذلك[(٣)]. قال الإمام الرازي:" بيَّن سبحانه بهذا الكلام أنَّ الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع الهوى؛ فإنَّه يردع عن الأشر والبطر والفواحش، ويُهوِّن لذَّات الدنيا ورئاستها؛ وذلك لأنَّ الصوم يكسر شهوة البطن والفرج، فمَن أكثرَ الصومَ هان عليه أمر هذين، وخفَّت عليه مؤنتهما،

فكان ذلك رادعًا له عن ارتكاب المحارم والفواحش، ومُهوِّنًا عليه أمر الرياسة في الدنيا وذلك جامع لأسباب التقوى فيكون معنى الآية" فرضتُ عليكم الصيام لتكونوا به من المتقين الذين أثنيتُ عليهم في كتابي"[(٤)] فغاية الصيام وثمرته لتكونوا من المتَّقين لله، المجتنبين لمحارمه.

---

(١)البقرة: ١٨٣.

(٢)رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٣) كتاب الصوم باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم.

(٣)تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣١٨).

(٤) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥/ ٢٤٠). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.



والأمر بتقوى الله وصية الله للأولين والآخرين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[١]، فمن يعمل بوصية الله فقد فاز ونجح، وذلك هو الفوز العظيم، ومن لم يعمل بوصية الله فسوف يخسر ويهلك، وذلك هو الخسران المبين؛ لذلك يجب أن نتمسَّك بوصية الله، وأن نعضَّ عليها بالنواجذ حتى يدركنا الموت ونحن على تلك الحالة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[٢]، أي: اتَّقوا الله حقَّ تقواه، قال ابن مسعود- رضي الله عنه-:" هو أن يُطاع فلا يُعصَى، وأن يُذكَر فلا يُنسَى، وأن يُشكَر فلا يُكفَر"[٣].

وسُئل الإمام علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- عن التقوى التي هي ثمرة الصيام فقال:" هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل"[٤]، وقال الإمام الغزالي: التقوى كنز عظيم، فإن ظفرتَ به فكم تجد فيه من جوهر، ورزق كريم، وملك عظيم، لأنَّ خيرات الدنيا والآخرة جُمعتْ فيها[٥].

ولقد بيَّن القرآن الكريم فوائد عديدة وكثيرة للتقوى؛ نذكر منها:

أولًا: النجاة من الشدائد، وسهولة الحصول على الرزق من وجهٍ لا يخطر ببال الإنسان ولا يعلمه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[٦]، فمن يتقِ الله ويراقبه ويقف عند حدوده يجعل له من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وقال المفسرون: الآية عامة، وقد نزلتْ في عوف بن مالك الأشجعي إذ أسر المشركون ابنه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الفاقة، وقال: إنَّ العدو أسر ابني

---

(١) النساء: ١٣١

(٢) آل عمران: ١٠٢

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٠٦) برقم (٣٤٥٥٣).

(٤) ينظر: موسوعة الرقائق والأدب (ص ٩٨٤). موسوعة الرقائق والأدب، المؤلف: ياسر بن أحمد بن محمود بن أحمد بن أبي الحمد الكويس الحمداني.

(٥) لم أقف عليه من كلام الغزالي، لكن ذكره مع اختلاف يسير الفيروزآبادي، حيث قال: "واعلم أن التقوى كنز عزيز، إن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس، وخير كثير، ورزق كريم، وغنم جسيم وملك عظيم. فهى الخصلة التى تجمع خير الدنيا والآخرة" بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ٢٥٩). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتابالعزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٦) الطلاق: ٢ – ٣.



وجزعتْ أمُّه، فما تأمرني؟ فقال صلى الله عليه وسلم: اتقِ الله واصبرْ، وآمرُك وإياها أن تستكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ففعل هو وامرأته، فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب، ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها، فنزلت الآية الكريمة[١].

ثانيًا: يحفظ الله تعالى الأُمَّة من الأعداء بشرط أن يتحلَّى أبناؤها بالبر والتقوى. قال الله عز وجل: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[٢]، فمن يتَّصف بتقوى الله في أقواله وأعماله لا يضره مكر الأعداء وكيدهم.

ثالثًا: قبول العمل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[٣]، فمنِ اتَّقى الله ربَّه وأخلص نيَّته تقبَّل الله عمله، قال البيضاوي:" فيه إشارة إلى أنَّ الطاعة لا تُقبَّل إلَّا من مؤمن مُتَّقٍ لله"[٤].

رابعًا: محبَّة الله تعالى ورضوانه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[٥]، وهذه درجة عالية، ومكانة رفيعة للذين يتقون الله تعالى.

خامسًا: أولياء الله وأصفياؤه هم أهل التقوى، وهي زادهم في الدنيا والآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾[٦]، ومن تزوَّد بتقوى الله أعطاهم ما يسرُّهم في الدارين؛ حيث تُبشِّرهم الملائكة عند الاحتضار برضوان الله ورحمته، وفي الآخرة بجنان النعيم والفوز العظيم، يقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[٧].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٨/ ١٦٠)؛ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ٢٦٣). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٢) آل عمران: ١٢٠.

(٣) المائدة: ٢٧

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ١٢٣). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

(٥) التوبة: ٤.

(٦)البقرة: ١٩٧.

(٧)يونس: ٦٢ – ٦٣.



سادسًا: التفاضل بين الناس عند الله تعالى يكون بالتقوى، لا بالأحساب ولا بالأنساب، فمن أراد شرفًا في الدنيا ومنزلة في الآخرة فليتَّقِ الله، قال الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾(١)، وقال صلى الله عليه وسلم:" النَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ" رواه الترمذي(٢).

وختامًا: إن المؤمنين المخاطَبين بالقرآن العظيم يعلمون مقام التقوى عند الله، ووزنها في ميزانه، فهي غاية تتطلَّع إليها أرواحهم، والصوم أداة من أدواتها وطريق موصِّل إليها؛ فالتقوى هي التي توقظ القلوب الشاردة لتؤدِّي هذه الفريضة طاعةً لله، وإيثارًا لرضاه، والتقوى هي التي تدفع العبد ليحرس صومه لئلا يفسده بالمعصية.

أخلصْ لربك، وادعُه ليثبتك ... ويُزيلَ عنك وساوسَ الشيطانِ

ودعِ الذنوبَ كبيرَها وصغيرَها ... فالذنبُ يُطفئُ جذوةَ الأذهانِ(٣)

---

(١)الحجرات: ١٣.

(٢)) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٣٨٩) برقم (٣٢٧٠) أبواب تفسير القرآن باب: ومن سورة الحجرات. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٢٧٠).

(٣)ينظر هذه الأبيات: أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٣ (٢١/ ٤٢٧). أرشيف ملتقى أهل الحديث – ٣، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢هـ = ديسمبر ٢٠١٠م، هذا الجزء يضم: • منتدى القرآن الكريم وعلومه، • منتدى عقيدة أهل السنة والجماعة، • منتدى الدراسات الفقهية، • منتدى أصول الفقه، • منتدى اللغة العربية وعلومها، • منتدى السيرة والتاريخ والأنساب، • منتدى تراجم أهل العلم المعاصرين.



٦ رمضان

فضائل الصوم

الصيام من الأعمال التي فضَّلها الله على كثير ممَّا سواها من الحسنات، وجعل عليه من الأجر والكفارات أضعاف ما جعل لغيره، ولأنَّ الصيام عمل خفي بين العبد وربِّه، فكذلك أجره خفي لا يعلمه إلا الله، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:"كلُّ عملِ ابنِ آدمَ يُضاعفُ؛ الحسنةُ بعشرِ أمثالِها، إلى سَبْعِمائةِ ضِعفٍ، قال اللهُ تعالى: إلَّا الصَّوْمَ؛ فإنَّه لِي، وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوتَه وطعامَه من أجلِي، وللصائمِ فرْحتانِ: فرحةٌ عند فِطرِه، وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه، ولخَلُوفُ فمِ الصائمِ، أطيبُ عند اللهِ من ريحِ المِسكِ" رواه ابن ماجه(١)، وقد ذكر أهل العلم سبب اختصاص الصوم بهذا الفضل، فقيل: إنَّ الصيام لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره. وقيل: إنَّ الله سبحانه وتعالى ينفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وقيل: إنَّ الصيام أحبُّ العبادات إلى الله والمقدَّم عنده سبحانه وتعالى، وقيل: إنَّ إضافة الصوم لله تعالى هو إضافة تشريف وتعظيم كما يقال:" ناقة الله" و"بيت الله"، وقيل: إنَّ الصيام لم يُعبَد به غير الله تعالى، ويُعدُّ الصيام مدرسة صحية وتربوية واجتماعية، مبنية على الصبر، ومخالفة النفس، وكسر الشهوة، واحترام النظام، والتزام الجماعة والإحسان إلى الفقراء، ومواساة المساكين والمحتاجين، وتطهير الروح والانشغال بلذَّة العبادات من صلاة وذكر، وقيام واعتكاف وتلاوة للقرآن الكريم(٢).

ويترتَّب على الصيام العديد من الفضائل في الحياة الدنيا، فيما يأتي بيان البعض منها: تحقيق التقوى؛ فالصيام يقي المسلم من الوقوع في المعصية، وبذلك يحميه من العذاب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (٣)، ويصل الصائم إلى مرتبة التقوى باجتناب المعاصي، وحِفظ الجوارح، والتغلُّب على

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٥٢٥) برقم (١٦٣٨) كتاب الصيام باب ما جاء في فضل الصيام. والحديث رواه مسلم (٢/ ٨٠٧) حديث رقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام دون اللفظة الأخيرة منه: "ولخَلُوفُ فمِ الصائمِ، أطيبُ عند اللهِ من ريحِ المِسكِ".

(٢) ينظر بعض هذه المعاني: التوشيح شرح الجامع الصحيح (٤/ ١٤١٤). التوشيح شرح الجامع الصحيح، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، المحقق: رضوان جامع رضوان، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(٣) البقرة: ١٨٣.



الشهوة، وعدم الاستجابة لوساوس الشيطان، وبذلك تقوى العزيمة والإرادة على الالتزام بأوامر الله،

فالصيام جُنَّة من شهوات الدنيا وعذاب الآخرة أي: وقاية في الدنيا والآخرة، فيقي المسلم في الدنيا من الوقوع في الشهوات والمعاصي، ويقيه في الآخرة من العذاب، فهو حصن حصين في الآخرة من النار. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" الصِّيَامُ جُنَّة، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ" رواه البخاري[(١)].

وعنه- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" الصيامُ جُنَّةٌ وحِصْنٌ حصينٌ مِنَ النارِ" رواه أحمد[(٢)]، ومعنى هذا الحديث: أنَّ الصيام درع يقي الصائم من المعاصي في الدنيا، ومن النار في الآخرة، كما يقي الدرع المحارب حين القتال، فيمنعه من طعنات العدو، ويحميه من الموت بإذن الله تعالى.

والصيام كفَّارة للخطايا والذنوب، فعن حذيفة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ" رواه البخاري ومسلم[(٣)].

ومن الفضائل استجابة الدعاء؛ إذ يُعَدُّ الصيام سببًا من أسباب إجابة الدعاء، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دعوتُهم: الصَّائمُ حتَّى يُفطِرَ، والإمامُ العَدلُ، ودعوةُ المظلومِ" رواه الترمذي[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٤) برقم (١٨٩٤) كتاب الصوم باب فضل الصوم. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٦) حديث رقم (١١٥١) كتاب الصيام باب حفظ اللسان للصائم.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ١٢٣) برقم (٩٢٢٤). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٧٢٠). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١١) برقم (٥٢٥) كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة. ورواه مسلم (٤/ ٢٢١٨) حديث رقم (١١٥١) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في الفتنة التي تموج كموج البحر.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٤١٠) برقم (٨٠٤٣). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٧٨) برقم (٣٥٩٨) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٥٧) برقم (١٧٥٢) كتاب الصيام باب في الصائم لا ترد دعوته. والحديث ذكره الترمذي بأتم من هذا ولفظه: "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين". قال الألباني عقبه: "ضعيف، لكن الصحيحة منه الشطر الأول بلفظ: "..... المسافر" مكان "الإمام العادل"، وفي رواية "الوالد"" صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٩٨).



كذلك تخصيص الصائمين بأنَّ لهم بابًا من أبواب الجنّة يُسمَّى (باب الريَّان)، وقد ثبت ذلك في صحيح مسلم، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ في الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ له الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ منه الصَّائِمُونَ يومَ القِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ معهُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ منه، فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ؛ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ منه أَحَدٌ" رواه مسلم(١).

أما عن فضائل الصيام في الآخرة فيُعَدُّ الصيام جُنَّة من عذاب الله تعالى؛ أي حماية منه؛ لأنَّ الصيام عبادة مُتعلِّقة بجميع البدن، وقد نسب الله تعالى ثواب الصيام إليه؛ فهو العالم بأجر الصائم، كما جعل رائحة فم الصائم أفضل وأحبَّ إليه من رائحة المِسك، قال الرسول –عليه الصلاة والسلام– فيما يرويه عن ربّه عز وجل:" كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له إلَّا الصِّيَامَ، هو لي وَأَنَا أَجْزِي به، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ؛ لَخُلْفَةُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِن رِيحِ المِسْكِ" رواه مسلم(٢).

إضافة إلى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن فضل الصيام؛ بأنَّ الله يُباعد بين الصائم وبين النار سبعين سنةً، فقال:" مَن صَامَ يَوْمًا في سَبيلِ اللهِ؛ بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا" رواه مسلم(٣).ومن فضائل الصيام التي ينالها العبد في الآخرة: نيل الشفاعة يوم القيامة، قال النبي–عليه الصلاة والسلام–:" الصيامُ والقرآنُ يَشْفَعانِ للعبدِ، يقولُ الصيامُ: أَيْ رَبِّ! إنِّي مَنَعْتُهُ الطعامَ والشهواتِ بالنهارِ، فشَفِّعْني فيه، ويقولُ القرآنُ: مَنَعْتُهُ النومَ بالليلِ، فشَفِّعْني فيه؛ فيَشْفَعَانِ" راه أحمد(٤). وأخرج البخاريّ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وإذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ"(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٥) برقم (١٨٩٦) كتاب الصوم باب الريان للصائمين. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٨) حديث رقم (١١٥٢) كتاب الصيام باب فضل الصيام.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٤) كتاب الصوم باب: هل يقول إني صائم إذا شتم. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٦) برقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٦) برقم (٢٨٤٠) كتاب الجهاد والسير باب فضل الصوم في سبيل الله. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٨) برقم (١١٥٣) كتاب الصيام باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، بلا ضرر ولا تفويت حق.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١١/ ١٩٩) برقم (٦٦٢٦). والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦١٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٤) كتاب الصوم باب: هل يقول إني صائم إذا شتم. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٧) برقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام.

نيل الدرجات الرفيعة في الجنة، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" إنَّ في الجنَّةِ غُرفًا؛ تُرَى ظُهورُها من بطونِها، وبطونُها من ظُهورِها، فقامَ أعرابيٌّ فقالَ: لِمن هيَ يا رسولَ اللَّهِ؟ فقالَ: لمن أطابَ الكلامَ، وأطعمَ الطَّعامَ، وأدامَ الصِّيامَ، وصلَّى باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ" رواه الترمذي[١].

ويُعَدُّ الصيام عبادةً من العبادات التي يتقرَّب بها العبد من الله تعالى؛ إذ لا يطَّلع على الصائم إلَّا الله، فيُحقِّق الصيام بذلك العبودية لله تعالى بأعلى درجاتها، ويفوز بمَحبَّته، ونصره، ومعونته، وتجدر الإشارة إلى أنَّ العبوديَّة هي المقصد من الخَلْق، قال عز وجل:﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[٢]، وتتحقَّق العبوديَّة بتمام الخضوع والذلِّ لله مع محبَّته.

ختامًا: نسأل الله أن يُعيننا في شهر رمضان على الصيام والقيام، والذكْر وتلاوة القرآن، وأن يتقبَّل منَّا ومن جميع المسلمين صالح الأعمال.

الصَّومُ مدرسةُ التعفُّفِ والتُّقى ... وَتَقارُبِ البُعَداءِ والأغْرَابِ

الصّومُ رابِطَةُ الإخاءِ قويّةً ... وَحِبالُ وُدِّ الأهْلِ والأَصْحَابِ

الصَّومُ دَرسٌ في التّساوي حافِلٌ ... بالجُودِ والإيثارِ والتَّرحَابِ

شهرُ العَزيمةِ والتَصبُّرِ والإبَا ... وصفاءِ روحٍ واحتمالِ صعَابِ

كَمْ مِنْ صيامٍ مَا جَنَى أصحَابُه ... غيرَ الظَّمأ وَالجوعِ والأَتْعَابِ

مَا كلُّ مَنْ تَرَكَ الطّعامَ بصَائمٍ ... وَكذاكَ تاركُ شَهْوةٍ وَشَرَابِ

الصَّومُ أسْمَى غايةٍ لمْ يَرْتَقِ ... لعُلاهُ مثلُ الرسْلِ وَالأصْحَابِ[٣]

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٤٩) برقم (١٣٣٨). والترمذي في جامعه (٤/ ٣٥٤) برقم (١٩٨٤) أبواب البر والصلة باب ما جاء في قول المعروف. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤٨٤).

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) ينظر: موقع وقفنا. https://waqfuna.com/waqf/?p=2046

٧رمضان

فضائل صيام شهر رمضان

يمتاز شهر رمضان بالكثير من الفضائل التي وردت في القرآن والسنة، ومن هذه الفضائل ما يأتي: أنزل الله فيه القرآن الكريم؛ إذ إنَّ نزول القرآن فيه من أعظم الأحداث التي تُبيِّن فضْل هذا الشهر؛ فهو كلام الله الذي بيَّنَ فيه أخبار الأُمم السابقة، والأحكام التي تضمن السعادة للإنسان في الدُّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [(١)].

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله-: يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك فقد ورد الحديث بأنَّه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء، فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أُنزلتْ صحف إبراهيم عليه السلام فى أول ليلة من رمضان، وأُنزِلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأُنزِل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان[(٢)]"[(٣)].

ومن فضائل الشهر أنَّه يتضمَّن ليلة القدر التي بيَّنَ القرآن الكريم أنَّها خير من ألف شهر، ومن قامها لله مُحتسبًا الأجر والثواب، غفر الله له ما تقدم من ذنبه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[(٤)]، قال الإمام القرطبى رحمه الله: بيَّنَ فضلها وعظمها، وفضيلة الزمان إنَّما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل، وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في ألف شهر[(٥)].

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ١٩١) برقم (١٦٩٨٤). والحديث حسن إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ١٠٤). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠١). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤) القدر: ١ - ٣

(٥) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٣١).



قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحْتِسَابًا؛ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ، ومَن صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ" رواه البخاري[١].

وقد سمَّى الله ليلة القدر بهذا الاسم؛ لأنَّ الله أنزل فيها القرآن الذي هو ذو قَدْر، على نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم ذي القَدْر، في ليلة ذات قَدْر، لأُمَّة ذات قَدْر، وقد بيَّنَ النبي صلى الله عليه وسلم أنَّها تكون في العشر الأواخر من رمضان، في الليالي الوتر منها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "التَمِسوها في العَشرِ الأواخِرِ مِن رَمَضانَ؛ في تاسِعةٍ تَبقى، وفي سابِعةٍ تَبقى، وفي خامِسةٍ تَبقى" رواه البخاري[٢].

وفي هذا الشهر العظيم يغفر الله به الذنوب، ويُكفِّر به الخطايا، وهو سبب لدخول الجنَّة؛ لحديث النبيّ صلى الله عليه وسلم الذي رواه جابر بن عبد الله- رضي الله عنه-:" أنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقالَ: أرَأَيْتَ إذا صَلَّيْتُ الصَّلَواتِ المَكْتُوباتِ، وصُمْتُ رَمَضانَ، وأَحْلَلْتُ الحَلالَ، وحَرَّمْتُ الحَرامَ، ولَمْ أزِدْ علَى ذلكَ شيئًا، أأَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ قالَ: نَعَمْ" رواه مسلم[٣].

وفيه تُفتَح أبواب الجنّة، وتُغلَق أبواب النيران، وتُصفَّد الشياطين، وذلك كلُّه من رحمة الله بالمؤمنين في هذا الشهر؛ لكثرة طاعتهم، وإقبالهم على الله بالأعمال الصالحة؛ لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم:" إذا جاءَ رَمَضانُ فُتِّحَتْ أبْوابُ الجَنَّةِ، وغُلِّقَتْ أبْوابُ النَّارِ، وصُفِّدَتِ الشَّياطِينُ" رواه البخاري[٤]، ومعنى تصفيد الله للشياطين: رَبْطها وتقييدها بالأصفاد؛ لأنَّها مصدر للذنوب والمعاصي، وما يرى من ارتكاب بعض الناس للذنوب في شهر رمضان؛ فذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى يُصفِّد مَرَدة الشياطين، ولكنَّ للمعاصي مصادر أُخرى كالنفس، والهوى.

وفيه يعتق الله الناس من النيران؛ فالله سبحانه وتعالى يتفضَّل على عباده الصائمين بأن يجعل منهم عُتقاء من النار في كل يوم؛ والعِتق يكون بإبعاد المعتَق عن النار، وإدخاله إلى الجنّة، ويُهيئ الله الظروف المناسبة لعباده؛ لأداء العبادة؛ وذلك بحبس الشياطين، وكثرة العِتق من النار في رمضان؛ لقول

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠١) كتاب الصوم باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية. ورواه مسلم (١/ ٥٢٣) برقم (٧٦٠) بتقديم وتأخير، كتاب صلاة المسافرين وقصرها بَابُ التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢١) كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٤) برقم (١٥) كتاب الإيمان بَابُ بَيَانِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُدْخَلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٥) برقم (١٨٩٩) كتاب الصوم باب: هل يقال رمضان أو شهر رمضان، ومن رأى كله واسعا. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٥٨) برقم (١٠٧٩) كتاب الصيام باب فضل شهر رمضان.



النبي صلى الله عليه وسلم:" ويُنادي منادٍ: يا باغيَ الخيرِ أقبِلْ، ويا باغيَ الشَّرِّ أقصِرْ، وله عُتقاءُ من النَّارِ، وذلك كلَّ ليلةٍ"رواه الترمذي(١).

ويتميَّز هذا الشهر عن غيره بأن الله تعالى يستجيب الدعاء من عباده؛ فرمضان موطن إجابة الدعاء، وللصائم دعوة مستجابة لا تُردُّ.

وينقسم الناس في استقباله إلى صنفين؛ صنف يتَّبعون فيه سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته؛ باستقباله بالدعاء، والفرح بقدومه، والاستعداد للعبادة فيه، والتقرُّب إلى الله، وصنف يتثاقلون منه ومن صيامه، ولا يفرحون بقدومه، ويَعُدُّون أيامه كأنَّه ضيف ثقيل عليهم، ويفرحون بانتهاء الصيام فرحًا شديدًا لزوال هذا الشهر، ولا يتَّبعون فيه سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم.

ويتميَّز هذا الشهر أيضًا بأنَّ العمرة فيه ثوابها مُضاعَف، فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" عُمرة في رمضان تعدل حَجَّةً" متفق عليه(٢).

قال الإمام المناوى- رحمه الله-: تعدل حجة في الثواب، لا أنَّها تقوم مقامها في إسقاط الفرض؛ للإجماع على أنَّ الاعتمار لا يُجزئ عن حج الفرض(٣).

ومن فضائله وخصائصه صلاة التراويح، فلقد أجمع المسلمون على سُنيَّة قيام ليالي رمضان، وقد ذكر النووي أنَّ المراد بقيام رمضان صلاة التراويح، يعني أنَّه يحصل المقصود من القيام بصلاة التراويح(٤)؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" رواه البخاري(٥).

قال الإمام ابن بطال- رحمه الله-: وفى جمْع عمر الناس على قارئ واحد دليلٌ على نظر الإمام لرعيته فى جمْع كلمتهم وصلاح دينهم، وفيه: جواز الاجتماع لصلاة النوافل، وفيه أنَّ الجماعة المتَّفقة

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٥٧) برقم (٦٨٢) أبواب الصوم باب ما جاء في فضل شهر رمضان. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٢٦) برقم (١٦٤٢) كتاب الصيام باب ما جاء في فضل شهر رمضان. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦١١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٩) برقم (١٨٦٣) كتاب جزاء الصيد باب: حج النساء ولفظه: «فإن عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي». ومسلم في صحيحه (٢/ ٩١٧) برقم (١٢٥٦) كتاب الحج باب فضل العمرة في رمضان.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ١٤٨). التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم (٦/ ٣٩). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٧) كتاب الإيمان باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٢٣) برقم (٧٥٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح.

فى عمل الطاعة مرجو بركتها، إذ دعاء كلِّ واحدٍ منهم يشمل جماعتهم، فلذلك صارت صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة، فيجب أن تكون النافلة كذلك، وفيه: أنَّ قيام رمضان سُنَّة لأنَّ عمر لم يُسِنُّ منه إلا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبُّه، وقد أخبر عليه السلام بالعلَّة التى منعتْه من الخروج إليهم، وهى خشية أن يُفترَض عليهم، وكان بالمؤمنين رحيمًا، فلمَّا أمِن عمر أن تُفترَض عليهم فى زمانه لانقطاع الوحى؛ أقام هذه السُّنَّة وأحياها، وذلك سنَةَ أربع عشرة من الهجرة فى صدر خلافته(١).

ومن فضائله وخصائصه الاعتكاف: فعن عائشة- رضي الله عنها-:" أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتَّى توفَّاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده" رواه مسلم(٢).

قال الإمام الصنعانى- رحمه الله-: فيه دليل على أنَّ الاعتكاف سُنَّةٌ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه من بعده(٣)، وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه-:" أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عامًا، حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين، وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه، قال:" مَن كانَ اعْتَكَفَ مَعِي؛ فَلْيَعْتَكِفِ العَشْرَ الأوَاخِرَ، وقدْ أُرِيتُ هذِه اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وقدْ رَأَيْتُنِي أسْجُدُ في مَاءٍ وطِينٍ مِن صَبِيحَتِهَا، فَالْتَمِسُوهَا في العَشْرِ الأوَاخِرِ، والتَمِسُوهَا في كُلِّ وِتْرٍ" رواه البخاري، فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش ، فوقف المسجد ، فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبهته أثر الماء والطين، من صبح إحدى وعشرين(٤).

وأخيرًا: ينبغي للمسلم الاستفادة من فضائل هذا الشهر الكريم، والإكثار من الصلوات والصدقات، والذكر والاستغفار، وسائر أنواع القربات في الليل والنهار، اغتنامًا للزمان ورغبة في مضاعفة الحسنات، ومرضاة فاطر الأرض والسموات.

---

(١) ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (٤/ ١٤٦). شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢٦) كتاب الاعتكاف باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٣١) برقم (١١٧٢) كتاب الاعتكاف باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

(٣) سبل السلام (١/ ٥٩٣). سبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٨) برقم (٢٠٢٧) كتاب الاعتكاف باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٢٤) برقم (١١٦٧) كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان.

يَا بَاغِـيَ الخَـيرِ هَـذَا شَـهرُ مَكرُمَـةٍ   أقبِـلْ بِصِـدقٍ جَـزَاكَ اللهُ إحسَانـا

أقبِـلْ بِجُـودٍ وَلَا تبخَـلْ بِنَافِلَـةٍ   واجعَـلْ جَبِينَـكَ بِالسجـدَاتِ

أعطِ الفَرَائضَ قدرًا لا تُضرُّ بِهَـا   عُنوَانَا واصدَعْ بِخَيْرٍ ورتَّل فِيهِ قُرآنَا[1]

---

(١) الأبيات من قصيدة بعنوان شهر رمضان المبارك للشاعر عبد الملك عواض الخديدي. ينظر:
https://diwandb.com/poem/%D8%B4%D9%87%D8%B1-%D8%B1%D9%85%D8%B6%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D9%83.html.

٨رمضان

النية وأحكامها في الصوم

الصيام ركن من أركان الدين العظيم، ويُشترَط فيه ما يُشترَط في سائر العبادات من وجوب النية، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[1]، ولقوله صلى الله عليه وسلم:" الأعْمَالُ بالنِّيَّةِ، ولِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى، فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إلَيْهِ" رواه البخاري[2].

فالنية ركن من أركان الصيام سواء كان الصيام واجبًا- كصيام رمضان، وقضاء رمضان، والنذر، والكفارات- أم نفلًا، مع الاختلاف في تفاصيل النية في بعض الأحكام.

والنية هي: قصْد القلب شيئًا مُقترنًا بفعله، ومحلُّها القلب، ولا يُشترَط لصحتها التلفُّظ بها، ولكن يُستحبُّ ذلك؛ ليوافق اللسان القلب، وخروجًا من خلاف العلماء في هذه المسألة، والتلفُّظ بالنية دون استحضار ذلك في القلب لا يُجزئ.

ويبدأ وقت النية للصيام الواجب من بعد غروب ليلة هذا اليوم، ويستمر وقتها إلى قبل الفجر، فلو نوى قبل غروب الشمس أو نوى بعد الفجر أو مع طلوع الفجر- عند بدء المؤذن برفْع أذان الفجر الثاني- فلا تصحُّ نيَّته هذه.

ويُستحبُّ أن تكون النية بعد النصف الثاني من الليل، وتصح من أوله.ويجب تعيين النية من الليل لصوم كلِّ يومٍ واجبٍ، لا نية الفرضية، وذلك بأن يعتقد بأنَّه يصوم من رمضان، أو من قضائه، أو يعتقد صوم نذر نذره؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" وإنَّما لكل امرئ ما نوى" أخرجه البخاري[3]، ولما ثبت أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ لم يُبَيِّتِ الصيامَ قبل الفجرِ فلا صيامَ له" رواه النسائي[4].

---

(١) البينة: ٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٠) برقم (٥٤) كتاب الإيمان باب: ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦) برقم (١) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٢٩) برقم (٢٤٥٤) كتاب بالصوم باب النية في الصيام. والترمذي في جامعه (٣/ ٩٩) برقم (٧٣٠) أبواب الصوم باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل. والنسائي في السنن الكبرى واللفظ له (٣/ ١٧٠) برقم (٢٦٥٢) كتاب الصيام، ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة في ذلك. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٥/ ٤٧٥). صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، [الكتاب مرقم آليا].



قال شيخ الإسلام- رحمه الله-: ومن خطر بقلبه أنَّه صائمٌ غدًا فقد نوى، والصائم لما يتعشَّى يتعشَّى عشاء مَن يريد الصيام؛ ولهذا يُفرِّق بين عشاء ليلة العيد وليالي رمضان(١).

فهل يصح الصوم بدون نية؟ لا يصح الصوم بدون نية؛ فتلزمه النية سواء كان الصوم واجبًا أو نفلًا، وهذا مذهب الحنابلة، ومذهب الثلاثة الآخرين أيضًا؛ بل حُكِي فيه الإجماع(٢)، ولأنَّ العبادات المحضة؛ كالصلاة والصوم تفتقر إلى النية، واختلف العلماء في تجديد النية لكل يوم من رمضان. هل يكفي لصوم شهر رمضان نية واحدة في أوَّله، أم لا بُدَّ لكل يوم من نية خاصة مستقلَّة؟

وخلافهم في ذلك على قولين: القول الأول: أنَّ كل يوم عبادة مستقلَّة بذاتها؛ فيحتاج إلى نية خاصة به، وهذا هو الصحيح من مذهب الحنابلة(٣)وهو قول الجمهور من الحنفية(٤)، والشافعية(٥)،

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٣٧٥). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين (ص: ٣٢٩)؛ موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي (١/ ٣٠٧). مَقَاصِدُ المكَلفينَ فيمَا يُتعَبَّدُ به لِرَبِّ العَالمين، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، أصل هذا الكتاب: رسالة دكتوراة من جامعة الأزهر، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م. موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي، المؤلف: محمد نعيم محمد هاني ساعي، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

(٣) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٣١٥)؛ مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ١٨٥). كشاف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المؤلف: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٤) ينظر: شرح مختصر الطحاوي (٢/ ٤٠٣)؛ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٨٥). شرح مختصر الطحاوي، المؤلف: أبو بكر الرازي الجصاص (٣٠٥ - ٣٧٠ هـ)، تحقيق: رسائل دكتوراه في الفقه، كلية الشريعة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١ -عصمت الله عنايت الله محمد (من أول الكتاب إلى الحج)، ٢ - سائد محمد يحيى بكداش (من البيوع إلى النكاح)، ٣ - محمد عبيد الله خان (من الطلاق إلى الحدود)، ٤ - زينب محمد حسن فلاته (من السير والجهاد إلى آخر الكتاب)، أعد الكتاب للطباعة وراجعه وصححه: أ. د. سائد بكداش، الناشر: دار البشائر الإسلامية - ودار السراج، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٥) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٣٠٢)؛ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٢/ ١٤٩). المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي). مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، المؤلف:

واستدلوا بحديث حفصة- رضي الله عنها- مرفوعًا:" مَن لم يُجمعِ الصِّيامَ قبلَ الفجرِ فلا صيامَ لَهُ" سنن أبو داود[(١)]، ولأنَّه صوم فرض، فافتقر إلى النية من الليل؛ كالقضاء.

قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: كل يوم له نية، لأنَّ كل يوم عبادة، كل يوم عبادة مستقلة، فلا بُدَّ من النية لكل يوم من رمضان، وهكذا أيام القضاء، وهكذا أيام النذر كل يوم له نية؛ لأنه عبادة مستقلة، نعم، هذا هو الصواب[(٢)].

القول الثاني: أنَّه يُجزئ صوم شهر رمضان بنية واحدة تكون في أول الشهر، وكذا في كل صيام متتابع مثل كفَّارة الجِماع في نهار رمضان، وهذا ما لم يقطعه بسفر، أو مرض، أو يكون على حال يجوز له الفطر؛ كحيض، أو نفاس؛ فيلزمه استئناف النية، وهذا القول رواية عن الإمام أحمد، واختاره جماعة من أصحابه[(٣)]، وقال به: زفر من الحنفية[(٤)]، وهو مذهب المالكية[(٥)]، واستدلُّوا على ذلك بما في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّما الأعمالُ بالنيَّات" رواه البخاري[(٦)]، وهذا قد نوى جميع الشهر، فرمضان بمنزلة عبادة واحدة.

شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٢٩) برقم (٢٤٥٤) كتاب بالصوم باب النية في الصيام. والترمذي في جامعه (٣/ ٩٩) برقم (٧٣٠) أبواب الصوم باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٢٥١).

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٦/ ١٨٤). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

(٣) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٣١٥)؛ مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ١٨٥).

(٤) ينظر: الاختيار لتعليل المختار (١/ ١٢٦). الاختيار لتعليل المختار، المؤلف: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: ٦٨٣هـ)، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية ومدرس بكلية أصول الدين سابقا)، الناشر: مطبعة الحلبي - القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها)، تاريخ النشر: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

(٥) ينظر: التلقين في الفقة المالكي (١/ ٧١)؛ منح الجليل شرح مختصر خليل (٢/ ١٢٨). التلقين في الفقة المالكي، المؤلف: أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ)، المحقق: ابي أويس محمد بو خبزة الحسني التطواني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. منح الجليل شرح مختصر خليل، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: ١٢٩٩هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة. تاريخ النشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦) برقم (١) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.



وتظهر ثمرة الخلاف فيما لو نام مُكلَّفٌ قبل الغروب إلى بعد الصبح؛ فعلى القول الأول: لا يصح صومُه؛ لأنَّه لم يبيِّت نية الصوم الواجب من الليل، وعلى القول الثاني: يصح صومُه؛ لأنَّ رمضان بمنزلة عبادة واحدة.

ولا يُشتَرَطُ في صيامِ التطَوُّعِ تَبييتُ النِّيَّةِ مِنَ اللَّيلِ، وهو مَذهَبُ الجُمهورِ: الحَنَفيَّة[١]، والشَّافِعيَّة[٢]، والحَنابِلة[٣] لعمومُ حديث عائشةَ أمِّ المؤمنينَ- رَضِيَ الله عنها- حيث قالت:" دخل عليَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ذاتَ يومٍ فقال: هل عِندكم شيءٌ؟ فقلنا: لا. قال: فإني إذًا صائِمٌ" رواه مسلم[٤].

ومَن تردَّدَ في نية الصَّومِ الواجِبِ: هل يصومُ غدًا أو لا يصومُ؟ واستمَرَّ هذا التردُّدُ إلى الغَدِ، ثم صامه؛ فصَومُه غيرُ صحيحٍ، وعليه قضاءُ هذا اليومِ، وهذا مَذهَب الجُمهورِ: المالكية[٥]، والشَّافِعية[٦]، والحَنابِلة[٧]، وهو قولُ بَعضِ الحَنَفيَّة[٨]، وذلك لأنَّ هذا مخالِف لشَرطٍ مِن شُروطِ صِحَّةِ الصَّومِ وهو النيَّةُ، التي هي عَقدُ القَلبِ على فِعلِ الشَّيءِ، والتردُّدُ ينافي ذلك، ومتى اختَلَّ هذا الشَّرطُ فسد الصَّومُ،

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٨٥).

(٢) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٣٠٢)؛ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٢/ ١٤٩).

(٣) ينظر: المغني لابن قدامة (٣/ ١١٠)؛ الشرح الكبير على متن المقنع (٣/ ٢٤). المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م. الشرح الكبير على متن المقنع، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (المتوفى: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٩) برقم (١١٥٤) كتاب الصيام باب جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال، وجواز فطر الصائم نفلا من غير عذر.

(٥) ينظر: حاشية الدسوقي (١/ ٥٢٠). حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، المؤلف: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: ١٢٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٦) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٩٨).

(٧) ينظر: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٠٩). الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان.

(٨) ينظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي (١/ ٣١٦). تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣هـ..



ووجب القَضاءُ[١]. ومَن نوى في يومٍ مِن رَمَضانَ قطْعَ صومِه؛ فإنَّ صَومَه ينقَطِعُ، ولا يصِحُّ منه، وعليه القَضاءُ وإمساكُ بقِيَّةِ اليومِ، إن كان ممَّن لا يباحُ لهم الفِطرُ، فإن كان ممَّن يُباحُ لهم الفِطرُ، كالمريضِ والمسافِرِ؛ فعليه القضاءُ فقط، وهو مذهَبُ المالكية[٢]، والحَنابِلة[٣]، ووجه عند الشَّافِعية[٤]، واختاره ابنُ حَزمٍ[٥]، وابن عُثيمين[٦]، ووجه الدلالة أنَّه ما دام ناويًا للصيامِ، فهو صائِمٌ، وإذا نوى الإفطارَ أفطَرَ، فالصوم عِبارةٌ عن نيَّةٍ، فإذا نوى قَطْعَها انقطَعَت، كالصَّلاةِ إذا نوى قطعها، فإنَّما تنقطِع[٧].

ثانيًا: لأنَّ الأصلَ اعتبارُ النية في جميعِ أجزاءِ العبادةِ حقيقة وحُكمًا، ولكِنْ لَمَّا شقَّ اعتبارُ النيَّةِ حقيقةً وحُكمًا، اعتُبِرَ بقاءُ حُكمِها، وهو ألَّا ينوي قَطْعَها، فإذا نواه زالتْ النيَّةُ حقيقةً وحُكمًا؛ لأنَّ نية الإفطارِ ضد نية الصوم، وإذا نوت الحائض أو النفساء الصيام قبل رؤية علامة الطهر، ثم ثبت طهرها ليلًا قبل أذان الفجر الثاني، وقامت بتجديد نية الصيام فنيتها صحيحة. أما إذا لم تُجدِّد نية الصيام فنيتها صحيحة إذا تحقَّق أحد الشرطين التاليين: ١- إذا كان قد مرَّ على حيضتها أكثر الحيض وهو خمسة عشر يومًا، وكذلك الحال بالنسبة للنفاس إذا مر عليها ستون يومًا.

٢- أو إذا كان قد مرَّ على حيضتها المدَّة المعتادة لها، فإذا كانت عادتها سبعة أيام؛ فتصح نيتها إذا انقضت سبعة أيام على حيضتها؛ لأنَّ الظاهر استمرار العادة سواء اتَّحدت أم اختلفت واتسقت ولم تنس اتساقها، أمَّا من كانت عادتها مُتغيّرة ولم تُميّز ذلك فلا تصح نيتها ولو مرَّ عليها قدر عادتها[٨].

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية - الدرر السنية (١/ ٣٠٢). الموسوعة الفقهية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net

(٢) ينظر: التاج والإكليل لمختصر خليل (٣/ ٣٦٠). التاج والإكليل لمختصر خليل، المؤلف: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: ٨٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.

(٣) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٣١٦).

(٤) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٩٧).

(٥) ينظر: المحلى بالآثار (٤/ ٣٠٢). المحلى بالآثار، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر — بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٦) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٣٦٣). الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ.

(٧) ينظر: الموسوعة الفقهية - الدرر السنية (١/ ٣٠٣).

(٨) ينظر: الدين الخالص (٨/ ٤٨٣). الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق (والمجلد التاسع طبع باسم: إرشاد الناسك إلى أعمال المناسك)، المؤلف: محمود محمد خطاب السّبكي، المحقق: أمين محمود خطاب، الناشر: المكتبة المحمودية السبكية، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.



٩ رمضان

السحور آداب وأحكام

يُعتبَر السحور في رمضان خصوصية من خصوصيات هذه الأمَّة؛ لأنَّه لم يكن للأمم الماضية في صيامهم سحورٌ، إذْ كان الصيام عند مَن قَبلنا وفي أول الإسلام؛ يحرُم على الصائم الأكل والشرب، والوطأ من حين ينام أو يصلي العشاء، فأيُّهما حصل أوَّلًا حصل به التحريم، فيُمسكون من صلاة العشاء إلى الغد، حتى تغْرُب الشمس، والسحور (بضم السين): أكْل طعام السحر، و(بفتح السين): طعام السحر وشرابه. فهو بالفتح: اسم ما يتسحَّر به، وبالضم المصدر والفعل نفسه.

ويُستحبُّ لمن أراد الصيام أن يتسحَّر؛ فقد ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة القولية والفعلية، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" تسحَّروا؛ فإنَّ في السحور بركةً" رواه البخاري(١)، وحكى النووي وابن المنذر الإجماع على استحباب السحور، وأنه ليس بواجب(٢). وقال البخاري: باب بركة السحور من غير إيجاب لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه واصلوا، ولم يذكر السحور(٣)، وجاء في المغني لابن قدامة أحدها في استحبابه، ولا نعلم فيه بين العلماء خلافًا(٤) وهذا هو الحق، والأدلة الواردة في فضله دالة على استحبابه، ومن تسحَّر ثم نوى الصيام، ثم عرض له أن يأكل أو يشرب أو يتناول دواء؛ فله ذلك ما لم يطلع الفجر؛ لأنَّ الصوم الشرعي لا يبدأ إلا من طلوع الفجر، وليست نية ترْك الطعام قبل الفجر بمحرم، والله أعلم.ومن فضائل السحور أنَّ السحور فيه بركة، والبركة في السحور تحصل بجهات مُتعدِّدة، منها: اتباع السُّنَّة، ومخالفة أهل الكتاب، والتقوِّي به على العبادة، والزيادة في النشاط، ومدافعة سوء الخُلُق الذي يُثيره الجوع، والتسبُّب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك، أو يجتمع معه على الأكل، والتسبُّب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة، وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٩) برقم (١٩٢٣) كتاب الصوم باب بركة السحور من غير إيجاب. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٧٠) برقم (١٠٩٥) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٧/ ٢٠٦)؛ الإجماع لابن المنذر (ص: ٤٩). الإجماع، المؤلف : أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى : ٣١٩هـ)، المحقق : فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٣) صحيح البخاري (٣/ ٢٩).

(٤) المغني لابن قدامة (٣/ ١٧٣).

ومن حكم السحور ومقاصده: أنَّه معونةٌ على العبادة؛ فإنَّه يُعين الإنسان على الصيام، فإن تسحَّر المسلم سيقدر على الصوم؛ لأنَّ من شأن السحور أن يساعد في تنشيط البدن، وأن يمده بالطاقة طوال النهار.

وأنَّ فيه مخالفة أهل الكتاب؛ فإنَّهم لا يتسحَّرون، وهذا هو الفرق بين صيامنا وصيامهم، فعن عمرو بن العاص- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" فصْل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب؛ أكلة السحر" رواه مسلم(١). وكما نص الإمام النووي- رحمه الله- في شرحه لصحيح مسلم؛ فالسحور ممَّا يُميِّز المسلمين عن أهل الكتاب في الصيام، إذ إنَّه يُندَب للمسلمين أن يتسحَّروا، وأمَّا أهل الكتاب فلا يتسحَّرون(٢).

ويُسنُّ للصائم تأخير السحور ما لم يخش طلوع الفجر، فعن أنس- رضي الله عنه- أنَّ زيد بن ثابت- رضي الله عنه- حدثه:" تسحَّرْنا معَ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثمَّ قمنا إلى الصَّلاةِ قلتُ: كم بينَهما؟ قالَ: قدرُ قراءةِ خمسينَ آيةً" رواه البخاري(٣)، والحديث فيه دلالةٌ على استحباب التسحُّر وتأخيره إلى قريب طلوع الفجر، ونقل الإجماع على ذلك: ابن رشد(٤)، وابن مفلح(٥)، والمرداوي(٦).

ذهب الأئمة الأربعة وعلماء الأمصار كلهم إلى أنَّ السحور يمتدُّ حتى طلوع الفجر الصادق، أو قُلْ: حتَّى يُؤذِّن المؤذِّن لصلاة الفجر. وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عبَّاس- رضي الله تعالى

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٧٠) برقم (١٠٩٦) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٧/ ٢٠٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٩) برقم (٥٧٥) كتاب مواقيت الصلاة باب وقت الفجر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٧١) برقم (١٠٩٧) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٤) ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٢/ ٦٩). بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٥) الفروع وتصحيح الفروع (٥/ ٣٠). كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٦) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٣/ ٣٣٠). الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ.



عنهما-[١]، ونقل عن الأعمش وإسحاق جواز الأكل والشرب إلى طلوع الشمس، إلَّا أنَّ النووي قد شكك في هذا النقل[٢].

ويُسنُّ التسحُّر بالتمر؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" نِعْمَ سَحُورُ المؤمنِ التمرُ" رواه أبو داود[٣].

فالسحور بركة أعطانا الله إياها، والله وملائكته يُصلُّون علينا ونحن نتسحَّر، ويُفضَّل السحور بالرطب، وإلا فبالتمر، وتحصل بركة السحور بجرعة من ماء.

ولو لم يكن من فضل للسحور إلَّا صلاة الله سبحانه وملائكته على المتسحِّرين لكفى، وقد روى أحمد فضائل السحور في حديث واحد من طريق أبي سعيد الخدري- رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" السَّحورُ أُكْلةُ بَرَكةٍ، فلا تَدَعوه، ولو أنْ يَجرَعَ أَحَدُكم جُرْعةً من ماءٍ؛ فإنَّ اللهَ وملائكتَه يُصلُّونَ على المتَسَحِّرينَ"[٤].

فليحرص الصائم على تناول طعام السحور ليُحصِّل هذه الفضائل، وفي السحور بركة عظيمة تشمل منافع الدنيا والآخرة: فمن بركة السحور التقوِّي على العبادة، والاستعانة على طاعة الله تعالى أثناء النهار من صلاة وقراءة وذكْر؛ فإنَّ الجائع يكسل عن العبادة، كما يكسل عن عمله اليومي، وهذا محسوس، ومن بركة السحور مدافعة سوء الخُلُق الذي يُثيره الجوع، فالمتسحِّر طيب النفس، حسن المعاملة، ومن بركة السحور أنه تحصل بسببه الرغبة في الازدياد من الصيام؛ لخفَّة المشقَّة فيه على المتسحِّر، فيرغب في الصيام، ولا يتضايق منه، ومن بركة السحور اتباع السُّنَّة، فإنَّ المتسحِّر إذا نوى بسحوره امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء بفعله؛ كان سحوره عبادة، يحصل له به

---

(١) تهذيب سنن أبي داود (٢/ ٢٥). تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال (٢٩)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ - ٧٥١)، ج ١: تحقيق (علي بن محمد العمران)، راجعه (جديع بن جديع الجديع - عبد الرحمن بن صالح السديس)، ج ٢، ٣: تحقيق (نبيل بن نصار السندي)، (محمد أجمل الإصلاحي - عمر بن سَعدِي)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م (الأولى لدار ابن حزم)

(٢) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٣٠٥).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٠٣) برقم (٢٣٤٥) كتاب الصوم باب من سمى السحور الغداء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ١٠٤).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ١٥٠) برقم (١١٠٨٦). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٢٠٦).



أجرٌ بهذه النية، وإذا نوى الصائم بأكله وشربه تقوية بدنه على الصيام والقيام؛ كان مُثابًا على ذلك أيضًا، ومن بركة السحور صلاة الفجر مع الجماعة في وقتها الفاضل؛ ولذا تجد أنَّ المصلِّين في صلاة الفجر في رمضان أكثر منهم في غيره من الشهور؛ لأنَّهم قاموا من أجل السحور؛ فينبغي للصائم أن يحرص على السحور، ولا يتركه لغلبة النوم أو غيره، وعليه أن يكون سهلاً لينًا عند إيقاظه من النوم، طيِّب النفس، مسرورًا بامتثال أمر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حريصًا على الخير؛ لأنَّ نبيَّنا صلى الله عليه وسلم أكَّد السحور، فأمر به وبيَّن أنَّه شعار صيام المسلمين، والفارق بين صيامهم وصيام أهل الكتاب، ونهى عن تركه.

وفي الختام؛ هناك عبادات يمكن للمسلم فعلها إذا قام بعبادة السحور، وتُعينه على التقرُّب إلى الله تعالى في وقت السحر، ومن هذه العبادات: الدُعاء، الذكْر، قراءة القرآن الكريم، قيام الليل، وكثرة الاستغفار، قال الله سبحانه وتعالى في ذلك:﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾[(١)].

هذا لواءُ سحورٍ يُستضاءُ به | وعسكرُ الشهبِ في الظلماءِ
والصائمون جميعًا يهتدون به | جرَّارُ كأنَّه علمٌ في رأسِهِ نارُ[(٢)]

(١) آل عمران: ١٧.

(٢) ينظر: بدائع البدائه (ص: ١٤٧). بدائع البدائه، المؤلف: علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي، أبو الحسن جمال الدين (المتوفى: ٦١٣هـ)، طبعة: مصر سنة ١٨٦١م.

١٠ رمضان

ما يجب على الصائم تركه

يجب على الصائم ترْك عدّة أمور حتى يكون صومه صحيحًا، منها ما يلي:

١- يجب على الصائم ترْك المفطرات الثلاث (الطعام والشراب والجماع) إذا تبيَّن له طلوع الفجر الثاني. قال الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[١].

وعن عبد الله بن أبي أوفى- رضي الله عنه- قال:" كُنَّا مع رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ قالَ لِرَجُلٍ: انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ؛ لو أَمْسَيْتَ، قالَ: انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا، قالَ: إنَّ عَلَيْنَا نَهَارًا، فَنَزَلَ فَجَدَحَ له فَشَرِبَ، ثُمَّ قالَ: إذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قدْ أَقْبَلَ مِن هَا هُنَا- وَأَشَارَ بيَدِهِ نَحْوَ المَشْرِقِ- فقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ" رواه مسلم[٢].

٢- يجب على المسلم اجتناب الكذب والغيبة والسبِّ في كل وقت، وفي رمضان آكد؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه" رواه البخاري[٣].

٣- عدم الرفث والصخب، وعدم الردِّ على من جهل عليه؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" قال الله: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له إلَّا الصِّيَامَ؛ فإنَّه لي، وأَنَا أجْزِي به، والصِّيَامُ جُنَّةٌ، وإذَا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ ولَا يَصْخَبْ، فإنْ سَابَّهُ أحَدٌ أوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ؛ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إذَا أفْطَرَ فَرِحَ، وإذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ" رواه البخاري[٤].

٤- يجب على الصائم ترك المعاصي والآثام في كل وقت، وفي رمضان آكد. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٥]، وذلك

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٦) برقم (١٩٥٥) كتاب الصوم باب: هل يقول إني صائم إذا شتم. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٧) برقم (١١٠١) كتاب الصيام باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٣) كتاب الصوم باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٤) كتاب الصوم باب: هل يقول إني صائم إذا شتم. ورواه مسلم (٢/ ٨٠٧) برقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام.

(٥) الإسراء: ٣٦.



بأن نحفظ أبصارنا من النظر إلى ما حرَّم الله تعالى في الخارج كالشوارع، أو في الداخل في البيوت على التلفاز أو النت أو الخلويات أو ما شابه.

٥- أن نحفظ أيدينا ولا نمدَّها إلى حرام أبدًا؛ لأنَّ " المسْلِمُ مَن سَلِمَ المسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه " رواه البخاري[١].

٦- أن نستعمل أرجلنا في المشي إلى ما يُرضي الله تعالى كالمساجد، ولا نمشي إلى ما حرَّم الله تعالى.

٧- أن نستعمل ألسنتا بما فيه مصلحة لنا في الدنيا والآخرة، ولا نتكلَّم بما لا يرضاه الله تعالى، حيث ينبغي على المسلم أن يجتنب أمورًا قد تُبطل صيامه، ومن أهمِّها:-

أ- الكذب: فالأصل في المسلم أن يكون صادقًا مع نفسه ومع الآخرين، بعيدًا عن الكذب، وأعظمه الكذب على الله تعالى أو على رسوله صلى الله عليه وسلم والكذب على الناس، ومن الكذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ما يتجرَّأ به البعض من إصدار فتاوى خاصة بالصيام بغير علم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[٢]، والنبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالصدق ويُحذِّر أشدَّ التحذير من الكذب بقوله:" عليكم بالصِّدقِ؛ فإنَّ الصِّدقَ يَهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يَهدي إلى الجنَّةِ، وما يزالُ الرَّجلُ يصدقُ، ويتحرَّى الصِّدقَ؛ حتَّى يُكتبَ عندَ اللهِ صدِّيقًا، وإيَّاكم والكذبَ؛ فإنَّ الكذبَ يَهدي إلى الفجورِ، وإنَّ الفجورَ يَهدي إلى النَّارِ، وما يزالُ العبدُ يَكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتَّى يُكتبَ عندَ اللهِ كذَّابًا" رواه البخاري[٣].

ب- وممَّا يلحق بالكذب قول الزور، حيث لا ينفع صيام معه، يقول النبي- صلى الله عليه وسلم:" مَن لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ به؛ فليسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ " رواه البخاري[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١) برقم (١٠) كتاب الإيمان باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

(٢) النحل: ١١٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٥) برقم (٦٠٩٤) كتاب الأدب باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} [التوبة: ١١٩] وما ينهى عن الكذب. ورواه مسلم (٤/ ٢٠١٣) برقم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله. واللفظ لمسلم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠٣) كتاب الصوم باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم.



ج- الغيبة: هي ذكْر معايب الناس، وقد حرَّمها الشارع الرحيم بقوله:﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1]،

وعن أنس- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لما عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقومٍ لهُمْ أَظْفَارٌ من نُحاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وصُدُورَهُمْ، فقُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الذينَ يأكلونَ لُحُومَ الناسِ، ويَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِمْ" رواه أبو داود[2].

د- النميمة: وهي نقْل الكلام بين الناس على سبيل الإفساد بينهم، وقد حرَّمها الشارع الكريم بقوله:" لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ" رواه مسلم[3]، ويُعذَّب قبل ذلك في قبره، فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال:" إنَّهما ليُعذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير، أمَّا أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأمَّا الآخر فكان يمشي بالنميمة" رواه البخاري[4].

هـ- سبُّ الناس وشتمهم، بل إنْ سبَّه أحدٌ أو شاتمه أو قاتله يقول: إِنِّي صائم، وفي الحديث:" إذا أصبح أحدكم يومًا صائمًا؛ فلا يرفث ولا يجهل، فإنِ امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إِنِّي صائم، إِنِّي صائم" رواه مسلم[5]. وعند البخاري:" الصيام جُنَّة، فلا يرفث ولا يجهل، وإنِ امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إِنِّي صائم مرتين"[6].

و- اتفق أهل العلم دون خلاف في أمر مَن ارتدَّ عن الإسلام أثناء الصوم فإنَّه يفسد صومه، ويجب عليه القضاء إن عاد إلى الإسلام، سواءً كانت عودته أثناء اليوم أم بعد انقضائه؛ ذلك أنَّ الصوم عبادة، ومن شرطها النية، فأبطلتها الردة[7].

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٦٩) برقم (٤٨٧٨) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٥١). صحيح الترغيب والترهيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الخامسة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٠١) برقم (١٠٥) كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم النميمة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٣) برقم (٢١٨) كتاب الصوم باب ما جاء في غسل البول. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٤٠) برقم (٢٩٢) كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه

(٥) رواه مسلم (٢/ ٨٠٦) حديث رقم (١١٥١) كتاب الصيام باب حفظ اللسان للصائم.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٤) برقم (١٨٩٤) كتاب الصوم باب فضل الصوم.

(٧) ينظر: المغني لابن قدامة (٣/ ١٣٣).



٨- أن نكون صادقين في معاملاتنا، فالتاجر المسلم صادق وأمين، لا يخون ولا يغش إخوانه في البيع ولا غيره؛ لأنَّه يعلم أنَّ" مَن غشَّنا فليس منَّا" رواه مسلم[١].

٩- أن نحرص على الاستماع للقرآن الكريم ودروس العلم، ونحفظ آذاننا من الاستماع إلى الكلام الحرام كالأغاني والموسيقى وغيرها، وفي الحديث:" ليكونَّنَّ من أمَّتي أقوامٌ يستحلون الحرَّ والحرير، والخمر والمعازف، ولينزلَّنَّ أقوامٌ إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم- يعني الفقير- لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غدًا، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة" رواه البخاري[٢].

مَا صَامَ مَنْ لَمْ يَرْعَ حقَّ مُجاورٍ — وأُخُوَّةٍ وقَرابةٍ وَصِحابِ

مَا صَامَ مَنْ أَكَلَ اللحومَ بِغيبَةٍ — أوْ قَالَ شرًا أوْ سَعَى لِخَرَابِ

مَا صَامَ مَنْ أدَّى شَهادةَ كاذِبٍ — وَأَخَلَّ بالأَخْلاقِ وَالآدَابِ[٣]

---

(١) رواه مسلم (١/ ٩٩) حديث رقم (١٠١) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا».

(٢)رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٠٦) برقم (٥٥٩٠) كتاب الأشربة باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه.

(٣) الأبيات من قصيدة بعنوان: رمضان أقبل يا أولي الألباب لخير الدين وانلي. ينظر موقع مدونة الشعر العربي: .https://poetry.coiod.com/2020/04/blog-post_93.html



١١ رمضان

ما يباح للصائم فعله

في هذا الشهر الكريم" شهر الصوم" نجد العديد من أحكام التيسير والرفق بالمسلم الصائم، فالنظرة السطحية تقف أمام مظهر الجوع والعطش، أمَّا النظرة المتأمِّلة تجد في الصومِ الخيرَ لديننا ولدنيانا، دون تعذيب للنفس أو حملها على جناح المشقة وهي لا تستطيع، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:" إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا، وأَبْشِرُوا، واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ" رواه البخاري[١]، وكان الإمام مالك- رحمه الله- يقول: إذا كانت الضرورة فإن دين الله يسر[٢].

ما يباح للصائم فعله في نهار رمضان:-

١- يباح للصائم أن يصبح جنبًا ثم يغتسل، فعن عائشة وأم سلمة- رضي الله عنهما-" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُدرِكُه الفجرُ وهو جُنبٌ مِن أهلِه ثمَّ يغتسِلُ ويصومُ" رواه البخاري[٣].

٢- الاحتلام، فلا شيءَ على من احتلم وهو صائم؛ لحديث النَّبي صلى الله عليه وسلم:" رُفِع القَلمُ عن ثلاثةٍ: عن النَّائمِ حتَّى يستيقظَ، وعن الصَّبي حتَّى يحتلِمَ، وعن المجنونِ حتَّى يَعقِلَ" رواه الترمذي[٤].

٣- الحائض والنفساءُ إذا انقطع الدَّم عنهما من الليل؛ جاز لهما تأخير الغسل إلى الصبح؛ وأصبحتا صائمتين، ثم عليهما أن تتطهَّرَا للصَّلاة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٩) كتاب الإيمان باب الدين يسر.

(٢) موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري (١/ ٦٦٣). موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤١٢هـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٩) برقم (١٩٢٥) كتاب الصوم باب الصائم يصبح جنبا.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ٢٢٤) برقم (٢٤٦٩٤). وأبو داود في سننه (٤/ ١٤٠) برقم (٤٤٠١) كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا. والترمذي في جامعه (٤/ ٣٢) برقم (١٤٢٣) أبواب الحدود باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٤٨٧) برقم (٧٣٠٣) كتاب الرجم، المجنونة تصيب الحد. وابن ماجه في سننه (١/ ٦٥٨) برقم (٢٠٤١) كتاب الطلاق باب طلاق المعتوه والصغير والنائم. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٢/ ٤).

٤- المضمَضةُ، والاستِنشاق من غير مبالغة عند الوضوء، أو خارجه؛ فعن لقيطِ بن صَبْرة- رضي الله عنه- أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا" رواه أبو داود[١]. قال الإمام ابن قدامة المقدسي- رحمه الله-:" وإن تمضْمضَ أو استنشَقَ في الطهارة، فسبق الماء إلى حلقه من غير قصدٍ ولا إسْراف؛ فلا شيء عليه"[٢].

٥- والسواك؛ فيباح للصائم استعمال السواك في أي وقت، قبل الزوال أو بعده؛ ذهب إلى ذلك الحنفية والمالكية، وحكي عن الشافعي، وهو قول بعضِ الشافعية، ورواية عن أحمد، وهو اختيار النووي، وابن تيمية، وابن القيم، والشوكاني، وابن باز، والألباني، وابنِ عثيمين، وهو قول طائفة من السلف، وأكثر العلماء[٣]، وذلك لعموم قوله صلى الله عليه وسلم:" لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ" رواه البخاري، ولم يُفرِّق بين الصائم وغيره كذلك أنَّه تطهير للفم، فلا يُكرَه للصائِم، كالمضمضة، ويجوز أن يستعمل الصائم معجون الأسنانِ لكن ينبغي الحذر من نفاذه إلى الحلق؛ وهو قول ابن باز[٤]، وابن عثيمين[٥]، وذهب إلى هذا مجمع الفقه الإسلامي[٦]، وذلك قياسًا على السواك[٧].

---

(١) رواه أبو داود في سننه (١/ ٣٥) برقم (١٤٢) كتاب الطهارة باب في الاستنثار. والترمذي في جامعه (٣/ ١٤٦) برقم (٧٨٨) أبواب الصوم باب ما جاء في كراهية مبالغة الاستنشاق للصائم. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ١١٠) برقم (٩٩) كتاب الطهارة، الأمر بالمبالغة في الاستنشاق لغير الصائم. وابن ماجه في سننه (١/ ١٤٢) برقم (٤٠٧) كتاب الطهارة وسننها المبالغة في الاستنشاق والاستنثار. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٨٥).

(٢) المغني لابن قدامة (٣/ ١٢٣).

(٣) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤١٩).

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٥/ ٢٦٠).

(٥) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٩/ ٣٥٤).

(٦) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي (١٠/ ٩١٣)؛ (١٠/ ١٤١٣)؛ (١٠/ ١٤٣٣). مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، المؤلف: تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، وقد صدرت في ١٣ عددا، وكل عدد يتكون من مجموعة من المجلدات، كما يلي، العدد ١: مجلد واحد.، العدد ٢: مجلدان.، العدد ٥ و ٧ و ٩ و ١٢: كل منها ٤ مجلدات، بقية الأعداد: كل منها ٣ مجلدات، ومجموع المجلدات للأعداد الـ١٣: أربعون مجلدا.

(٧) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤١٩).



٦- التَّبرد بالماء من شدَّة الحرِّ، والنزول والانغماس فيه، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة الحنفية[١] والمالكية[٢] والشافعية[٣] والحنابلة[٤]؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ وَهُوَ صَائِمٌ مِنَ العَطَشِ أَوْ مِنَ الحَرِّ" رواه أبو داود[٥].

٧- التطيُّب والتبخُّر والتعطُّر بأنواع العطور، والادهان، والاكتحال، والقطرة، وتحليل الدم، هذه الأمور لا تفطر، سواء وجد طعمها في حلقه أم لم يجد، وذلك لعدم ورود النَّهي في كل هذا عن الشَّرع، والأصل في إباحة هذه الأشياء البراءة الأصليَّة. هذا ما رجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في رسالته "حقيقة الصيام"[٦]، وابن القيم في "زاد المعاد"[٧]، وهو مذهب الإمام البخاري، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٨].

---

(١) ينظر: الهداية في شرح بداية المبتدي (١/ ١٢٠). الهداية في شرح بداية المبتدي، المؤلف: علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (المتوفى: ٥٩٣هـ)، المحقق: طلال يوسف، الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت — لبنان.

(٢) ينظر: الجامع لمسائل المدونة (٥/ ٦٥٦). الجامع لمسائل المدونة، المؤلف: أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي (ت ٤٥١ هـ)، المحقق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي- جامعة أم القرى (سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطبعها)، توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٣) ينظر: بحر المذهب للروياني (٣/ ٢٩٠). بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي)، المؤلف: الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (ت ٥٠٢ هـ)، المحقق: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م.

(٤) ينظر: الروض المربع شرح زاد المستقنع (ص: ٢٣٢). الروض المربع شرح زاد المستقنع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي، خرج أحاديثه: عبد القدوس محمد نذير، الناشر: دار المؤيد - مؤسسة الرسالة.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٢٦٤) برقم (٢٣٢٢٣). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٠٧) برقم (٢٣٦٥) كتاب الصوم باب الصائم يصب عليه الماء من العطش ويبالغ في الاستنشاق. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٢٨٨) برقم (٣٠١٧) كتاب الصيام، صب الصائم الماء على رأسه. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٢٥).

(٦) ينظر: حقيقة الصيام (ص ٣٧). حقيقة الصيام، تأليف: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، خرج أحاديها: محمد ناصر الدين الألباني، حققها: زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٠٠هـ.

(٧) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٥٨).

(٨)مريم: ٦٤.

٨- القُبلة والمباشرة- وما في معناها- للزوجة لمن قدر على ضبط نفسه؛ فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ" رواه مسلم[١]؛ أي: لشهوته وحاجته. ولا فرق بين الشيخ والشاب في ذلك، والاعتبار بتحريك الشهوة؛ والضابط في ذلك أن يملكَ الإنسان شهوته، ويقدر على ضبط نفسه. قال ابن المنذر:" رخَّصَ في القُبلة عمر، وابن عبَّاس، وأبو هريرة، وعائشة، وعطاء، والشعبي، والحسن، وأحمد، وإسحاق[٢].

٩- ذوق الطعام أو القِدْر، بشرط ألا يصل إلى جوفه- أو حلقِه- منه شيء؛ كمعرفةِ استواءِ الطعام أو مقدار ملوحته، أو عند شرائه لاختباره، بِشرط أن يَمُجَّه بعد ذلك، أو يغسل فمه، أو يُدلِّك لسانه، وهذا مذهب الجمهور: الحنفية[٣]والشافعية[٤]والحنابلة[٥][٦]، فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال:" لا بأس أن يَتَطَعَّمَ القِدْرَ أو الشَّيء" رواه البخاري[٧].

١٠- السفر لحاجة مباحة، وإن كان يعلم أنَّ سفره سيُلجئه إلى الإفطار.

١١- وكذا يباح له ما لا يمكن الاحتراز منه، كبلع الريق ولو كثر، وغبار الطريق والمصانع، وغربلة الدقيق، والنخامَة، ودخان الحطب، وسائر الأبخرة التي لا يمكن التحرُّز منها.

١٢- التداوي بأي دواء حلال، لا يصل إلى جوفه منه شيء.

١٣- مضْغ الطعام لطفلٍ صغير لا يجد من يمضغ له طعامه الذي لا غنى له عنه، بشرط ألا يصل إلى جوف الماضغِ منه شيء.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٠) برقم (١٩٢٧) كتاب الصوم باب المباشرة للصائم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٧) برقم (١١٠٦) كتاب الصيام باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته.

(٢) ينظر: الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر (٣/ ١٣٦). الإشراف على مذاهب العلماء، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، المحقق: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، الناشر: مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة – الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ١٠٦).

(٤) ينظر: المجموع شرح المهذب (٦/ ٣٥٤).

(٥) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٣/ ٣٢٦).

(٦) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤١٦).

(٧) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا (٣/ ٣٠) كتاب الصوم باب اغتسال الصائم.



١٤- الاكتحال، وهو مذهب الحنفية والشافعية، وقول طائفة مِن السلف، وهو قول داود، واختيار ابن تيميةَ، والشوكانيّ، وابن باز، وابن عثيمين، والألباني، وذلك لأنَّ العين ليست منفذًا للجوف، ولو لطخ الإنسان قَدميه ووجد طعمه في حلقه لم يفطره؛ لأنَّ ذلك ليس منفذًا، فكذلك إذا اكتحل في عينِه(١).

١٥- استعمال قطرة العين، وقد ذهب إلى ذلك الحنفية والشافعية، وهو اختيار ابن باز، وابن عثيمين، وذلك للآتي: أولًا: أنَّ جوف العين لا يتسِع لأكثر من قطرة واحدة، والقطرة الواحدة حَجمها قليل جدًّا، وإذا ثبت ذلك فإنَّه يُعفَى عنه، فهو أقل من القدرِ المعفو عنه ممَّا يبقى من المضمضة. ثانيًا: لأنَّ هذه القطرةَ تمتص جميعها أثناء مرورها في القناة الدمعية، ولا تصل إلى البلعوم، وعندما تمتص هذه القطرة تذهب إلى مناطق التذوق في اللسان، فيشعر المريض بطعمها، كما قرر ذلك بعض الأطباء. ثالثًا: أنَّ القطرة في العين لم ينَص على كونها من المفطرات، وليست بمعنى المنصوص عليه(٢).

١٦- استعمال قطرة الأذن، وهو قول ابن حزم، وابن عثيمين، وابن باز؛ وذلك لأنَّ الأذن ليست منفذًا للطعام والشراب(٣).

١٧- ويباح للصائم أيضًا الحجامة والفصد، فقد كانت من جملة المفطرات ثم نسخت، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم. وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- احتجم وهو صائم" رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه(٤).

ختامًا: إنَّ المتأمل بعين الإنصاف في أحكام الشريعة ليدرك مدى الإتقان الرباني في بنائها وبُعدَها عن التعسُّف والتعنُّت، الأمر الذي جعلها أحاطت بالخير كله، فلم تدع منه شيئًا، ووضعت المسلم على طريق الرشاد في الدنيا والآخرة، فالحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة.

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤٢٠).

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤٢١).

(٣) ينظر: الموسوعة الفقهية – الدرر السنية (١/ ٤٢٢).

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٠٩) برقم (٢٣٧٢) كتاب الصوم باب في الرخصة في ذلك. والترمذي في جامعه (٣/ ١٣٨) برقم (٧٧٦) أبواب الصوم باب ما جاء من الرخصة في ذلك. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٠) برقم (٣٢٠٢) كتاب الصيام، ذكر اختلاف الناقلين لخبر عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٢٩) برقم (٣٠٨١) كتاب المناسك باب الحجامة للمحرم. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٧٥). والحديث في البخاري بلفظ: «أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم، واحتجم وهو صائم» صحيح البخاري (٣/ ٣٣) برقم (١٩٣٨) كتاب الصوم باب الحجامة والقيء للصائم.

١٢ رمضان

من فطر صائمًا فله مثل أجره

من المنح الإلهية لهذه الأمة في هذا الشهر أنَّ مَن فطَّر صائمًا ولو على تمرة؛ كان له مثل أجر الصائم غير أنَّه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا؛ فعن زيد بن خالد الجهَني- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن فطَّرَ صائمًا كانَ لَهُ مثلُ أجرِهِ، غيرَ أنَّهُ لا ينقُصُ من أجرِ الصَّائمِ شيئًا " رواه الترمذي[١]، وفي هذا دعوة للبذل والعطاء في هذا الشهر، وهو هدي النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان أجود بالخير في هذا الشهر من الريح المرسلة؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ- رَضِي الله عَنهُمَا- قَالَ:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ" رواه البخاري ومسلم[٢].

وفي رواية سلمان الفارسي- رضي الله عنه:" مَن فطَّر فيه صائمًا كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء، قلنا: يا رسول الله؛ ليس كلُّنا نجد ما نُفطر به الصائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يُعطي الله هذا الثواب مَن فطَّر صائمًا على مذقة لبن أو تمرة أو شربة من ماء، ومن أشبع صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة " رواه البيهقي[٣].

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ١٦٢) برقم (٨٠٧) أبواب الصوم باب ما جاء في فضل من فطر صائما. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٥) برقم (٣٣١٨) كتاب الصيام، ثواب من فطر صائمًا، وذكر الاختلاف على عطاء في الخبر فيه. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٥٥) برقم (١٧٤٦) كتاب الصيام باب في ثواب من فطر صائمًا. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٦٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨) برقم (٦) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٣) برقم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٢٤) برقم (٣٣٣٦). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

وأمَّا قوله:" وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِهِ" فهذا جزاؤه مغفرة لذنوبه، وسقاه الله من حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة؛ وكان له مثل أجر الصائم، ولما كان الإشباع أكثر فضلًا من مجرد إسقاء مذقة لبن، أو إطعام تمرة، أو إسقاء شربة ماء، كان الجزاء أعظم أجرًا؛" وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِهِ، وَسَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ"، أو يكون المعنى أنَّه يعطى هذا الثواب عند العجز عن الإشباع، قاله أبو الحسن المباركفوري[1]، وهذا الحديث دليل على فضل تفطير الصائم، وإنَّ في ذلك أجرًا عظيمًا، وهو مثل أجر الصائم، لأنَّه صائم يستحق التعظيم، وإطعامه صدقة، وتعظيم للصوم وصلة بأهل الطاعات، وهذا أمر اعتاده المسلمون لإدراكهم الثواب الجزيل المرتَّب على ذلك، فإنَّ شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، وتفطير الصائم له مجالات مُتعدِّدة من إطعام الفقير ما يأكل، أو دفع مال له يشتري به طعامًا. على أنَّ ذلك غير خاص بالفقير، وقد كان السلف الصالح من هذه الأمَّة يحرصون على إطعام الطعام وتفطير الصائمين، ويُقدِّمون ذلك على كثير من العبادات سواء كان ذلك بإشباع جائع أو إطعام أخ صالح، ولهم أخبار مشهورة، قال بعض السلف:" لأن أدعو عشرة من أصحابي فأطعمهم طعامًا يشتهونه أحبُّ إليَّ من أن أُعتق عشرة من ولد إسماعيل"[2]، وكان كثيرٌ من السلف يُؤْثر بفطوره وهو صائم؛ منهم عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- وأحمد بن حنبل وداود الطائي ومالك بن دينار[3]، وكان من السلف من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم، ويجلس يخدمهم ويروحهم، منهم الحسن البصري وعبد الله بن المبارك[4].

قال الإمام الشافعي- رحمه الله-:" أحبُّ للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن

---

(١) ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٤١٩). مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

(٢) ينظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ٧٩). اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: جسم الفهيد الدوسري، الناشر: مكتبة دار الأقصى – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٥.

(٣) نظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ٧٨).

(٤) ينظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ٧٩).



مكاسبهم[١]؛ فينبغي للإنسان أن يتأسَّى بنبيِّه صلى الله عليه وسلم فيبذل ويتصدَّق ليواسي الفقراء والمحتاجين، ويتفقَّد الجيران، ويصل ذوي الأرحام، ويساهم في مشاريع الخير، ولعل ممَّا يُحرِّك داعي الإنفاق أن يتذكَّر الإنسان بالصوم نعم الله عليه، والنعمة لا تُعرَف إلَّا بفقدانها، فيشكر نعمة الله عليه حيث يسَّر له الحصول على ما يشتهي ممَّا أباح الله له، ويتذكَّر إخوانه الفقراء الذين لا يتيسَّر لهم ما يحتاجون فيجود عليهم بالصدقة والإحسان.

والجمع بين الصيام وإطعام الطعام أبلغ في تكفير الخطايا واتقاء جهنم إذا انضم إلى ذلك قيام الليل. قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل- رضي الله عنه-:" ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٢]، رواه ابن ماجه والترمذي[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: والمراد بتفطيره: أن يُشبعه[٤].

---

(١) ينظر: الحاوي الكبير (٣/ ٤٧٩). الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض- الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

(٢) السجدة: ١٦ – ١٧.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٤٤) برقم (٢٢٠١٦). الترمذي في جامعه (٥/ ١١) برقم (٢٦١٦) أبواب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٤) برقم (١١٣٣٠) كتاب التفسير قوله تعالى: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} [السجدة: ١٦]، وقوله تعالى: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} [السجدة: ١٧]. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣١٤) برقم (٣٩٧٣) كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٩١٣).

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٣٧٧). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.



قال الملا على القاري: ولعلَّ الاكتفاء بالإشباع في الشرط لأنَّه أفضل أو لكونه أصلًا في الدنيا، وبالإسقاء في الجزاء لكون الاحتياج إليه أكثر، بل لا احتياج إلَّا إليه في العُقبى[١]، وقيل: يُعطَى الأجر كاملًا ولو فطَّر الصائم على أدنى شيء[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في شرحه على رياض الصالحين: واختلف العلماء في معنى (مَن فطَّر صائمًا) فقيل: إنَّ المراد من فطَّره على أدنى ما يفطر به الصائم، ولو بتمرة، وقال بعض العلماء: المراد بتفطيره أن يُشبعه، لأن هذا هو الذي ينفع الصائم طول ليله، وربما يستغني عن السحور؛ لكن ظاهر الحديث أنَّ الانسان لو فطَّر صائمًا ولو بتمرة واحدة؛ فإنَّ له أجره[٣].

قال المناوي: (مَن فطَّر صائمًا) بعشائه، وكذا بتمر، فإن لم يتيسَّر فبماء.

قال ابن علان في دليل الفالحين: أي ولو بالماء[٤].

وجاء في نزهة المتقين: (من فطَّر صائمًا) أي قدَّم له شيئًا يُفطر عليه ولو تمرة أو شربة ماء[٥].

وقوله: (وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء) استدراك لما قد يُتوَّهم من أنَّ إثابته كذلك تنقص ثواب الصائم، وإنَّما لم تنقص إثابته بذلك إثابة الصائم لاختلاف جهة ثوابهما، كما لا ينقص ثواب الدالِّ على الهدى ثواب فاعله، وهذا ما رجَّحه بعض المحدِّثين المعاصرين من أمثال شيخنا الشيخ عبد العزيز السعيد- حفظه الله-، والأجر الذي للمفطر إنَّما هو لمن أشبع، لا لمن ابتدأ بالإطعام، فليس من قدَّم تمرة كمن ذبح شاة وأطعم خبزًا.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٣٦٩). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين (٥/ ٣١٥). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ..

(٣) شرح رياض الصالحين (٥/ ٣١٥).

(٤) فيض القدير (٦/ ١٨٧). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

(٥) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين (٨٩٠). نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تأليف: الدكتور: مصطفى سعيد الخن وآخرون. نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

ختامًا: ينبغى للإنسان أن يحرص على إفطار الصائمين قدر المستطاع، لا سيما مع حاجة الصائمين وفقرهم، أو حاجتهم لكونهم لا يجدون من يقوم بتجهيز الفطور لهم، وما أشبه ذلك.

أطْعِـمْ فَقِيـرًا فَـذاكَ الخَيـرُ تَكْنِـزُهُ   يَـومَ الحِسابِ تَجِدْ مَا جُدَّتَ ضَاعَفَهُ

لَا خَيرَ فِي مَنْ يَبِيتُ اللَّيلَ فِي شَبَعٍ   والجـارُ قَـدْ باتَ جُـوعٌ قـضَّ مَضْـجَعَهُ

إطعامُ مِسكينٍ خَيْرٌ مِنْ كَثيرِ عَمَلْ   إيَّـاكَ والبُخـلَ شَـرٌّ بِئسَ مَرْتَـعَهُ يُعْظِمْ

أطْعِمْ طَعامَكَ لِلْمُحْتاجِ مُدَّخَــرٍ   لَكَ الأجـــــرَ حِلَّ الرِّزق أجْزَلَهُ[١]

---

(١) الأبيات من قصيدة بعنوان إطعام الطعام للشاعر عطا سليمان رموني. ينظر:
https://arabvoice.com/70935/%D8%A5%D8%B7%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D8%B4%D8%B9%D8%B1-/%D8%B9%D8%B7%D8%A7-%D8%B1%D9%85%D9%88%D9%86%D9%8A



١٣ رمضان

مفسدات الصوم وشروطها (العلم والذكر والقصد)

تتعدَّد الأمور التي يفسد بها الصوم، ويبطل بها الصيام، والمفطرات عامَّة- ما عدا الحيض والنفاس- لا يفطر بها الصائم إلا بشروط ثلاثة:

أ- أن يكون عالمِا غير جاهل: إذ يُعذَر المكلَّف إن ارتكب أحد مبطلات الصوم وهو جاهل بأنَّه مبطل للصيام، إلَّا أنَّ بعض الفقهاء لم يعذر بالجهل إلَّا من كان حديث عهد بالإسلام، أو نشأ في غير دار الإسلام.

ب- أن يكون ذاكرًا غير ناسٍ: ومنها كذلك الذِّكر وعدم النسيان؛ فلا يُؤاخَذ المكلَّف في حال ارتكاب أحد مبطلات الصيام نسيانًا. فإن ارتكب المكلَّف أحد مبطلات الصيام؛ ظنًّا منه أنَّ الفجر لم يطلع، وكان قد طلع، فإنه يُفطِر، ويجب عليه قضاء ذلك اليوم. وإن أفطر المكلَّف؛ ظنًّا منه أنَّ الشمس قد غابت، وتبيَّن بعدها أنَّها لم تغب بعد؛ فلا إثم عليه، ويجب عليه قضاء ذلك اليوم؛ لما رُوي عن أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنها- أنَّها قالت:" أَفْطَرْنَا علَى عَهْدِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يَومَ غَيْمٍ، ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ. قيلَ لِهِشَامٍ: فَأُمِرُوا بالقَضَاءِ؟ قالَ: لا بُدَّ مِن قَضَاءٍ. وقالَ مَعْمَرٌ: سَمِعْتُ هِشَامًا: لا أدْرِي أقَضَوْا أمْ لَا. "رواه البخاري[١].

ج- أن يكون مختارًا غير مضطر ولا مُكرَه: إذ يُعذَر المكلَّف في حال الإكراه على ارتكاب أحد مبطلات الصيام، ويُعَدُّ صيامه صحيحًا؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ اللهَ تعالى وضع عن أُمَّتي الخطأَ، والنسيانَ، وما اسْتُكرِهوا عليه" رواه ابن ماجه[٢].

والمفطرات سبعة أنواع: الأول: الجماع: وهو إيلاج الذَّكَر في الفرج، وهو أعظمها وأكبرها إثمًا، فمتى جامَع الصائمُ بطل صومُه، فرضًا كان أو نفلًا، ثم إن كان في نهار رمضان، والصوم واجب عليه؛ لزمه مع القضاء الكفارة المغلَّظة، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين لا يفطر بينهما إلا لعذر شرعي كأيام العيدين والتشريق، أو لعذر حسِّي كالمرض والسفر لغير قصد الفطر، فإن أفطر لغير عذر ولو يومًا واحدًا لزمه استئنافُ الصيام من جديد ليحصل التتابع، فإن لم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٧) برقم (١٩٥٩) كتاب الصوم باب إذا أفطر في رمضان ثم طلعت الشمس.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٦٥٩) برقم (٢٠٤٥) كتاب الصوم باب طلاق المكره والناسي. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ١٢٣).



يستطع صيام شهرين متتابعين فإطعام ستين مسكينًا؛ لكل مسكين نصف كيلو وعشرة جرامات من البُرِّ الجيِّد، وفي الصحيحين أنَّ رجلًا واقع امرأته في نهار رمضان فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَلَكْتُ. قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟..."[١].

الثاني: إنزال المني اختيارًا: سواء بتقبيلٍ أو لمسٍ أو استمناء أو غير ذلك في نهار رمضان؛ لأنَّ هذا من الشهوة التي لا يكون الصوم إلَّا باجتنابها، كما جاء في الحديث القدسي:" يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي" رواه البخاري ومسلم[٢]. أمَّا إذا باشر فأمذى، أو استمنى فأمذى فلا يفسد صومه، وصومه صحيح، وهو اختيار الشيخ ابن عثيمين، وقال: إن هذا اختيار شيخ الإسلام، والحجة فيه عدم وجود الحجة؛ لأنَّ الصوم عبادة لا تفسد إلَّا بدليل[٣]، وهو قول أبي حنيفة[٤] والشافعي[٥]، وكذا الإنزال بالاحتلام أو بالتفكُّر المجرَّد عن العمل لا يُفطر؛ لأنَّه بغير اختيار الصائم، والتفكير معفوٌّ عنه لما صحَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ" رواه البخاري[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٢) برقم (١٩٣٦) كتاب الصوم باب إذا جامع في رمضان، ولم يكن له شيء، فتصدق عليه فليكفر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٨١) برقم (١١١١) كتاب الصيام باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة الكبرى فيه وبيانها، وأنها تجب على الموسر والمعسر وتثبت في ذمة المعسر حتى يستطيع.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٥٥) برقم (٩١١٢). ولم أقف عليه بهذا اللفظ عند البخاري ومسلم، لكن رواه مسلم بلفظ: "إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي" صحيح مسلم (٢/ ٨٠٧) برقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام.

(٣) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٣٧٦).

(٤) ينظر: الجوهرة النيرة على مختصر القدوري (١/ ١٣٩). الجوهرة النيرة، المؤلف: أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزَّبِيدِيّ اليمني الحنفي (المتوفى: ٨٠٠هـ)، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٢٢هـ.

(٥) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (٣/ ٥٠٨). البيان في مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٤٦) برقم (٥٢٦٩) كتاب الطلاق باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، إذا لم تستقر ومسلم في صحيحه (١/ ١١٦) برقم (١٢٧) كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، إذا لم تستقر.



الثالث: الأكل أو الشرب عمدًا: فإذا أكل الصائم أو شرب عامدًا مُختارًا فسد صومه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[١]. الرابع: ما كان بمعنى الأكل أو الشرب: مثل الإبر المغذِّية التي يُكتفى بها عن الأكل والشرب؛ لأنَّها إن لم تكن أكلًا وشُربًا حقيقة؛ فإنَّها بمعناهما، فتثبت لها حكمهما، ولقد اتفق أهل العلم على أن تعمُّد الأكل أو الشُّرب في نهار رمضان من مبطلات الصيام، ويأثم فاعله، ويجب عليه إمساك بقية يومه، والقضاء، دون وجوب الكفارة عليه[٢]، أمَّا الأكل أو الشرب في نهار رمضان سهوًا من غير قصدٍ؛ فلا يبطل الصيام، ولا يوجب القضاء، ولا الكفارة؛ لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن نَسِيَ وَهو صَائِمٌ، فأكَلَ، أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فإنَّما أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ" رواه البخاري[٣].

الخامس: التقيُّؤ عمدًا: وقد ذهب جمهور العلماء من المالكية[٤]، والشافعية[٥]، والحنابلة[٦] إلى أنَّ الاستقاءة مبطلةٌ للصيام في رمضان، ويتوجَّب القضاء بسببها. واستدلُّوا على قولهم بما روي عن رسول

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣١) برقم (١٩٣٣) كتاب الصوم باب الصائم إذا أكل أو شرب ناسيا. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٩) برقم (١١٥٥) كتاب الصيام باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر.

(٣) ينظر: المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٤٧٢). المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»، المؤلف: أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ)، المحقق: حميش عبد الحقّ، الناشر: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز - مكة المكرمة، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة: بدون.

(٤) ينظر: العزيز شرح الوجيز (٣/ ١٩١). العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ)، المحقق: علي محمد عوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٥) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٤٤١). الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٦/ ٢٨٣) برقم (١٠٤٦٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٣١٠) برقم (٢٣٨٠) كتاب الصوم باب الصائم يستقيء عمدًا. والترمذي في جامعه (٣/ ٨٩) برقم (٧٢٠) أبواب الصوم باب ما جاء فيمن استقاء عمدا. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٣١٧) برقم (٣١١٧) كتاب الصيام ذكر الاختلاف على هشام الدستوائي. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٣٦) برقم (١٦٧٦) كتاب الصيام باب ما جاء في الصائم يقيء. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٥١).

الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن ذرعَهُ قَيءٌ وَهوَ صائمٌ؛ فلَيسَ علَيهِ قضاءٌ، وإن استَقاءَ فليقضِ" رواه أبو داود[1]. أمَّا الحنفية ففصَّلوا في بطلان الصيام بالاستقاءة، ووجوب القضاء بسببها؛ إذ اشترطوا أن يكون الصائم عامدًا للقيء، ومُتذكِّرًا الصيام، وأن يكون القيء ملء الفم، أو أكثر[2].

السادس: خروج دم الحيض والنفاس: لقول النبي صلى الله عليه وسلم في المرأة:" أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ" رواه البخاري[3].

السابع: الجنون؛ أجمع أهل العلم على عدم وجوب الصيام على المجنون، وبطلان صيامه، ونقل الإجماع الإمام النووي، إذ قال:" المجنون لا يلزمه الصوم في الحال بالإجماع، للحديث وللإجماع"[4]، بالإضافة إلى الحديث الذي روي عن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- إذ قال: "يا أميرَ المؤمنين؛ أما علِمتَ أنَّ القلمَ قد رُفِع عن ثلاثةٍ؛ عن المجنونِ حتَّى يبرأَ، وعن النَّائمِ حتَّى يستيقظَ، وعن الصَّبيِّ حتَّى يعقِلَ" رواه أبو داد[5]، وهذا في حال كان الجنون مُلازمًا مُطبقًا. أمَّا إن كان الجنون مُؤقَّتًا، وأفاق المكلَّف في جميع نهار رمضان؛ وجب عليه الصيام.

وتجدر الإشارة إلى اختلاف أهل العلم في صحة صيام المكلَّف الذي شرع في الصيام، ثم طرأ عليه الجنون: فقد ذهب المالكية[6]، والشافعية[7] إلى بطلان الصيام بالجنون الطارئ؛ قياسًا على بطلان صيام المرأة بسبب الحيض، وكلاهما عارض يُفسِد الصيام، كما قال الإمام الشافعي- رحمه الله-: إذا وُجِد الجنون في جزء من النهار أفسد الصوم؛ لأنَّه معنى يمنع الوجوب، فأفسده وجوده في بعضه

---

(١) ينظر: الأصل المعروف بالمبسوط للشيباني (٢/ ٣١٠). الأصل المعروف بالمبسوط، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (المتوفى: ١٨٩هـ)، المحقق: أبو الوفا الأفغاني، الناشر: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية —كراتشي.

(٢) المجموع شرح المهذب (٦/ ٢٥٤).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ١٤٠) برقم (٤٣٩٩) كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٢/ ٥).

(٤) ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٢/ ٤٢٢). مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٥) ينظر: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (٣/ ١٧٢). حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، المؤلف: محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، أبو بكر الشاشي القفال الفارقيّ، الملقب فخر الإسلام، المستظهري الشافعي (المتوفى: ٥٠٧هـ)، المحقق: د. ياسين أحمد إبراهيم درادكة، الناشر: مؤسسة الرسالة / دار الأرقم - بيروت / عمان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م.

(٦) نقله عنه ابن قدامة في المغني (٣/ ١١٦).

(٧) ينظر: المغني لابن قدامة (٣/ ١١٦).



كالحيض، وذهب الحنابلة؛ إذ قالوا بعدم فساد صيام المكلَّف بسبب الجنون الطارئ الذي لا يبقى طوال النهار، ولم يأخذوا بقياس الجنون بالحيض، واعتبروه قياسًا فاسدًا؛ لوجود اختلافٍ عظيمٍ بين الجنون والحيض، لا سيما أنَّ الحيض لا يمنع وجوب الصيام؛ إذ يجب على الحائض قضاء ما أفطرته، أمَّا المجنون فلا يجب عليه قضاء ما فاته من الصيام بسبب الجنون، وبيَّنوا أنَّ أقرب ما يُمكن قياس الجنون الطارئ به هو الإغماء، والمغمى عليه لا يبطل صيامه في حال كان الإغماء في جزءٍ من النهار؛ ولذلك قالوا بصحة صيام من طرأ عليه الجنون جزءًا من النهار.

١٤ رمضان

يريد الله بكم اليسر

(صوم المسافر والمريض والحامل والمرضع والشيخ الكبير)

الشريعة الإسلامية قائمة على التيسير ورفْع الحرج عن الناس، فلم تأمرهم إلَّا بما في استطاعتهم ومقدرتهم، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾(٢)، والمتأمِّل لكثير من الأحكام المتعلِّقة بالصيام يجد ذلك واضحًا جليًّا؛ خصوصًا لأهل الأعذار.

أولًا: المسافر: رخَّص الله سبحانه للمسافر بالفطر في نهار رمضان، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(٣)؛ على أن يقضي ما أفطره بعد رمضان، فقد روى الإمام مسلم عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَجِدُ بِي قُوَّةً عَلَى الصِّيَامِ فِي السَّفَرِ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" هِيَ رُخْصَةٌ مِنْ اللَّهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ"(٤).

ومن شروط فطر المسافر في رمضان: أن يخرج مسافة تُسمَّى سفرًا، وقد وقع خلاف بين الفقهاء في تحديد هذه المسافة، والذي يظهر- والله أعلم- أنَّ تقديرها بالمسافة أحوط من العرف، وهي أربعة برد، وتقدر بـ ٨١كم، وقيل: ٨٥ كم، وألَّا يقصد التحايل بالسفر على الفطر، وللمسافر الفطر بعد أن عزم على الصوم، لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم خرج صائمًا ثم أفطر أثناء النهار، فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال:" إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ الكديد أفطر، فأفطر الناس" رواه البخاري(٥).

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) المائدة: ٦.

(٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٩٠) برقم (١١٢١) كتاب الصيام باب التخيير في الصوم والفطر في السفر.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٤) برقم (١١٢١) كتاب الصوم باب إذا صام أياما من رمضان ثم سافر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٨٤) برقم (١١٢١) كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان سفره مرحلتين فأكثر، وأن الأفضل لمن أطاقه بلا ضرر أن يصوم، ولمن يشق عليه أن يفطر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: ويجوز الفطر للمسافر باتفاق الأُمَّة، سواء كان قادرًا على الصيام، أو عاجزًا، وسواء شقَّ عليه الصوم، أو لم يشقَّ، بحيث لو كان مسافرًا في الظلِّ والماء ومعه من يخدمه؛ جاز له الفطر والقصر[١].

ثانيًا: المريض: قال ابن قدامة: أجمع أهل العلم على إباحة الفطر للمريض في الجملة[٢]، وأمَّا ضابط المرض المبيح للفطر فهو الضرر، فلا بُدَّ أن يتضرَّر بالصوم بأن يكون سببًا في زيادة مرضه أو ألمه أو تأخر بُرئه.

والمريض في رمضان له أحوال: الحالة الأولى: لا يجوز له الفطر؛ وذلك إذا كان المرض يسيرًا، فتحصيل مصلحة الصوم أعظم من درء مفسدة هذا المرض اليسير، ولأنَّ الإنسان لا يكاد يخلو منها.

الحالة الثانية: مريض يحرُم عليه الصوم، وهو الذي غلب على الظنّ تضرُّره بالمرض، بأن أخبره الطبيب بأنَّ صيامه قد يزيد المرض أو قد يتلف العضو، فهذا يحرُم عليه أن يصوم؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا ضرر ولا ضرار" رواه ابن ماجه[٣]، فيحرم على الإنسان أن يضر بنفسه، فيجب عليه أن يُفطر ويحرُم عليه الصوم.

الحالة الثالثة: مريض يُستحبُّ له الفطر، وذلك إذا تيَّقن أنَّه لا يتضرَّر بالصوم، ولكنه يشقُّ عليه، أو غلب على الظنّ عدم تضرُّره بالصوم فيُستحبُّ له الفطر؛ أخذًا بالرخصة.

والعجز عن الصيام ينقسم إلى قسمين: عجز دائم ككبر سن أو مرض لا يُرجى زواله، فحكمه أنَّه يُفطر ويُطعم عن كل يومٍ مسكينًا. بدليل ما صحَّ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[٤]، قال:"كَانَتْ رُخْصَةً لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ الْكَبِيرَةِ، وَهُمَا يُطِيقَانِ الصِّيَامَ أَنْ يُفْطِرَا وَيُطْعِمَا مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا" رواه أبوداود[٥]، والعجز

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢١٠). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

(٢) المغني لابن قدامة (٣/ ١٥٥).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٥٥) برقم (٢٨٦٥). وابن ماجه في سننه (٢/ ٧٨٤) برقم (٢٣٤٠) كتاب الأحكام باب من بنى في حقه ما يضر بجاره. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٤٩٨).

(٤) البقرة: ١٨٤.

(٥)رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٩٦) برقم (٢٣١٨) كتاب الصوم باب من قال هي مثبتة للشيخ والحبلى. والحديث حكم عليه الألباني بالشذوذ كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٦٤).



الطارئ المؤقَّت الذي يُمكن أن يزول كالمريض الذي يُرجى بُرئه، فهو عاجزٌ حال مرضه، فهذا لا يُنافي القُدرة على الصيام، فهو قادرٌ على الصيام لكن يُخفَّف عنه، فلا يلزمه الصوم، ويجب عليه القضاء إذا زال عذره؛ لقول الله عز وجل:﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[1]، وهذا في العذر المؤقَّت.

ومن الأحكام المتعلِّقة بالمريض في شهر رمضان أحكام المغمى عليه. قال الشيخ ابن باز في مجموع الفتاوى: ليس على من فقد وعيه القضاء إذا أصابه ما يُذهِب عقله أو ما يُسمَّى بالإغماء، فإذا استردَّ وعيه لا قضاء عليه، فمثله مثل المجنون والمعتوه لا قضاء عليه، إلَّا إذا كان الإغماء مُدَّة يسيرة كاليوم واليومين أو الثلاثة على الكثير؛ فلا بأس بالقضاء احتياطًا، أمَّا إذا طالت المدَّة فهو كالمعتوه لا قضاء عليه، وإذا ردَّ الله عقله يبتدئ العمل، ولا على أبنائه لو مات أن يقضوا عنه[2].

ثالثًا: الحامل والمرضع: فالمرأة إذا كانت حاملًا أو مرضعًا، وخافت على نفسها أو ولدها بسبب الصوم؛ جاز لها الفطر، لما رواه أنس- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" إنَّ اللَّهَ تعالى وضعَ شطرَ الصَّلاةِ أو نصفَ الصَّلاةِ والصَّومَ عنِ المسافرِ وعنِ المرضعِ أوِ الحُبلى" رواه أبو داود[3].

قال ابن قدامة- رحمه الله- في المغني: الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما؛ فلهما الفطر، وعليهما القضاء فحسب. لا نعلم فيه بين أهل العلم اختلافًا؛ لأنَّهما بمنزلة المريض الخائف على نفسه[4]، كذلك إذا خافت الحامل أو المرضع على ولدها فقط، فالصحيح من أقوال أهل العلم أنَّ لها الفطر وعليها القضاء مع الإطعام، لقول ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-:" والمرضع والحبلى إذا خافتا على أولادهما أفطرتا وأطعمتا" رواه أبو داود[5].

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٥/ ٢١٠).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ٣٩٢) برقم (١٩٠٤٧). وأبو داود في سننه (٢/ ٣١٧) برقم (٢٤٠٨) كتاب الصوم باب اختيار الفطر. والترمذي في جامعه (٣/ ٨٥) برقم (٧١٥) أبواب الصوم باب ما جاء في الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ١٦٣) برقم (٢٦٣٦) كتاب الصيام، وضع الصيام عن الحبلى، والمرضع. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٣٣) برقم (١٦٦٧) كتاب الصيام باب ما جاء في الإفطار للحامل والمرضع. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٢٩).

(٤) المغني لابن قدامة (٣/ ١٤٩).

(٥) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٩٦) برقم (٢٣١٨) كتاب الصوم باب من قال هي مثبتة للشيخ والحبلى. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٢٥).



رابعًا: الشيخ الكبير الهرم الفاني الذي وهن العظم منه، وبلغ من الكبر عِتيًّا، ومثله المرأة العجوز التي أضعفها الكبر، والمريض المزمن- الذي لا يُرجَى بُرؤه من مرضه- فهؤلاء إذا كان الصِّيام يجهدهم، ويشقُّ عليهم مشقَّة شديدة؛ فإنَّه يُرخَّص لهم في الفطر، ولا صوم عليهم بإجماع العلماء، كما نقل ذلك ابن المنذر في الإجماع[١]، وغيره[٢]، وإنَّما عليهم الفدية فيُطعمون عن كل يومٍ مسكينًا، والدَّليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾[٣]، وقد صحَّ النقل عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّه قال في تفسير الآية:" ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيُطعمان مكان كلِّ يومٍ مسكينًا"[٤].

وأخيرًا: فعلى هؤلاء الذين يجوز لهم الفطر أن يأخذوا بالرخصة فيفطروا، جاء في الحديث عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الله يُحبُّ أن تُؤتَى رُخصُه كما يكره أن تُؤتى معصيتُه" رواه أحمد[٥]، وفي رواية أخرى:" إنَّ الله يُحبُّ أن تُؤتَى رُخصُه كما يُحبُّ أن تُؤتَى عزائمُه" رواه ابن حبان أيضًا[٦].

---

(١) ينظر: الإجماع لابن المنذر (ص: ٥٠). الإجماع، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٢) ينظر: مراتب الإجماع (ص: ٤٠). مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) البقرة: ١٨٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥) برقم (٤٥٠٥) كتاب تفسير القرآن باب قوله: {أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون}.

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٠/ ١٠٧) برقم (٥٨٦٦). والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٩).

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٦٩) برقم (٣٥٤) كتاب البر والإحسان ذكر الإخبار عما يستحب للمرء من قبول ما رخص له بترك التحمل على النفس ما لا تطيق من الطاعات. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٥٦). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.



١٥ رمضان

صلاة الجماعة والحث عليها

تُعَدُّ صلاة الجماعة في المسجد من أفضل الطاعات التي يتقرَّب بها العبد إلى الله؛ لما فيها من إظهارٍ لشعائر الإسلام، وإبانة لوحدة الأمَّة، فضلًا عمَّا تُتيحه صلاة الجماعة من اجتماع المسلمين وتواصلهم بالخير، وتفقُّد أحوال بعضهم على اختلاف أصولهم وتعدُّد قبائلهم، وقد شرع الله الكثير من الصلوات التي يجتمع فيها المسلمون في أوقات واحدة، كصلاة الجمعة، والعيدين، والصلوات الخمس.

وتُعرَف الجماعة في اللغة بالكثرة والجمع والمراد تأليف المتفرّق؛ ولذلك يُسمَّى المسجد بالجامع؛ لأنَّه يجمع الناس، وهي صفة للمسجد، أمَّا الجماعة فهم الأشخاص الذين يجتمعون لهدف واحد.

وفيما يتعلَّق بتعريفها في الاصطلاح، فهو لا يخرج عن المعنى اللغوي؛ إذ إنَّ أقل عدد للجماعة اثنان فأكثر، وسُمِّيت صلاة الجماعة بهذا الاسم؛ لتجمُّع الناس للصلاة في نفس الزمان والمكان، والاشتراك في العمل نفسه.

وصلاة الجماعة فرض عين لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:" وَالذي نَفْسِي بيَدِهِ؛ لقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بحَطَبٍ، فيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بالصَّلَاةِ، فيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عليهم بُيُوتَهُمْ، والذي نَفْسِي بيَدِهِ لو يَعْلَمُ أحَدُهُمْ، أنَّه يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ؛ لَشَهِدَ العِشَاءَ" رواه البخاري[1].

ولقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ صلاة الجماعة فضلها عظيم وثوابها كبير، وتزيد على صلاة المنفرد بدرجات، ومن هذه الأحاديث: ما روى عن أبي هريرة- رضى الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" صَلَاةُ الرَّجُلِ في الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ علَى صَلَاتِهِ في بَيْتِهِ، وفي سُوقِهِ، خَمْسًا وعِشْرِينَ ضِعْفًا، وذلكَ أنَّهُ: إذَا تَوَضَّأَ، فأحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إلى المَسْجِدِ، لا يُخْرِجُهُ إلَّا الصَّلَاةُ؛ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلَّا رُفِعَتْ له بهَا دَرَجَةٌ، وحُطَّ عنْه بهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عليه ما دَامَ في مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عليه، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، ولَا يَزَالُ أحَدُكُمْ في صَلَاةٍ ما انْتَظَرَ الصَّلَاةَ" رواه البخاري[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣١) برقم (٦٤٤) كتاب الأذان باب وجوب صلاة الجماعة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣١) برقم (٦٤٧) كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة وكان الأسود: «إذا فاتته الجماعة ذهب إلى مسجد آخر» وجاء أنس بن مالك: «إلى مسجد قد صلي فيه، فأذن وأقام وصلى جماعة».



وصلاة الجماعة لها فوائد كثيرة، ومصالح عظيمة، ومنافع مُتعدِّدة، منها ما يأتي:

شرع الله عز وجل لهذه الأمَّة الاجتماع في أوقات معلومة، منها ما هو في اليوم والليلة كالصلوات الخمس، ومنها ما هو في الأسبوع وهو صلاة الجمعة، ومنها ما هو في السنة مُتكرِّرًا وهو صلاة العيدين لجماعة كل بلد، ومنها ما هو عام في السنة وهو الوقوف بعرفة؛ لأجل التواصل وهو الإحسان، والعطف، والرعاية؛ ولأجل نظافة القلوب، والدعوة إلى الله عز وجل بالقول والعمل، والتوادد وهو التحابُّ لأجل معرفة أحوال بعضهم لبعض، فيقومون بعيادة المرضى، وتشييع الموتى، وإغاثة الملهوفين، وإعانة المحتاجين؛ ولأنَّ ملاقاة الناس بعضهم لبعض توجب المحبة، والألفة، والتعارف؛ لأنَّ الناس إذا صلى بعضهم مع بعض حصل التعارف، وقد يحصل من التعارف معرفة بعض الأقرباء فتحصل صلته بقدر قرابته، وقد يعرف الغريب عن بلده فيقوم الناس بحقِّه، وإظهار شعيرة من أعظم شعائر الإسلام؛ لأن الناس لو صلوا كلُّهم في بيوتهم ما عُرِف أنَّ هنالك صلاة، وإظهار عز المسلمين، وذلك إذا دخلوا المساجد ثم خرجوا جميعًا؛ ففي هذا إغاظة لأهل النفاق والكافرين، وفيه البُعد عن التشبُّه بهم والبُعد عن سبيلهم.

كذلك تعليم الجاهل؛ لأنَّ كثيرًا من الناس يستفيد ممَّا شرع في الصلاة بواسطة صلاة الجماعة، ويسمع القراءة في الجهرية فيستفيد ويتعلَّم، ويسمع أذكار أدبار الصلوات فيحفظها، ويقتدي بالإمام ومن بجانبه وأمامه فيتعلَّم أحكام صلاته، ويتعلَّم الجاهل من العالم، وتشجيع المتخلِّف عن الجماعة، والقيام بإرشاده وتوجيهه، والتواصي بالحق والصبر عليه، وتعويد الإنسان ضبط النفس؛ لأنَّه إذا اعتاد على متابعة الإمام متابعة دقيقة، لا يُكبِّر قبله، ولا يتقدَّم ولا يتأخَّر كثيرًا، ولا يوافقه بل يتابعه؛ تعوَّد على ضبط النفس، واستشعار المسلم وقوفه في صفِّ الجهاد كما قال الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[1]؛ فهؤلاء الذين صاروا صفًّا في الجهاد؛ لا شكَّ أنَّهم إذا تعوَّدوا ذلك في الصلوات الخمس سوف يكون ذلك وسيلة إلى ائتمامهم بقائدهم في صفِّ الجهاد، فلا يتقدَّمون ولا يتأخَّرون عن أوامره. كذلك شعور المسلمين بالمساواة، وتحطيم الفوارق الاجتماعية؛ لأنَّهم يجتمعون في المسجد: أغنى الناس بجنب أفقر الناس، والأمير إلى جنب المأمور، والحاكم إلى جنب المحكوم، والصغير إلى جنب الكبير، وهكذا، فيشعر الناس بأنَّهم سواء، فتحصل بذلك الألفة؛ ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمساواة الصفوف حتى قال:" ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم" رواه مسلم[2].

---

(١) الصف: ٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٢٣) برقم (٤٣٢) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.



وترجع أهمية صلاة الجماعة وفضائلها إلى أنَّ الله يُضاعف أجر المصلِّي في جماعة إلى سبع وعشرين درجة عمَّن يُصلِّي مُنفرِدًا؛ لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم:" صَلَاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِن صَلَاةِ الفَذِّ بسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً" رواه مسلم[١]، وقد جاء في بعض الأحاديث أنَّها تزيد عنها بخمسٍ وعشرين درجة[٢]، وجمع العلماء بين الروايتين بأنَّ ذلك يختلف باختلاف المصلِّي؛ بحسب خشوعه، وكثرة الجماعة، وكمال الصلاة، وقد يكون الجمع بينهما بأنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- ذكرها في بداية الأمر خمسًا وعشرين، ثم ذكرها سبعًا وعشرين[٣].

كذلك يحفظ الله المصلِّي في جماعة من الشيطان؛ لحديث النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" ما مِن ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بدوٍ لا تُقامُ فيهمُ الصَّلَاةُ إلَّا قدِ استحوذَ عليْهمُ الشَّيطانُ، فعليْكم بالجماعةِ، فإنَّما يأْكلُ الذِّئبُ القاصيةَ" رواه أبو داود[٤].ويزيد الله أجر المصلِّي في جماعة كلَّما كان عدد المصليّن أكثر؛ لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:" وصلاةُ الرَّجلِ معَ الرَّجلِ أزْكى من صلاتِهِ وحدَهُ، وصلاةُ الرَّجلِ معَ الرَّجلينِ أزْكى من صلاتِهِ معَ الرَّجلِ، وما كانوا أَكثرَ فَهوَ أحبُّ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ" رواه النسائي[٥].أيضًا يُبرِئ الله المصلِّي من النار، ومن النفاق، وذلك لمن أدرك تكبيرة الإحرام في جماعة أربعين يومًا؛ لحديث النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" مَن صلَّى للَّهِ أربعينَ يومًا في جماعةٍ يدرِكُ التَّكبيرةَ الأولَى كُتِبَ لَه براءتانِ: براءةٌ منَ النَّارِ، وبراءةٌ منَ النِّفاقِ" رواه الترمذي[٦]. وفي الحديث دلالة واضحة على أهمية الإخلاص في الصلاة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٠) برقم (٦٥٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣١) برقم (٦٤٥) كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة وكان الأسود: «إذا فاتته الجماعة ذهب إلى مسجد خر» وجاء أنس بن مالك: «إلى مسجد قد صلي فيه، فأذن وأقام وصلى جماعة».

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (٥/ ١٥١) .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٤٢) برقم (٢١٧١٠). وأبو داود في سننه (١/ ١٥٠) برقم (٥٤٧) كتاب الصلاة باب في التشديد في ترك الجماعة. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٤٥) برقم (٩٢٢) كتاب المساجد، التشديد في ترك الجماعة. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٠٢).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ١٨٨) برقم (٢١٢٦٥). وأبو داود في سننه (١/ ١٥١) برقم (٥٥٤) كتاب الصلاة باب في فضل صلاة الجماعة. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٤٤) برقم (٩١٩) كتاب المساجد، الجماعة إذا كانوا اثنين. والحديث قال عنه الألباني: "حسن لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٩٨).

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٢/ ٧) برقم (٢٤١) أبواب الصلاة، باب في فضل التكبيرة الأولى. والحديث قال عنه الألباني: "حسن لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٩٨).



ومن الفضائل أيضًا يُعطي الله لمصلِّي الفجر والعشاء في جماعة أجر قيام الليل؛ لحديث النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" مَن صَلَّى العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَن صَلَّى الصُّبْحَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ" رواه مسلم(١)، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنَّ تحصيل أجر قيام الليل يكون بصلاتيَ العشاء والفجر جماعة، وذهب آخرون إلى أنَّ أجر الفجر في جماعة كأجر قيام الليل، وأجر العشاء في جماعة كأجر قيام نصف الليل(٢).

وينال المسلم وهو في انتظار إقامة صلاة الجماعة أجره كما لو كان قائمًا في صلاته، بالإضافة إلى دعاء الملائكة له؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" لَا يَزَالُ العَبْدُ في صَلَاةٍ ما كانَ في مُصَلَّاهُ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، وَتَقُولُ المَلَائِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ له، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، حتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ" رواه مسلم(٣).

قال الشاعر عن صلاة الجماعة:

عَمَّروا المسَاجدَ بالصلاةِ جماعةً ... فَهُمُ الأكارمُ بالورى الأشهادُ

(اللهُ أكبرُ) بِالأذانِ تتابعتْ ... يحلو لها بأذانِهَا التَّرْدَادُ

بشهادةِ التوحيدِ تعلو كونَنَا ... وحَياتَنَا جمعًا لها نَنَقْادُ

خمسًا من الصلوات نَتْبَعُ نُورَهَا ... بفريضةٍ فيها لنا الإرشَادُ(٤)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٤) برقم (٦٥٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة.

(٢) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ١٧٥). كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٩) برقم (٦٤٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.

(٤) الأبيات من قصيدة بعنوان "الصلاة" للشاعر صبري الصبري. ينظر موقع الفصيح على الشبكة: http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=45172.



١٦ رمضان

الإفطار أحكامه وآدابه

يُسنُّ للصائم تعجيل الفطر، إذا تحقق غروب الشمس؛ فعن سهل بن سعد- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ ما عَجَّلوا الفِطرَ" رواه البخاري(١)، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لَا يَزَالُ الدِّينُ ظاهِرًا ماعَجَّلَ الناسُ الفِطْرَ، إنَّ اليهودَ والنصارَى يُؤَخِّرُونَ" رواه أبو داود(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-:" وهذا نص في أنَّ ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر لأجل مخالفة اليهود والنصارى، وإذا كانت مخالفتهم سببًا لظهور الدين، فإنَّما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كلِّه، فتكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة"(٣)، ونقل الإجماع على ذلك: ابن رشد(٤)، وابن دقيق العيد(٥)، وابن مفلح(٦)، والمرداوي(٧).

وأخبرت عائشة- رضي الله عنها- أنَّه صلى الله عليه وسلم كان يُعجِّل الإفطار ويُعجِّل المغرب، فيُصلِّي المغرب في أول وقتها، ويُفطر في أول الوقت قبل أن يُصلِّي(٨)، قال المناوي- رحمه الله- في"

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٦) برقم (١٩٥٧) كتاب الصوم باب تعجيل الإفطار. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٧١) برقم (١٠٩٨) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٥٠٣) برقم (٩٨١٠). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٠٥) برقم (٢٣٥٣) كتاب الصوم باب ما يستحب من تعجيل الفطر. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٢٢).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٢٠٩). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٤) ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٢/ ٦٩).

(٥) ينظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢/ ٢٦). إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: ابن دقيق العيد. الناشر: مطبعة السنة المحمدية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٦) ينظر: الفروع وتصحيح الفروع (٥/ ٣٠).

(٧) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٣/ ٣٢٩).

(٨) الحديث رواه مسلم بلفظ: عن أبي عطية، قال: دخلت أنا ومسروق، على عائشة رضي الله عنها، فقال لها مسروق: رجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كلاهما لا يألو عن الخير، أحدهما «يعجل المغرب والإفطار»، والآخر يؤخر المغرب والإفطار، فقالت: من يعجل المغرب والإفطار؟ قال: عبد الله، فقالت: «هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع» صحيح مسلم (٢/ ٧٧٢) برقم (١٠٩٩) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.



فيض القدير": تعجيله بعد تيقُّن الغروب من سنن المرسلين، فمن حافظ عليه تخلَّق بأخلاقهم، ولأنَّ فيه مخالفة أهل الكتاب في تأخيرهم إلى اشتباك النجوم، وفي ملَّتنا هذا شعار أهل البدع، فمَن خالفهم واتَّبع السُّنَّة لم يزل بخير، فإن أخَّر غير معتقد وجوب التأخير ولا ندبه؛ فلا خير فيه، كما قال الطيبي- رحمه الله-: إنَّ متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم هو الطريق المستقيم، ومن تعوَّج عنها فقد ارتكب المعوج من الضلال، ولو في العبادة(١). هذا هو السُّنَّة، ويقول الله جل وعلا:" أحبُّ عبادي إليَّ أعجلُهم فطرًا" رواه الترمذي(٢)، مبادرة لما أحبَّ الله، وهكذا المبادرات والمسارعة إلى الخير والمسابقة إلى الخيرات أمر محبوب إلى الله مشروع، ويقول ﷺ:" فَصْلُ ما بيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ" رواه مسلم(٣)، فالسحور يكون في آخر الليل، والإفطار يكون في أول الليل من حين تغيب الشمس، ويقول ﷺ:" إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِن هَا هُنَا، وأَدْبَرَ النَّهَارُ مِن هَا هُنَا، وغَرَبَتِ الشَّمْسُ فقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ"رواه البخاري(٤). يعني إذا غابت الشمس جاءت الظلمة من جهة الشرق، وذهب النور من جهة المغرب بغروب الشمس، فإذا غابت الشمس شرع الإفطار ولو بقيت الصفرة؛ لأنَّ الصفرة ما تزول إلَّا عند قرب وقت العشاء، فإذا غاب الشفق دخل وقت العشاء فهذه الصفرة التي يدخل في زوالها وقت العشاء، ما لها تعلُّق بالإفطار، الإفطار يتعلَّق بسقوط قرص الشمس، متى سقط قرصها من جهة المغرب بالنسبة إلى المشاهد فقد غابت الشمس، وهذا يختلف في البلاد فهي تغيب عن الشرقيين قبل مغيبها عن الغربيين، وتختلف المسافات على حسب البعد الشرقي والغربي، فتغيب عنَّا قبل أن تغيب عمَّن كان خلفنا من جهة المغرب، وهكذا تغيب عن مكة قبل مصر، وعلى مصر قبل تونس وأشباهها، وهكذا، والطلوع كذلك؛ تطلع علينا قبلهم، تطلع على الشرق قبل الغرب، سبحان الذي يُسيِّرها ويُدبِّرها ويُجريها جل وعلا.

---

(١) فيض القدير (٦/ ٤٥٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ١٨٢) برقم (٧٢٤١). والترمذي في جامعه (٣/ ٧٤) برقم (٧٠٠) أبواب الصوم باب ما جاء في تعجيل الإفطار. والحديث ضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٢٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٧٠) برقم (١٠٩٦) كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٦) برقم (١٩٥٤) كتاب الصوم باب متى يحل فطر الصائم.



والفطر بغلبة الظن يجوز إذا غلب على ظنه أنَّ الشمس قد غربت، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية[١]، والمالكية[٢]، والشافعية[٣]، والحنابلة[٤]، فعن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ- رَضِيَ اللهُ عنهما- قالت:" أفطرنا على عهد النبي ﷺ يومَ غيمٍ ثم طَلَعتِ الشَّمسُ" رواه البخاري[٥].

وجه الدلالة: أنَّ الصحابة أفطروا بناء على اجتهاد منهم؛ حيث غلب على ظنهِم أنَّ الشمس قد غربت وكانوا في يوم غيم، مع أنَّها في نفس الأمرِ لم تغرب ولم ينكر عليهم ما فعلوه من العمل بالظن الغالب. ثانيًا: أنَّه لا يوجد يقين أزال ذلك الظن الذي بنى عليه، فأشبه ما لو صلَّى بالاجتهاد، ثم شكَّ في الإصابة بعد صلاته. ويُسنُّ أن يُقال عند الإفطار:" ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله"؛ فعن ابنِ عمر- رضي الله عنهما- قال:"كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا أفطَرَ قال: ذهَبَ الظَّمأُ، وابتلَّتِ العُروقُ، وثَبَتَ الأجرُ إن شاءَ اللهُ" رواه أبو داود[٦].

ومن آداب الإفطار التي ينبغي للصائم أن يتأسَّى بنبيِّه ﷺ فيها: الإفطار قبل صلاة المغرب، وهذا إشارة إلى كمال المبالغة في استحباب تعجيل الإفطار والمبادرة به.

ومن ذلك الإفطار على رطب، فإن لم يتيسَّر أفطرَ على تمرٍ، فإن لم يتيسَّر فعلى ماء، والاقتصار على الرطب والماء عند الإفطار له فائدة طبية، وهي ورود الغذاء إلى المعدة بالتدرُّج؛ حتَّى تتهيَّأ للطعام

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ١٠٦).

(٢) ينظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٣٠٥). لكن قال القاضي عبد الوهاب: "ومن غلب ظنه غروب الشمس فأفطر أو بقاء الليل فتسحر ثم بان له أنه أكل نهارًا فليس بصائم وعليه القضاء في الفرض خلاف النذر المعين" المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٤٧٢). الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المؤلف: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) ذكر الماوردي ثلاثة حالات لهذه المسألة، ينظر: الحاوي الكبير (٣/ ٤١٥). وينظر أيضًا: كفاية النبيه في شرح التنبيه (٦/ ٣٢٧). كفاية النبيه في شرح التنبيه، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (المتوفى: ٧١٠هـ)، المحقق: مجدي محمد سرور باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، م ٢٠٠٩.

(٤) ينظر: شرح منتهى الإرادات = دقائق أولي النهى لشرح المنتهى (١/ ٤٨٩). دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٧) برقم (١٩٥٤) كتاب الصوم باب إذا أفطر في رمضان ثم طلعت الشمس.

(٦) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٠٦) برقم (٢٣٥٧) كتاب الصوم باب القول عند الإفطار. والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٩).



بعد ذلك، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال:" كان رسول الله ﷺ يُفطر على رُطَبَاتٍ قبل أن يُصلِّي، فإن لم يكن رطبات فتمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسواتٍ من ماء"؛ رواه أبو داود(١).

وقد سُئل الشيخ ابن باز- رحمه الله-: أيُّهما أفضل على الإفطار الرطب أم التمر؟ فأجاب فضيلته: ما تيسَّر، الرطب، إن كان رطب أفضل، ثم التمر، ثم الماء، وإن أفطر بالخبز أو غيره لا بأس لقوله ﷺ:" فليُفطر على تمرٍ فإنَّه بركة، فإن لم يجد فليُفطر على ماء؛ فإنَّه طهور" أخرجه الترمذي، وقال أنس:" كان النبي ﷺ يفطر على رطبات، فإن لم يجد أفطر على تمرات، فإن لم يجد حسا حسوات من ماء" رواه أبو داود(٢).

قال ابن القيم- رحمه الله تعالى-: وفي فطر النبي ﷺ من الصوم على الرطب، أو على التمر أو الماء؛ تدبير لطيف جدًّا، فإنَّ الصوم يُخلي المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه وترسله إلى القوى والأعضاء، والحلو أسرع شيءٍ وصولًا إلى الكبد وأحبُّه إليها، ولا سيما إن كان رطبًا، فيشتدُّ قبولها له، فتنتفع به هي والقوى، فإن لم يكن فالتمر؛ لحلاوته وتغذيته، فإن لم يكن فحسوات من الماء تُطفئ لهيب المعدة وحرارة الصوم، فتنتبه بعده للطعام، وتأخذه بشهوة(٣).

ولا تنبغي المبالغة في تقديم صنوف الأطعمة وأنواع الأشربة عند الإفطار، فإنَّ هذا خلاف سُنَّة المصطفى ﷺ، وهو يشغل عن المبادرة لحضور صلاة المغرب مع الجماعة؛ بل قد يفوتها معهم بالكلية؛ لقلة وقت الانتظار فيها، قال ابن العربي: كان النبي ﷺ يُفطِر قبل أن يُصلِّي على شيء يسير لا يشغله عن الصلاة، وفيه ثلاث فوائد: تعجيل الإفطار، وتفريغ البال للصلاة، وفصْل ما بين زمان العبادة والعبادة وبينهما في أنفسهما(٤)، ولا ينبغي للصائم الإسرافُ في طعام العشاء في رمضان، والإكثار من الأكل، فإنَّ رمضان فرصة موسم طاعة وعبادة، لا موسم للموائد وتنويع المأكولات.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ١١٠) برقم (١٢٦٧٦). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٠٦) برقم (٢٣٥٦) كتاب الصوم باب ما يفطر عليه. والترمذي في جامعه (٣/ ٧٠) برقم (٦٩٦) أبواب الصوم باب ما جاء ما يستحب عليه الإفطار. والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٤٥).

(٢) ينظر: موقع الشيخ عليه رحمة الله:
https://binbaz.org.sa/fatwas/22805/%D8%AD%D9%83%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%B7%D8%A7%D8%B1-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%BA%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D8%A7%D9%88-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%A1.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٨٧).

(٤) ينظر: عارضة الأحوذي (٣/ ٢١٥). عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي للإمام الحافظ ابن العربي المالكي (ت: ٥٤٣)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

ختامًا: إذا كان الصائم قد ترك في نهار الصيام جميع مألوفاته التي اعتادها؛ احتسابًا لله تعالى، ووفاء بأمانة الصوم الذي أضافه الله إليه، ممَّا يدل على قوة إرادته وصدق عزيمته؛ فحريٌّ به أن لا يفعل عند الإفطار ما يخلُّ بهذه القوة أو يُوهنها، فيُفطر على ما حرَّم الله، فيهدم في ليله ما بناه في نهاره، فيضيع الحزم، ويُبرهن على ضعف إرادته، وقلَّة صبره.



١٧ رمضان

غزوة بدر الكبرى

تُعدُّ غزوة بدر الكبرى- وتُسمَّى غزوة الفرقان- أولى الغزوات التي حدثت بين جيش المسلمين وجيش الكفار، بعد بعثة الرسول الكريم محمد ﷺ وحمله رسالة الإسلام، وكانت أولى الأدلَّة على قوة الإسلام والمسلمين وقدرتهم على تحدِّي جيوش الكفَّار.

فقد كان القتال ممنوعًا على المسلمين في بداية الدعوة الإسلامية، ومنهاجهم الإعراض عن المشركين، فنزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[١]، ثم تغيَّر الوضع إلى السماح بقتالهم.

وفي اليوم السابع بعد العاشر من رمضان خلال السنة الثانية من الهجرة، بالقرب من آبار بدر بين المدينة المنوَّرة ومكَّة، سمع رسول الله ﷺ باقتراب قافلة قريش العائدة من الشام ويرأسها أبو سفيان، فقرَّر مهاجمتها إذ إنَّ هذه القافلة كانت مُحمَّلة بأموالٍ لقريش، وخرج مع ثلاثمئة وبضعة عشر رجلًا، وكان معهم من البعير والخيل سبعون بعيرًا وفرَسَانِ؛ فالأوَّل للزبير بن العوَّام، والثاني للمقداد بن الأسود، آخذين بعين الاعتبار أنَّ ذلك سيكون ضربة لاقتصاد قريش؛ حيث لم يكن يحمي القافلة سوى أربعين رجلًا، أو نحو ذلك.

فبعد خروج المسلمين للنجاة بدينهم إلى المدينة المنورة، وقد تركوا أبناءهم وأموالهم وكلَّ ما لهم بمكَّة؛ وجدت قريش ذلك فرصة للاستيلاء على ممتلكات المسلمين وكسر شوكتهم، وتعدَّتْ على ما للمسلمين بالنهب والسرقة والإتلاف، بالإضافة إلى محاولاتهم المستمرة لاغتيال الرسول الكريم ﷺ، وعليه شعر المسلمون بأنَّ حقوقهم تُسلَب، وبأنَّ قريشًا قد تمادت بأفعالها، ووجب أن يتمَّ وضْع الحدِّ لها، فبدأ المسلمون بالتفكير لاسترداد ما أُخِذ منهم، وإثبات أنَّ المسلمين ليسوا بالضعفاء العاجزين عن أخذ حقوقهم، بل هم أقوياء ولهم من القوة والمنعة ما يُمكِّنُهم من المواجهة بكل ضراوة وبسالة؛ فنزل الدعم والمدد والتوجيه من الله تعالى والتوفيق حيث قال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٢]؛ فتجهَّز المسلمون بالعدَّة والعتاد لمواجهة المشركين،

---

(١) الحج: ٣٩..

(٢) الأنفال: ٦٠.

وبذْل ما لديهم في سبيل الله، وجهَّزوا السرايا والغزوات، واستمرُّوا في محاولاتهم في ردِّ حقوق المظلومين، والاستيلاء على أيٍّ من قوافل المشركين.

فأوشكت قافلة ضخمة بقيادة أبي سفيان من الوقوع بأيديهم، إلَّا أنَّها أفلتت في طريق ذهابها إلى الشام، وكانت القافلة مُحمَّلة بالكثير من الخير وصلت إلى ألف بعير، وقيل إنَّ كل قريش شاركت فيها، فتربَّص لها المسلمون في طريق عودتها.

بعد ما علم المسلمون بعودة قافلة المشركين بقيادة أبي سفيان؛ أمر الرسول ﷺ بالخروج لملاقاتها وقطع الطريق عليها حتَّى لا يتمكَّن أبو سفيان بالنجاة بها كما حصل في طريق ذهابها، فخرج الرسول ﷺ ومعه بعض الصحابة ممَّن كانوا على درجة من الاستعداد للخروج، وتخلَّف الكثير من الصحابة ظنًّا منهم بأنَّ الخروج سيكون لملاقاة القافلة فقط، وسمع أبو سفيان بخروج المسلمين للسيطرة على القافلة، فاتَّخذ كافة التدابير وغيَّر طريق القافلة ونجا بها، لكنَّ المشركين لم يقفوا عند هذا الحد، بل أصروا على الخروج والنيل من المسلمين لكسر شوكتهم، وردِّ اعتبار قريش بين القبائل، وفعلًا تجهَّز المشركون بألف من المقاتلين وخرجوا للقاء المسلمين، فسمع الرسول الكريم ﷺ باستعداد قريش للقتال والثأر من المسلمين، فاستشار المسلمين من مهاجرين وأنصار في هذه المواجهة، فلقد عقد النبي ﷺ مجلسًا للشورى مع صحابته الكرام ليستشيرهم بالخروج لاعتراض عير أبي سفيان، فقام أبو بكر- رضي الله عنه- موافقًا ومؤيِّدًا ذلك، وقام بعده عمر بن الخطاب والمقداد بن عمرو- رضي الله عنهما- مُؤَكِّدين على الموافقة، حتى قال المقداد بن عمرو:" يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ"، ولا زال النبي ﷺ يستشيرهم حتى قام سعد بن معاذ- رضي الله عنه- وقال:" لكأنَّك تريدنا يا رسول الله؟ فَوالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقّ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ"، وعندئذٍ قام ﷺ مُبشِّرًا أصحابه ورافعًا لعزائمهم، ولكونه ﷺ القائد الأعلى للجيش الإسلامي؛ فقد اهتم بالاستعداد للمواجهة، وذلك بتنظيم الجيش، وإرسال العيون؛ لاستطلاع الأخبار، ثم توزيع المهام على أصحابه، وبعد التجهُّز والاستعداد من قِبل كلٍّ من المسلمين والمشركين؛ تمَّ اللقاء في بدر وهي منطقة تقع بالمنتصف ما بين مكَّة والمدينة، وكانت منطقة مليئة بالآبار، حيث عمل المسلمون عند وصولهم إلى الشرب منها، وأخْذ حاجتهم وملئها بالحجارة؛ حتى تكون ضربة للمشركين العطشى وإضعافًا لهم،



وبدأت المعركة بخروج كبار قادة المشركين ومباشرتهم القتال، وكان من بينهم عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وقابلهم من المهاجرين الحارث بن عبد المطلب، وحمزة وعليٌّ، والتحم القتال والجيشان، وأنزل الله تعالى مددًا من عنده؛ ملائكة تقاتل في صف المسلمين وتؤازرهم؛ فانتصر المسلمون على المشركين نصرًا مؤزّرًا، وغنموا الكثير منهم، وألحقوا بهم الكثير من القتل والأسر، حيث قُتِل حوالي ٧٠ من المشركين، كان من أبرزهم أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، ووقع في الأسر كثيرٌ منهم[١]. انتهت غزوة بدر بانتصار ساحق لجيش المسلمين على جيش الكفار، بالرغم من قلة العدد والعدة، ونجم عن الغزوة العديد من النتائج؛ من أبرزها:

قويت شوكة المسلمين، وأصبحوا ذات هيبة في المدينة وما جاورها من القبائل، وأصبح يُحسَب لهم الكثير قبل التفكير في التعدِّي عليهم حتى لا يصيبه ما أصاب قريش.

نزول الحزن والهمّ والضعف على قلب المشركين لما أصابهم في بدر من قتل وأسر وجراح، والفقد الكبير الذي طال قادتهم وكبار مسؤوليهم.

كان لنصر المسلمين الدور في كشف المنافقين واليهود والمشركين وما يكمن في دواخلهم.

ختامًا: غزوة بدر سُمِّيتْ بذلك نسبة للمكان الذي حصلت فيه، وعدد المسلمين فيها كان ٣١٤ تقريبًا، أمَّا عدد المشركين فكان ١٠٠٠ تقريبًا، وكان الصحابي حارثة بن سراقة- رضي الله عنه- أول من استشهد في المعركة، أمَّا صاحب لواء المعركة فهو مصعب بن عمير- رضي الله عنه-.

قال حسان بن ثابت- رضي الله عنه-:

لَقَدْ عَلِمَت قُرَيشٌ يَومَ بَدرٍ ... بِأَنَّا غَداةُ الأَسرِ وَالقَتلِ الشَديدِ
حينَ تَشتَجِرُ العَوالي ... حُماةُ الرَوعِ يَومَ أَبي الوَليدِ
قَتَلنا اِبنَي رَبيعَةَ يَومَ ساروا ... إِلَينا في مُضاعَفَةِ الحَديدِ
وَفَرَّ بِها حَكيمٌ يَومَ جالَت ... بَنو النَجّارِ تَخطِرُ كَالأُسودِ
وَوَلَّت عِندَ ذاكَ جُموعُ فِهرٍ ... وَأَسلَمَها الحُوَيرِثُ مِن بَعيدِ[٢]

---

(١) ينظر لهذه الغزوة: سيرة ابن هشام (١/ ٦٠٦). السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٩).

١٨ رمضان

استشعار المسلم من الصوم حال إخوانه الفقراء

لم يفرض الله تعالى علينا الصيام في شهر رمضان من أجل أن نجوع ونعطش ونتعب، وإنَّما هناك مقاصد وأهداف وحكم كثيرة لهذه العبادة، ولا تدرك عقولنا المحدودة إلا بعض هذه المقاصد والأهداف والحكم:

ومنها: تذكُّر المحرومين ومواساتهم: فيه تجربةً لمقاساة الحرمان والجوع، وتذكُّر الفقراء الذين يقاسون الحرمان أبد الدهر، فيتذكَّر العبد إخوانه الفقراء، وكيف أنَّهم يُعانون الأمَرَّينِ من الجوع والعطش.

قال العلامَّة ابن الهمام عن الصائم: إنَّه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات؛ ذكر من هذا حاله في عموم الأوقات، فتسارع الرقة عليه[1]، ومن تدبَّر ذلك هيَّأ قلبه لمواساة الفقراء بالمال والإطعام والتصدُّق والبذْل والجود والإحسان؛ لأنَّهم إخوانه المؤمنون، وهذا من أعظم التكافل الاجتماعي، والذي يجعل العبد يشعر بشعور معاناة أخيه الفقير ومعدوم المال.

وقد ذكر الإمام ابن رجب الحنبلي- رحمه الله- في كتابه لطائف المعارف عن بعض السلف أنَّه سُئل: لمَ شُرِع الصيام؟ فقال: ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع[2].

ورحم الله الإمام القسطلاني- رحمه الله- حين كتب: وإنَّما يجد ذوق التعب مَن نازلَه، ويعرف قدر الضرر مَن واصلَه ، وفي مثل ذلك قيل:

لا يعرف الشوقَ إلَّا مَن يُكابدُهُ ... ولا الصبابةَ إلَّا مَن يُعانيها[3]

فما أجمل مقصد الشارع الحكيم في مشروعية الصوم، ولا ريب أنَّه يُسبِّب تآلف أرواح الصائمين، وليس شيء أقوى من هذه الإرادة المتينة، فأين نحن إذًا من شعورنا بمعاناة إخوانٍ لنا فراشهم الأرض، ولحافهم السماء، وأكلهم ضئيل، وزادهم أقل من القليل، أفلا يليق بنا أن نشعر بمعاناتهم، ونكون ممن يواسيهم، خاصة أنَّ العلماء ذكروا أنَّ من أسماء هذا الشهر: شهر المواساة؛ حيث يُواسي فيه الأغنياءُ إخوانَهم الفقراء والمعدمين.

---

(١) شرح فتح القدير (٢/ ٣٠١). شرح فتح القدير، المؤلف : كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي . سنة الوفاة ٦٨١هـ، الناشر : دار الفكر، مكان النشر : بيروت.

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٦٨).

(٣) مدارك المرام (ص ٧٤). مدارك المرام في مسالك الصيام للمحدث الحافظ قطب الدين القسطلاني (المتوفى: ٦٨٦هـ).



ونتأسَّى برسول الهدى ﷺ حيث إنَّه كما ذكر ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال:" كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان" أخرجه البخاري ومسلم(١).

وقد سُئل الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- عن قوله: كثير من المسلمين يُردِّدون هذه العبارة: نصوم حتى نشعر بالفقراء. فهل هناك دليل من الكتاب أو السُّنَّة على ذلك؟ فأجاب فضيلته: لا يشرع الله شيئًا إلَّا لحكمة، سواء علمها الناس، أم خفيت عليهم، أم علموا بعضها، وخفي عليهم بعضها، فلله الحكمة البالغة التي لا تدركها الأفهام، ولا تبلغها العقول، وقد ذكر الله تعالى الحكمة من مشروعية الصيام وفرضِه علينا في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(٢)، وقد ذكر بعض أهل العلم: أنَّ من جملة مسائل التقوى التي يحضُّ عليها الصيام: أن يشعر الغني بحال الفقير، وكيف أنَّه يعاني الجوع والحاجة، فيدعوه ذلك إلى الإحسان إليه ودفْع حاجة أخيه، وهذا من جملة التقوى(٣).

وقال الشيخ: التقوى اسم جامع لفعل ما أمر الله به، وترْك جميع ما نهى عنه، لأنَّها مشتقة من الوقاية، وهي أن يتَّخذ الإنسان وقاية له من عذاب الله، ولا وقاية من عذاب الله إلَّا بفعل أوامره واجتناب نواهيه(٤)، وليس هناك نصٌّ في القرآن الكريم، أو السُّنَّة النَّبويَّة: يدلُّ بخصوصه على أنَّ الله تعالى فرض علينا الصيام من أجل الإحساس بالفقير، ولكن من ذكر ذلك من أهل العلم: بناه على

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨) برقم (٦) بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٣) برقم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.

(٢) البقرة: ١٨٣.

(٣) لم أقف عليه من كلام الشيخ ابن عثيمين عليه رحمة الله، لكن ينظر موقع الإسلام سؤال وجواب:
https://islamqa.info/ar/answers/232635/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D9%88%D8%B1-%D8%A8%D8%AD%D8%A7%D8%AC%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%82%D9%8A%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%87-%D9%85%D9%86-%D8%AC%D9%85%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%88%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%B4%D8%B1%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%8A%D8%A7%D9%85-%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B5%D9%8A%D9%84%D9%87%D8%A7.

(٤) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (١٢/ ٢). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).



أنَّ هذا داخلٌ في عموم التقوى التي نصَّ القرآن الكريم على أنَّها الحكمة من الصيام، ورأى أنَّ ذلك مناسبٌ لحال الصائم، ولِما عُرِف من الشرع من الندب إلى المواساة، والتوادِّ والتراحُم بين المؤمنين.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره: ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(١)]، فإنَّ الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأنَّ فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه. فممَّا اشتمل عليه من التقوى: أنَّ الصائم يترك ما حرَّم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، مُتقرِّبًا بذلك إلى الله، راجيًا بتركها ثوابه، فهذا من التقوى، ومنها: أنَّ الصائم يُدرِّب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه، ومنها: أنَّ الصيام يُضيِّق مجاري الشيطان، فإنَّه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام يضعف نفوذه، وتقلُّ منه المعاصي، ومنها: أنَّ الصائم في الغال، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أنَّ الغني إذا ذاق ألم الجوع؛ أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدَمين، وهذا من خصال التقوى[(٢)].

وقال الشيخ محمد المختار الشنقيطي- حفظه الله-: في الصيام خير كثير، فإنَّه يُذكِّر الأغنياء بالفقراء والمحتاجين، فإنَّ الإنسان إذا جاع وعطش مع قدرته أو علمه أنَّه في آخر النهار سيجد الطعام وسيجد الشراب، سيتذكَّر الفقيرَ الذي لا يجد طعامًا ولا شرابا، ولذلك قالوا: إنَّ هذا الصيام فيه مصلحة عظيمة للإنسان من جهةِ تَذكُّرِه للضعفاء، وخاصَّة إذا كان من الأغنياء والأثرياء؛ فإنَّ الغني ربما ينسى إخوانه من الضعفاء والفقراء بسبب ما فيه من الغنى، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[(٣)]؛ فالإنسان إذا استغنى أصابه الطغيان، ولكن إذا جاع كما يجوع الفقير، وظمئ كما يظمأ الفقير؛ دعاه ذلك إلى أن يتذكَّر هؤلاء الضعفاء فيعطف عليهم[(٤)]؛ فنحن نصوم عبادة لله تعالى، وطاعة لله ولرسوله ﷺ؛ لنُحصِّل تقوى الله في قلوبنا، والتي تكون بها سعادة الدارين، ومن جملة التقوى الشعور بحال الفقير، الذي يبعث على الإحسان إليه.

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

(٣) العلق: ٦-٧.

(٤) شرح زاد المستقنع للشنقيطي (١٠٠/ ٧، بترقيم الشاملة آليا). شرح زاد المستقنع، المؤلف : محمد بن محمد المختار الشنقيطي، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٤١٧ درسا].



ولهذا استحب العلماء تفطير الصائمين المساكين خصوصًا، والمسلمين الموسرين عمومًا لإطعامهم، عن أم عمارة بنت كعب الأنصارية- رضي الله عنها- أن النبي ﷺ دخل عليها فدعت له بطعام فقال لها: كلي، فقالت: إِنِّي صائمة، فقال ﷺ:" إِنَّ الصائمَ تُصَلِّي عليه الملائكةُ إذا أُكِلَ عندَه حتى يَفْرُغُوا، ورُبَّما قال حتى يَشْبَعوا"، رواه الترمذي[(١)].

والمراد أنَّ من بيده شيئًا من المال الفائض؛ فليُقدِّم شيئًا منه لإخوانه الذين لا يجدون ما يأكلون وما يطعمون، وإنَّ من خير التصدُّق؛ التصدُّق في شهر الصوم، حيث يُضاعِف الله فيه الدرجات، ويزيد الحسنات، ومن هذا المنطلق فإنَّ أهل العلم كانوا يستحبُّون استحبابًا كبيرًا التصدُّق في هذا الشهر، قال الإمام الشافعي: أحبُّ للرجل الزيادة بالجود في رمضان، اقتداءً برسول الله ﷺ ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغُل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم[(٢)].

قال ابن عثيمين- رحمه الله-: فإنَّ الفقراء يعجزون عن الأكل والشرب والنكاح، فيتذكَّر حال إخوانه فيعطف عليهم ويرحمهم[(٣)].

وكثيرٌ من الناس في زماننا هذا- ولله الحمد- لا يجدون صعوبة في الأكل والشرب؛ لأنَّه مُيسَّرٌ؛ لكن يجدون صعوبة في النكاح، فإذا صام الإنسان وامتنع عن إتيان أهله تذكَّر حال الشباب الذين يحتاجون إلى نكاح، فعطف عليهم، وأعانهم وساعدهم؛ لأنَّ الشيء لا تُعرَفُ فائدته إلَّا بضده، إذا وُجد الضدُّ عرف قدر النعمة، أمَّا إذا كان دائمًا في نعمة؛ فإنَّه لا يعرف قدرها. قال الشاعر:

إنَّ الصيامَ مواساةٌ وإحسانٌ   قَضَى بذلك قرآنٌ وبُرهانُ
نِعَمَ الصيامُ مع المعروفِ تَبذلُهُ   وليسَ فيه معَ الحرمانِ حِرمَانُ[(٤)]

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ١٤٤) برقم (٧٨٥) أبواب الصوم باب ما جاء في فضل الصائم إذا أكل عنده. والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٢٩).

(٢) ينظر: مختصر المزني (٨/ ١٥٦). مختصر المزني (مطبوع ملحقا بالأم للشافعي)، المؤلف: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (المتوفى: ٢٦٤هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٣) جلسات رمضانية للعثيمين (٨/ ٨). جلسات رمضانية ١٤١٠ هـ - ١٤١٥ هـ، المؤلف : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٢٣ درسا].

(٤) لم أقف على قائل هذين البيتين. وينظر موقع إمام المسجد على الشبكة: https://alimam.ws/ref/1881..



١٩ رمضان

غزوة فتح مكَّة – حرسها الله–

أراد الله سبحانه وتعالى أن يدخل الرسول ﷺ والمؤمنون مكَّة فاتحين لها، ومُطهِّرين لها من الأوثان، مُعيدين إليها مكانتها الأولى في الأمن والطهارة، وذلك في العشرين من رمضان سنة ثمانٍ للهجرة بعد أن عايش المسلمون ظلم قريش، وعداءهم للإسلام وأهله، وترسُّخ الدين في قلوبهم، ويُسمَّى فتح مكَّة أيضًا بالفتح الأعظم، والفتح المبين.

وكان صلح الحديبية السبب المباشر في فتح مكَّة؛ فبعد أن تعاهد الرسول ﷺ مع قريش في ذلك الصلح على حرية انحياز الأفراد والجماعات إلى الطرف المختار، والدخول في دينه ومعتقده، فمن أراد أن يدخل في حِلف الرسول صلى الله عليه وسلم فله ذلك، ومن أراد أن يدخل في حِلف قريش دخل فيه، وأنَّ أي اعتداء على أي قبيلة متحالفة مع أحد الطرفين يُعتبَر اعتداء على الطرف نفسه، فانحازت بنو بكر إلى قريش، وانحازت بنو خزاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعَّم هذا الصلح الأمن بين القبيلتين المتحاربتين في الجاهلية، إلَّا أنه لم يدم طويلًا؛ ففي العام الثامن للهجرة وفي شهر شعبان بالتحديد؛ دبَّرت بنو بكر مع قريش مكيدة، وخطَّطوا للتآمُر على بني خزاعة في مكَّة؛ ظنًّا منهم بأنَّ الأخبار لن تصل إلى الرسول ﷺ في المدينة؛ لبُعده عنهم، وانتهزوا فرصة انشغال المسلمين بأمر الدعوة وإرسال السرايا، فأغار بنو بكر على بني خزاعة ليلًا بعد أن أمدَّتهم قريش بالسلاح، وقتلوا منهم ثلاثةً وعشرين شخصًا، أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ، وذلك بالقُرب من بئر الوتر، فهربوا إلى الحرم، ولم تأخذ بنو بكر بحرمة البيت، واستغلُّوا فرصتهم، وأخذوا بثأرهم.

كان هذا الاعتداء انتهاكًا لبنود صلح الحديبية واعتداءً مباشرًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين، فتوجَّه قوم خزاعة بعد ذلك إلى دار بديل بن ورقاء لاجئين إليه، ومستجيرين به، وفي هذه الأثناء كان عمرو بن سالم قد ذهب إلى الرسول ﷺ في المدينة يخبره بما حدث مُنشِدًا أبياتًا من الشعر يَصف فيها الوضع الذي حصل لهم من القتل، ومُذكِّرًا بالعهد مع رسول الله ﷺ ، فأجابه رسول الله ﷺ:" نُصِرتَ يا عمرو بنَ سالمٍ".

بعد ذلك أرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ليفاوضه، وليطلب منه مدَّ الهدنة والصلح الذي عُقِد في الحديبية، لكنَّه عاد بخُفَّي حُنينٍ؛ فلم يستجب له رسول الله ﷺ، ولقي أبو سفيان بن حرب في المدينة أشدَّ ما يلاقيه المرء من المذلَّة، فقد ذهب إلى أبي بكر– رضي



الله عنه- يتوسَّط له عند النبي ﷺ فأبى، فذهب إلى عمر- رضي الله عنه- فأبى، وكذلك عثمان- رضي الله عنه-، فذهب إلى عليٍّ- رضي الله عنه- فأبى، فاستجار بفاطمة الزهراء- رضي الله عنها- فأبت، فرأى الحسن- رضي الله عنه- يلعب فقال: ابنُك هذا يُجيرني. فأبت ذلك، فتوجَّه إلى ابنته أمِّ المؤمنين أمِّ حبيبة- رضي الله عنها- زوج رسول الله ﷺ فأبت، وعاملتْه كما يجب أن يُعامَل الكافر، ولم تدفعها قرابته لها من محاباته والتوسُّط له عند رسول الله ﷺ.

بدأ الجيش الإسلامي بالتحرُّك مُتوجِّهًا إلى مكة، وكان النبي ﷺ قد استخلف على المدينة الصحابي أبا ذر الغفاري- رضي الله عنه-، وفي الطريق حينما وصل الرسول ﷺ منطقة الجحفة، لَقي عمَّه العبَّاس بن عبد المطلب- رضي الله عنه- ومعه أهله مسلمون، ولما وصل النبي ﷺ إلى منطقة الأبواء لقي أبا سفيان وأعرض عنه الرسول ﷺ ، فنصح عليُّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- أبا سفيان أن يدخل على الرسول ﷺ كما دخل إخوة يوسف على يوسف فقالوا له:" تَاللَّهِ لَقَد آثَرَكَ اللَّهُ عَلَينا وَإِن كُنّا لَخاطِئينَ"، ففعل أبو سفيان، وردَّ عليه النبي ﷺ: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1]، وظلَّ الجيش يسير إلى أن وصل إلى منطقة فيها عين ماء تسمى (الكديد)، أفطر عندها الرسول ﷺ والصحابة؛ لأنَّهم كانوا صيامًا، وأكمل الجيش سيره إلى أن نزلوا بوادي فاطمة عشاءً، وأوقدوا النيران، وعيَّنَ الرسول ﷺ عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- على الحرس. خرج العبَّاس- رضي الله عنه- على بغلة النبي ﷺ؛ ليرى أمر قريش، فوجد أبا سفيان خارجًا يتجسَّس الأخبار، فأخذه العبَّاس- رضي الله عنه- إلى معسكر المسلمين، وحينما رآهم عمر- رضي الله عنه- أراد قتْل أبي سفيان، إلَّا أنَّ العبَّاس - رضي الله عنه- أجاره، وحضر أبو سفيان إلى النبي ﷺ وأنكر عليه النبي ﷺ بقاءه على الكفر، فأسلم أبو سفيان، فقال النبي ﷺ:" مَن دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ، ومن أغلق بابَه فهو آمِنٌ، ومن دخل المسجدَ فهو آمِنٌ" رواه أبو داود[2].

وقد انطلق أبو سفيان بعد ذلك ينادي في أهل مكة مُحذِّرًا لهم بأنَّه لا طاقة لهم بالجيش القادم مع رسول الله ﷺ، وسار رسول الله ﷺ حتى وصل إلى ذي طوى، وفيها قسَّم الجيش؛ فوضع خالد بن الوليد- رضي الله عنه- على المجنبة اليُمنى، وأمره بالدخول إلى مكَّة هو ومن معه من أسفل مكَّة إلى

---

(١) يوسف: ٩٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٦٢) برقم (٣٠٢٢) كتاب الخراج والإمارة والفيء باب ما جاء في خبر مكة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٠٢٣) وذكر قصة فتح مكة الرائعة وإسلام أبي سفيان في أكمل رواية صحيحة.



أن يُلاقوه عند الصفا، ووضع الزبير بن العوَّام- رضي الله عنه- على المجنبة اليسرى، وأمره حينما يصل إلى الحجون أن يغرس رايته ويبقى فيها، وقد دخلت كتائب المسلمين كلٌّ من وجهتها التي حدَّدها رسول الله ﷺ، فدخل خالدٌ - رضي الله عنه- مكَّة وحصل قتال بالخندمة قُتِل فيه بعض المشركين، واستُشهد فيها عدد من الصحابة إلى أن التقوا مع النبيِّ ﷺ عند الصفا، وغرس الزبير- رضي الله عنه- لواء رسول الله ﷺ في الحجون عند مسجد الفتح مُنتظِرًا إلى أن وصل إليه رسول الله ﷺ، وكان ذلك يوم الثلاثاء في السابع عشر من شهر رمضان.

توجَّه المسلمون إلى مكَّة من الحجون مُكبِّرين حتَّى ارتجَّت مكَّة بالتكبير، وكان توجُّههم إلى البيت الحرام للقضاء على الوثنيَّة، ففي الحديث:" دَخَلَ النبيُّ ﷺ مَكَّةَ، وحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وثَلَاثُ مِئَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ في يَدِهِ، ويقولُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[(١)]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[(٢)]" رواه البخاري[(٣)]. فكان أوَّل أمْرٍ فعله النبي ﷺ بالبيت هو الطواف به، وتحطيم الأصنام.

اجتمعت قريش عند البيت، ووقف النبيُّ ﷺ يسألهم:" يا معشرَ قريشٍ؛ ما ترَونَ أنِّي فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كريمٍ، فقال: اذهبوا فأنتم الطُّلَقاءُ" أخرجه الطبري[(٤)].

وجاءت بعدها خطبة النبي ﷺ في الناس في الغداة، حيث ابتدأها بالحمد والثناء، ثمَّ قال:" إنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ ولَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ أنْ يَسْفِكَ بهَا دَمًا، ولَا يَعْضُدَ بهَا شَجَرَةً، فإنْ أحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُولوا له: إنَّ اللَّهَ أذِنَ لِرَسولِهِ ﷺ، ولَمْ

---

(١) الإسراء: ٨١.

(٢) سبأ: ٤٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٦) برقم (٢٤٧٨) كتاب المظالم والغصب باب: هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، أو تخرق الزقاق، فإن كسر صنما، أو صليبا، أو طنبورا، أو ما لا ينتفع بخشبه. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٠٨) برقم (١٧٨١) كتاب الجهاد والسير باب إزالة الأصنام من حول الكعبة.

(٤) ذكره بدون إسناد البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٩٩) برقم (١٨٢٧٥) كتاب السير باب فتح مكة حرسها الله تعالى قال: "وفيما حكى الشافعي عن أبي يوسف في هذه القصة أنه قال لهم حين اجتمعوا في المسجد ...". قال الألباني رحمه الله:"قلت: هذا الحديث على شهرته ليس له إسناد ثابت وهو عند ابن هشام معضل وقد ضعفه الحافظ العراقي كما بينته في (تخريج فقه السيرة)" دفاع عن الحديث النبوي (ص: ٣٢). وينظر: [فقه السيرة - محمد الغزالي] تحقيق الألباني (ص: ٣٨٢). دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). فقه السيرة، المؤلف : محمد الغزالي، تحقيق : العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، الناشر : دار القلم – دمشق، الطبعة : السابعة – ١٩٩٨.



يَأْذَنْ لَكُمْ، وإنَّما أُذِنَ لِي سَاعَةً مِن نَهَارٍ، وقدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليومَ كَحُرْمَتِهَا بالأمْسِ، ولْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ" رواه البخاري[1]، وبعد أن طهَّر الرسول ﷺ البيت من الصور التي كانوا ينسبونها إلى إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام-، وأزال الأزلام، ثم صعد بلال بن رباح- رضي الله عنه- مُعتليًا الكعبة يُؤذِّن بالناس؛ بدأ الناس يبايعون رسول الله ﷺ على الإسلام[2].

وفي الختام: هناك عبر ودروس من فتح مكَّة: وأوَّل درس نتلقَّاه من غزوة الفتح أنَّ الله تعالى إذا أراد أمرًا يسَّر أسبابه؛ فقد كان صلح الحديبية مُقدِّمة الفتح، وكان غدر قريش سبيلًا لإتمامه.

وفاء أم حبيبة بنت أبي سفيان- رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ، وإيثارها له ﷺ على أبيها.

إكرامه ﷺ لأبي سفيان تمشِّيًا مع مبدأ "أكرموا عزيز قومٍ ذلَّ".

حُرمة مكَّة وأهليها وأشجارها.

جعل الله البيت الحرام قيامًا للناس، وقد دخل ﷺ الكعبة وطهَّرها من الأصنام، وصلَّى في البيت ركعتين، وطاف حول البيت، وأمر بلالًا- رضي الله عنه- أن يرقى على سطح الكعبة، وأن يُؤذِّن، وبقيت الكعبة إلى اليوم وستبقى إلى أن يهدمها ذو السويقتين؛ منارة سامية وقمة شامخة.

رمز الخلود وكعبة الإسلام　　　كم في الورى لك من جلالٍ سامِ[3]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٢) برقم (١٠٤) كتاب العلم باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٧) برقم (١٣٥٤) كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام.

(٢) ينظر هذا الفتح في: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٨٩) وما بعدها.

(٣) البيت من قصيدة للشاعر محمد سراج خراز بعنوان: "الكعبة المشرفة". ينظر موقع: https://www.al2la.com/vb/t80826.html..



٢٠ رمضان

عمرة في رمضان تعدل حجَّة

إنَّ من المعلوم من الدين بالضرورة أنَّ من أركان الإسلام حجَّ بيت الله الحرام، والعمرة هي الحج الأصغر عند جمهور أهل العلم، وللعمرة عمومًا، وفي رمضان خصوصًا؛ فضائلها العظيمة، ومكانتها الشريفة، التي بيَّنَها نبيُّ الله ﷺ، فجعلها من مُكفِّرات الذنوب، قال ﷺ:" العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِما بيْنَهُما" متفق عليه(١).

وهي تُذهب الفقر والذنوب، قال رسول اللهِ ﷺ:" تابعُوا بينَ الْحَجِّ والعُمْرَةِ، فإنَّهُما يَنفِيَانِ الفَقْرَ والذُّنوبَ، كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحديدِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ" رواه الترمذي(٢).

وهي أَحد الجهادين، عن عائشة قالت- رضي الله عنها-:" قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ؛ على النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قالَ: نَعَمْ، علَيْهِنَّ جِهادٌ لا قِتالَ فيهِ؛ الْحَجُّ والعُمْرَةُ" رواه ابن ماجه(٣).

وقال عمر- رضي الله عنه-:" شُدُّوا الرِّحِيلَ إلى الْحَجِّ والعُمْرَةِ، فإنَّهُ أَحَدُ الْجِهَادَيْنِ" رواه البخاري تعليقًا(٤).

لذلك يسارع المسلم في شهر رمضان إلى أداء الطاعات والعبادات، والحرص على الأعمال الصالحة كلِّها، وذلك بالتوجُّه إلى بيت الله الحرام، وقصْده، والطواف بالكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، وإتمامها بالتحلُّل، قال الله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾(٥).

وتكون العمرة في أيِّ وقتٍ من العام، إلَّا أنَّ أداءها في شهر رمضان أفضل من أدائها في غيره من الشهور؛ فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فإنَّ عُمْرَةً فيه تَعْدِلُ حَجَّةً" رواه مسلم(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢) برقم (١٧٧٣) أبواب العمرة باب وجوب العمرة وفضلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٤٩) كتاب الحج باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١٨٥) برقم (٣٦٦٩). والترمذي في جامعه (٣/ ١٦٦) برقم (٨١٠) أبواب الحج باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٩) برقم (٣٥٩٦) كتاب المناسك فضل العمرة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ١٩٦).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٢/ ١٩٨) برقم (٢٥٣٢٢). وابن ماجه في سننه (٢/ ٩٦٨) برقم (٢٩٠١) كتاب المناسك باب الحج جهاد النساء. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٧٧).

(٤) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا (٢/ ١٣٣) كتاب الحج باب الحج على الرحل بلفظ: «شدوا الرحال في الحج فإنه أحد الجهادين».

(٥) البقرة: ١٩٦.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩١٧) برقم (١٢٥٦) كتاب الحج باب فضل العمرة في رمضان.



وللعمرة في شهر رمضان مزيتها في الإسلام، جاءَ فضْلُها وعالي رتبتها في أحاديث كثيرة عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، دلَّت كلُّها على أنَّها تعدل حجَّة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال:" لَمَّا رَجَعَ النبيُّ ﷺ مِنْ حَجَّتِهِ، قالَ لأُمِّ سِنَانٍ الأنصاريَّةِ: ما مَنَعَكِ مِنَ الْحَجِّ، قالتْ: أبُو فُلانٍ، تَعْنِي زَوْجَها، كانَ لهُ ناضِحَانِ حَجَّ على أحَدِهِما، والآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنا، قالَ ﷺ: فإنَّ عُمْرَةً في رَمَضَانَ تَقْضِي حجة أو حَجَّةً مَعِي" رواه البخاري[(١)].

وعنْ أبي طَلِيقٍ قالَ:" طَلَبَتْ مِنِّي أُمُّ طَلِيقٍ جَمَلًا تَحُجُّ عليهِ، قالَ: فَأَتَيْتُ النبيَّ ﷺ قالَ: فقالتْ: أَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامُ وأَخْبِرْهُ، قُلتُ: إنَّها تُقْرِئُكَ السلامَ، وتَسأَلُكَ: ما يَعْدِلُ الحَجَّ مَعَكَ؟ قالَ: فأَقْرِئْها مِنِّي السلامَ، وأَعْلِمْها أنَّ الحَجَّ يَعْدِلُ عَمْرَةً في رَمَضَانَ" رواه ابنُ أبي عاصمٍ[(٢)].

ولأهل العلم فيمن يُحصِّل الفضيلة المذكورة في الأحاديث؛ ثلاثة آراء: الأول: أنَّه خاص بهذه المرأة، قال سعيد بن جبير:" ولا نعلمه إلَّا لهذه المرأة وحدها" رواه أحمد بن منيع وصححه ابن حجر[(٣)].

الثاني: أنَّه لمن نوى الحج فَعجز عنه، ثم عوَّضه بعمرة في رمضان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: فإنَّه من المعلوم بالاضطرار أن الحجَّ التامَّ أفضل من عمرة رمضان، والواحد منَّا لو حجَّ الحجَّ المفروض لم يكن كالحجِّ معه ﷺ؛ فكيف بعمرة؟! وغاية ما يحصله الحديث: أن تكون عمرةُ أحدِنا في رمضان من الميقات بمنزلة حجَّة، وقد يقال هذا لمن كان أراد الحجَّ فعجز عنه، فيصير بنيَّة الحجِّ مع عمرة رمضان؛ كلاهما تعدل حجَّة لا أحدهما مجردًا[(٤)].

الثالث: أنَّ الفضل عامٌّ لكلِّ مَن اعتمر في رمضان، وليس مخصوصًا بأشخاص أو أحوال، وبهذا قال جمهور الفقهاء[(٥)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٩) برقم (١٨٦٣) كتاب جزاء الصيد باب حج النساء. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩١٧) برقم (١٢٥٦) كتاب الحج باب فضل العمرة في رمضان.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ١٧٦) برقم (٢٧١٠). الآحاد والمثاني، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١.

(٣) ينظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٧/ ٩٤). المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٦/ ٢٩٣).

(٥) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٢/ ١٤٤).

وليعلمْ أنَّ العمرة في رمضان لا تُجزئ عن حجَّة الفريضة، قال ابن بطالٍ: إجماع الأُمة أنَّ العمرة لا تُجزئ من حجَّة الفريضة[١].

وللعمرة فضل عظيم في تكفير الذنوب والسيئات، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ بقوله:" العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِما بيْنَهُمَا، والحَجُّ المَبْرُورُ ليسَ له جَزَاءٌ إلَّا الجَنَّةُ" رواه البخاري[٢].

فيُفضَّل أداء العمرة في شهر رمضان عن غيره من الأشهر؛ إذ يُضاعَف أجر العمرة في رمضان بخلاف شهور السنة، فأجرها يعادل أجر الحجِ إلى بيت الله الحرام، ولا يعني ذلك أنَّ العمرة في شهر رمضان تُجزئ عن الحج؛ إذ إنَّه فريضةٌ، والعمرة مشروعة بإجماع العلماء، إلَّا أنَّهم اختلفوا في حكمها التكليفي، وذهبوا في ذلك إلى قولين:

القول الأول: قال الحنفية[٣] والمالكية[٤] بأنَّ العمرة سُنَّة مُؤكَّدة؛ وقد استدلُّوا على قولهم بحديث جابر بن عبد الله- رضي الله عنه-:" أنَّ النبيَّ ﷺ سُئلَ عنِ العمرة؛ أواجبة هيَ؟ قال: لا، وأنْ تعتمِروا هوَ أفضلُ" رواه الترمذي[٥].

القول الثاني: قال الشافعية[٦] والحنابلة[٧] بأنَّ العمرة واجبة؛ واستدلُّوا بقول الله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[٨]، وبناء على القاعدة الأصوليَّة بأنَّ الأمر يفيد الوجوب، فإنَّ العمرة واجبة، كما عُطِفت على الحجِ؛ ممَّا يعني تشاركهما في الحكم، إضافة إلى أنَّهم استدلُّوا بحديث أبي رزين:" قال رجلٌ من بني عامرٍ: يا رسولَ اللَّهِ؛ إنَّ أبي شيخٌ كبيرٌ؛ لَا يستطيعُ الحجَّ ولَا العمرةَ ولَا الظَّعن. قالَ: احجج عن أبيكَ واعتمرْ" رواه أبو داود[٩].

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٤/ ٤٣٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢) برقم (١٧٧٣) أبواب العمرة باب وجوب العمرة وفضلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٤٩) كتاب الحج باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٢٢٦).

(٤) ينظر: المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٥٠٢).

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٢٦١) برقم (٩٣١) أبواب الحج باب ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا؟. والحديث ضعف إسناده الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢/ ٤٣١).

(٦) للشافعية قولان: الجديد هي فرض والقديم ليست بفرض ينظر: المجموع شرح المهذب (٧/ ٣).

(٧) ينظر: المغني لابن قدامة (٣/ ٢١٨).

(٨) البقرة: ١٩٦.

(٩) رواه أبو داود في سننه (٢/ ١٦٢) برقم (١٨١٠) أبواب الحج باب الرجل يحج عن غيره. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ٣١٠).



ولم يرد أو يثبت تفضيل أول شهر رمضان، أو أوسطه، أو آخره لأداء العمرة؛ فالأفضلية واردة في عموم شهر رمضان، فقد ورد في قول النبي ﷺ:" إنَّ عُمْرَةً فيه تَعْدِلُ حَجَّةً" رواه مسلم[١]، دون تحديد وقت مُعيَّن، أو تخصيص العشر الأواخر من رمضان، إلَّا أنَّه ورد عن العلامَّة ابن باز- رحمه الله- أنَّ العمرة في الثُّلث الأخير من رمضان أفضل من باقي الشهر؛ احتجاجًا بأنَّ العشر الأخيرة أفضل الشهر[٢]، ووافقه ابن عثيمين- رحمه الله- في ذلك، وأضاف بأنَّ الحسنات تتضاعف بأفضلية المكان والزمان؛ فقصْدُ بيت الله الحرام في العشرة الأخيرة من رمضان؛ أفضل من قصْدِه في العشرة الأولى، أو الوسطى[٣].

ختامًا: العمرة في رمضان تعدل حجَّ الفريضة في الأجر، ولا تعدل عن حجَّة الإسلام، وهذه رحمة من الله لعباده إذ هيَّأ لعباده عمل أعمال بسيطة عليها أجورٌ عظيمة.

ومن فضل عمرة رمضان أيضًا أنَّها تمنح للمعتمرين صلاة جميع فروض رمضان بأطهر مكان بالكون أجمع، وهو المسجد الحرام، أيضًا تتيح لهم الصلاة جماعة مع أكبر حشد يمكنه الصلاة معه.

أتوقُ أنا لبيتِ اللهِ ... ونارُ الشوقِ أُخفيها
هي الآياتُ نتلوها ... وربُّ البيتِ حاميها
لكم أهوى زيارتَها ... وحُبِّي في فيافيها
نبيُّ الله شيَّدها ... ونادانا نُلبِّيها[٤]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩١٧) برقم (١٢٥٦) كتاب الحج باب فضل العمرة في رمضان.

(٢) ينظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٧/ ١٧٢).

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠/ ٧١).

(٤) لم أقف على قائلها.



٢١ رمضان

فضل العشر الأواخر من رمضان والاجتهاد فيها

يتكوَّن شهر رمضان من ثلاثين يومًا، كلُّه رحمة ومغفرة وعفو؛ حيث يختار الله تعالى كلَّ ليلة العتقاء من النار والفائزين بالجنة بإذن الله. فهنيئًا للفائزين! وإذا كان العلماء قد اتَّفقوا على أنَّ رمضان هو خير الشهور وأفضلها، فإنَّهم قد اتَّفقوا أيضًا على أنَّ العشر الأواخر منه هي أفضل ما فيه وأعظم لياليه؛ فهي الفضل والخير.

وتُعرَف العشر الأواخر من شهر رمضان- بحسب ما اصطلح عليه العلماء- بأنَّها: الأيام والليالي الواقعة ما بين ليلة الحادي والعشرين من رمضان إلى آخره؛ سواءً كانت عشرة كاملة أو ناقصة؛ باقتصارها على تسع، إذ العبرة بإطلاق اللفظ على الغالب والتمام، وتُطلَق العشر على الأيام مع لياليها، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[1]، وتُعَدُّ العشر الأواخر من رمضان فرصة لكلِّ مسلم للتقرُّب إلى الله وطلب العفو والمغفرة والعتق من النار، كما أنَّها فرصة لإجابة الدعاء.

ومن أفضل الأعمال في العشر الأواخر من رمضان: كثرة التهجُّد، وإحياء الليل كلِّه بما تيسَّر من صلاة، وذكْر وتسبيح، ودعاء واستغفار، وقراءة القرآن الكريم، حيث يتميَّز قيام الليل بفضله العظيم، وخاصَّة في العشر الأواخر من شهر رمضان، وقد كان النبي ﷺ يحث الصحابة على قيام الليل لما له من فضل عظيم في زيادة الحسنات، ومغفرة الذنوب والمعاصي، ورفْع الدرجات، وتطهير القلوب، ونيل منزلة عظيمة في الدنيا والآخرة.

كما يُعدُّ شهر رمضان هو أكثر شهر يُستحبُّ فيه الإكثار من تلاوة القرآن، وذلك لما له من أهمية كبيرة في مضاعفة الثواب والأجر؛ فعن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتاب الله فَلَهُ حَسَنَة، والحَسَنَة بِعَشْرِ أمْثَالِها، لَا أقول: الم حَرفٌ، ولكن ألِفٌ حَرْفٌ، ولَامٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ" رواه الترمذي[2].

وقد ورد في فضْل العشر الأواخر من رمضان والاجتهاد فيها أحاديث كثيرة، فعن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنَّها قالت:"كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شدَّ مئزره، وأحيا ليله،

---

(١) الفجر: ٢..

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٧٥) برقم (٢٩١٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٤١٠).



وأيقظ أهله" رواه البخاري[١]، وعنها أيضًا قالت:"كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره" رواه مسلم[٢].

وممَّا يُستفاد من الحديثين أنَّ النبي ﷺ كان يخصُّ العشر الأواخر من رمضان بأعمالٍ منها: إحياء الليل، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي- رحمه الله-: يحتمل أنَّ المراد إحياء الليل كلّه[٣]، وكذلك كان فعل عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، إذ كان يجتهد في صلاة الليل، حتَّى إذا وصل إلى نصفه أيقظ أهله، وهو يتلو على مسامعهم قول الله تعالى:﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٤].

وقد رُوي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنَّه قال:" بتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً فَقَامَ النبيُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كانَ في بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ النبيُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ مِن شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا يُخَفِّفُهُ- عَمْرٌو ويُقَلِّلُهُ-، وقَامَ يُصَلِّي، فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا ممَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عن يَسَارِهِ، فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عن يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى ما شَاءَ اللَّهُ" رواه البخاري[٥].

كما كان السلف الصالح يجتهدون في قراءة القرآن الكريم في الأيام العشر من رمضان، إذ رُوي عن قتادة أنَّه كان يختم القرآن في ثلاثة أيام من شهر رمضان، فإذا دخلت العشر الأواخر ختمه كلَّ ليلة، كما جاء عن الأسود بن زيد أنَّه كان يختم القرآن في رمضان كلَّ ليلتين، وورد عن الشافعي أنَّه كان يختم القرآن مرتين في اليوم؛ أي ستين مرة في رمضان[٦].

أيضًا الحرص على أداء الصلاة في المساجد جماعةً، فقد ذُكر أنَّ الأعمش لم تفته تكبيرة الإحرام حتى بلغ سبعين سنة من عمره[٧].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢٤) كتاب فضل ليلة القدر باب العمل في العشر الأواخر من رمضان. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٣٢) برقم (١١٧٤) كتاب الاعتكاف باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٣٢) برقم (١١٧٥) كتاب الاعتكاف باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان.

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٨٤).

(٤) طه: ١٣٢. والأثر رواه مالك في الموطأ (٢/ ١٦٢) برقم (٣٨٩). الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٩) برقم (١٣٨) كتاب الوضوء باب التخفيف في الوضوء.

(٦) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠/ ٢٢٢).

(٧) رواه ابن الجعد في مسنده (ص: ١٢٢) برقم (٧٥٥). مسند ابن الجعد، المؤلف: علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ – ١٩٩٠.



ومن فضل العشر الأواخر هو وجود ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان؛ ويُرجَّح أنَّها في إحدى الليالي الوترية، وهي ليلة مباركة، اختصَّها الله تعالى بخصائص عظيمة، وميَّزها بمزايا كبيرة، فهي أفضل ليلة في الوجود؛ فعن عائشة- رضي الله عنها- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" تَحرُّوا لَيْلَةَ القَدْرِ في الوتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَواخِرِ مِنْ رمَضَانَ" رواه البخاري[1].

وقال الله سبحانه إنَّها ليلة خير من ألف شهر. ليلة القدر هي أعظم وأشرف الليالي، قال فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[2]؛ فليلة القدر أنزل الله فيها القرآن العظيم، فيجب على المسلمين الاجتهاد فيها بالصلاة وتلاوة القرآن، والصدقة والاستغفار، وذكْر الله وغير ذلك من العبادات، وقالت عائشة- رضي الله عنها-:"كان النبي ﷺ يُجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقولُ: تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ" رواه البخاري[3]، ويُجاور تعني يعتكف في العشر الأواخر من رمضان رجاء حصول هذه الليلة ليقومها ويجتهد فيها، ولا شكَّ أنَّ مَن قام الليالي العشر أدرك هذه الليلة؛ لأنَّها لا تخرج عنها، ولذلك على المسلم أن يجتهد في العشر الأواخر جميعها حتى يدركها، ويُستحبُّ الإكثار من الدعاء فيها، قالت أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-: قلتُ: يا رسول الله؛ أرأيت إن علمتُ أي ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال:" قولي: اللَّهُمَّ إنَّكَ عفُوٌّ تُحبُّ الْعَفْوَ فاعْفُ عَنِّي"، رواه الترمذي وابن ماجه[4].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٦) برقم (٢٠١٧) كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

(٢) القدر: ١-٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢٠) كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤٢/ ٢٣٦) برقم (٢٥٣٨٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٣٤) برقم (٣٥١٣) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٤٦) برقم (٧٦٦٥) كتاب النعوت، العفو. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٦٥) برقم (٣٨٥٠) كتاب الدعاء باب الدعاء بالعفو والعافية. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٠٠٨).



وقد وصف رسول الله ﷺ صبيحة ليلة القدر" تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَومِهَا بَيْضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا" رواه مسلم[١]، وقال ﷺ:" ليلةُ القدْرِ ليلةٌ سمِحَةٌ، طَلِقَةٌ، لا حارَّةٌ ولا بارِدَةٌ، تُصبِحُ الشمسُ صبيحتَها ضَعيفةً حمْراءَ" رواه ابن خزيمة[٢].

كذلك من الأعمال المستحبَّة التي فعلها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم والصحابة؛ الاعتكاف وهو التفرُّغ الكامل للعبادة، وأفضل أوقات الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، فكان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى تُوفِّيَ.

وكذلك الإكثار من الصدقة والزكاة؛ إنَّ الإنفاق في سبيل الله من أفضل الأعمال في شهر رمضان المبارك، خاصَّة في العشر الأواخر منه، فذلك يُقرِّب قلوب الناس من بعضهم ويمنع الحسد، ويطهر النفوس من الشح والبخل.

ختامًا: على العبد الصادق أن يجتهد في جميع ليالي العشر ويحصل عليها يقينًا لا شكَّ فيه، وقد أخفى الله ليلة القدر رحمة بعباده؛ لأمور منها: زيادة حسناتهم إذا اجتهدوا في العبادة بأنواعها في هذه الليالي، واختبارًا لعباده؛ ليتبيَّن الصادق في طلبها من غيره؛ فإنَّ مَن حرص على شيء جدَّ في طلبه. اللهم وفِّقْنا لقيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا؛ يا ذا الجلال والإكرام، اللهمَّ إنَّك عفوٌّ تُحبُّ العفو فاعفُ عنَّا.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٢٥) برقم (٧٦٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٣٣٠) برقم (٢١٩٠) كتاب الصيام باب صفة ليلة القدر بنفي الحر والبرد فيها، وشدة ضوئها، ومنع خروج شياطينها منها حتى يضيء فجرها. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٩٦٢). صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

٢٢ رمضان

الاعتكاف فضائل وأحكام

إنَّ ممَّا ينبغي للعبد المؤمن أن يحرصَ عليه هو استثمار مواسم الخيرات والطاعات والعبادات، وإنَّ من هذه المواسم شهر رمضان المبارك الذي كلُّه خيرات وبركات، ومن بركات هذا الشهر مشروعية الاعتكاف في العشر الأواخر منه، تحرِّيًا لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ولا شكَّ أنَّ الاعتكاف شُرع لغايات وحكم عديدة، ومن أعظمها عكوف القلب على الله تعالى، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، والتفرُّغ لعبادته وذكْره وتسبيحه واستغفاره، وقراءة كلامه جل وعلا.

مفهوم الاعتكاف لغة: لزوم الشيء والإقبال وحبْس النفس عليه[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾[٣].

والاعتكاف شرعًا: لزوم المسلم المميِّز مسجدًا لطاعة الله تعالى[٤]، وقيل: هو الإقامة في المسجد بنيَّة التقرُّب إلى الله عز وجل ساعةً فما فوقها ليلًا أو نهارًا[٥].

والاعتكاف سُنَّة من السنن، ومُستحبٌّ من المستحبَّات، وقُربة من القُربات التي داوم عليها النبي ﷺ حتى توفَّاه الله جل وعلا، وهو ثابت في الكتاب والسُنَّة الصحيحة والإجماع.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[٦]، بمعنى: أنْ طهِّرا بيتي من كلِّ رجسٍ ودنسٍ للمُتعبِّدين فيه بالطواف حول الكعبة، أو الاعتكاف في المسجد، والصلاة فيه.

---

(١) ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع (ص: ١٩٤). المطلع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢) الأعراف: ١٣٨.

(٣) البقرة: ١٨٧.

(٤) ينظر: الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة (١/ ١٦٧). الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: مجموعة من المؤلفين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة الطبع: ١٤٢٤هـ.

(٥) المحلى بالآثار (٣/ ٤١١).

(٦) البقرة: ١٢٥.



ولقد كان الاعتكاف مشروعًا في الشرائع السابقة، وأجمع العلماء على مشروعية الاعتكاف[١]، ونقل ذلك الفقهاء دون منازع أو مخالف.

وللاعتكاف شروط لا بُدَّ من تحقُّقها ليصحَّ اعتكاف المعتكف، وهي[٢]:

١- أن يكون المعتكف مُسلمًا عاقلًا ومُميّزًا، فلا يصحُّ ولا يُقبَل الاعتكاف من الكافر، ولا المجنون، ولا الصبي غير المميّز، ويصحُّ الاعتكاف من الصبي المميّز وغير البالغ، والمرأة يشرع لها الاعتكاف كما يشرع للرجل، لكن بشرط ألَّا يترتَّب على اعتكافها مفسدة أو فتنة، فإن ترتَّب على ذلك مفسدة أو فتنة كضياع أولادها في بيتها، أو أن تهدر حقَّ زوجها، فليس لها أن تعتكف.

٢- أن يكون مكان الاعتكاف هو المسجد لا غيره، ولقد ورد ذكر الاعتكاف في المساجد صريحًا في كتاب ربّنا جل وعلا؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾[٣].

٣- أن يكون الاعتكاف في مسجدٍ تُقام فيه صلاة الجماعة، لكونها واجبة عليه، ولئلا يتكرَّر خروجه من معتكفه للصلوات المفروضة، لكونه ينافي مقصود وغاية الاعتكاف، وهو المكث في المسجد، والأولى والأفضل أن يعتكف المعتكف في مسجدٍ جامعٍ تُقام فيه صلاة الجمعة، لئلا يخرج من معتكفه لأدائها، وإن خرج لصلاة الجمعة فلا يُؤثِّر ذلك على صحة اعتكافه.

٤- النيَّة؛ لكونها شرطًا لصحَّة سائر العبادات، فيمكث المعتكف في معتكفه في المسجد قُربةً وتعبُّدًا لله جل وعلا، ويُخلِص النيَّة لله جل وعلا في اعتكافه، فالأعمال بمقاصدها، لحديث عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال:" سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: إنَّما الأعْمالُ بالنِّيَّةِ، وإنَّما لِامْرِئٍ ما

---

(١) ينظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار (١٠/ ٢٧٣). الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ٣٦٨هـ - ٤٦٣هـ، تحقيق: عبدالمعطي امين قلعجي، الناشر: دار قتيبة - دمشق | دار الوعي – حلب، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) ينظر لهذه الشروط: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ١٠٨)؛ المجموع شرح المهذب (٦/ ٤٧٦)؛ الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٥٠٢) وما بعدها.

(٣) البقرة: ١٨٧ .



نَوى، فمَن كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ؛ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، ومَن كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصِيبُها أوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُها؛ فَهِجْرَتُهُ إلى ما هاجَرَ إلَيْهِ" رواه البخاري(١).

٥- الطهارة من الحدث الأكبر؛ إذ يُشترَط لصحَّة الاعتكاف الطهارة من الحدث الأكبر، لعدم جواز مكث الجنب، ولا الحائض والنفساء في المسجد، ولا يُشترَط الصوم لصحَّة الاعتكاف في المسجد، وخاصَّة في غير شهر رمضان المبارك؛ لأنَّ النبي ﷺ أذن لعمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أن يعتكف ليلة في المسجد الحرام، ومن المعلوم أنَّه لا صوم في الليل، فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-:" أنَّ عُمَرَ قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ؛ إنِّي نَذَرْتُ في الجاهِلِيَّةِ أنْ أعْتَكِفَ لَيْلَةً في المَسْجِدِ الحَرامِ، قالَ: أوْفِ بنَذْرِكَ"رواه البخاري(٢).

وفي هذا الحديث دليلٌ على صحَّة الاعتكاف ليلًا من غير صوم، لكون النبي ﷺ لم يشترط ذلك على عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، ومن المعلوم كذلك أنَّ الصوم والاعتكاف عبادتان منفصلتان عن بعضهما، ولا يشترط لأحدهما وجود الأخرى؛ لكي يصحَّ وقوعها، ولكن إن رافق الاعتكاف صيام فهو أفضل، وإلَّا إن اعتكف المعتكف وهو مُفطِرٌ صحَّ اعتكافه.

وكان النبي ﷺ يتَّخذ مكانًا له يعتكف فيه من المسجد، فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-:" أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رَمَضانَ، قالَ نافِعٌ: وَقَدْ أَرانِي عبدُ اللهِ- رَضِيَ اللَّهُ عنْه- المَكانَ الذي كانَ يَعْتَكِفُ فيه رَسولُ اللهِ ﷺ مِنَ المَسْجِد" رواه مسلم(٣).

ولقد داوم النبي ﷺ على الاعتكاف في كلِّ سنة، حتى توفَّاه الله جل وعلا؛ فعن عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها-" أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رَمَضانَ حتى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أزْواجُهُ مِن بَعْدِهِ" رواه البخاري(٤)؛ أي: ثم اعتكف أزواج النبيِّ ﷺ مِن بعده مثل اعتكافه في العشر الأواخر من رمضان؛ وذلك أنَّهنَّ كنَّ يعتكفن في بيوتهنَّ، وهو ما يُقال عليه مسجد بيتها، وهو الموضع الذي تتخذه في بيتها مُصلّى.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٠) برقم (٥٤) كتاب الإيمان باب: ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٨) برقم (٢٠٣٢) كتاب الاعتكاف باب: الاعتكاف ليلًا. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٧٧) برقم (١٦٥٦) كتاب الأيمان باب نذر الكافر وما يفعل فيه إذا أسلم.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٣٠) برقم (١١٧١) كتاب الاعتكاف باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢٦) كتاب الاعتكاف باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٣١) برقم (١١٧٢) كتاب الأيمان باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

وإذا نوى الاعتكاف لم يجب عليه إتمامه، وجاز له قطعه، ولا سيما إذا خشي على عمله الرياء. قال ابن باز- رحمه الله-: وله قطع ذلك إذا دعت الحاجة لذلك؛ لأنَّ الاعتكاف سُنَّة، ولا يجب الشروع إذا لم يكن منذورًا[١].

ولقد شُرع الاعتكاف لحكم وغايات كثيرة، ومنها: التقرُّب إلى الله سبحانه وتعالى بالتفرُّغ لعبادته وذكْره وتسبيحه، واستغفاره وقراءة القرآن، والاعتكاف سبيلٌ لتزكية النفس وتنقية القلب، وهو عكوف القلب على طاعةِ الله تعالى، وجمْع القلب عليه، ووقْف النفس له، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، وتفريغ القلب من أمور الدنيا، والاشتغال به وحده سبحانه.

قال ابن القيم- رحمه الله- في كتابه زاد المعاد: وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه: عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيتُه عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكْره وحبُّه، والإقبال عليه في محلِّ هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلَها، ويصير الهمُّ كلُّه به، والخطراتُ كلُّها بذكره، والتفكُّر في تحصيل مراضيه وما يُقرِّب منه، فيصير أُنسُه بالله بدلًا من أُنسِه بالخلق، فيعدُّه بذلك؛ لأنَّه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصودُ الاعتكاف الأعظم[٢].

أخيرًا: كما أنَّ الصيام درعٌ للقلب يقيه مغبَّة الصوارف الشهوانية من فضول الطعام والشراب والنكاح، كذلك الاعتكاف ينطوي على سرٍّ عظيم، وهو حماية العبد من آثار فضول الصحبة، فإنَّ الصحبة قد تزيد على حدِّ الاعتدال، فيصير شأنها شأن التخمة بالمطعومات لدى الإنسان، كما قال الشاعر:

عدوُّكَ من صديقِكَ مُستفاد ... فلا تستكثرنَّ من الصِّحابِ
فإنَّ الداءَ أكثرُ ما تراه ... يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ[٣]

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١٥/ ٤٤٢).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٨٢).

(٣) الحماسة المغربية (٢/ ١٢٥٣).

٢٣ رمضان

ليلة القدر خير من ألف شهر

من فضائل شهر رمضان وجوائزه العظام تضمُّنه لليلة القدر، وهي ليلة عظيمة القدر، ضاعف الله فيها أجر العمل الصالح لهذه الأُمَّة أضعافًا كثيرة. فقد تنزَّل القرآن في هذه الليلة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾[١].

ولقد اتَّفق جمهور العلماء على فضْل ليلة القدر، كما اختار العلماء أنَّ هذه الليلة ليلة تكون في شهر رمضان، وأنَّها في العشر الأواخر منه، وأمَّا تحديدها في العشر الأواخر فمختلفٌ فيه تبعًا لاختلاف الروايات الصحيحة، والأرجح أنَّها في الليالي الوتر من العشر الأواخر، وأرجى ليلة لها هي ليلة السابع والعشرين .

وفضلها عظيم لمن أحياها، وهي ليلة عامة لجميع المسلمين، وإحياؤها يكون بالصلاة، والقرآن، والذكر، والاستغفار، والدعاء من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، وصلاة التراويح في رمضان إحياء لها.

وللعلماء آراء في تعيين هذه الليلة؛ فمنهم من يرى أنَّها ليلة الحادي والعشرين، ومنهم من يرى أنَّها ليلة الثالث والعشرين، ومنهم من يرى أنَّها ليلة الخامس والعشرين، ومنهم من ذهب إلى أنَّها ليلة التاسع والعشرين، ومنهم من قال: إنَّها تنتقل في ليالي الوتر من العشر الأواخر، وأكثرهم على أنَّها ليلة السابع والعشرين[٢].

فإذا كان دخول شهر رمضان يختلف- كما نشاهد اليوم- من بلد لآخر، فالليالي الوتريَّة في بعض الأقطار؛ تكون زوجيَّة في أقطار أُخرى، فالاحتياط التماس ليلة القدر في جميع ليالي العشر.

قال الإمام ابن الجوزي: وفي تسمية‌ها بليلة القدر خمسة أقوال:

---

(١) القدر: ١ – ٥.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: "وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافا كثيرا وتحصل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من أربعين قولا كما وقع لنا نظير ذلك في ساعة الجمعة وقد اشتركتا في إخفاء كل منهما ليقع الجد في طلبهما" ثم ذكر الأقوال. ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٦٢). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.



أحدها: أنَّها ليلة عظيمة، يُقال: لفلان قدر. قال الزهري: ويشهد له: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾[1].

والثاني: أنَّه الضيق. أي: هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون. قال الخليل بن أحمد: ويشهد له: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ ﴾[2].

والثالث: أنَّ القدر الحكم، كأنَّ الأشياء تُقدَّر فيها، قاله ابن قتيبة.

والرابع: أنَّ مَن لم يكن له قدرٌ صار بمراعاتها ذا قدر، قاله أبو بكر الوراق.

والخامس: لأنَّ نزل فيها كتابٌ ذو قدر، وينزل فيها رحمة ذات قدر، وملائكة ذوو قدر[3].

قال الشيخ ابن العثيمين- رحمه الله-: وفي هذه السورة الكريمة فضائل مُتعدِّدة لليلة القدر:

الفضيلة الأولى: أنَّ الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

الفضيلة الثانية: ما يدلُّ عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾؛ فهذا على سبيل التعظيم لها، والتشويق إلى خبرها.

الفضيلة الثالثة: أنَّها خير من ألف شهر. قال تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾؛ فقيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر من هذا الزمان، وهي أفضل من عبادة كلِّ تلك المدَّة.

الفضيلة الرابعة: أنَّ الملائكة تتنزَّل فيها، وهم لا ينزلون إلَّا بالخير والبركة والرحمة. قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾؛ هذا يدلُّ على كثرة الرحمة والبركة فيها، فإنَّ الملائكة ينزلون مع تنزُّل البركة والرحمة، كما يتنزَّلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحِلَق الذكْر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له.

الفضيلة الخامسة: أنَّها سلام، لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله عز وجل.

الفضيلة السادسة: أنَّ الله أنزل في فضلها سورة كاملة تُتلى إلى يوم القيامة[4].

---

(١) الزمر: ٦٧.

(٢) الطلاق: ٧.

(٣) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٩٢).

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٠/ ٣٤٥).



كيفية إحياء ليلة القدر: قال ابن رجب: وأمَّا العمل في ليلة القدر؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ أنَّه قال:" مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه" رواه البخاري(١).

وقيامها إنَّما هو إحياؤها بالتهجُّد فيها والصلاة، وقد أمر عائشة- رضي الله عنها- بالدعاء فيها، فقد كان النبي ﷺ يتهجَّد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مُرتَّلة، لا يمرُّ بآيةٍ فيها رحمة إلَّا سأل، ولا بآيةٍ فيها عذاب إلَّا تعوَّذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكُّر، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها، وقال الشعبي في ليلة القدر: ليلُها كنهارها(٢).

ولقد سئل ابن تيمية- رضي الله عنه- عن ليلة القدر، فأجاب: الحمد لله، ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان، هكذا صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال:" هي في العشر الأواخر من رمضان"(٣)، وتكون في الوتر منها. لكن الوتر يكون باعتبار الماضي فتطلب ليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، ويكون باعتبار ما بقي؛ كما قال النبي ﷺ:" لتاسعة تبقى، لسابعة تبقى، لخامسة تبقى، لثالثة تبقى"(٤)؛ فعلى هذا إذا كان الشهر ثلاثين؛ يكون ذلك ليالي الأشفاع، وتكون ليلة الاثنين والعشرين تاسعة تبقى، وليلة أربع وعشرين سابعة تبقى، وهكذا فسَّره أبو سعيد الخدري- رضي الله عنه- في الحديث الصحيح، وهكذا أقام النبي ﷺ في الشهر، وإن كان الشهر تسعًا وعشرين كان التاريخ بالباقي كالتاريخ الماضي، وإذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يتحرَّاها المؤمن في العشر الأواخر جميعه، كما قال النبي ﷺ:" تحرُّوها في العشر الأواخر" رواه البخاري ومسلم(٥)، وتكون في السبع الأواخر أكثر، وأكثر ما تكون ليلة سبع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٦) برقم (١٩٠١) كتاب الصوم باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية. ورواه مسلم (١/ ٥٢٣) برقم (٧٦٠) بتقديم وتأخير، كتاب صلاة المسافرين وقصرها بَابُ التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ.

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٠٤) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٧) برقم (٢٠٢٠) كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

(٤) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٢٠٦) برقم (٩٢٢). مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٥) برقم (١١٥٦) كتاب التهجد باب فضل من تعار من الليل فصلى ولفظه: «أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها من العشر الأواخر». ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٢٣) برقم (١١٦٥) كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان.



وعشرين؛ كما كان أبي بن كعب يحلف أنَّها ليلة سبع وعشرين . فقيل له: بأي شيء علمتَ ذلك؟ فقال: بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ:" أنَّهَا تَطْلُعُ يَومَئذٍ لا شُعَاعَ لَهَا" رواه مسلم[١][٢].

وختامًا: قد يكشف الله ليلة القدر لبعض الناس في المنام أو اليقظة، فيرى أنوارها أو يرى مَن يقول له: هذه ليلة القدر، وقد يفتح على قلبه من المشاهدة ما يتبيَّن به الأمر. والله تعالى أعلم .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٢٨) برقم (٧٦٢) كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٨٤).



٢٤ رمضان

تذكُّر الإنسان ما أنعم الله عليه من النعم

أنعم الله على الإنسان بنعمٍ ظاهرة وباطنة، وهي نعمٌ كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى، ولو بدأ الإنسان بعدِّ هذه النعم فسيبدأ بنفسه، إذ إنَّ أكبر نعمة أنعمها الله عليه هي خلقه في أحسن تقويم وأجمل صورة، كما جعل هيئته مستقيمة، وميَّزه عن جميع المخلوقات بالعقل، وسخَّر له جميع المخلوقات من حيوانات ونباتات وجمادات؛ ليستفيد منها ويستخدمها لمصلحته، ووفَّر له جميع سُبُل الحياة الكريمة، كما أرسل إليه الأنبياء والرسل ليدلُّوه على عبادة الله تعالى، والتخلُّص من ظلمة الكفر والعبوديَّة لغيره سبحانه، ويرشدوه إلى الخير وطريقة استغلال النعم بالشكل الأمثل. قال الله عز وجل: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾(١)، وأعظم نعم الله علينا خلْق الإنسان في أحسن هيئة، وهدايته لما يُحبُّ الله ويرضى من أجل أن يعمل بتعاليم دينه، وينال رضا الله، وتوفيقه في الدنيا والآخرة، والعبد الصالح هو الذي يشكر الله على كلِّ نعمةٍ هو فيها حتى يزيده الله، ويبارك له في تلك النعم كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾(٢).

ونعم الله أنواع، ألا وهي: نعمة حاصلة يعلم بها العبدُ ظاهرةً عليه، ونعمة مُنتظَرة يرجوها العبد ويسعى لينالها، ونعمة هو فيها ولا يشعر بها، فكلُّ شيء في حياة العبد مهما قلَّ؛ هو نعمة من الله عز وجل، وإنَّ من أعظم النعم التي منَّ الله بها علينا لهي نعمة البصر، والتي تُعدُّ من أكبر النعم التي نملكها، ولولاها لما أبصرنا الأشياء من حولنا، وكم من فاقدٍ مُتمنٍّ لها، ونعمة السمع، والنطق، والإحساس، والحبِّ، والأمل، والكثير الكثير من النعم تزخر بها نفوسنا وأجسادنا وحياتنا، وتجعلنا دائمي الشكر والامتنان لله عز وجل؛ لأنَّ في الشكر أيضًا سعة في الرزق، وزيادة في النعم طالما الخير بيد الله عز وجل، والقضاء بأمره، فإنَّ سعادتنا بالأشياء حولنا مرتبطة برضاه عز وجل، وكلَّما رضي الله عن عبده أسبغ عليه بالنعم وزاده من السعادة والرخاء؛ لأنَّ لك عند الله مكانة إمَّا أن تنالها بالصبر، أو تنالها بالشكر، فيكون الصبر على الابتلاء الذي هو نعمة للعبد المؤمن والشكر على النعم والثناء عليها، ولذلك فإنَّ على العبد أن يكون مُوقنًا بتلك النعم مُقدِّرًا لها، وأن لا يكون مُتجاهلًا

(١) النحل: ١٨.

(٢) إبراهيم: ٧.



عاصيًا ربَّه، فإنَّ النعم تُقيَّد بالشكر، وتزول بالكفر، والله عز وجل غنيٌّ عن عباده، غير أنَّ الإنسان في حاجة دائمة للتقرُّب إلى الله حتى ينال سعادة الدنيا والآخرة.

نعم الله كثيرة وعظيمة، فالزوجة الصالحة نعمة، والأبناء، والصحة، والأهل، والأصدقاء، والعمل، وكلُّ المظاهر التي تتمثَّل فيها هذه النعم في حياتنا؛ لهي أكبر دليلٍ على أنَّ الإنسان محظوظ برعاية الله، وأنَّ الله كريمٌ واسع الكرم، وقد يبتلي الله العبد في جانب من حياته فيعوضه عن هذا الابتلاء بالخير الكثير، لذا يجب على كلِّ ذي نعمة أن يُقدِّرها، ويكون دائم الشكر لله عز وجل، ويصرفها في طاعة الله حتى تستمر هذه النعم وتدوم.

والمتأمِّل في منهج القرآن؛ يلحظ أنَّ الله يحضُّ عباده على دوام ذِكْر النِّعَم، وذلك في مواضع كثيرةٍ، منها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾[1]، وقوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾[2]، وكان السلف الصالح يتقرَّبون إلى الله بذكْر النِّعَم، وأخبارهم كثيرة في هذا، فقد جلس الفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة يتذاكران النِّعَم إِلَى الصباح[3]، وقرأ الفضيل ليلة قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴾[4]، فبكى، فسُئل عن بكائه فقال: هل بِتَّ ليلةً شاكرًا لله أن جعل لك عينينِ تُبصرُ بهما؟ هل بِتَّ ليلة شاكرًا لله أن جعل لك لسانًا تنطق به؟ وجعل يُعدِّد من هذا النوع[5].

ولتذكُّر النِّعَم فوائد تربوية عظيمة، منها: محبَّة الله عز وجل على إحسانه وإنعامه؛ فمَن أحبَّ اللهَ وأحبَّه اللهُ؛ فقد ظفر بالغاية القصوى، والمقصد الأسنى؛ فحُبُّ الله عز وجل أصلٌ عظيمٌ من أصول الإيمان، ومصدر السعادة للإنسان في دنياه وأُخراه، والمحبَّة درجات متفاوتة، بعضها أكمل من بعض، وتنقسم باعتبار الباعث عليها إلى: محبَّة بدافع الإجلال والكمال، ومحبَّة تنشأُ من التفكير في نِعَم الله الباطنة والظاهرة.

---

(١) الأحزاب: ٩.

(٢) المائدة: ٢٠.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الشكر (ص: ٤١). الشكر، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: بدر البدر، الناشر: المكتب الإسلامي – الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

(٤) البلد: ٨ – ٩.

(٥) ينظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٧٥). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.



ويفصل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- بقوله: أصل المحبَّة هو معرفة الله سبحانه وتعالى، ولها أصلان: الأصل الأول: وهو الذي يقال له محبَّة العامَّة لأجل إحسانه إلى عباده.

وهذه المحبَّة- على هذا الأصل- لا يُنكرها أحدٌ، فإنَّ القلوب مجبولة على حبِّ مَن أحسن إليها وبُغض مَن أساء إليها، والله سبحانه هو المنعِم المحسِن إلى عبده بالحقيقة، فإنَّه المتفضِّل بجميع النعم وإن جرت بواسطة؛ إذ هو مُيسِّر الوسائط ومُسبِّب الأسباب، والأصل الثاني: هو محبَّته لما هو له أهل، وهذا حُبُّ مَن عَرَف مِن الله ما يستحقُّ أن يُحبَّ لأجله، وما من وجه من الوجوه التي يُعرَف الله بها- ممَّا دلت عليه أسماؤه وصفاته- إلَّا وهو يستحقُّ المحبَّة الكاملة من ذلك الوجه، حتى جميع مفعولاته؛ إذ كلُّ نعمة منه فضل، وكلُّ نقمة منه عدل؛ ولهذا استحقَّ أَن يكون محمودًا على كل حال، ويستحقُّ أَن يُحمَد على السراء والضراء، وهذا أعلى وأكمل، وهذا حُبُّ الخاصَّة[1]، وقد ذمَّ الله مَن أضاف النعم إلى نفسه وعِلْمِه وقوته، ولم يضفها إلى فضل الله وإحسانه، كما قال تعالى حكاية عن قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ﴾[3]؛ أي: علم من الله أنِّي أهلٌ لهذه النعمة ومُستحِقٌ لها، أو على علم منِّي؛ أي: لمعرفتي بطرق تحصيلها، نظرًا لخبرتي وقوتي وذكائي، وليكن معلومًا أنَّ العبد إن اجتهد في العمل والطاعة بعدد الرمال، والتراب والحصى، والقَطْر وعدد أنفاس الخلائق، وعدد ما خلق الله؛ فإنَّه لن يُوفِّيَ الله شكر نعمة واحدة.

وهناك أنواعٌ مختلفة وكثيرة من النعم، وهي: العامَّة والخاصَّة من أقوى الأدلَّة على وحدانية الله وقدرته، وعظيم كرمه وجوده في تلبية حاجة عبيده، ورحمته بهم في تحقيق حوائجهم ومصالحهم، ومن الشواهد على ذلك- من القرآن الكريم - أنَّ سورة النحل تُسمَّى بسورة النِّعَمِ، وذلك بسبب ما عدَّد الله فيها من نعمه على عباده، وقد ختم الله عز وجل كثيرًا من آيات تعداد النعم فيها بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، وبعضها تكرَّر أكثر من مرَّة؛ وذلك ليحثَّ عباده على التذكُّر والتفكُّر في نعمه، والنظر إليها بعين الاعتبار والاستدلال، لا بعين الغفلة والإهمال؛ لتبقى القلوب موصولة بالله عند كل حركة

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٨٤).

(٢) القصص: ٧٨.

(٣) الزمر: ٤٩.

في الحياة، لا تغفل عن مراقبته سبحانه، ولا تتبلَّد بالركود والغفلة والنسيان، لذلك يجهل الكثير من الناس أهمية النعم التي لديهم، ولا يحسنون استغلالها ولا يشكرون الله عليها، لكنهم لا يعرفون قيمتها إلَّا إذا فقدوها، ومن بين هذه النعم نعمة البصر والسمع والصحَّة التامَّة والجسد القوي، ولو مرَّ الإنسان بمرضٍ ما يسلبه هذه النعم؛ فيعرف وقتها حجم الصعوبة التي يواجهها في حياته، لذلك فإنَّ الشكر على النعم يعني دوامها، ويجب أن يكون الشكر لله تعالى والثناء عليه في كلِّ وقتٍ؛ لأنَ جزاء الإحسان بالإحسان.

٢٥ رمضان

من أحكام الزكاة (زكاة الأموال)

الزكاة من أفرض الفرائض وأوجب الواجبات، ومن أهم أركان الإسلام، ولا تصلح حياة المسلمينَ إلَّا بها، فبالزكاة تسود المحبَّة والإخاء، وبالزكاة تختفي الشحناء والبغضاء، وعدم إخراجها طريق الفساد، وهلاك العباد، وخراب البلاد، وسخط ربِّ العباد، قال ﷺ:" مَنْ آتاهُ اللهُ مالًا فلمْ يُؤَدِّ زكاتَهُ؛ مُثِّلَ لهُ مالُهُ شُجاعًا أَقْرَعَ، لهُ زَبِيبَتانِ يُطَوَّقُهُ يومَ القيامةِ، يَأخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ- يَعني بشدْقَيْهِ- يقولُ: أنا مالُكَ، أنا كنزُكَ، ثمَّ تلا هذهِ الآيةَ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[١]" رواه البخاري[٢].

وقال ﷺ: "ويَكونُ كنزُ أحدِهِم يومَ القيامةِ شجاعًا أقرعَ يفرُّ منهُ صاحبُهُ ويطلبُهُ؛ أَنا كَنزُكَ، فلا يزالُ حتَّى يُلْقِمَهُ إصبعَهُ" رواه البخاري[٣].

وتُعدُّ الزكاة الرُّكن الثالث مِن أركان الإسلام بعد الشهادتين والصلاة، وثبت وجوبها في الكتاب والسُّنَّة والإجماع، فمن القرآن الكريم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٤]، وأمَّا من السُّنَّة فجزءٌ من حديث النبي ﷺ:" فأعْلِمْهُمْ أنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أغْنِيائِهِمْ فَتُرَدُّ في فُقَرائِهِمْ" رواه مسلم[٥]، وأما الإجماع فقد انعقد إجماع المسلمين في جميع العصور على وجوب الزكاة إذا توفَّرت شروطها، وأيضًا إجماع الصحابة الكرام على قتال مانعيها.

وقد فرضها الله سبحانه وتعالى في شهر شوال من السنة الثانية من الهجرة.

وتتمثَّل أهمية الزكاة في كونها وسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي، والتراحم والتعاطف بين المسلمين، والتعاون لتسيير الظروف المعيشية لمن يستحقُّ الزكاة، فيسود الأمن والرخاء في المجتمع،

---

(١) آل عمران: ١٨٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٩) برقم (٤٥٦٥) كتاب تفسير القرآن باب (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم، بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة، ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير).

(٣) رواه البخاري في صحيحه قريبًا من هذا اللفظ (٩/ ٢٣) برقم (٦٩٥٧) كتاب الحيل باب في الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع، ولا يجمع بين متفرق، خشية الصدقة.

(٤) البقرة: ٤٣.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٤) برقم (١٣٩٥) كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٠) برقم (١٩) كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.



ولذلك تجب الدقَّة في حساب الزكاة وإخراجها، وفي إيصالها إلى المستحقِّين لها، والتأكُّد من استحقاقهم إياها، ولقد أوجب الله تعالى الزكاة في عدَّة أنواع من المال، وهي إمَّا مُتعلِّقة بالعين؛ كالأنعام، أو بالقيمة؛ كالتجارة، وبيانها (الأنعام؛ وهي الإبل والبقر والغنم)، ولا تجب في غيرها من أنواع الحيوانات. وإمَّا عروض التجارة؛ وتكون مُتعلِّقة بالقيمة، ويوجد لكل مال من أموال الزكاة مقدار ونصاب مُحدَّد في الشرع، وهما الذهب والفضة، فنصاب الذهب بالأوزان المعاصرة ٨٥ جرامًا من الذهب الخالص، وأمَّا الفضة فنصابه ٥٩٥ جرامًا من الفضة الخالصة، ومقدار الزكاة فيه ربع العشر؛ أي: ٢,٥%، ولا فرق بين أن يكون الذهب والفضة نقودًا أم تبرًا أم حُليًّا، وعلى هذا فتجب الزكاة في حُليِّ المرأة من الذهب والفضة إذا بلغ نصابًا، ولو كانت تلبسه أو تعيره؛ لعموم الأدلَّة الموجبة لزكاة الذهب والفضة بدون تفصيل، ولأنَّه وردت أحاديث خاصَّة تدلُّ على وجوب الزكاة في الحُليّ وإن كان يُلبَس، مثل ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما-:" أنَّ امرأةً أتتْ رسولَ اللهِ ﷺ ومعها ابنةٌ لها، وفي يدِ ابنتِها مَسكتانِ غليظتانِ مِن ذهبٍ، فقالَ لها: أتُعطينَ زَكاةَ هذا؟ قالت: لا، قالَ: أيسرُّكِ أن يسوِّرَكِ اللَّهُ بهما يومَ القيامةِ سوارينِ من نارٍ؟ قالَ: فخلعَتْهُمَا فألقتْهُمَا إلى النَّبيِّ ﷺ وقالت: هُما للَّهِ عزَّ وجلَّ ولرسولِه"رواه أبو داود[1]، ولأنَّه أحوط، وما كان أحوط فهو أولى.

ومن الأموال التي تجب فيها الزكاة؛ عروض التجارة، وهي كلُّ ما أُعدَّ للتجارة من عقارات وسيارات، ومواشٍ وأقمشة، وغيرها من أصناف المال، والواجب فيها ربع العشر، فيُقوِّمها على رأس الحول بما تساوي، ويُخرِج رُبع عشره، سواء كان أقلَّ ممَّا اشتراها به أم أكثر أم مساويًا؛ فأمَّا ما أعدَّه لحاجته، أو تأجيره من العقارات والسيارات والمعدات ونحوها فلا زكاة فيه؛ لقول النبي ﷺ:" ليس على المسلِمِ في عبدِه ولا في فَرَسِه صَدَقةٌ" رواه البخاري[2].

ولوجوب الزكاة في المال العديد من الشروط، وهي فيما يأتي[3]:

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٩٥) برقم (١٥٦٣) كتاب الزكاة باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلي. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤٧١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه قريبًا من هذا اللفظ (٢/ ١٢١) برقم (١٤٦٤) كتاب الزكاة باب: ليس على المسلم في عبده صدقة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٧٦) برقم (٩٨٢) كتاب الزكاة باب لا زكاة على المسلم في عبده وفرسه.

(٣) ينظر هذه الشروط في: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٤)؛ الجامع لمسائل المدونة (٤/ ١)؛ التنبيه في الفقه الشافعي (ص: ٥٥)؛ الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٣٧٩). التنبيه في الفقه الشافعي، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦ هـ)، إعداد: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.



١- الحرية، فالزكاة لا تجب على العبد؛ لعدم ملكه، لقول النبيّ ﷺ:" وَمَنِ ابْتاعَ عَبْدًا فَمالُهُ لِلَّذِي باعَهُ، إِلَّا أنْ يَشْتَرِطَ المبْتاعُ" رواه البخاري[١]، ويرى جمهور الفقهاء وجوبها على سيده؛ لأنَّه مالكٌ له، كما أنَّها لا تجب على المكاتب؛ لأنَّه في حكم العبد من حيث عدم ملكه للمال.

٢- الإسلام؛ فلا تجب الزكاة على غير المسلم بإجماعِ الفقهاء؛ أي لا تُقبَل منه، لِقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾[٢]، ولكنه مُحاسَبٌ عليها في الآخِرة، وأمَّا المرتدُّ فلا تسقط عنه في حال كانت ردَّتُه بعد وجوب الزكاة عليه، وهذا عند الشافعية[٣] والحنابلة[٤]، ويرى الحنفية سقوطها عنه بالردَّة[٥].

٣- العقل والبلوغ، ذهب الحنفية إلى عدم وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون مطلقًا أو في بعض أموالهما[٦]؛ لأنَّ الزكاة من العبادات التي تحتاج إلى نيَّة، وكلاهما مُفتقِرٌ إليها، كما أنَّ التكليف قد سقط عنهما، وذهب الجمهور[٧] إلى وجوب الزكاة عليهما في جميع الأموال، وهو قول عمر، وابنه عبد الله، وعائشة- رضي الله عنهم-، وعدد من الصحابة الكرام؛ لأنَّ المقصود من أداء الزكاة شكر الله سبحانه وتعالى، وتطهير المال، كما أنَّ أموالهما لا تخلو من النفقات فلا تضيق عن الزكاة، ويتولَّى وليُّهما إخراج الزكاة عنهما.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٥) برقم (٢٣٧٩) كتاب المساقاة باب الرجل يكون له ممر أو شرب في حائط أو في نخل. ومسلم في صحيحه (٣/ ١١٧٣) برقم (١٥٤٣) كتاب البيوع باب من باع نخلا عليها ثمر.

(٢) التوبة: ٥٤.

(٣) قال في التنبيه في الفقه الشافعي (ص: ٥٥): "وإن كان مرتدًا ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: تجب. والثاني: لا تجب. والثالث: إن رجع إلى الإسلام وجب. وإن لم يرجع لم يجب".

(٤) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٣٧٩).

(٥) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٤).

(٦) ينظر: المحيط البرهاني في الفقه النعماني (٢/ ٢٩٧).

(٧) ينظر: بداية المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٥٣٣)؛ الجامع لمسائل المدونة (٤/ ٣٧)؛ المغني لابن قدامة (٢/ ٤٦٥). بداية المحتاج في شرح المنهاج، المؤلف: بدر الدين أبو الفضل محمد بن أبي بكر الأسدي الشافعي ابن قاضي شهبة (٧٩٨ - ٨٧٤ هـ)، عنى به: أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني، بمساهمة: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.



٤- بلوغ النصاب، وهو القدر المحدَّد من قِبَل الشرع في وجوب الزكاة عند بلوغه، وأي مقدار أقل منه فلا تجب فيه الزكاة.

٥- الملك التامُّ والقدرة على التصرُّف في المال؛ لأنَّ الزكاة هي تمليك المال للمستحقِّين له، والتمليك فرعٌ عن الملك، وقد دلَّ على هذا الشرط العديد من الآيات، كقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾[1]؛ فقد أضاف الله سبحانه وتعالى المال إلى صاحبه.

٦- النماء؛ وذلك بأن يكون المال ناميًا، مثل: الذهب والفضة وعروض التجارة.

٧- حولان الحول، وهو مُضِي عامٍ قمريٍّ على بلوغ المال النصاب، وهذا الشرط في غير الزروع، وذهب الحنفية إلى بلوغ النصاب في طرفي الحول، ولا يضر إن نقص خلال الحول[2]، وأمَّا الشافعية فيرون بلوغ النصاب في جميع الحول، وإذا نقص خلاله فلا تجب فيه الزكاة[3]، وأمَّا المالكية والحنابلة فيشترطون الحول في الأعيان، وهي: الذهب والفضة والأنعام وعروض التجارة، ولا تجب في غير ذلك، وأضاف الحنابلة اعتبار النصاب في جميع الحول[4].

٨- الخلو من الدَّين، وهو شرط عند الحنفية في غير الزروع[5]، وأمَّا عند الحنابلة فهو شرطٌ في جميع الأموال[6]، وأمَّا المالكية فيرون اشتراطه في الأعيانِ فقط[7]، وأمَّا الشافعية فلم يشترطوا ذلك.

٩- الزيادة عن الحاجات الأساسيَّة، وهي التي يدفع بها الإنسان الهلاك عن نفسه، كالنفقة والسكن وغير ذلك.

---

(١) المعارج: ٢٤.

(٢) ينظر: النهر الفائق شرح كنز الدقائق (١/ ٤٤٢). النهر الفائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: سراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم الحنفي (ت ١٠٠٥هـ)، المحقق: أحمد عزو عناية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) ينظر: بداية المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٤٩٣).

(٤) ينظر: الجامع لمسائل المدونة (٤/ ١)؛ المغني لابن قدامة (٢/ ٤٦٧).

(٥) ينظر: النتف في الفتاوى للسغدي (١/ ١٦٩). النتف في الفتاوى، المؤلف: أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السُّغْدي، حنفي (المتوفى: ٤٦١هـ)، المحقق: المحامي الدكتور صلاح الدين الناهي، الناشر: دار الفرقان / مؤسسة الرسالة - عمان الأردن / بيروت لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.

(٦) ينظر: الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٣٨١).

(٧) ينظر: المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٣٦٨).

قال الشاعر:

أيُّهـا المستكينُ أنفِـقْ جـزيلًا ... ودع الـركضَ في الحيـاةِ طـويلًا

كـلُّ مـالٍ جمعتْـه في اضـطبارٍ ... مــرَّةً وافــرًا وأخــرى قلــيلًا

سوفَ يغـــدو لوارثيكَ قريبًا ... كي يُبيدوه بُكرةً وأصــــيلًا[١]

وأخيرًا: قد تكونُ زكاة المال عاملًا من عوامل القضاء على البطالة في المجتمع، إذ قد يمتلك الفقير بها قدرةً على افتتاح عمله الخاصِّ ولو كان بسيطًا؛ ليتحوَّل بذلك مِن مُحتاجٍ إلى مُنتِج. فيتحقَّق بها التكافُل الاجتماعي بين فئات المجتمع من خلال مدِّ الغني يد العون للفقير والمحروم، فتزرع الأُلفة، والمودَّة، والأخوَّة بين أفرادِ المجتمع الواحد.

(١) الأبيات للدكتور حيدر الغدير من قصيدة له بعنوان: "أيها المال". ينظر موقع الألوكة:
https://www.alukah.net/literature_language/0/50888/%D8%A3%D9%8A%D9%87%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%84-%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9/.



٢٦ رمضان

مصارف الزكاة

الزكاة من أهم أركان الإسلام، ومن أعدل صور الشريعة الإسلامية، أوجبها الله عز وجل على المسلمين، وحدَّد مُستحقِّيها، فتُعطَى لثمانية أصناف، وورد دليل ذلك في القرآن الكريم في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾[١]؛ فقد عيَّن الله في هذه الآية المستحقِّين للزكاة، وأنهم ثمانية أصناف، وتفصيلهم على النحو الآتي:

الأول والثاني: الفقراء والمساكين: ولقد اختلف العلماء في التفريق بين لفظي الفقير والمسكين، فالفقير عند الشافعية والحنابلة[٢] حاجته أكثر من حاجة المسكين، واستدلوا على ذلك من القرآن الكريم، لقول الله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾[٣]، كما أنَّ ذكْر الفقراء قبل المساكين دليل على أنَّ حاجتهم أشدُّ، أمَّا الحنفية والمالكية[٤]؛ فالمسكين عندهم حاجته أكثر من حاجة الفقير، واستدلوا بذلك من القرآن الكريم، لقول الله تعالى: ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾[٥]، فالآية تدلُّ على أنَّ المسكين مُلقًى على التراب من شدَّة الجوع، وقد جعل الشافعية والحنابلة مُسمى الفقر على من لم يجد المال ولا القدرة على الكسب، كأن تكون حاجته عشرة دراهم ولا يستطيع إيجاد أو توفير درهم منها ليقتات به، أو لا يستطيع أن يوفر أقل من نصف حاجته، والمسكين هو من تكون حاجته عشرة دراهم مثلًا، ويستطيع إيجاد نصفها أو أكثر، أمَّا الحنفية والمالكية فقالوا إنَّ المسكين هو من لا يستطيع أن يُوفِّر قوت يومه وحاجته، ويضطر

---

(١) التوبة: ٦٠.

(٢) ينظر: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (٣/ ١٢٧)، الشرح الكبير على المقنع (٧/ ٢٠٧). الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)، المؤلف: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٢ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) الكهف: ٧٩.

(٤) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٤٣)؛ الذخيرة للقرافي (٣/ ١٤٤). الذخيرة، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، المحقق: جزء ١، ٨، ١٣: محمد حجي، جزء ٢، ٦: سعيد أعراب، جزء ٣ - ٥، ٧، ٩ - ١٢: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.

(٥) البلد: ١٦.



لسؤال الناس لإعطائه، والفقير عند الحنفية هو من يملك مقدارًا من المال لكن لا يصل لحد النصاب، والفقير عند المالكية هو من يملك مقدارًا من المال والقوت ولا يكفي لعام(١).

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: والمعتبَر ليس فقط ما يكفيه للأكل والشرب، والسكنى والكسوة فحسب، بل يشمل حتى الإعفاف؛ أي: النكاح، فلو فرض أنَّ الإنسان محتاج إلى الزواج وعنده ما يكفيه لأكله وشربه وكسوته ومسكنه، لكن ليس عنده ما يكفيه للمهر، فإنَّنا نُعطيه ما يتزوَّج به ولو كان كثيرًا(٢).

الثالث: العاملون عليها، وهم الجُباة الذين يقومون بجمع مال الزكاة، والحفاظ عليها، وتوزيعها على من يستحقُّها، ويُشترَط في العاملين عليها: أن يكون مسلمًا على الأرجح؛ لأنَّها ولاية على المسلمين؛ فلا تُوكل إلى غير المسلم، وأن يكون مُكلَّفًا، والمكلَّف هو البالغ العاقل، وأن يكون أمينًا، وأن يكون أهلًا لما يقوم به، وأن يكون عالما بأحكام الزكاة، ويكون العطاء بقدر الكفاية؛ فعن المستورد بن شدَّاد- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" مَن كان لنا عاملًا فليكتسبْ زوجة، فإن لم يكن له خادمٌ فليكتسب خادمًا، فإن لم يكن له سكنٌ فليكتسب مسكنًا" رواه أبو داود(٣).

الرابع: المؤلَّفة قلوبهم: فمنهم قوم كُفَّار يُرجى بتأليفهم إسلامهم؛ كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية إبلًا كثيرة مُحمَّلة كانت في وادٍ، فقال: هذا عطاء مَن لا يخشى الفقر، وعنه قال:" لقد أعطاني رسولُ اللهِ ﷺ يومَ حُنينٍ وإنَّه لَمِن أبغضِ النَّاسِ إليَّ، فما زال يُعطيني حتَّى إنَّه لَأحبُّ الخَلقِ إليَّ" أخرجه ابن حبَّان(٤)، ويُشترَط أن يُرجَى كفُّ شرِّه عن المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وأن يُرجَى بإعطائه قوَّة إيمانه. قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: والعلَّة أنَّه إذا كان يُعطَى لحفظ البدن وحياته؛ فإعطاؤه لحفظ الدين وحياته من باب أَولى"(٥)، ويدخل في هذا القسم من أسلم من يهودي أو نصراني، وقد سُئل الزهري عن المؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ؛ فقال: مَن أسلم من يهودي أو نصراني، قيل: وإن كان غنيًّا؟ قال: وإن كان غنيًّا(٦).

---

(١) ينظر المصادر المتقدمة قريبًا.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٢٢١).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٣٤) برقم (٢٩٤٥) كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في أرزاق العمال. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١١٠٧).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (١١/ ١٥٩) برقم (٤٨٢٨) كتاب السير، ذكر العلة التي من أجلها كان يعطي صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ما وصفنا. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧/ ١٨٦).

(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ٢٢٧).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٣٥) برقم (١٠٧٦٢).



فالمؤلَّفة قلوبهم قد يكونون مسلمين أو غير مسلمين، وقد يكونون شرفاء أو أعزاء في قومهم أو قبيلتهم، فغير المسلم يُرجَى بعطيته إسلامه أو دفْع مضرَّته عن الإسلام والمسلمين، والمسلم يُرجَى بعطيته حُسْن إسلامه وإسلام نظيره، وتكون العطية بالقدر الذي تتحقَّق به المصلحة. والمقصود بهذا المصرف تقوية شوكة الإسلام، والحفاظ على مكانته.

الخامس: في الرقاب والعبيد: أي الأرقّاء والمكاتَبون، والجمع رقبة، وهم العبيد والإماء، والمقصود بقوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾؛ أي: تحريرهم، وليس معنى الآية أن نُعطي العبيد مالًا؛ إنَّما المقصود تخليصهم من الرق، ويشمل هذا المصرف المكاتبين أيضًا أي: الذين اشتروا أنفسهم من أسيادهم لينالوا الحرية مقابل مال يدفعونه على أقساط، فيُعان هؤلاء بدفع هذه الأقساط، سواء أعطيناه في يدِه ليوفِّي سيده، أو أعطينا سيده قضاءً عنه، سواء علم العبد بما دفع له أو لم يعلم.

السادس: الغارمون جمع غارم: وهو من لحقه الغُرْم؛ أي: الإلزام بالمال وهو المدين، وأمَّا صاحب المال، فيُقال عنه: الغريم أو الدائن، والغارم نوعان: الأول: الغارم لإصلاح ذات البين: وهو الذي يُصلح بين القبائل المتشاجرة، ويلتزم في ذمَّته مالًا عوضًا عمَّا بينهما، فهؤلاء يُعطون من مال الزكاة ولو كانوا أغنياء؛ فعن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فأتَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ أسْأَلُهُ فيها، فقالَ: أقِمْ حتَّى تَأْتِيَنا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لكَ بها، قالَ: ثُمَّ قالَ: يا قَبِيصَةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إلَّا لأَحَدِ ثَلاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمالَةً، فَحَلَّتْ له المَسْأَلَةُ حتَّى يُصِيبَها ثُمَّ يُمْسِكُ، ورَجُلٍ أصابَتْهُ جائِحَةٌ اجْتاحَتْ مالَهُ، فَحَلَّتْ له المَسْأَلَةُ حتَّى يُصِيبَ قِوامًا مِن عَيْشٍ- أوْ قالَ: سِدادًا مِن عَيْشٍ-، ورَجُلٌ أصابَتْهُ فاقَةٌ حتَّى يَقُومَ ثَلاثَةٌ مِن ذَوِي الحِجا مِن قَوْمِهِ: لقَدْ أصابَتْ فُلانًا فاقَةٌ، فَحَلَّتْ له المَسْأَلَةُ حتَّى يُصِيبَ قِوامًا مِن عَيْشٍ- أوْ قالَ: سِدادًا مِن عَيْشٍ-، فَما سِواهُنَّ مِنَ المَسْأَلَةِ- يا قَبِيصَةُ- سُحْتًا، يَأْكُلُها صاحِبُها سُحْتًا" رواه مسلم[1].

السابع: في سبيل الله: أي الطريق الموصِّلة إلى مرضاته، وجمهور العلماء على أنَّ المراد هنا الغزو، فعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" لا تحلُّ الصدقة لغنيٍّ إلَّا لخمسةٍ؛ منهم: الغازي في سبيل الله" رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه[2].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٢) برقم (١٠٤٤) كتاب الزكاة باب من تحل له المسألة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٨/ ٩٦) برقم (١١٥٣٨). وأبو داود في سننه (٢/ ١١٩) برقم (١٦٣٥) كتاب الزكاة باب من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٩٠) برقم (١٨٤١) كتاب الزكاة باب من تحل له الصدقة. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٣٧٧).

الثامن: ابن السبيل هو المسافر الذي انقطع في سفره، ولم يتبقَ معه نفقة لينفق على نفسه، أو للعودة لبلده، فيُعطَى من الزكاة بمقدار ما يُحقِّق مصلحته، حتَّى وإن كان غنيًّا في بلده.

ختامًا: إنَّ الزكاة ركنٌ من أكان الإسلام، ويجب إعطاؤها لمستحقِّيها؛ كالفقراء والمساكين وابن السبيل والمؤلفة قلوبهم، كما يُمتنع صرف الزكاة لغير مصارفها، وكذلك للأثرياء والأقارب الذين تجب على المزَكِّي نفقتهم.



٢٧ رمضان

زكاة الفطر

زَكاة الفطر هي الزكاة التي تكون بسبب الإفطار من شهر رمضان المبارك، وتُسمَّى بزكاة الرؤوس والرِقاب والأبدان، ويُطلَق عليها أيضًا اسم صدقة الفطر؛ فلفظ الصدقة يُطلَق على الزكاة الواجبة على المسلم، وتُسمَّى بزكاة الفِطرة؛ أي الخلقة من الفِطرة؛ أي كأنَّها زكاة للنفس، وتطهير لها وتنقيةٌ.

وقد فُرضت زكاة الفطر في السنة الثانية من الهجرة، في السنة ذاتها التي فُرِض فيها صيام رمضان.

وقد ذكر أهل العلم وجهين لتسميتها بزكاة الفطر:

الوجه الأوَّل: أنَّ المقصود بالفِطر ما يُقابل الصوم؛ أي الإفطار من الصوم، ويكون ذلك حين اكتمال شهر رمضان، وبدء شهر شوال.

والوجه الثاني: الفَطْر؛ أي الخَلق، من الخَلقة، وبذلك اعتبِرت من زكاة الجَسد، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[١].

ولقد اتَّفقَّ جمهور أهل العلم على أنَّ زكاة الفطر واجبة على المسلم[٢]، استدلالًا بحديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنَّه قال: قَالَ رَسولَ اللهِ ﷺ:" فَرَضَ زَكَاةَ الفِطْرِ مِن رَمَضَانَ علَى النَّاسِ صَاعًا مِن تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِن شَعِيرٍ، علَى كُلِّ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى مِنَ المسْلِمِينَ" رواه مسلم[٣].

وذهب المالكية في قول آخر عندهم أنَّ زكاة الفطر سُنَّة، وذلك بعد أن كانت مفروضة، ونُسِخت بوجوب زكاة الأموال؛ استدلالًا بما روي عن قيس بن سعد- رضي الله عنه-:"كنَّا نصومُ عاشوراءَ، ونؤدِّي زَكاةَ الفطرِ، فلمَّا نزلَ رمَضانُ ونزلتِ الزَّكاةُ؛ لم نُؤمَر بِهِ ولم نُنهَ عنهُ، وَكُنَّا نفعلُهُ" رواه النسائي[٤]، وقيل: يقصد المالكية بأنَّ زكاة الفطر سُنَّةٌ؛ أي أنَّها واجبةٌ في السُّنَّة كما ثبت عن النبيّ ﷺ[٥].

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) وحكى الماوردي الإجماع على وجوبها. ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٦٩)؛ المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٤٢٩)؛ الحاوي الكبير (٣/ ٣٤٨)؛ المغني لابن قدامة (٣/ ٧٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٠) برقم (١٥٠٣) كتاب الزكاة باب فرض صدقة الفطر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٧٧) برقم (٩٨٤) كتاب الزكاة باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير.

(٤) رواه النسائي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨) برقم (٢٢٩٧) كتاب الزكاة، فرض صدقة الفطر قبل نزول الزكاة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٦/ ١٥٠).

(٥) ينظر: روضة المستبين في شرح كتاب التلقين (١/ ٤٨٥). روضة المستبين في شرح كتاب التلقين، المؤلف: أبو محمد، وأبو فارس، عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي المعروف بابن بزيزة (المتوفى: ٦٧٣هـ)، المحقق: عبد اللطيف زكاغ، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.



ولقد شرع الله تعالى زكاة الفطر؛ لِما في ذلك من تطهيرٍ للصائم ممَّا قد يقع به من الكلام، وزلل اللسان، والأقوال غير المقبولة، إضافةً إلى أنَّ فيها إطعامًا للفقراء والمساكين، وفي الحديث:" فَرَضَ رسولُ اللهِ ﷺ صدقةَ الفطرِ؛ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفثِ، وطُعْمَةً لِلْمَساكِينِ ، فمَنْ أَدَّاها قبلَ الصَّلاةِ فهيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، ومَنْ أَدَّاها بعدَ الصَّلاةِ فهيَ صدقةٌ مِنَ الصدقةِ" أبو داود(١).

ويشترط لوجوب زكاة الفطر عدَّة شروطٍ:

الإسلام: فزكاة الفطر تجب على كل مسلمٍ؛ سواءً كان رجلًا أو امرأة، حرًّا أو عبدًا، صغيرًا أو كبيرًا؛ استدلالًا بما رُوِي عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- إذ قال:" إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الفِطْرِ مِن رَمَضَانَ علَى كُلِّ نَفْسٍ مِنَ المسْلِمِينَ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ، أَوْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ؛ صَاعًا مِن تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِن شَعِيرٍ" رواه مسلم(٢).

القدرة المالية: ويقصد بذلك أن يملك المسلم ما يكفيه من قُوته، وقُوت عياله، وزيادة على يوم العيد وليلته، مع توفُّر الحاجات الأصلية.

النيَّة: إذ إنَّ زكاة الفطر عبادة من العبادات، ولا بُدَّ من النيَّة فيها؛ لقول الرسول ﷺ:" إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى" رواه البخاري(٣)، وتتحقَّق النيَّة في القلب قبل أداء الزكاة، ولا تصحُّ بعده، وكذلك لا يصحُّ تبديلها أو تغييرها.

دخول الوقت: فتجب زكاة الفطر على كل مسلم بغروب شمس آخر يوم من أيام شهر رمضان.

أمَّا فيما يتعلَّق بوقت إخراج زكاة الفطر؛ فقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أنَّ زكاة الفطر تجب بغروب شمس آخر يومٍ من شهر رمضان؛ أي ليلة عيد الفطر؛ إذ إنَّها أُضيفت إلى الفِطر، فوجبت بتحقُّقه(٤).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ١١١) برقم (١٦٠٩) كتاب الزكاة باب زكاة الفطر. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٨٥) برقم (١٨٢٧) كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر. والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٣٣٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٧٨) برقم (٩٨٤) كتاب الزكاة باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦) برقم (١) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.

(٤) ينظر: التبصرة للخمي (٣/ ١١١١)؛ عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج (١/ ٤٩٥)؛ الشرح الكبير على المقنع (٧/ ١١٣). التبصرة، المؤلف: علي بن محمد الربعي، أبو الحسن، المعروف باللخمي (المتوفى: ٤٧٨ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م. عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج، المؤلف: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المعروف بـ «ابن النحوي» والمشهور بـ «ابن الملقن» (المتوفى: ٨٠٤ هـ)، ضبطه على أصوله وخرج حديثه وعلق عليه: عز الدين هشام بن عبد الكريم البدراني، الناشر: دار الكتاب، إربد — الأردن، عام النشر: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.



وقال الحنفية بوجوب إخراج زكاة الفطر عند طلوع فجر يوم عيد الفطر؛ إذ إنَّ الزكاة أُضيفت إلى الفطر، ممَّا يعني أنَّها مُختصَّةٌ به، ويتعلَّق الفِطر باليوم لا بالليل(١).ومقدار زكاة الفطر صاعٌ من طعام البلد الذي يأكله أهله؛ فقد يكون صاعًا من تمرٍ، أو من شعيرٍ، أو غيرهما؛ استدلالًا بحديث ابن عمر- رضي الله عنهما-:" أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِن تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِن شَعِير" رواه مسلم(٢)، ويُقدَّر الصاع بأربعة أمداد، ويُقدَّر المدُّ بما يملأ كفَّي الإنسان المعتدل، ويُقدَّر الصاع وزنًا بثلاثة كيلوجرامات تقريبًا.ولقد تعدَّدت آراء أهل العلم في أنواع الأطعمة التي يُؤدِّيها المسلم عن زكاة الفطر، وذهبوا في ذلك إلى ثلاثة أقوالٍ:

القول الأول: قال الحنفية إنَّ زكاة الفطر تُؤدَّى فقط بأربعة أنواعٍ من الأطعمة، وهي: (الزبيب، والقمح، والشعير، والتمر)(٣). القول الثاني: قال الشافعية والمالكية بوجوب زكاة الفطر من غالب قوت أهل البلد، وحدَّدها المالكية بتسعة أصنافٍ لا يصحُّ أداء الزكاة من غيرها، وهي: (القمح، والشعير، ونوع منه يسمى بـ (السُّلت)، ونوع من النبات يسمى بـ (الدخن)، والتمر، والزبيب، واللبن اليابس)(٤).القول الثالث: قال الحنابلة بوجوب زكاة الفطر ممَّا نصت عليه الأحاديث النبوية؛ فتكون من (القمح، والشعير، والتمر، والزبيب، واللبن اليابس)، وإن لم يتوفّر أحدها؛ فإنَّ زكاة الفطر تُؤدَّى من الحبوب، والثمار المتخَذة قوتًا وطعامًا غالبًا لأهل البلد(٥).

وأمَّا إخراجها مالًا فلا يجوز مطلقًا، وللعلماء في كيفية إخراج زكاة الفطر أقوال عدَّة: القول الأول: ذهب جمهور أهل العلم إلى القول بعدم جواز إخراج زكاة الفطر بدفع قيمتها نقدًا؛ لعدم ورود أي نصٍّ يدلُّ على صحَّة ذلك، ولأنَّ قيمة الشيء في حقوق الناس لا تكون إلا في حال التراضي بين الطرفَين، وهذا الأمر لا يمكن تطبيقه على زكاة الفطر؛ لعدم وجود مالك مُحدَّد(٦).

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٧٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٠) برقم (١٥٠٣) كتاب الزكاة باب فرض صدقة الفطر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٧٧) برقم (٩٨٤) كتاب الزكاة باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٧٢).

(٤) ينظر: التبصرة للخمي (٣/ ١١١٧)؛ مختصر المزني (٨/ ١٥١).

(٥) ينظر: الإرشاد إلى سبيل الرشاد (ص: ١٣٩). الإرشاد إلى سبيل الرشاد، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي موسى الشريف، أبو علي الهاشمي البغدادي (المتوفى: ٤٢٨هـ)، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٦) ينظر: التهذيب في اختصار المدونة (١/ ٤٨٩)؛ الحاوي الكبير (٣/ ١٧٩)؛ الفروع وتصحيح الفروع (٤/ ٢٦٦). التهذيب في اختصار المدونة، المؤلف: خلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي القيرواني، أبو سعيد ابن البراذعي المالكي (المتوفى: ٣٧٢هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.



القول الثاني: قال الحنفية بجواز دفع القيمة في إخراج زكاة الفطر؛ من باب التسهيل، والتيسير على الفقراء، فيقضي بها الفقير ما يحتاجه من الأشياء التي قد تغيب عن علم مُؤدِّي الزكاة، أما في أوقات الشدَّة، وعدم وفرة الحبوب، فالأولى دفع العين من باب مراعاة مصلحة الفقير[١]، وقد أفتى الإمام ابن تيمية بجواز إخراج القيمة في حال كانت أنفع للفقير واقتضتها مصلحته، أو اختارها الفقير بنفسه لكونها أنفع له[٢]. وقد تظهر فوائد لإخراجها قوتًا كما في حالات الاحتكار وارتفاع الأسعار والحروب والغلاء، ولو قال قائل: النقود أنفع للفقير ويشتري بها ما يشاء وقد يحتاج شيئًا آخر غير الطعام، ثم قد يبيع الفقير الطعام ويخسر فيه؛ فالجواب عن هذا كله أنَّ هناك مصادر أخرى لسدِّ احتياجات الفقراء في المسكن والملبس وغيرها، وذلك من زكاة المال والصدقات العامة والهبات وغيرها، فلنضع الأمور في نصابها الشرعي ونلتزم بما حدَّده الشارع وهو قد فرضها صاعًا من طعام:" طُعمة للمساكين"، ونحن لو أعطينا الفقير طعامًا من قوت البلد فإنَّه سيأكل منه، ويستفيد عاجلًا أو آجلًا؛ لأنَّ هذا ممَّا يستعمله أصلًا.

ولقد نظم في أقوال العلماء في إخراج زكاة الفطر قيمةً

إِخْـرَاجُ قِيمَـةِ زَكَـاةِ الْفِطْـرِ ... فِيـهِ خِـلَافٌ بَـيْنَ أَهْـلِ الـذِّكْر

فَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ أَنَّ الْمُجْزِي ... إِخْرَاجُهَـا حَبًّـا بِمِثْـلِ الأُرْزِ

أَوْ بِالتُّمُورِ أَوْ بِقَمْحٍ أوْ شَعِيرْ ... كَمَا أَتَى فِيمَا رَوَوْا عَنِ الْبَشِيرِ

وَذَاكَ رَأْيُ مَالِـكٍ وَالشَّـافِعِي ... وَالْحَنْبَلِـيّ ذِي الْمَقَـالِ النَّـافِع

أَمَّا الْإِمَـامُ التَّابِعِيُّ الْحَنَفِي ... فَقَدْ رَأى إِخْرَاجَهَا نَقْدًا يَفِي[٣]

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢/ ٧٣).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٥/ ٨٢).

(٣) النظم لمحمد الحافظ بن دياها. ينظر: https://www.facebook.com/116705645059426/posts/1520208084709168/?locale=ar_AR.



٢٨ رمضان

التوبة فضلها وآدابها

يضعف المسلم في بعض الأحيان فيقع في المحرَّمات، ومن رحمة الله تعالى به بأن فتح له باب التوبة؛ فمن تاب بعد ذنبه تاب الله تعالى عليه، والتوبة التي أمر الله تعالى بها هي التوبة النصوح الواردة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[١]، والمراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلِّها التي عقدها العبد لله لا يريد بتوبته إلَّا وجه الله والتقرُّب منه، ويستمرُّ على توبته في جميع أحواله، ورحمة الله واسعة على عباده المسرفين بالذنوب والمتجاوزين لحدوده، فقد رغَّبهم في التوبة فقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[٢].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه، ويحثُّهم على الإنابة قبل أن لا يُمكنهم ذلك فقال: {قُلْ} يا أيُّها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبرًا للعباد عن ربِّهم: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} باتِّباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب. {لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا: قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مُصرِّين على العصيان، مُتزوِّدين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربَّكم بأسمائه الدالَّة على كرمه وجوده، واعلموا أنَّه يغفر الذنوب جميعًا من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} أي: وصفه المغفرة والرحمة، وصفتان لازمان ذاتيَّان، لا تنفكُّ ذاتُه عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، مالئة للموجود. تسحُّ يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويُوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحبُّ إليه من

---

(١) التحريم: ٨.

(٢) الزمر: ٥٣- ٥٤.



المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته، ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب؛ إن لم يأت بها العبد فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها- بل لا سبب لها غيره- الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرُّع والتألُّه والتعبُّد. فهلُمَّ إلى هذا السبب الأجلِّ، والطريق الأعظم[(١)].

وللتوبة شروط؛ قال الإمام النووي- رحمه الله تعالى-: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلَّق بحقِّ آدميٍّ فلها شروط ثلاثة وهي:

١- أن يُقلع عن المعصية.

٢- أن يندم على فعلها.

٣- أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدًا.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته، ويُزاد شرط رابع إذا كان الذّنب يتعلَّق بحقِّ آدميٍّ: أن يبرأ من حقِّ صاحبه؛ فإن كان مالًا أو نحوه ردَّه إليه، وإن كان حدَّ قذفٍ مكَّنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحلَّه منها، هذا إذا لم يترتَّب على ذلك مفسدة أعظم، ويجب أن يتوب من جميع الذّنوب، فإن تاب من بعضها صحَّت توبته من ذلك الذّنب[(٢)]. والتوبة من ترك المأمور أولى من التوبة من فعل المحظور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: من تاب توبة عامة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذّنوب، وإن لم يستحضر أعيان الذّنوب إلَّا أن يعارض هذا العام معارض يوجب التخصيص، مثل أن يكون بعض الذّنوب لو استحضره لم يتب منه، لقوَّة حُبِّه إيَّاه، أو لاعتقاده أنَّه حسن ليس بقبيح، فما كان من ذنب لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التوبة، وأمَّا ما كان لو استحضره بعينه لكان ممَّا يتوب منه؛ فإنَّ التوبة العامة شاملة له.

وأمَّا التوبة المطلقة: وهي أن يتوب توبة مجملة، فإنَّها لا تستلزم التوبة من كل ذنب. فهذه لا توجب دخول كل فرد من أفراد الذنوب فيها، ولا تمنع دخوله كاللفظ المطلق، لكن هذه تصلح أن تكون سببًا لغفران المعيَّن، كما تصلح سببًا لغفران الجميع، بخلاف التوبة العامة فإنَّها مُقتضية للغفران العام[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٢٧).

(٢) ينظر: رياض الصالحين (ص: ٣٣). رياض الصالحين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٢٨).



ومن فضائلها أنَّ التوبة توجب محبَّة الله تعالى، وفرحه بالعبد التائب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١]، وقال النبي ﷺ:" لَلَّهُ أَفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن أحَدِكُمْ يَجِدُ ضالَّتَهُ بالفَلَاةِ، ومَن تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِراعًا، ومَن تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ باعًا، وإذا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ" رواه مسلم[٢].

ومن فضائلها وأسرارِها: أن يعرف المذنِب كرم الله وستره، وسعة حلمه، وأنَّه سبحانه لو شاء لعاجله على الذنب، ولهَتَك ستره بين العباد؛ فلم يطِب له عيشٌ معهم أبدًا، ويعرف أيضًا كرم اللهِ في قبول التوبة، فلا سبيل إلى النجاة إلَّا بعفو الله، وكرمه، ومغفرته؛ فهو الذي جاد عليه بأن وفَّقه للتوبة، وألهمه إيَّاها، ثم قبِلها منه. قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣].

ومن فضائلها وأسرارِها: أن يعامل العبد بني جنسه في زلاتهم وإساءاتهم بما يُحِبُّ أن يُعامله الله به في إساءاته وزلَّاته وذنوبه؛ فإنَّ الجزاء من جِنس العمل؛ فمَنْ عَفَا عُفِيَ عنه، ومَن استقصى استَقْصَى اللهُ عليه.

ومن فضائلها وأسرارِها: إقامة المعاذير للخلق، فإذا أذنب العبد أقام المعاذيرَ للخلق، واتسعت رحمته لهم، واستراح العصاة من دعائه عليهم، وقنوطه من هدايتهم؛ فإنَّه إذا أذنب رأى نفسه واحدًا منهم، فهو يسأل اللهَ المغفرة لهم، ويرجو لهم ما يرجوه لنفسه، ويخاف عليهم ما يخافه على نفسه.

قال الشاعر:

يَا ربِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فلقدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عفوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ... فَمَنِ الذي يَدْعُو ويَرْجُو المجرِمُ
سوف أَدْعُوكَ رَبِّ كما أمرتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذَا رَدَدَّتَ يَدِي فمن ذا يَرْحَمُ
مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا ... وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمُ[٤]

---

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٢) برقم (٢٦٧٥) كتاب التوبة باب في الحض على التوبة والفرح بها.

(٣) النور: ٣١.

(٤) الأبيات لأبي نواس كما في كشف الخفاء (٢/ ٧٢). كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.



والتوبة سبيل لإغاظة الشيطان ومراغمته: فالقلب يذهل عن عدوه؛ فإذا أصابه منه مكروه استجمعت له قُوَته، وطلب بثأره إن كان قلبه حرًّا كريمًا؛ كالرجل الشجاع إذا جُرِح فإنَّه لا يقومُ له شيء، بل تراه بعدها هائجًا، طالبًا، مقْدامًا. والقلب المهين كالرجل الضعيف المهين؛ إذا جُرِح ولى هارِبًا، والجراحات في أكتافه.

وللتوبة آداب أهمها: التوجُّه إلى الله تعالي بقلب طاهر، والدعاء بصوت ملؤه الحزن والأسي والخشية، والتوجُّه إلي الله تعالي بمنتهى الخشوع والتواضع والانكسار، بحيث يكون التائب مطأطئ الرأس، منحني الظهر، وقد أحاطت الرعشة بقدميه فجعلته يرتعدُ، وقد اصطكَّت فرائصُه، وفاضت عيناه بالدموع بحيث سالت دموعه على خدِّيه، والالتفات إلى أنَّ الله تعالى لا يعظم عليه العفو عن الذنب العظيم، ولا يصعب عليه التجاوز عن الإثم الكبير، ولا يشقُّ عليه التجاوز عن الجرائم.

ختامًا: لا سبيل إلى الفلاح إلَّا بالتوبة والرجوع ممَّا يكرهه الله: ظاهرًا وباطنًا؛ إلى ما يُحِبُّه: ظاهرًا وباطنًا، ودلَّت هذه الآية على أنَّ كلَّ مؤمنٍ مُحتاج إلى توبة؛ لأنَّ الله خاطب المؤمنين جميعًا.



٢٩ رمضان

جوامع الدعاء

الدعاء من أجلِّ العبادات وأحبِّها إلى ربِّ البريات، وهو سمة العبودية واستشعار الافتقار لله والانكسار بين يديه والذلة.

والدعاء عبادة؛ قال ﷺ: " الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ" رواه الترمذي[١]، وهو طاعة لله، وامتثال لأمره؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢].

والدعاء أكرم شيء على الله تعالى؛ قال ﷺ: " لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ الدُّعَاءِ". رواه أحمد[٣].

والدعاء هو الوسيلة التي يستطيع بها العبد أن يخاطب الله تعالى ويطلب منه ما يتمنَّى. كما أنَّ من الناس من يطلب الولد، والبعض يطلب الرزق، والبعض يطلب الزواج، وغير ذلك من الأمور التي يتمنَّاها العبد في حياته الدنيا، فقد كان صلى الله عليه وسلم يختار في دعائه جوامع الدعاء، وهو الذي يحوي الكلمات القليلة مع سعة المعنى وشموله، واحتوائه على أجلِّ المقاصد، وأعلى المطالب، وقد أُوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، وكان من سُنَّته صلى الله عليه وسلم أن يدعو بجوامع الدعاء، فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ" رواه أبو داود[٤].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٢٩٧) برقم (١٨٣٥٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٦) برقم (١٤٧٩) كتاب الصلاة باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٢١١) برقم (٣٥١٣) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٤) برقم (١١٤٠٠) كتاب التفسير، سورة غافر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٥٨) برقم (٣٨٢٨) كتاب الدعاء باب فضل الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٤٦).

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٣٦٠) برقم (٨٧٤٨). والترمذي في جامعه (٥/ ٤٥٥) برقم (٣٣٧٠) أبواب الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٥٨) برقم (٣٨٢٩) كتاب الدعاء باب فضل الدعاء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٦٥). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٧٧) برقم (١٤٨٢) كتاب الصلاة باب الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٨٨٧).



لذلك ذكر الله تعالى في كتابه العظيم كثيرًا من الأدعية؛ لندعو بها أثناء تلاوة القرآن، وفي صلاتنا وسجودنا، وفي كل حال، ومن أكثرها شمولًا وله معانٍ عظيمة ما يأتي:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[١]، وقال ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢]، وقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٤].

ومن السُّنَّة النبوية الصحيحة فقد ثبت عن النبي ﷺ الكثير من جوامع الدعاء، التي تحتوي كلمات مختصرة، ومعانيها تشمل الكثير ممَّا يحتاجه المسلم ويطلبه من ربِّه، ومن هذه الأدعية ما يأتي:

" اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي، لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ" رواه البخاري[٥].

" اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بذَنْبِي، فَاغْفِرْ لي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأخْلَاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ ليسَ إِلَيْكَ، أَنَا بكَ وإلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ" رواه مسلم[٦].

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) آل عمران: ١٩٣- ١٩٤.

(٤) النمل: ١٩.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧١) برقم (٦٣٢٣) كتاب الدعوات باب ما يقول إذا أصبح.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٣٤) برقم (٧٧١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.



" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيرِ مَا سَأَلكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ" رواه أحمد[١].

ومن الجوامع للدعاء أيضًا: دعاء باستقامة القلوب على كل ما يُحِبُّه الله تعالى ويرضاه، والثبات على ذلك، لهذا كان أكثر دعاء النبي ﷺ:" يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ؛ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" رواه الترمذي[٢]، وجاء عنه ﷺ أنَّه كان يدعو:" اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ؛ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ" رواه مسلم[٣].

ومن جوامعه أيضًا ما ورد عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنَّه كان يدعو:" اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا" رواه الترمذي[٤].

ومن جوامعه ﷺ أيضًا ما ورد عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ لفاطمة- رضي الله عنها-:" ما يَمنعُكِ أنْ تسمَعِي ما أُوصِيكِ بهِ؟ أنْ تقولِي إذا أصبحتِ وإذا أمسيْتِ: يا حيُّ يا قيُّومُ؛ برحمتِكِ أستغيثُ، أصلِحْ لِي شأنِي كلَّهُ، وَلَا تكِلْنِي إلى نفسِي طرْفَةَ عيْنٍ" رواه النسائي[٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ٤٧٤) برقم (٢٥٠٩) وتتمته: «محمد صلى الله عليه وسلم، وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء تقضيه لي خيرا». وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٦٤) برقم (٣٨٤٦) كتاب الدعاء باب الجوامع من الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٥٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٩/ ١٦٠) برقم (١٢١٠٧). والترمذي في جامعه (٤/ ٤٤٨) برقم (٢١٤٠) أبواب القدر باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٥٦) برقم (٧٦٩٠) كتاب النعوت، قوله: ولتصنع على عيني. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٣٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٥) برقم (٢٦٥٤) كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٥٢٨) برقم (٣٥٠٢) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٤) برقم (١٠١٦١) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٢٧٢).

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢١٢) برقم (١٠٣٣٠) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١٠١٣).

ومن جوامع دعاؤه ﷺ:" اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قْضَيْتَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ" رواه أحمد(١). ومن جوامعه في الاستغفار؛ ما ورد عن شدَّاد بن أوس- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ أنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ. قالَ: ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ؛ فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ؛ فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ" رواه البخاري(٢). ومن جوامع أدعيته ﷺ:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ" رواه ابن ماجه(٣). ومن أدعيته ﷺ الجامعة ما روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ"(٤). وهذا دعاء رائع من أدعية النبي ﷺ الجامعة عن ابن عبَّاس- رضي الله عنه-:" رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي- أي خطيئتي-، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي" رواه الترمذي(٥).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٤٨) برقم (١٧٢٣). والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٨٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧) برقم (٦٣٠٦) كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧٣) برقم (٣٨٧١) كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨/ ٣٧١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٧) برقم (٢٧٢٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٥٢) برقم (١٩٩٧). وأبو داود في سننه (٢/ ٨٣) برقم (١٥١٠) كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل إذا سلم. والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٤) برقم (٣٥٥١) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٢٤) برقم (١٠٣٦٨) كتاب عمل اليوم والليلة، الاستنصار عند اللقاء. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٥٩) برقم (٣٨٣٠) كتاب الدعاء باب دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٨١).



ختامًا: أسأل اللهَ تعالى أن ينفع بهذه الأدعية الجامعة المباركة جميعَ المسلِمين، وأختم بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

---

(١) الحشر: ١٠.



٣٠ رمضان

صلاة العيد

إنَّ من رحمة الله تعالى بالمسلمين أن جعل لهم عبادات عظيمة يتقرَّبون بها إليه سبحانه وتعالى، وجعل لهم بعد انقضاء هذه العبادات أعيادًا يفرحون بها بفضل الله تعالى ورحمته أن وفَّقهم لأداء هذه العبادات وإتمامها، فعيد الفطر يأتي بعد عبادة الصيام، وعيد الأضحى يأتي بعد عبادة الحج، وإنَّ أوَّل ما يبتدئ به المسلم يوم عيده أن يُكبِّر الله تعالى، وأن يُصلِّي لله سبحانه صلاة العيد شكرًا على تمام نعمة الله بأداء الطاعات والعبادات، فينتقل المسلم في أعياده من امتثال لأمر إلهي بأداء العبادة، إلى أمر بالفرح بأدائها، ومن عبادة إلى عبادة، وكذا حياة المؤمن في جميع مراحلها، يتنقَّل فيها من طاعة إلى طاعة، امتثالًا لتوجيه الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1]، ولهذا فإنَّ صلاة العيد أصبحت من شعائر الإسلام التي شرعها لنا الإسلام وندبنا لأدائها، لما فيها من إظهار للفرح والسرور، وتعظيم لشعائر الله تعالى، وإظهار لشعار المسلمين، وقد قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[2].

وصلاة العيد هي الصلاة التي يُؤدِّيها المسلمون يوم عيد الفطر، ويوم عيد الأضحى، وعددها ركعتان، وفيها عدد من التكبيرات الزائدة عن غيرها من الصلوات، وصلاة العيد شريعة من شرائع الله تعالى الظاهرة، وهي عبادة خاصَّة تميَّزت بها أمة محمد ﷺ؛ فهي تُعتبَر أحد خصائصها، وتأتي هذه الشعيرة العظيمة خاتمة لعبادتين عظيمتين هما صيام رمضان وحجُّ بيت الله الحرام، وهي باب من أبواب شكر الله تعالى على هذه العبادات، بالإضافة إلى أنَّها داعية لاجتماع المسلمين وتوادِّهم وتراحُمهم وتصافي قلوبهم، وهي بركة وطُهر للمسلمين، كما أنَّها من أفضل النوافل، وهي من النوافل التي يأجر الله تعالى عباده عليها، إلَّا أنَّه لم يرد في فضلها أجرٌ مُحدَّد، ولكنَّها تدخل ضمن الأعمال الصالحة التي فيها طاعة لله تعالى ورسوله ﷺ، وطاعتهما هو سبب من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

---

(١) الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

(٢) الحج: ٣٢.



ويدور الحكم الفقهي لصلاة العيد بين ثلاثة أقوال:

١- الحنفية: ذهبوا إلى أنَّها واجبة؛ فأوجبوها على من تجب عليه الجمعة، إلَّا أنَّهم لم يُوجبوا خطبتها، وذهبوا إلى أنَّها سُنَّة، ودليلهم على وجوب صلاة العيد مواظبة النبي ﷺ على أداء صلاة العيد[١].

٢- المالكية والشافعية: ذهبوا إلى أنَّها سُنَّة مُؤَكَّدة في حقِّ من تجب عليه الجمعة؛ حيث تجب الجمعة على كلِّ ذكرٍ بالغٍ حُرٍّ مُقيمٍ في البلد الذي تُقام فيه الجمعة، وعند الشافعية تُشرَع للمنفرد كما تُشرَع للجماعة، وتُشرَع للمرأة والصبي، والمسافر والصغير والخنثى، ولا تُشرَع عند المالكية للصبي والمرأة والمسافر، واستدلَّ الشافعية والمالكية على أنَّها سُنَّة لأنَّ النبي ﷺ داوم عليها، ولقوله للأعرابي الذي سأل عن الصلاة:" خَمْسُ صَلَوَاتٍ في اليَومِ واللَّيْلَةِ. فَقالَ: هلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قالَ: لَا، إلَّا أنْ تَطَوَّعَ" رواه البخاري[٢][٣].

٣- الحنابلة: ذهبوا إلى أنَّ حكم صلاة العيدين فرض كفاية؛ فإن فعلتْها جماعة من المسلمين سقطتْ عن الباقين، وقد فعلها النبي ﷺ وخلفاؤه من بعده، ولكنَّها ليست فرضَ عينٍ على كل مسلم[٤].

وأقل عددٍ لصلاتها هو أربعون شخصًا، ويبدأ وقت صلاة عيد الأضحى عند ارتفاع الشمس في السماء على قدر رمح، أمَّا وقت صلاة الفطر فيبدأ عند ارتفاع الشمس بمقدار رمحين.

وعدد ركعات صلاة العيد ركعتان باتفاق الفقهاء، ودليل ذلك قول عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-:" صلاةُ الجمُعةِ رَكْعتانِ، وصلاةُ الفطرِ رَكْعَتانِ، وصلاةُ الأضحَى رَكْعتانِ، وصَلاةُ السَّفرِ رَكْعتانِ؛ تمامٌ غيرُ قَصرٍ على لِسانِ مُحمَّدٍ" رواه النسائي[٥].

---

(١) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢/ ٣٧)؛ تحفة الفقهاء (١/ ١٦٥). المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. تحفة الفقهاء، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي (المتوفى: نحو ٥٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٨) برقم (٤٦) كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٠) برقم (١١) كتاب الإيمان باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام.

(٣) ينظر: الإشراف على نكت مسائل الخلاف (١/ ٣٤٢)؛ المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٣٢٠)؛ الحاوي الكبير (٢/ ٢٨١). الإشراف على نكت مسائل الخلاف، المؤلف: القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي (٤٢٢هـ)، المحقق: الحبيب بن طاهر، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤) ينظر: الهداية على مذهب الإمام أحمد (ص: ١١٣)؛ المغني لابن قدامة (٢/ ٢٧٢). الهداية على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن، أبو الخطاب الكلوذاني، المحقق: عبد اللطيف هميم – ماهر ياسين الفحل، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٨٦) برقم (١٧٤٥) كتاب الجمعة، كم صلاة الجمعة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٤/ ٦٤).



صلاة العيد ركعتان؛ يُصلِّيهما المسلم بعد ارتفاع شمس يوم العيد، فيأتي الإمام فيقف خلفه المأمومون، فيُكبِّر جهرًا تكبيرة الإحرام رافعًا بها يديه، ويُكبِّرون وراءه، رافعين بالتكبير أيديهم، ويسكت الإمام سكتة تَسَعُ ثلاث تسبيحات، ثم يُكبِّر سبع تكبيرات، يسكت بين كل تكبيرة وأخرى بمقدار ثلاث تسبيحات، ويُكبِّر المأمون وراءه، ولهم أن يرفعوا أيديهم عند كل تكبيرة، ثم يقرأ الإمام الفاتحة وسورة بعدها، ثم يركع ثم يرفع، ثم يسجد، ثم يجلس ثم يسجد ثم يقوم للركعة الثانية، فيُكبِّر خمس تكبيرات بعد تكبيرة القيام، والناس وراءه يُكبِّرون مثلما فَعلوا في الركعة الأولى، ولو زاد تكبيرة أو نقص تكبيرة سهوًا أو عمدًا، فلا شيء عليه.

ويُشرَع قضاء صلاة العيد لمن فاتتْه متى شاء في باقي اليوم أو في الغد وما بعده أو متى اتَّفقَ كسائر الرواتب، وإن شاء صلَّاها على صفة صلاة العيد بتكبير، وإلى ذلك ذهب الإمامان: مالك والشافعي[1]؛ ولأنَّه قضاء صلاة، فكان على صفتها كسائر الصلوات، وهو مُخيَّرٌ إن شاء صلَّاها وحده، وإن شاء في جماعة، وإن شاء مضى إلى المصَلَّى، وإن شاء حيث شاء.

قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: والأفضل يُعيدُها، أمَّا إذا قلنا بالوجوب العيني وجب القضاء. أمَّا بالقول بأنَّها كفاية أو أنَّها سُنَّة استُحبَّ قضاؤها ركعتين[2].

وإنَّ لصلاة العيد العديد من السنن والآداب، ومنها ما يأتي:

الصلاة في مكان واسع خارج المدينة أو البلدة، وذلك من باب إظهار شعيرة الصلاة واجتماع المسلمين.

تقديم صلاة عيد الأضحى، وتأخير صلاة عيد الفطر.

الأكل قبل الخروج إلى الصلاة في عيد الفطر، ويُسنُّ أكْل تمرات، أمَّا في عيد الأضحى فيُسنُّ تأخيرُ الأكل لما بعد الصلاة.

التبكير في الذهاب لصلاة العيد، وذلك ليكون قريبًا من الإمام، وليأخذ أجر انتظار الصلاة.

الاغتسال والتطيُّب والتجمُّل ولبْس أفضل الثياب.

الوعظ والتذكير في خطبة العيد، وحثُّ الناس على فضائل الأعمال وأمور الدين، وترغيبهم في أجر الأضحية وتبيين أحكامها، ووعظ النساء وتذكيرهنَّ.

---

(١) ينظر: شرح التلقين (١/ ١٠٦٣)؛ البيان في مذهب الإمام الشافعي (٢/ ٦٥١). شرح التلقين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (المتوفى: ٥٣٦هـ)، المحقق: سماحة الشيخ محمَّد المختار السّلامي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

(٢) ينظر موقع الشيخ عليه رحمة الله: https://binbaz.org.sa/categories/fiqhi/42?page=11.



الإكثار من ذكر الله تعالى، والتكبير على وجه الخصوص لقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]، ويُسنُّ للرجال الجهر بالتكبير في الطرق والأسواق، وللنساء السِرُّ به.

الذهاب إلى صلاة العيد من طريق والرجوع من طريق آخر، وذلك ليشهد له الطريقان بالخير، وفي ذلك إظهار لشعيرة الإسلام، وقد فعل النبي ﷺ ذلك فيما رواه جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قال:"كانَ النبيُّ ﷺ إذَا كانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ" رواه البخاري[٢].

وليس لصلاة العيد راتبة قبلها ولا بعدها؛ لأنَّها سُنَّة وليست فرضًا، ولم يثبت أنَّ رسول الله ﷺ صلى راتبة قبلها أو راتبة بعدها؛ عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال:" خرج رسول الله ﷺ يوم العيد فصلَّى ركعتين، لم يُصلِّ قبلها ولا بعدها" رواه البخاري[٣].

ختامًا: العيد اسمٌ لكلِّ ما يُعتاد ويعود ويتكرَّر، والأعياد شعارات توجد لدى كل الأمم؛ سواء أكانت كتابية أم وثنية أم غير ذلك، وذلك لأنَّ إقامة الأعياد ترتبط بغريزة وجبلة طُبِع الناس عليها، فكلُّ الناس يُحبُّون أن تكون لهم مناسبات يحتفلون فيها، ويجتمعون ويُظهرون الفرح والسرور، ولقد اختصَّ الله المسلمين بهذين العيدين لا غير، ولا يحلُّ للمسلمين أن يتشبَّهوا بالكفَّار والمشركين في شيء ممَّا يختصُّ بأعيادهم، لا من طعام ولا من لباس.

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٣) برقم (٩٨٦) أبواب العيدين باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد.

(٣) رواه البخاري في صحيحه بلفظ قريب منه (٢/ ١٩) برقم (٩٦٤) أبواب العيدين باب الخطبة بعد العيد. ومسلم في صحيحه بلفظ قريب منه (٢/ ٦٠٦) برقم (٨٨٤) كتاب صلاة العيدين باب ترك الصلاة قبل العيد وبعدها في المصلى.




تم بحمد الله

٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر شوال



كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء العاشر

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر شوال الجزء العاشر من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٢٨ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٢ / ١٤٤٥
ردمك :٥-٢-٣٠٢-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم



إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل في تشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويرضي اللهَ عز وجل.





مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القاري الكريم الجزء العاشر من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضم فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ. تمَّ تقسيمها على أيام السنة الهجرية بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مخصص لفوائد شهر شوال، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحجة لكاتبه وقارئه وكل من أعان على نشره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه
أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن
drkhalid63@gmail.com
الرياض
شهر شوال ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر شوال



غُرَّة شوَّال

واعبد ربَّك حتَّى يأتيَك اليقينُ

في هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[(١)]؛ دعوة صريحة من الله تعالى لعبده المؤمن؛ إلى ضرورة المداومة على العبادة، حتَّى يلقى ربَّه، وقد ضلَّت شرذمة منحرفة عن الشرع؛ حين فسَّرت اليقين بمعرفة الله تعالى؛ فأسقطت التكاليف عنها وعن أتباعها؛ إذا وصل أحدهم إلى درجة المعرفة الحقَّة بالله في زعمهم، لأنَّ العبادات عندهم وسائل تتحقَّق من خلالها معرفة الله، ولا شكَّ أنَّه لا حظَّ لهذه الفئة من الإسلام، وما هي عليه هو الكفر بعينه.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: اليقين هو الموت، والمعنى أي: استمرْ في جميع الأوقات على التقرُّب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثلَ صلى الله عليه وسلم أمرَ ربِّه، فلم يزلْ دائبًا في العبادة، حتَّى أتاه اليقين من ربِّه صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا[(٢)]؛ فاليقين في الآية هو الموت، والدليل على أنَّ اليقين هو الموت، ما رواه البخاري من حديث أم العلاء الأنصارية وكانت من المبايعات، وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أمَّا عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقينُ من ربِّه، وإنِّي لأرجو له الخير، واللهِ ما أدري- وأنا رسولُ الله- ما يُفعَل بي"[(٣)]، وكان عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- يقول:" ما رأيتُ يقينًا أشبهَ بالشكِّ من يقين الناس بالموت ثم لا يستعدُّون له، يعني كأنَّهم فيه شاكُّون"[(٤)].

وهذه الآية العظيمة تضع للمسلم خريطة طريق حياته، حيث تفيض علينا بالعديد من الفوائد التربوية التي يجب على المسلم أن يضعها نُصب عينيه، ويتمسَّك بها، ويعضَّ عليها بالنواجذ، حتَّى يلقى الله عزَّ

---

(١) الحجر: ٩٩.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٣٥). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٨) برقم (٧٠١٨) كتاب التعبير باب العين الجارية في المنام. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٦٤). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.



وجلَّ، وهي فوائد تنير للمسلم طريق حياته في ظلمة مطبقة من تراكم هموم الدنيا ومغرياتها، وتَعصمه من الزلل والوقوع في منعطفات الطريق، وتقيه من الضياع في فيافي الحياة الموحشة المقفرة.

وإنَّ **أول هذه الفوائد** التربوية أنَّ للمسلم غاية واحدة واضحة وضوح الشمس في صفحة السماء، لا يرى سواها ولا يحيد عنها، وهذه الغاية قد حدَّدها لنا ربُّنا في الآية الكريمة بقوله: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ ﴾.

وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[(١)] قال أهل التفسير: أي خَلَقَهم لِأَمْرِهِم بعبادة الله وحده ونهيهم عن كل ما سواه، وبها- أعني العبادة- أرسل جميع الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[(٢)].

ثانيًا: دقِّقْ معي في قول الله في الآية: ﴿ رَبَّكَ ﴾، فهل لك ربٌّ سواه؟ هذه مشكلة الكثير من الناس الذين اتَّخذوا أربابًا من دون الله: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾[(٣)].

ثالثًا: أن يلتزم المسلم بهذه الغاية طول حياته: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾، فكلمة (حتَّى) تنمُّ عن مدى هذه العبادة.

رابعًا: لا يوجد عمل سوى العبادة تُغطِّي حياة المسلم كلَّها، وعليه فيجب أن تكون كلُّ حركات وسكنات المسلم بكل حياته مُحقِّقة لذلك: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[(٤)].

خامسًا: أنَّ عبادة المسلم تكون بالطريقة التي حدَّدها الله له في كتابه الكريم، وأرسل محمَّدًا صلى الله عليه وسلم مُطبِّقًا لها في الحياة قولًا وفعلًا وإقرارًا، هذا المنهج القويم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[(٥)]، هذه أكبر نعم الله تعالى على البشرية جميعًا؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا حلال إلَّا ما أحلَّه، ولا حرام إلَّا ما حرَّمه، ولا دين إلَّا ما شرعه.

سادسًا: أنَّ تدرُّج المسلم في مراتب اليقين قد يحتاج إلى مدى عمر الإنسان.

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الأنبياء: ٢٥.

(٣) يوسف: ١٠٦.

(٤) الأنعام: ١٦٢.

(٥) المائدة: ٣.



ويُعرِّف العلماءُ اليقينَ بأنَّه: العلم الذي يوجد عنده بَرْدُ الثقة في الصدر(١)، وقيل: هو تصديق الشيء تصديقًا مُؤَكَّدًا بحيث لا يطفو على سطح الذهن أيُّ شكٍّ لمناقشته، ومصادر اليقين ثلاثة:

المصدر الأول: علمٌ ممَّن تثق بصدقه، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾(٢).

المصدر الثاني: عينٌ ترى الحدث فتتيقَّنه، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾(٣).

المصدر الثالث: هو حقيقة تدخل فيها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٤).

وانظر كيف سعى إبراهيم- عليه السلام- للسُّموِّ بدرجات يقينه، فسأل ربَّه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٥)، هنا وصل إبراهيم- عليه السلام- إلى مرتبة عين اليقين، ثم ارتقى يقينه إلى حقِّ اليقين عندما نجَّاه ربُّه من النار: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(٦)، وممَّا ينبغي أن يُعلَم أنَّ اليقين يقوى ويضعف، ويزداد وينقص، فهو درجات متفاوتة.

سابعًا: أنَّ تدرُّج المسلم في درجات اليقين لا يكون إلَّا بجهاد النفس وأشواقها، والحياة وأشواكها؛ ممَّا يستلزم معه الصبر: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٧).

هذه النقاط المحدَّدة تُوضِّح لنا خريطة العمل التي يجب السير بها: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٨).

---

(١) ينظر: تفسير ابن فورك (٣/ ٨٨).

(٢) التكاثر: ٥.

(٣) التكاثر: ٧.

(٤) الواقعة: ٩٥- ٩٦.

(٥) البقرة: ٢٦٠.

(٦) الأنبياء: ٦٨- ٦٩.

(٧) آل عمران: ١٤٢.

(٨) يوسف: ١٠٨.

ومن أهمِّ الدروس والثمرات المستفادة من قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[(١)]، أنَّه يجب على المسلم ألَّا يلتفت لما يقوله المستهزئون من المنافقين والمشركين بدين الله وشعائره التي أمر بها. بل يستمرُّ في التسبيح وفي تأدية العبادات والصلاة والسجود والصوم حتَّى يدركه الموت، والمسلم مُطالَب بالاستمرار في تأدية العبادات وطاعة الله عزَّ وجلَّ ما دام على قيد الحياة. حتَّى الأنبياء والرسل لم يستثنهم الله من القيام بالعبادات. كما تُبيِّن لنا تلك الآية أيضًا أنَّ اليقين لا يتحقَّق- لأي مخلوق كان، ومهما بلغ من العلم درجات- إلَّا عند موته.

الخلاصة: تدعونا الآية الكريمة إلى العبادة المستمرَّة، وذلك لإثبات القضية العظمى، وهي صدق العبد مع الله، وحبُّه لأمْر الله ونهيه، وقوَّة إيمانه بالرسالة التي أتى بها المصطفى صلى الله عليه وسلم ليُخرِج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان، عند ذلك يأتي الكرم من أكرم الأكرمين لمثل هؤلاء الصادقين، ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: "إذا أرادَ اللَّهُ بعبدٍ خيرًا استعملَهُ. فقيلَ: كيفَ يستعملُهُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: يوفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ موتِه". رواه أحمد[(٢)].

---

(١) الحجر: ٩٩.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٩/ ٩٣) برقم (١٢٠٣٦). والترمذي في جامعه (٤/ ٤٥٠) برقم (٢١٤٢) أبواب القدر باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣١١). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م. صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



٢ شوَّال

ثم أتبعه ستًّا من شوَّال

شهر شوَّال هو الشهر العاشر من شهور السنة الهجرية، وهو أوَّل شهرٍ من أشهر الحج، وتُشرَع فيه عدَّة عبادات إلى جانب صيام ستَّة أيام منه، وقد شاء الله تعالى أن يكون لكل عملٍ من الأعمال الصالحة فضيلة وأجر؛ ليُقبِل العبد على تلك الأعمال، وقد رتَّب الله على أداء العبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وغيرها الكثير من الأجور؛ فمعرفة تلك الأُجور والفضائل سببٌ في إقبال المسلم عليها بشغف، فلا ينشغل عنها بشيء آخر، ويحفظ بها وقته، وينال بذلك ما وعده به ربُّه، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١].

ويُعَدُّ فضْل صيام الستِّ من شوَّال بعد شهر رمضان الفضيل، فرصة مهمَّة لكسب الحسنات، بحيث يقف الصائم على أعتاب طاعة أخرى، بعد أن فرغ من صيام رمضان، ولقد أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمَّته إلى فضْل صيام الستِّ من شوَّال، وحثَّهم بأسلوب يُرغِّب في صيام هذه الأيام، لأنَّ العديد من الفضائل تترتَّب عليه، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَن صامَ رَمَضانَ ثُمَّ أتْبَعَهُ سِتًّا مِن شوَّال؛ كانَ كَصِيامِ الدَّهْرِ"[٢].

ويصحُّ صيامها متفرِّقة أو متتابِعةً؛ من أوَّل الشهر أو أوسطه أو آخره، ويقصد بقول النبي صلى الله عليه وسلم:" كان كصِيام الدّهر"؛ أي: أنَّ أَجر صيام ستَّة أيامٍ من شوَّال بعد رمضان؛ يعدل أَجر صيام الدهر في الأجر والثواب.

وقد اختلف العلماء في حكم ذلك، وذهبوا فيه إلى قولين:

---

(١) النحل: ٩٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٢٢) برقم (١١٦٤) كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.



الأول: قال جمهور العلماء من الشافعية[١]، والحنابلة[٢]، والبعض من المالكية[٣]، والحنفية[٤] بأنَّ صيام السِّتِ من شوَّال مُستحَب، واستدلُّوا على ذلك بما روي عن ثوبان، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" صيامُ شَهرِ رَمَضانَ بِعَشرةِ أشهُرٍ، وسِتَّةُ أيَّامٍ بَعْدهُنَّ بِشَهرين، فذلك تمامُ سَنَةٍ". رواه أحمد[٥]، ممَّا يُؤَكِّد فضيلة صيام ستة أيام من شهر شوَّال.

---

(١) ينظر: اللباب في الفقه الشافعي (ص: ١٩٠)؛ الحاوي الكبير (٣/ ٤٧٥). اللباب في الفقه الشافعي، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم الضبي، أبو الحسن ابن المحاملي الشافعيّ (المتوفى: ٤١٥هـ)، المحقق: عبد الكريم بن صنيتان العمري، الناشر: دار البخارى، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

(٢) ينظر: التذكرة في الفقه لابن عقيل (ص: ٩٦)؛ المغني لابن قدامة (٤/ ٤٣٨). التذكرة في الفقه «على مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل»، المؤلف: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي (المتوفى سنة ٥١٣هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور ناصر بن سعود بن عبد الله السلامة، القاضي بمحكمة عفيف، الناشر: دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. المغني، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى : ٦٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، ط: عالم الكتب، الرياض - السعودية، الطبعة: الثالثة، سنة النشر: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣) ينظر: التبصرة للخمي (٢/ ٨١٥)؛ التنبيه على مبادئ التوجيه (٢/ ٧٦١). التبصرة، المؤلف: علي بن محمد الربعي، أبو الحسن، المعروف باللخمي (المتوفى: ٤٧٨ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م. التنبيه على مبادئ التوجيه - قسم العبادات، المؤلف: أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي المهدوي (المتوفى: بعد ٥٣٦هـ)، المحقق: الدكتور محمد بلحسان، الناشر: دار ابن حزم، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٤) ينظر: فتح باب العناية (١/ ٥٨١) . فتح باب العناية بشرح النُّقاية، المؤلف: نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد الهروي القاري (٩٣٠ - ١٠١٤ هـ) مؤلف النقاية: صدر الشريعة عُبيد الله بن مسعود المحبوبي ت ٧٤٧ هـ) المحقق: محمد نزار تميم، هيثم نزار تميم، تقديم: خليل الميْس مدير أزهر لبنان، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٩٤) برقم (٢٢٤١٢). والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٢٣٩) برقم (٢٨٧٣) كتاب الصيام صيام ستة أيام من شوال. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٧١٥). السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م. صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.



واستدلُّوا أيضًا بقول الله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[١]، ويُفسَّر ذلك بأنَّ الحسنة بعَشْر أمثالها، وصيام شهر رمضان يعادل ثلاثين حسنة، وكلَّ حسنة بعشر؛ أي: ثلاثمائة حسنة، وصيام ستة أيام يعادل ستين حسنة، وبذلك يصبح مجموع أجر صيام رمضان وستة أيام بعده؛ ثلاثمائة وستين حسَنة تقابل عدد أيام السنة.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره: يُخبر تعالى عن مضاعفة فضْله، وتمام عدْله فقال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ ﴾ شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنَّه قد يعملها ولكن يقترن بها ما لا تُقبَل منه أو يُبطلها. وهذا التضعيف للحسنة لا بُدَّ منه، وقد يقترن بذلك من الأسباب ما تزيد به المضاعفة، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢][٣]؛ فالآية عامَّة تدلُّ على أنَّ أجر كلِّ العبادات مُضاعَف إلى عشرة أمثال، إلَّا الصيام الذي استثني بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله عزَّ وجلَّ:" كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له إلَّا الصَّوْمَ، فإنَّه لي وأنا أجْزِي به، ولَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ". رواه البخاري[٤].

القول الثاني: ورد عن بعض فقهاء المذهب الحنفي[٥] والمالكي[٦] كراهة صيام ستَّة أيامٍ من شهر شوَّال؛ لعدم ورود أي نص عن أهل العلم والفقه والسَلَف يشير إلى أنَّهم كانوا يصومون ستَّة أيام من شوَّال بعد رمضان؛ خوفًا من وقوع الناس في البدعة؛ بظنِّهم وجوب الصيام.

---

(١) الأنعام: ١٦.

(٢) البقرة: ٢٦١.

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٢٥). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٦٤) برقم (٥٩٢٧) كتاب اللباس باب ما يذكر في المسك.

(٥) ينظر: المحيط البرهاني في الفقه النعماني (٢/ ٣٩٣)؛ فتح باب العناية (١/ ٥٨١). المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، المؤلف: أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٦) ينظر: التنبيه على مبادئ التوجيه (٢/ ٧٦١)؛ عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة (١/ ٢٥٩). عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، المؤلف: أبو محمد جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي (المتوفى: ٦١٦هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. حميد بن محمد لحمر، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

والراجح الرأي الأول، وهذا ما رجحه الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: فالصواب: أنَّه من الأمور المطلوبة المسنونة التي حثَّ عليها النبي صلى الله عليه وسلم، ورغَّب فيها، لكن كون الإنسان يعتقد أنَّها فرض- بحيث إنَّه إذا صامها في عامٍ رأى أنَّه لزامًا عليه أن يصومها كل سَنة- فليس كذلك، هي سُنَّة، من صامها حصل الأجر، ومن لم يصمْها فليس عليه وزر(١).

وصيام هذه الستِّ بعد رمضان دليلٌ على شُكْر الصائم لربِّه تعالى على توفيقه لصيام رمضان، وزيادة في الخير، كما أنَّ صيامها دليلٌ على حُبِّ الطاعات ورغبة في المواصلة في طريق الصالحات. وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشُكْر نعمة صيام رمضان بإظهار ذِكْره، وغير ذلك من أنواع شُكْره، فقال تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢)، فمِن جُملة شُكْر العبد لربِّه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شُكْرًا عقيب ذلك. غير أنَّ السادة المالكية كرهوا صيامها في حقِّ مَن يُقتدَى به، ومَن يُخاف عليه اعتقاد وجوبها إن صامها مُتَّصلة برمضان مُتتابعة مُظهِرًا لها مُعتقِدًا سُنِّيَّة اتصالها.

وأمَّا عن صيام الستِّ من شوَّال لمن عليه قضاء، فالأفضل له أن يقضي ما عليه من الأيام قبل أن يتنفَّل، ويجوز له أن يُقدِّم صيام الستِّ على القضاء؛ لأنَّ قضاء رمضان على التراخي، ويجوز له أن يجمَع بين نية القضاء وصيام الست من شوَّال بشرط أن تكون نيَّة القضاء هي الأصل. وقيل: تعجيل القضاء لما فات من رمضان أولى من النافلة.

ومن المسائل المتعلِّقة بصيام ستٍّ من شوَّال ما يلي:

أوَّلًا: لا يتمُّ هذا الفضْل إلَّا لمن بادر بقضاءِ ما فاته من رمضان أوَّلًا، ثم أتبعه بستٍّ من شوَّال، فيبدأ بالقضاء، ثم يصوم الستَّ من شوَّال.

ثانيًا: يتوهَّم بعض الناس أنَّ مَن صامها عامًا لزمتْه كلَّ عام؛ فلذلك يتقاعس عن صيامها حتَّى لا تجب عليه بعد ذلك، وهذا كلام باطل لم يقُلْه أحدٌ من أهل العلم، ولا دليل عليه.

ثالثًا: مَن شرع في صيام يومٍ من الستِّ، ثم بدا له أن يُفطر لأمرٍ عرض له؛ فلا بأس بالفطر؛ لأنَّ صوم التطوُّع يجوز قطعه، ويصوم بدلًا عنه يومًا آخر، بخلاف صوم القضاء؛ فمَن شرع فيه لم يَجُز له قطعه إلَّا بعذر شرعي كسفرٍ أو مرض.

---

(١) اللقاء الشهري (٤٢/ ١١). اللقاء الشهري، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٢) البقرة: ١٨٥.

رابعًا: يصح صيام الستِّ من شوَّال بنيَّة مِن النهار، فلا يُشترَط في صيامها تبييت النيَّة من الليل؛ لأنَّها من صوم التطوُّع، وصوم التطوُّع لا يُشترَط لصحَّته تبييت النيَّة، وليس لمن فرَّق بين التطوُّع المطلَق والتطوُّع المعيَّن دليلٌ من السُّنَّة يُعتمَد عليه، والفقهاء الذين يُصحِّحون التطوُّع بنيَّة من النهار لا يُفرِّقون بين التطوُّع المطلَق والتطوُّع المعيَّن.

أخيرًا: يُعلِّمنا ربُّنا سبحانه وتعالى أنَّ النجاح والفوز مستويات؛ فالفرض شهر رمضان يُمثِّل المستوى الأول، فإذا أردتَ أن ترتفع إلى المستوى الأعلى وتتدرَّج في مدارج الفلاح؛ ففرصة صيام ستَّة أيام من شهر شوَّال فرصةٌ لا تُعوَّض، سواءً أصُمْتَها مُتتابِعة- وهو الأفضل- أم مُتفرِّقة. فكلاهما صحيحٌ.

٣ شوَّال

فضْل صلة الأرحام وتحريم العقوق والقطيعة

إنَّ من مقاصد الإسلام؛ نشْر المحبَّة والألفة، ونبْذ التخاصُم والتدابُر والأحقاد، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾[١]، وعن النعمان بن بشير- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى". رواه البخاري[٢].

وقد اتَّفقت الأمة على أنَّ صلة الرحم واجبة، وأنَّ قطيعتها مُحرَّمة، ولو كان الموصول كافرًا، فقد صحَّ عن أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنهما- قالت:" قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وهي مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ قُرَيْشٍ، إذْ عَاهَدُوا رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ومُدَّتِهِمْ مع أَبِيهَا، فَاسْتَفْتَتْ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ؛ إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وهي رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قالَ: نَعَمْ، صِلِيهَا". رواه البخاري[٣]، فأمَرَها صلى الله عليه وسلم بِصَلَتِها وهي كافرة.

ولهذا لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[٤]، دعا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قريشًا، فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ، فقال:" يا بني كعبِ بنِ لؤيٍّ، يا بني مرةَ بنِ كعبٍ، يا بني عبدِ شمسٍ، ويا بني عبدِ منافٍ، ويا بني هاشمٍ، ويا بني عبدِ المطلبِ؛ أنقذوا أنفُسَكم من النارِ، ويا فاطمةُ؛ أنقذي نفسَكِ من النارِ، إنِّي لا أملكُ لكم من اللهِ شيئًا، غيرَ أنَّ لكم رحمًا سأبُلُّها ببلالِها". رواه النسائي[٥].

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١١) كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٩) برقم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآدب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٠٣) برقم (٣١٨٣) كتاب الجزية باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٩٦) برقم (١٠٠٣) كتاب الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين.

(٤) الشعراء: ٢١٤.

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٥٩) برقم (٦٤٣٨) كتاب الوصايا، إذا أوصى لعشيرته الأقربين. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٨/ ٢١٦). والحدث أصله في الصحيحين: رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦) برقم (٢٧٥٣) كتاب الوصايا باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟. ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٢) برقم (٢٠٤) كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤]. صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.



أي إنَّ لكم قرابة سأصلها بصلتها وبالإحسان إليها، ولكنِّي لا أُغني عنكم من الله شيئًا، وهذا هو حال المسلم؛ لما يفيض قلبه محبَّة ورأفة ورحمة على جميع خلْق الله، فيرجو لهم الخير، ويدفع عنهم الشَّرَّ والأذى ما استطاع، وخاصَّة ذوي القُربى.

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم مليئة بالحثِّ على صلة الأرحام، والتحذير من القطيعة والهِجران، ومن هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ ﴾[١]؛ أي: اتَّقوا الله تعالى أن تعصوه، واتَّقوا الأرحام أن تقطعوها.

وقال تعالى: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾[٢]، قال الإمام الطبري- رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية الكريمة: هؤلاء الذين يفعلون هذا- يعني: الذين يُفسِدون ويَقطعون الأرحامَ- الذين لعنهم الله، فأبعدهم من رحمته فأصمَّهم، بمعنى: فسلبهم فَهْمَ ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله تعالى في تنزيله، ﴿وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾؛ بمعنى: وسلبهم عقولهم، فلا يتبيَّنون حجج الله سبحانه، ولا يتذكَّرون ما يرون من عِبَره وأدلَّته[٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴾[٤]، يقول الإمام السعدي- رحمه الله-: وهذا عام في كل ما أمر الله تعالى بوَصْله؛ من الإيمان به سبحانه وبرسوله صلى الله عليه وسلم، ومحبَّتِه تعالى ومحبَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويَصِلون آباءهم وأمَّهاتِهم ببرِّهم بالقول والفعل وعدم عقوقهم، ويَصِلون الأقارب والأرحام بالإحسان إليهم قولًا وفعلًا، ويَصِلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك بأداء حقِّهم كاملًا مُوفَّرًا من الحقوق الدينيَّة والدنيويَّة، والسبب الذي يجعل العبد واصلًا ما أمر الله تعالى به أن يوصل؛ خشية الله تعالى وخوف يوم الحساب؛ ولهذا قال الله سبحانه: ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾؛ أي يخافونه، فيمنعهم خوفهم منه ومن القدوم عليه يوم الحساب؛ أن يتجرأوا على معاصي الله تعالى، أو يُقصِّروا في شيء ممَّا أمر الله سبحانه به؛ خوفًا من العقاب، ورجاءً للثواب[٥].

---

(١) النساء: ١.

(٢) محمد: ٢٢- ٢٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٨). جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٤) الرعد: ٢١.

(٥) تفسير السعدي (ص: ٤١٦).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله-: صلة الرحم ليس فيها حدٌّ؛ لا في المدَّة، ولا في الكيفيَّة، ولا بالذي يُوصَل به؛ مالٌ أو كسوة أو غيره، فجاءت النصوص مُطلِقة صلة رحم، فما عدَّه الناس صلة فهو صلة، وما عدُّوه قطيعة فهو قطيعة؛ وبهذا تختلف الأحوال، قد يكون الناس في حال فقر والأقارب يحتاجون كثيرًا؛ فهنا لا بُدَّ أن أصِلَهم بالمال، وقد يكون بعض الأقارب مريضًا يحتاج إلى عيادة؛ فلا بُدَّ أن أعوده، فالمهم أنَّ صلة الأرحام موكولة إلى عُرْف الناس، وليس لها حدٌّ[1]، ومعرفة كيفيَّة صلة الرحم من الأمور الهامَّة للسعي لتفعيل هذه الكيفيَّة بكل سبيلٍ يُؤدِّي إلى تحقُّقها وجني ثمارها.

وفيما يلي بيانٌ لجملة من الفوائد الشرعية:

أوَّلًا: صِلة الرحم مع مَن قطَعَها: فعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ليس الواصِلُ بالمكافِئ، ولكنَّ الواصل الَّذي إذا قُطِعتْ رَحِمُه وصلَها"؛ رواه البخاري[2]، وفي هذا الحديث الشريف تبيانٌ عظيم للحثِّ على صلة الرحم والوفاء بحقِّها؛ فمَن يصلْ مَن وَصَلَه فهو مُكافئٌ لهذه الصلة، ولكنَّ مَن يصلِ الرحم مع مَن قطَعَها؛ فهو حقًّا يعرف قدْر وفضيلة صلة الرحم، ويجاهد نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى.

ثانيًا: الصدقة على ذوي الأرحام: فعن حكيم بن حزام- رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أفضل الصدقة؛ الصَّدقةُ على ذي الرحِمِ الكاشح". رواه أحمد[3]، فأفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الذي يُضمِر العداوة، لأنَّها علامة الإخلاص طمعًا في مرضاة الله الكريم، كما يجب على المسلم أن يحفظ ماء وجه الغير من صلة الأرحام وغيرهم.

ثالثًا: الدعاء بظهر الغيب: وهو دعاء مستجاب بفضْل الله تعالى؛ فعن صفوان بن عبد الله بن صفوان- رضي الله عنه- قال:" قدمتُ الشامَ، فأتيتُ أبا الدَّرداء في منزله فلم أجدْه، ووجدتُ أمَّ الدَّرداء، فقالت: أتريدُ الحجَّ العامَ؟ فقلتُ: نعم، قالت: فادعُ اللهَ لنا بخيرٍ؛ فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه

---

(١) ينظر: لقاء الباب المفتوح (٧٣/ ٣٨). لقاء الباب المفتوح، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ]، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦) برقم (٥٩٩١) كتاب الأدب باب ليس الواصل بالمكافئ.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٥١١) برقم (٢٣٥٣١). والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (٣/ ٤٠٤). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

وسلم كان يقول: دعوةُ المرء المسلم لأخيه بظهرِ الغيبِ مُستجابةٌ، عند رأسِه ملَكٌ مُوكَّل، كلَّما دعا لأخيه بخيرٍ قال المَلَكُ الموكَّل به: آمين، ولكَ بمِثل". رواه مسلم(١).

وفي الختام: وسائل صلة الرحم كثيرة ومنها المهاتفة، سُئل الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله-: هل تجوز صلة الرحم عبر التليفون؟ فأجاب: نعم، هذا من صلة الرحم، المكالمة الهاتفيَّة، والمكاتبة بالقلم، كلُّها من الصلة، كونه يكتب إليه، إلى أخيه، أو عمِّه، أو قريبه، يسأله عن صحَّته وعن حاله، أو يُكلِّمه بالهاتف؛ كلُّه طيِّب، كلُّه من الصلة(٢).

حسبُكَ مِن ذُلٍّ وسُوءِ صنعةٍ ... مُعَادَاةُ القُرْبَى وإنْ قيلَ: قاطِعُ
ولكنْ أواسيه وأنسى ذنبَهُ ... لتُرجِعَهُ يومًا إليَّ الرَّوَاجِعُ
ولا يستوي في الحُكْمِ عَبْدَانِ: وَاصِلٌ ... وعبدٌ لأرحامِ القَرَابَةِ قَاطِعُ(٣)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٤) برقم (٢٧٣٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب.

(٢) من سؤال لسماحته رحمه الله بعنوان صلة الرحم عبر الهاتف. ينظر موقع الشيخ عليه رحمة الله: https://binbaz.org.sa/fatwas/14502/%D8%B5%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%85-%D8%B9%D8%A8%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A7%D8%AA%D9%81 .

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ١٥٣). أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

٤ شوَّال

إنَّك لا تهدي مَن أحببْتَ

هداية الله تعالى للعبد وإضلاله له من أهمِّ أبواب القدَر ومسائله، وإنَّ أفضل ما يُقدِّره الله تعالى للعبد هو الهُدى، وأعظم ما يبتليه به ويُقدِّره عليه هو الضلال، وقد اتَّفقت رسل الله جميعًا، وكذلك كُتُبُهُ المنزَّلة على أنَّ الله يَهدي مَن يشاء ويُضلُّ مَن يشاء، فالهُدى والضلال بيده، وطلب الهداية والسعي إليها من طلب العبد وكسبه.

والهداية هي الدلالة والتعريف، والإرشاد، والوصول إلى المطلوب، وفي الحديث:" أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إلى المدِينَةِ وهو مُرْدِفٌ أبا بَكْرٍ، وأَبُو بَكْرٍ شيخٌ يُعْرَفُ، ونَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شابٌّ لا يُعْرَفُ، قالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أبا بَكْرٍ فيَقولُ: يا أبا بَكْرٍ؛ مَن هذا الرَّجُلُ الذي بيْنَ يَدَيْكَ؟ فيَقولُ: هذا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ". رواه البخاري[١]. أي: يُعرِّفُني ويدلُّني ويُرشدني إلى الطريق، فيحسب الحاسب أنَّ أبا بكر- رضي الله عنه- يريد الطريق، وإنَّما هو يعني سبيل الخير وطريق الوصول إلى الله تعالى.

والهداية أنواع؛ فمنها: هداية الدلالة، وهداية التأييد والتوفيق؛ فهداية الدلالة هي الهداية التي يقدر عليها الرسل- عليهم السلام- وأتباعُهم من الدعاة إلى الله تعالى، إذ يُرشدون الناس إلى الطريق الصحيح الذي يُرضي الله تعالى عنهم، ويُنجيهم يوم القيامة من عذابه، ولا يملك الرسل والدعاة نتائج الهداية، فيبذلون جهدهم بقدر ما يستطيعون، وتبقى النتائج بيد الله وحده؛ حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[٢]. قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: يُخبر تعالى: إنَّكَ- يا محمد، وغيرُك من باب أولى- لا تقدر على هداية أحد، ولو كان مِن أحبِّ الناس إليك، فإنَّ هذا أمرٌ غير مقدور للخلْق هداية للتوفيق، وإيجاد الإيمان في القلب، وإنَّما ذلك بيد الله سبحانه تعالى، يهدي مَن يشاء، وهو أعلم بمَن يصلح للهداية فيهديه، ممَّن لا يصلح لها فيُبقيه على ضلاله[٣]. وهذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل عمِّه أبي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٦٢) برقم (٣٩١١) كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة.

(٢) القصص: ٥٦.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٦٢٠).



طالب، فإنَّه لما حَضَرَتْ أبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَوَجَدَ عِنْدَهُ أبَا جَهْلٍ، وعَبْدَ اللَّهِ بنَ أبِي أُمَيَّةَ بنِ المغِيرَةِ، فَقالَ: أيْ عَمِّ؛ قُلْ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؛ كَلِمَةً أُحَاجُّ لكَ بهَا عِنْدَ اللَّهِ. فَقالَ أبو جَهْلٍ وعَبْدُ اللَّهِ بنُ أبِي أُمَيَّةَ: أتَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- يَعْرِضُهَا عليه، ويُعِيدَانِهِ بتِلْكَ المقالَةِ، حتَّى قالَ أبو طَالِبٍ آخِرَ ما كَلَّمَهُمْ: علَى مِلَّةِ عبدِ المطَّلِبِ، وأبَى أنْ يَقُولَ: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: واللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ فأنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي ﴾[(١)]، وأَنْزَلَ اللَّهُ في أبِي طَالِبٍ أيضًا مُخاطِبًا رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[(٢)]، رواه البخاري[(٣)].

وأمَّا إثبات الهداية للرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[(٤)]؛ فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول صلى الله عليه وسلم يُبيِّن الصراط المستقيم، ويُرغِّب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلْق له، وأمَّا كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويُوفِّقهم بالفعل؛ فحاشا وكلَّا، ولهذا لو كان قادرًا عليها؛ لهدى مَن وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه من قومه، عمَّه أبا طالب، ولكنَّه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة للدين والنصح التام، ما هو أعظم ممَّا فعله معه عمُّه، ولكنَّ الهداية بيد الله تعالى.

أمَّا هداية التوفيق فهي الهداية التي تفرَّد الله تعالى بإيجادها في قلوب الناس، وهي قائمة على خَلْق الإيمان في قلوبهم وتوفيقهم وتصريف خطواتهم لتكون في سبيل رضا الله تعالى، وهذه الهداية لا يقدر عليها إلَّا الله تعالى؛ حيث يُودعها في قلب مَن يشاء مِن عباده؛ جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[(٥)].

والهداية نعمة من الله تعالى، ولها أسباب؛ ومن أسباب الهداية:

---

(١) التوبة: ١١٣.

(٢) القصص: ٥٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٥٢) برقم (٣٨٨٤) كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤) برقم (٢٤) كتاب الإيمان باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله.

(٤) الشورى: ٥٢.

(٥) العنكبوت: ٦٩.

أوَّلًا: التوحيد: فالتوحيد من أعظم أسباب الهداية؛ فمَن وحَّد الله هُدِيَ، فإنَّ مَن عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته أحبَّه ورجاه، وخافه واتَّقاه، وعمل على عبادته وتعظيمه وخشيته، وهذه هي الهداية، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾[١]، ومن هدى اللهُ قلبَه سجد سجدته بين يديه إلى يوم يلقاه، لا ينفكُّ ينتقل من طاعةٍ إلى طاعةٍ لِما ذاق من حلاوة السجود بين يديه عزَّ وجلَّ.

ثانيًا: الاعتصام بالله ودعاؤه ورجاؤه على الدوام، ولذلك دعانا الله إلى سؤاله، وحثَّنا على التضرُّع إليه أن يهديَنا إلى الصراط المستقيم كما ندعو في سورة الفاتحة قائلين: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[٢]، وقد أطال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في بيان هذه المسألة التي تُشكِل على بعض الناس، فقال: إذا كان الأمر راجعًا إلى مشيئة الله تبارك وتعالى، وأنَّ الأمر كلَّه بيده؛ فما طريق الإنسان إذن؟ وما حيلة الإنسان إذا كان الله تعالى قد قَدَّر عليه أن يَضلَّ ولا يهتدي؟ ثم أجاب- رحمه الله- عن ذلك بأنَّ الله تبارك وتعالى إنَّما يَهدي مَن كان أهلًا للهداية، ويُضلُّ مَن كان أهلًا للضلالة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾[٣]، ويقول تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾[٤]، فبيَّن الله تبارك وتعالى أنَّ أسباب إضلاله لمن ضلَّ؛ إنَّما هو بسببٍ من العبد نفسِه، والعبدُ لا يدرى ما قَدَّر الله تعالى له، لأنَّه لا يعلم بالقدَر إلَّا بعد وقوع المقدور. فهو لا يدري هل قدَّر الله له أن يكون ضالًّا أم أن يكون مُهتديًا؟ فما باله يسلك طريق الضلال، ثم يحتجُّ بأنَّ الله تعالى قد أراد له ذلك! أفلا يجدر به أن يسلك طريق الهداية ثم يقول: إنَّ الله تعالى قد هداني للصراط المستقيم[٥].

ومن علامات الهداية التي يستدلُّ بها العبدُ على سلوكه طريق الهداية بالفعل؛ ما دلَّنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله

---

(١) التغابن: ١١.

(٢) الفاتحة: ٦-٧.

(٣) الصف: ٥.

(٤) المائدة: ١٣.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ٢٢٠). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر : دار الوطن – دار الثريا، الطبعة : الأخيرة – ١٤١٣هـ.

عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ"(١).

والخلاصة: أنَّ حُبَّ الناس للعبد وثناءهم عليه وإجماعهم على القُرْب منه والمودَّة له وخلعهم بالإجماع عليه؛ من علامات هداية العبد، والمقصود والمعنى في هذا الحديث طبعًا هم المؤمنون الذين هم ألْسنة الحقِّ في الأرض. كما في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث عائشة- رضي الله عنها- أنَّه صلى الله عليه وسلم قال:" الأرواحُ جُنودٌ مُجَنَّدةٌ، ما تعارَفَ منها ائتلفَ، وما تناكَرَ منها اختلفَ". رواه البخاري(٢). قال الإمام الخطابي: أرواح المؤمنين تحِنُّ إلى المؤمنين، وأرواح المنافقين تحِنُّ إلى المنافقين(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١١١) برقم (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣٠) برقم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٣٣) برقم (٣٣٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣١) برقم (٢٦٣٨) كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة.

(٣) لم أقف عليه.



٥ شوَّال

نِعمتانِ مَغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[(١)]، ومِن أعظم نِعَم الله على عبده نعمتا الصِّحَّة والفراغ؛ لأنَّهما- وبلا مبالغة- رأس مال المسلم في حياته، ولا بُدَّ أن يستثمرهما الاستثمار الناجح له في دنياه وآخرته؛ فعن عبد الله بن عباس- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ". رواه البخاري[(٢)]، يُنبِّه الحديث الشريف على ضرورة اغتنام أمرَينِ أساسيَّيْنِ لما لهما من أهمِّيَّة في حياة الناس:

الأمر الأوَّل: نعمة الصِّحَّة: التي يكون معها الإنسان سليم البدن، مرتاح النفس، خاليًا من العيوب والأعراض والأمراض، فالإنسان لا ينبغي أن يُضيِّع فرصة استغلال صحَّته فيما ينفعه دينًا ودُنيا، وأن لا يُسخِّرها فقط في اللهو واللعب، والبحث عن الأمور التافهة، فهو بهذا الصنيع يكون كمن يبني بيتًا من صوف، فيأتي غثاء كغثاء السيل فلم يجد شيئًا، لكن إن هو استغلَّها فيما يُصلح به نفسه وحاله ومآله؛ فاز بالفضيلة في دينه ودُنياه، ولا بُدَّ من استثمار هذه النعم في طاعة الله كي لا تكون خاسرًا في الدنيا، ولا آثمًا في الآخرة، فهذه النعم سنُحاسَب عليها، قال صلى الله عليه وسلم:" لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ، وعن عِلمِهِ فيمَ فعلَ، وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ". رواه الترمذي[(٣)]، إذ يستغلُّ المسلم وقته في الطاعات كي لا يقع بالمعاصي، ويستخدم جسده في ما يُرضي الله لنيل رضاه، ولقد اهتمَّ الإسلام بصحَّة الإنسان ودعاه للحفاظ عليها، قال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ لنَفْسِكَ عليكَ حقًّا". رواه البخاري[(٤)].

---

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٨) برقم (٦٤١٢) كتاب الرقاق باب لا عيش إلا عيش الآخرة.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦١٢) برقم (٢٤١٧) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع باب في القيامة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦٢).

(٤ والحديث في البخاري بلفظ: "فإن لجسدك عليك حقًّا" صحيح البخاري (٣/ ٣٩) برقم (١٩٧٥) كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم. ورواه بهذا اللفظ: أحمد في مسنده (٤٣/ ٣٣٥) برقم (٢٦٣٠٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٤٨) برقم (١٣٦٩) كتاب الصلاة باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة. الترمذي في جامعه (٤/ ٦٠٨) برقم (٢٤١٣) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٢٥٨) برقم (٢٩٣٤) كتاب الصيام صوم الرجل مع زوجته وحقها في ذلك. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (٧/ ٧٩).

وفي الحديث الشريف الآخَر يُلخِّص صلى الله عليه وسلم خمسة أمورٍ تُقابلها خمسة أخرى تصيب الإنسان في الحياة؛ فإذا هو لم يستغل الخمسة الأولى حالة القدرة على الفعل؛ أدركتْه الخمسة الثانية وصار عاجزًا معها ؛ عن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– لرجل وهو يعظه:" اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ". أخرجه الحاكم في المستدرك وصحَّحه الألباني[١].

فاغتنام الصحة قبل مجيء الآفة؛ فضْلٌ لا يتفطَّن إليه إلَّا عاقلٌ عرف أهمية الوقت وسرعة انقضائه، فالإنسان عندما يكون شابًّا يافعًا قويًّا في نفسه وبدنه؛ يستطيع أن يقوم بأمور لا يستطيع الذي بلغ من الكبر عتيًّا أن يأتي بها؛ فالإنسان لا بُدَّ وأن تكون له هِمَّة ينظر بها إلى العُلا؛ كما يقول الشاعر المتنبِّي:

على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ   وتأتي على قدْرِ الكرامِ المكارمُ[٢]

والصِّحَّة والأمن لا يعلم فضلَهما إلَّا اللهُ سبحانه وتعالى وقليلٌ من خلقه؛ عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا".رواه الترمذي[٣]. فتلك هي السعادة الحقيقيَّة لمعنى الحياة المتربِّصة عوائقها بالإنسان.

الأمر الثاني: نعمة الفراغ: فهي حالة نفسيَّة وجسديَّة يكون الإنسان معها مُتفرّغًا لا شغل له، غير مُحاطٍ بالمهام الكثيرة لا مُستغلّ له، حُرٌّ في تصرُّفات وقته، لا معاند له، حُرٌّ في إبداعه، لا مانع له، ففي هذه الحال يُحبَّذُ أن يضع هذا الإنسان لنفسه أهدافًا وخططًا يملأ بها أوقاته فيما يُرضي الله في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٤٠٠) برقم (١١٨٣٢) كتاب المواعظ. الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤١) برقم (٧٨٤٦) كتاب الرقاق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣١١).

(٢) ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي (ص: ٢٧٤). الكتاب: شرح ديوان المتنبي، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٧٤) برقم (٢٣٤٦) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٨٧) برقم (٤١٤١) كتاب الزهد باب القناعة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٤٠٨). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

قال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: وذلك أنَّ الإنسان إذا كان صحيحًا كان قادرًا على ما أمره الله به أن يفعله، وكان قادرًا على ما نهاه الله عنه أن يتركه لأنَّه صحيح البدن، منشرِح الصدر، مطمئن القلب، كذلك الفراغ إذا كان عنده ما يؤويه وما يكفيه من مؤنة فهو مُتفرّغ؛ فإذا كان الإنسان فارغًا صحيحًا فإنَّه يغبن كثيرًا في هذا، لأنَّ كثيرًا من أوقاتنا تضيع بلا فائدة ونحن في صحَّة وعافية وفراغ، ومع ذلك تضيع علينا كثيرًا، ولكننا لا نعرف هذا الغبن في الدنيا، إنَّما يعرف الإنسانُ الغبنَ إذا حضره أجلُه، وإذا كان يوم القيامة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ ﴾[١]، وقال أيضًا: ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[٢].

والواقع يُؤَكِّد أنَّ كثيرًا من أوقاتنا تذهب سُدًى، لا ننتفع منها، ولا ننفع أحدًا بها، ولا نندم على هذا إلَّا إذا حضر الأجَل؛ يتمنَّى الإنسان أن يُعطَى فرصة، ولكن هيهات.

ثمَّ إنَّ الإنسان قد لا تفوته هاتانِ النعمتانِ: الصحَّة والفراغ بالموت، بل قد تفوته قبل أن يموت، قد يمرض ويعجز عن القيام بما أوجب الله عليه، وقد ينشغل بطلب النفقة له ولعياله حتَّى تفوته كثير من الطاعات، ولهذا ينبغي للإنسان العاقل أن ينتهز فرصة الصحَّة والفراغ بطاعة الله عزَّ وجلَّ بقدر ما يستطيع، إن كان قارئًا للقرآن فليُكثرْ من قراءة القرآن، وإن كان لا يعرف القراءة يُكثر من ذكْر الله عزَّ وجلَّ، وإذا كان لا يُمكنُه فلْيأمرْ بالمعروف ولْيَنْهَ عن المنكر، أو يبذل لإخوانه كلَّ ما يستطيع من معونة وإحسان، فكلُّ هذه خيراتٌ كثيرةٌ تذهب علينا سُدًى، فالإنسان العاقل هو الذي ينتهز الفرص؛ فرصة الصِّحَّة، وفرصة الفراغ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ نِعم الله تتفاوت، وأنَّ بعضها أكثر من بعض. وأكبر نعمة يُنعِم الله تعالى بها على العبد هي نعمة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[٣].

ثانيًا: ثم نعمة العقل، فإنَّ الإنسان إذا رأى مُبتلًى في عقله لا يُحسِن التصرُّف، ورُبَّما يُسيء إلى نفسه وإلى أهله؛ حَمِدَ اللهَ تعالى على هذه النعمة؛ فإنَّها نعمة عظيمة.

---

(١) المؤمنون: ٩٩- ١٠٠.

(٢) المنافقون: ١٠- ١١.

(٣) المائدة: ٣.

ثالثًا: نعمة الأمن في الأوطان، فإنَّها من أكبر النعم، وقد سمعنا من آبائنا وأجدادنا قديمًا أنَّهم كانوا إذا خرج الواحد منهم إلى صلاة الفجر؛ لا يخرج إلَّا مُصطَحِبًا سلاحه؛ لأنَّه يخشى أن يعتدي عليه أحدٌ، فنعمة الأمن لا تُشابهها نعمةٌ غير نعمة الإسلام والعقل.

رابعًا: كذلك مما أنعم الله به علينا- ولا سيَّما في بلادنا- رغد العيش؛ يأتينا الرزق من كل مكان، فنحن في خير عظيم ولله الحمد؛ فالبيوت مليئة بالأرزاق.

وأخيرًا؛ علينا أن نشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعم العظيمة، وأن نقوم بطاعة الله حتَّى يمُنَّ علينا بزيادة النعم؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[١][٢].

---

(١) إبراهيم: ٧.

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٥- ٦٨).

٦ شوَّال

فضل الوضوء

الوضوءَ من العبادات الشريفة في الإسلام، فقد جاء عن جمهور الفقهاء من المالكية وبعض الشافعية والحنفية أنَّ الوضوء ليس مُختصًّا بأُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنَّما كان موجودًا في الشرائع القديمة، وإنَّما تميَّزتْ هذه الأُمَّة عن غيرها بكيفيَّته، أو الأثر المترتِّب عليه من الغُرِّ والتحجيل والنور والبياض يوم القيامة(١)، ومن عظمة عبادة الوضوء أنَّها سببٌ لصحَّة الصلاة، والصلاة هي صلة بين العبد وربِّه سبحانه وتعالى، وسببٌ لكل أبواب الخير؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ﴾(٢).

وبيَّن الله تعالى كيفيَّة الوضوء في كتابه الحكيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٣)، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا يَقبَلُ اللهُ صلاةَ أحدِكم إذا أحدَثَ حتَّى يتوضَّأ". رواه البخاري(٤).

وللوضوء فضائل كثيرة؛ منها: أنَّه سببٌ لحُبِّ الله تعالى: فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذٗى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ

---

(١) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (١/ ١٠٩)؛ مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/ ١٢٤). كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال، الناشر دار الفكر، سنة النشر ١٤٠٢، مكان النشر بيروت. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المؤلف: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) البقرة: ١١٠.

(٣) المائدة: ٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٢٣) برقم (٦٩٥٤) كتاب الحيل باب في الصلاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٠٤) برقم (٢٢٥) كتاب الطهارة باب وجوب الطهارة للصلاة.

حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾[١]. قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾؛ أي: من ذنوبهم على الدوام، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾؛ أي: المتنزِّهين عن الآثام، وهذا يشمل التطهُّرَ الحسِّيَ مِنَ الأنجاس والأحداث، ففيه مشروعيَّة الطهارة مُطلَقًا؛ لأنَّ الله يُحبُّ المتَّصف بها؛ ولهذا كانت الطهارة مُطلَقًا شرطًا لصحَّة الصلاة والطواف، وجواز مسِّ المصحف، ويشمل التطهُّرَ المعنويَّ مِنَ الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة[٢].

كذلك الوضوء سببٌ في دخول الجنة: فعن عقبة بن عامر- رضي الله عنه- قال:" كانتْ علينا رعاية الإبل، فجاءتْ نوبتي، فروَّحتُها بعشيٍّ، فأدركتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا يُحدِّثُ الناس، فأدركتُ مِن قوله: ما مِن مُسلمٍ يتوضَّأ فيُحسِن وضوءه، ثم يقوم فيُصلِّي ركعتين، مُقبِلٌ عليهما بقلبه ووجهه، إلَّا وَجَبَتْ له الجنَّة، قال: فقلتُ: ما أجودَ هذه! فإذا قائِلٌ بين يديَّ يقول: التي قبلها أجودُ، فنظرتُ فإذا عُمرُ، قال: إنِّي قد رأيتُكَ جئتَ آنِفًا، قال: ما منكم من أحدٍ يتوضَّأ فيُبلِغ (أو فيُسبغ) الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عبد الله ورسوله؛ إلَّا فُتِحتْ له أبواب الجنَّة الثمانية، يدخل مِن أيِّها شاء". رواه مسلم[٣]، وفي رواية الترمذي عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" مَن توضَّأ فأحسنَ الوضوءَ، ثم قال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله، اللهمَّ اجعلني من التوَّابين، واجعلني من المتطهِّرين، فُتِحتْ له ثمانية أبواب الجنة، يدخل مِن أيِّها شاء"[٤].

والوضوء أيضًا سببٌ للغُرَّة والتحجيل يوم القيامة: وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أُمَّتي يُدْعَوْنَ يَومَ القِيامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن آثارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنكُم أنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ". رواه البخاري[٥]، والغُرَّةُ في اللغة: هو البياض الذي يكون في جبهة الفرس، وأمَّا التحجيل: فهو البياض الذي يكون في يديها ورجليها، وفي ذلك إشارة إلى النور والبياض الذي يكون على المتوضِّئ يوم القيامة.

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٠٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٩) برقم (٢٣٤) كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (١/ ٧٧) برقم (٥٥) أبواب الطهارة باب ما يقال بعد الوضوء. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (١/ ١٣٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٩) برقم (١٣٦) كتاب الوضوء باب فضل الوضوء، والغر المحجلون من آثار الوضوء.



كذلك الوضوء سببٌ لتكفير الخطايا ورفْع الدرجات: والمقصود أنَّه يُكَفِّر صغائر الذنوب دون الكبائر، لقول النبيِ صلى الله عليه وسلم:" أَلا أدُلُّكُمْ علَى ما يَمْحُو اللَّهُ به الخَطايا، ويَرْفَعُ به الدَّرَجاتِ؟ قالُوا: بَلَى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: إسْباغُ الوُضُوءِ علَى المَكارِهِ، وكَثْرَةُ الخُطا إلى المَساجِدِ، وانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ". رواه مسلم[١]، والمقصود بمحو الخطايا هو مغفرتها، وأمَّا رفْع الدرجات فهو رفْع المنزلة في الجنَّة.

يقول الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: إسباغ الوضوء على المكاره يعني: أنَّ الإنسان يتوضَّأ وضوءه على كُرْهٍ منه، إمَّا لكونه فيه حُمَّى ينفر من الماء فيتوضَّأ على كُره، وإمَّا أن يكون الجوُّ باردًا وليس عنده ما يُسخِّن به الماء، فيتوضَّأ على كُره، وإمَّا أن يكون هناك أمطارٌ تحول بينه وبين الوصول لمكان الوضوء، فيتوضَّأ على كُره. المهمُّ أنَّه يتوضَّأ على كُره ومشقَّة، لكن بدون ضرر[٢].

ومن فضْله أيضًا في تكفير الخطايا؛ ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:" مَن تطهَّر في بيته ثم مشى إلى بيتٍ من بيوت الله- ليقضي فريضةً من فرائض الله- كانت خطوتاه إحداهما تحُطُّ خطيئةً، والأخرى ترفع درجةً". رواه مسلم[٣].

والوضوء سببٌ لانحلال عُقَدِ الشيطان عن الإنسان: لقول النبي صلى الله عليه وسلم:"يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ علَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذَا هو نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ؛ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وإلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ". رواه البخاري[٤].

وقد سُئل سماحة الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: ما الفضْل الذي يناله المسلم إذا استمرَّ على الوضوء بعد كلِّ حدث؟ فأجاب- رحمه الله-: الفضْل الذي يناله المسلم إذا استمرَّ على الوضوء بعد كلِّ حدث أنَّه يبقى طاهرًا، والمكث على الطهر، والبقاء على الطهر من الأعمال الصالحة؛ ولأنَّه ربَّما يذكر الله سبحانه وتعالى في أحواله كلِّها، فيكون ذَكَرَ الله تعالى على طُهْرٍ؛ ولأنَّه قد يعرض له صلاة في مكان ليس فيه ماء يسهل الوضوء منه فيكون مُستعِدًّا لهذه الصلاة[٥].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٩) برقم (٢٥١) كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

(٢) شرح رياض الصالحين (٥/ ٢١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٢) برقم (٦٦٦) كتاب الصلاة باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وترفع به الدرجات.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٢) برقم (١١٤٢) كتاب التهجد باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل. مسلم في صحيحه (١/ ٥٣٨) برقم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

(٥) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٧/ ٢). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).

وأخيرًا: المحافظة على الوضوء علامة مِن علامات المؤمن: فعن عبد الله بن عمرٍو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" استقيموا ولن تُحصُوا، واعلموا أنَّ مِن أفضلِ أعمالكم الصلاةَ، ولا يُحافِظ على الوضوء إلَّا مُؤمنٌ". رواه ابن ماجه[1]. والحديث النبوي يُرشدُنا إلى التحلِّي بصفة من صفات المؤمن، وهي المحافظة على الوضوء، والسعي لذلك يُورث الإيمان، امتثالًا لِمَا حثَّنا عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٦٠) برقم (٢٢٣٧٨). وابن ماجه في سننه (١/ ١٠١) برقم (٢٧٧) كتاب الزهد باب المحافظة على الوضوء. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (٢/ ١٣٥).



٧ شوَّال

قصَّة توبة كعب بن مالك– رضي الله عنه–

زَكَّى الله تعالى الصادقين في توبتهم، ودعا المؤمنين إلى أن يكونوا معهم، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾(١)، وسجَّل لنا التاريخ في صفحاته أروع المواقف، ظهرت فيها معاني الصدق بكلِّ تجليَّاتها، والإخلاص في أبهى صوره، وحديثُنا عن الصحابي الجليل كعب بن مالك عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي العقبي الأُحُدي، كان يُكنَّى في الجاهلية بأبي بشير، شهد بيعة العقبة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين طلحة بن عُبيد الله بعد الهجرة، وقيل: آخى بينه وبينه الزبير.

تخلَّف كعب بن مالك عن غزوة تبوك، وقد عاتبه النبي صلى الله عليه وسلم، وذَكَرَه الله تعالى في القرآن الكريم، وختم بتوبته عليه؛ لصدقه في قول الحقِّ أمام النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢).

وأحداث هذه القصة يرويها الإمام مسلم في صحيحه، ضمن حديث طويل على لسان كعب بن مالك– رضي الله عنه– وهو أدرى الناس بها، أنَّه قال: لم أتخلف عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في غزوة غزاها قط إلَّا في غزوة تبوك، غير أنِّي قد تخلَّفت في غزوة بدر ولم يُعاتِبْ أحدًا تخلَّف عنها، لأنهم خرجوا يريدون عير قريش، ولقد شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحبُّ أنَّ لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.

قال العلَّامة ابن عثيمين– رحمه الله–: هذا حديث كعب بن مالك، في قصَّة تخلُّفه عن غزوة تبوك، وكانت غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، غزا النبي صلى الله عليه وسلم الروم وهم على دين النصارى، حين بلغه أنَّهم يجمعون له، فغزاهم النبي صلى الله عليه وسلم وقام بتبوك عشرين ليلة، ولكنَّه لم يَرَ كيدًا، ولم يَرَ عدوًّا، فرجع، وكانت هذه الغزوة في أيام الحرِّ حين طابت الثمار، وصار

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) التوبة: ١١٨.



المنافقون يُحِبُّون الدنيا على الآخرة، فتخلَّف المنافقون عن هذه الغزوة، ولجأوا إلى الظلِّ والرطب والتمر، وبعُدتْ عليهم الشُّقَّة، والعياذ بالله.

نعود إلى حديث كعب فيقول: فلما رجع صلى الله عليه وسلم جاءه المخلَّفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلًا، فقبِل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايَعَهم واستغفرَ لهم، ووكَّلَ سرائرهم إلى الله، فجئتُه، فلمَّا سلَّمتُ عليه تبسَّم تبسُّم المغضَب. ثم قال: تعال، فجئتُ أمشي حتَّى جلستُ بين يديه، فقال لي: ما خلَّفكَ؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظهرك؟ فقلتُ: بلى، إنِّي واللهِ لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أن أخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيتُ جدلًا، ولكنِّي واللهِ لقد علمتُ لئن حدَّثتُك اليوم حديث كذبٍ، ترضى به عنِّي؛ ليوشكنَّ اللهُ أن يُسخِطَكَ عليَّ، وإن حدَّثتُك حديث صدْقٍ تَجِدُ عليَّ فيه؛ إنِّي لأرجو فيه عفو الله، واللهِ ما كان لي من عذر، واللهِ ما كنتُ قطُّ أقوى ولا أيسر منِّي حين تخلَّفتُ عنك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمَّا هذا فقد صَدَقَ، فقُمْ حتَّى يقضي الله فيك. فقمتُ وقام رجالُ بني سلمة، فاتَّبعوني فقالوا لي: واللهِ ما علمناكَ كنتَ أذنبتَ ذنبًا قبل هذا، لقد عجزتَ أن لا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المتخلِّفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك. فواللهِ مازالوا يُؤنِّبوني حتَّى أردتُ أن أرجع فأُكذِّب نفسي، ثم قلتُ لهم: هل لقي هذا معي أحدٌ، قالوا: نعم، رجلانِ قالا مثلما قلتَ، فقيل لهما مثلما قيل لك، فقلتُ: مَن هما؟، قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة، فمضيتُ حين ذكروهما، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة مِن بينِ مَن تخلَّف عنه، فاجتنبَنا الناس، وتغيَّروا لنا، حتَّى تنكَّرتْ في نفسي الأرضُ فما هي التي أعرف، فلبثْنا على ذلك خمسين ليلة، فأمَّا صاحباي فاستكانا فقعدا في بيتهما يبكيان. وأنا فقد كنتُ أشب القوم وأجلدهم، فكنتُ أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يُكلِّمني أحدٌ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأُسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتَيْه بِرَدِّ السلام أم لا ؟ ثم أُصلِّي قريبًا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي أقبل إليَّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عنِّي، حتَّى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس؛ مشيتُ حتَّى تسوَّرتُ جدار أبي قتادة، وهو ابن عمِّي، وأحبُّ الناس إليَّ فسلَّمتُ عليه، فواللهِ ما ردَّ عليَّ السلام، فقلتُ: يا أبا قتادة؛ أنشدكَ بالله هل تعلمُني أُحبُّ الله ورسوله، فسكتَ، فعاودتُ أنشده،



فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضتْ عيني وتوليَّتُ، حتَّى تسوَّرتُ الجدار. قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذا بنبطي من أنباط أهل الشام، ممَّن قدم بالطعام ليبيعه في المدينة، يقول: مَن يدلُّ على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يُشيرون له، حتَّى إذا جاءني دفع إليَّ كتابًا من ملك غسان، فإذا فيه: أمَّا بعد؛ فإنَّه قد بلغني أنَّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلْك الله بدارِ هوانٍ ولا مضيعة، فالْحقْ بنا نواسيك، فقلتُ لما قرأتُها: وهذا أيضًا من البلاء، فتيمَّمتُ بها التَّنُّور فسجرتُه بها. حتَّى مضتْ أربعون ليلة من الخمسين، إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فيقول لي: إنَّ رسول الله يأمرُكَ أن تعتزل امرأتك، فقلتُ له: أُطلِّقها أم ماذا أفعل؟ فقال: بل اعتزلْها ولا تقربْها، وأرسلَ إلى صاحبَيَّ مثل ذلك، فقلتُ لامرأتي: الْحقي بأهلك، فتكوني عندهم، حتَّى يقضي الله في ذلك الأمر؛ فلبثتُ بعد ذلك عشر ليال، حتَّى كمُلتْ لنا خمسون ليلة، فلمَّا صلَّيتُ صلاة الفجر صُبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا، جالسٌ على الحال التي ذكر الله، وقد ضاقتْ عليَّ نفسي، وضاقتْ عليَّ الأرض بما رحُبتْ سمعتُ صوت صارخ، أو في أعلى جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك؛ أبشر. قال: فخررتُ ساجدًا. رواه البخاري(١).

وأخيرًا وإتمامًا للفائدة في هذا الحديث: نقف على بعض الفوائد التي ذكرها الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم حيث يقول: واعلم أنَّ في حديث كعب هذا فوائد كثيرة:

إحداها: إباحة الغنيمة لهذه الأُمَّة لقوله: خرجوا يريدون عير قريش.

الثانية: فضيلة أهل بدر وأهل العقبة.

الثالثة: جواز الحلف من غير استحلاف في غير الدعوى عند القاضي.

الرابعة: أنَّه ينبغي لأمير الجيش إذا أراد غزوة أن يُوري بغيرها، لئلا يسبقه الجواسيس ونحوهم بالتحذير إلَّا إذا كانت سفرة بعيدة، فيُستحبُّ أن يُعرِّفهم البُعد ليتأهَّبوا.

الخامسة: التأسُّف على ما فات من الخير وتمنِّي المتأسِّف أنَّه كان فعله؛ لقوله: فيا ليتنى فعلتُ.

السادسة: ردُّ غيبة المسلم لقول معاذ: بئس ما قلتَ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٣) برقم (٤٤١٨) كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: {وعلى الثلاثة الذين خلفوا} [التوبة: ١١٨]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٢٠) برقم (٢٧٦٩) كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه.



السابعة: فضيلة الصدق وملازمته، وإن كان فيه مشقَّة، فإنَّ عاقبته خير،" فإنَّ الصدقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنةِ". رواه البخاري ومسلم[١].

الثامنة: استحباب صلاة القادم من سفرٍ ركعتين في مسجد محلَّته أوَّل قدومه قبل كل شيء.

التاسعة: أنَّه يُستحبُّ للقادم من سفرٍ إذا كان مشهورًا يقصده الناس لسلامٍ عليه؛ أن يقعد لهم في مجلسٍ بارزٍ هيِّنٍ الوصول إليه[٢].

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٥) برقم (٦٠٩٤) كتاب الأدب باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} [التوبة: ١١٩] وما ينهى عن الكذب. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠١٢) برقم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٠٠).

٨ شوَّال

حقُّ الزوجِ على الزوجة

تُعدُّ حقوق الزوج على الزوجة من أعظم الحقوق، بل إنَّ حقَّه عليها أعظم من حقِّها عليه؛ لقول الله تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾(١) .

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: أي: وللنساء على بُعولتهنَّ من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهنَّ لأزواجهنَّ من الحقوق اللازمة والمستحبَّة، ومرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف، وهو العادة الجارية في ذلك البلد وذلك الزمان من مثلها لمثله، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة، والأحوال والأشخاص والعوائد، وفي هذا دليلٌ على أنَّ النفقة والكسوة، والمعاشرة والمسكن، وكذلك الوطء، الكلُّ يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلَق، وأمَّا مع الشرط فعلى شرطهما إلَّا شرطًا أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالًا(٢).

ذكر الإمام القرطبي عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما: لهنَّ من حُسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهنَّ مثل الذي عليهنَّ من الطاعة فيما أوجبه عليهنَّ لأزواجهنَّ، وقيل: إنَّ لهنَّ على أزواجهنَّ ترْك مُضارتِهنَّ كما كان ذلك عليهنَّ لأزواجهنَّ(٣).

ومن حقوق الزوج على زوجته ما يأتي:

١- طاعة الزوج: وتكون الطاعة فيما يتَّفق مع مرضاة الله وأوامره، فلا تكون الطاعة في سخط الله وغضبه ومُحرَّماته، ومن وجوه طاعة الزوج: تلبيته إذا دعاها لفراشه، والسفر معه والترحال ما لم يكن منفيًا حين العقد عليها، ولزوم بيته ما لم يأذن لها بالخروج، واستئذانه في صوم النوافل حتَّى لا يتأذَّى لحاجته.

٢- حفْظُهُ في ماله ونفسها: وهذا الحق من صلاح المرأة وحُسْن دينها وخُلُقها، وفيه وصفٌ رقيقٌ في آيات القرآن الكريم؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾(٤)، وفي الآية إشارة لحق الزوج على زوجته في الطاعة وحفْظ نفسها وماله حال غيابه،

---

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٠٢).

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ١٢٤).

(٤) النساء: ٣٤.



ويدلُّ التزامُها بذلك الحقِّ على استقامتها وخيرها وديمومة طاعتها، ويترتَّب على ذلك عون الله لها وتوفيقه، وحفْظها من المعاصي والآثام؛ لما ظهر من حُسْن معاشرتها وصفاء نيَّتها واستقامتها.

٣- خدمة الرجل في منزله من صور طاعة الزوجة وقنوتها، وقنوتها يكون بمنع نفسها عن غيره مطلقًا، فلا ينشغل قلبُها وعقلُها ووقتُها بغيره، وتفانيها في كسب رضاه فيما أحلَّ الله وأوجب، وأن يكون زوجُها أهمَّ ما يشغلها وأوَّله، وفيما بعده أهلها بعد إذنه، وفي ذلك أنَّها موقوفة عليه وحده، وهي بذلك قانتة صالحة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: وتجب خدمة زوجها بالمعروف من مثلها لمثله، ويتنوَّع ذلك بتنوُّع الأحوال؛ فخدمة البدويَّة ليست كخدمة القرويَّة، وخدمة القويَّة ليست كخدمة الضعيفة[١].

٤- كذلك من حقِّه التأديب: وإن كان الأصل في العلاقة بين الزوجين التراحُم والتوادُّ، ولكن يحقُّ للزوج تأديب زوجته عند مخالفة أوامره والإصرار على العناد؛ ويكون ذلك بالحُسنى بحيث يعظُها بالقول، ولا يصل الأمر إلى الضرب المبرّح أو الشتم لا قدَّر اللهُ.

وقد ذكر الحنفية أربعة مواضع يجوز فيها للزوج تأديب زوجته بالضرب، منها: ترْك الزينة إذا أراد الزينة، ومنها: ترْك الإجابة إذا دعاها إلى الفراش وهي طاهرة، ومنها: ترْك الصلاة، ومنها: الخروج من البيت بغير إذنه[٢]. قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾[٣].

قال ابن كثير: قال قتادة: تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمْر الله، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيتَ لله معصية قذعتَهم (أي كففتَهم) عنها، وزجرتَهم عنها[٤].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٤/ ٩٠). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢) ينظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٣/ ٢١١). تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣هـ.

(٣) النساء: ٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٧). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



٥- اهتمام الزوجة بنفسها: فتكون في بيته ملكة تسرُّه إذا نظر إليها، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه: قيل لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أيُّ النساءِ خيرٌ؟ قال: التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعُه إذا أمَرَ، ولا تُخالفُه في نفسِها ومالِها بما يكره" رواه النسائي وأحمد[١].

فيلزم عليها بذلك التطيُّب والتجمُّل بما يجعلها حسنة المنظر والمظهر، ثم تُولِي نفسها وبيتها وأولادها اهتمامًا يُرضيه، ولا تُطالبه بما لا يُطيق ولا يحتمل، ثم إن كان منه أذى فإنَّها تصبر على أذاه، فتكون قد أوفتْه حقَّه، ولزمتِ الخير وعملتْ به.

٦- ومن ذلك تمكين الزوج من الاستمتاع، فإذا تزوَّج امرأةً وكانت أهلًا للجماع؛ وجب تسليم نفسها إليه بالعقد إذا طلب، وذلك أن يُسلِّمَها مهرها المعجَّل، وتُمَهَل مُدَّة حسب العادة لإصلاح أمرها كاليومين والثلاثة إذا طلبت ذلك؛ لأنَّه مِن حاجتها، ولأنَّ ذلك يسيرٌ جرتِ العادة بمثله، وإذا امتنعت الزوجة من إجابة زوجها في الجماع وقعتْ في المحذور وارتكبتْ كبيرة، إلَّا أن تكون معذورة بعذر شرعي؛ كالحيض وصوم الفرض والمرض وما شابه ذلك؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشه فأبتْ، فباتَ غضبان عليها؛ لعنتْها الملائكةُ حتَّى تُصبح ". رواه البخاري ومسلم[٢].

٧- حفْظ أسرار الزوج وحفْظه في بيته: فلا يجوز للزوجة إدخالُ أيِ أحدٍ لا يأذن زوجها بدخوله، لا جارة، ولا قريبة، وعليها أن تستأذنه في ذلك، يقول صلى الله عليه وسلم:" لا يحلُّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلَّا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلَّا بإذنه". رواه البخاري ومسلم[٣].

وقال الشافعية[٤] والحنابلة[٥]: ليس لها الخروج لعيادة أبيها المريض إلَّا بإذن الزوج، وله منعها من ذلك؛ لأنَّ طاعة الزوج واجبة، فلا يجوز ترْك الواجب بما ليس بواجب، وعليها أيضًا أن تُؤدِّي الأمانة

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٣٦٠) برقم (٩٥٨٧). والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦١) برقم (٥٣٢٤) كتاب النكاح، أي النساء خير. والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل (٦/ ١٩٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١١٦) برقم (٣٢٣٧) كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين [ص:١١٤] فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٦٠) برقم (١٤٣٦) كتاب النكاح باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٠) برقم (٥١٩٥) كتاب النكاح باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١١) برقم (١٠٢٦) كتاب الزكاة باب ما أنفق العبد من مال مولاه.

(٤) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (٩/ ٥٠٠). البيان في مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

(٥) ينظر: المغني لابن قدامة (١٠/ ٢٢٤)؛ الشرح الكبير على المقنع (٢١/ ٤٢١). الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)، المؤلف: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٢ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

في حفْظ أسرار زوجها، وعدم بوحها وكشْفها، فهذا من شرِّ الأعمال، يقول صلى الله عليه وسلم:" إنَّ مِن أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يومَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إلى امْرَأَتِهِ، وتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا". رواه مسلم[١].

ختامًا: جعل الله سبحانه وتعالى الزواج علاقة سامية بين الرجل وزوجته، وجعل لكلٍّ منهما حقًّا على الآخر، وواجبًا تجاه هذا الميثاق الغليظ، فلا يجب التهاون به أو التقصير فيه. وليس أدلَّ على عِظَمِ حقِّ الزوج على زوجته من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لو كنتُ آمِرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها". رواه الترمذي[٢].

يقول الشاعر ناصحًا النساء ومُوضِّحًا لهن بعض حق الزوج:

كَلَّا ولَنْ تَقْضِي حُقُوقَ اللهِ فِـي ... هَذِي الدِّيَارِ وتَعْمُرِي أُخْـرَاكِ
حَتَّى تُؤَدِّي حَقَّ زَوْجِكِ كَامِـلًا ... فَمَتَى فَعَلْتِ حُمِدْتِ فِي عُقْبَـاكِ
لَوْ كَانَ يُؤْذَنُ فِي السُّجُودِ لِمُحْدَثٍ ... لَهَوَى بِدَارًا لِلثَّـرَى كَتِفَاكِ[٣]

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٦٠) برقم (١٤٣٧) كتاب النكاح باب تحريم إفشاء سر المرأة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ١٩) برقم (٢٤٤٧٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٤٤) برقم (٢١٤٠) كتاب النكاح باب في حق الزوج على المرأة؛ والترمذي في جامعه (٣/ ٤٥٧) برقم (١١٥٩) أبواب الرضاع باب ما جاء في حق الزوج على المرأة. والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل (٧/ ٥٤).

(٣) لم أقف على قائلها.

٩ شوَّال

حقُّ الزوجة على الزوج

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)، ولضمان حصول المودَّة والرحمة، وتحقُّق وجود السكينة؛ فرض الله على كلٍّ منهما حقوقًا يُؤدِّيها للطرف الآخَر، كما أنَّ له حقوقًا، ذكرنا قبلُ حقَّ الزوج على زوجته، وهنا نتحدَّث عن حقِّ الزوجة على زوجها:

١- حُسْن العِشْرَة والمعامَلة: قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٢)، وهذا ما يجب على الزوج لزوجته من إكرامها، وحُسْن مُعاشرتها، وأن يُعاملها بالمعروف، وهذا يُؤدِّي إلى تأليف قلوبهما، وهذا الحقُّ إذا أدَّاه الرجل كما أمَرَ الشرعُ؛ سيزيد من الأُلفة والاجتماع، وثبتَ هذا الحقُّ أيضًا في السنة النبوية الشريفة، بمُعاملة النساء خيرًا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" استوصوا بالنساء خيرًا". رواه البخاري ومسلم(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم:" خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهلِهِ، وأنا خَيْرُكُمْ لأهلِي". رواه الترمذي(٤)، وحُسْن العِشْرَة لفظٌ جامعٌ ترجع إليه جميع الحقوق.

٢- أن يُعلِّمَها أمور دينها، ويَحُثَّها على الطاعة؛ تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٥).

٣- يجب على الزوج أن يتلطَّف مع زوجته، ولْيكنْ له في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأُسوة الحسنة في ذلك؛ فقد حدَّثتْ أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت:" لقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا علَى بَابِ حُجْرَتي والحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ في المَسْجِدِ، ورَسولُ اللَّهِ

---

(١) الروم: ٢١.

(٢) النساء: ١٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٦) برقم (٥١٨٥) كتاب النكاح باب الوصاة بالنساء. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٩١) برقم (١٤٦٨) كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٧٠٩) برقم (٣٨٩٥) أبواب المناقب باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. وابن ماجه في سننه (١/ ٦٣٦) برقم (١٩٧٧) كتاب النكاح باب حسن معاشرة النساء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٥٧٥).

(٥) التحريم: ٦.

صلى الله عليه وسلم يَسْتُرُنِي بردَائِهِ، أَنْظُرُ إلى لَعِبِهِمْ". رواه البخاري[١]. وقد سابقها صلى الله عليه وسلم في سفَرٍ فسبقتْهُ، فلمَّا حَملتِ اللَّحمَ سابقتْهُ فسبَقَها، فقالَ: هذِهِ بتلكَ. أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد[٢].

وأن يتغزَّل فيها ويمدحها ويغار عليها في غير ريبة، ينسب إلى عليّ بن أبي طالب أنه قال مُتغزّلًا في زوجه فاطمة- رضي الله عنهما-، وقد رآها تستاك بسواك من أراك:

لقدْ فُزتَ يا عُودَ الأراكِ بثغرِها أمَا خِفتَ يا عُودَ الأراكِ أرَاكَا

لوْ كنتَ مِنْ أهلِ القتالِ قتلتُكَ مَا فَازَ مِنّي يَا سِواكُ سِوَاكَا[٣]

٤- أن يغُضَّ الطرف عن بعض أخطائها- ما لم يكن فيه إخلال بشرع الله-: وهذا لا يكون إلَّا من خلال الموازنة بين حسناتها وسيّئاتها، فإن رأى منها ما يكره؛ فإنَّه يرى منها ما يُعجبه ويُحبُّه. وإلى هذا يُشير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:" لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ، أَوْ قالَ: غَيْرَهُ". رواه مسلم[٤].

٥- ألَّا يؤذيها بضربها في وجهها أو تقبيحها: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ولا تُقبّحِ الوجْهَ ولا تضرِبْ". رواه أبو داود[٥]. وألَّا يهجر زوجته إلَّا في البيت، إلَّا أن تكون هناك مصلحة شرعيَّة في الهجر خارج البيت، كما هجر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أزواجَه شهرًا في غير بيوتهنَّ.

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٨) برقم (٤٥٤) كتاب الصلاة باب أصحاب الحراب في المسجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦١٠) برقم (٨٩٢) كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٣/ ٣١٣) برقم (٢٦٢٧٧). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٩) برقم (٢٥٧٨) كتاب الجهاد باب في السبق على الرجل. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٧٨) برقم (٨٨٩٤) كتاب عشرة النساء، مسابقة الرجل زوجته. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (٥/ ٣٢٧).

(٣) ينظر: النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل (ص: ٦١) ولم ينسبه لعلي رضي الله عنه. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل [من سنة ٩٠١ - ١٢٠٧ هـ]، المؤلف: محمد كمال الدين بن محمد الغزي العامري (ت: ١٢١٤هـ)، وعليه: زيادات واستدراكات حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، تحقيق وجمع: محمد مطيع الحافظ - نزار أباظة، الناشر: دار الفكر، دمشق — سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٩١) برقم (١٤٦٩) كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٣/ ٢١٣) برقم (٢٠٠١١). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٤٥) برقم (٢١٤٣) كتاب النكاح باب في حق المرأة على زوجها. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٢٦٠) برقم (٩١١٥) كتاب عشرة النساء، هجرة الرجل امرأته. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٩٣) برقم (١٨٥٠) كتاب النكاح باب حق المرأة على زوجها. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٠١).

٦- أن يجلس مع زوجته يُحدِّثها ويستمع إلى حديثها: فهذا النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس مُستمِعًا إلى أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- عندما كانت تقصُّ عليه حديث النسوة اللاتي جلسنَ وتعاقدنَ على ألَّا يكتمنَ من خبر أزواجهنَّ شيئًا- وهو حديث أم زرع المعروف- وهو حديث طويل، ومع ذلك لم يملَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عائشة- رضي الله عنها- وهي تُحدِّثه؛ والحديث عند البخاري ومسلم[١].

٧- أن يأذن لها في الخروج إن استأذنتْه في ذلك، وألَّا يمنعها من الخروج إلَّا إذا لم يأمن من ذلك الخروج؛ كتعرُّضها للفتنة، وكذلك ألَّا يمنعها من الخروج لشهود الجماعة، أو صلة الرحم.

٨- أن يتزيَّن الرجل لزوجته كما تتزيَّن له: قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: إنِّي لَأُحبُّ أن أتزيَّن للمرأة كما أُحبُّ أن تتزيَّن لي؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[٢][٣]؛ أي: لهُنَّ من حُسْن الصحبة والعِشْرة بالمعروف على أزواجهنَّ؛ مثلُ الذي عليهنَّ لهم من الطاعة فيما أوجب الله تعالى ذكْره له عليها.

٩- أن يعفَّها: فيجب أن تنال الزوجةُ من زوجها اللذَّة كما ينال منها، ولذا أرشد النبي- صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون- رضي الله عنه- إلى ما لأهله عليه من الحقِّ، لما انقطع عنهم إلى العبادة، فقال صلى الله عليه وسلم:" وإنَّ لِزَوْجِكَ عليكَ حقًّا". رواه البخاري[٤].

ووطء المرأة واجبٌ في أظهر أقوال العلماء، وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة[٥] وأحمد[٦]، واختاره شيخ الإسلام[٧]، لكن يسقط هذا الحقُّ إن سافر الرجل عن زوجته لعذر وحاجة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٧) برقم (٥١٨٩) كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٩٦) برقم (٢٤٤٨) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب ذكر حديث أم زرع.

(٢) البقرة: ٢٢٨.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ١٩٦) برقم (١٩٢٦٣). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

(٤) رواه عن عبد الله بن عمرو: البخاري في صحيحه (٣/ ٣٩) برقم (١٩٧٥) كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١٣) برقم (١١٥٩) كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم. والحديث الذي خاطب فيه النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ١٩) برقم (٣١٦) بلفظ "وإن لأهلك عليك حقًّا". والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/ ٣٥٧).

(٥) ينظر: الدر المختار وحاشية ابن عابدين (٣/ ٢٠٢). رد المحتار على الدر المختار، المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٦) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٨/ ٣٥٤). الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ.

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٧١).

١٠- أن يعدل بينها وبين ضُرَّتِها- إن كان لها ضُرَّة-: لقوله تعالى:﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾[١]، وإن لم يستطع الرجلُ العدْلَ، أو خاف ألَّا يعدل؛ فلْيقتصرْ على واحدة؛ لقوله تعالى:﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾.

١١- النفقة والكسوة والسكن بالمعروف: والمقصود بالنفقة ما يُنفقه الزوج على زوجته وأولاده؛ من الطعام والكسوة والسكن وغيره، وهذه النفقة واجبة على الزوج بالكتاب والسُّنَّة والإجماع.

أمَّا الأدلَّة؛ فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾[٢]؛ ومن السُّنَّة النبويَّة قول النبي صلى الله عليه وسلم:"ولهُنَّ عليكم رزقُهُنَّ وكسوتُهُنَّ بالمعروف" رواه مسلم[٣]، ومن الإجماع اتِّفاق أهل العلم على وجوب نفقة الزوجة على زوجها.

وفي الختام: إنَّ هذه العلاقة بين الزوج والزوجة يجب أن تقوم على أساس التفاهُم والتعاطُف والفهْم، من أجل تلبية الحاجات الفطريَّة؛ النفسيَّة، والعقليَّة، والجسديَّة، وبهذا يكون السكن والاكتفاء والمودَّة والرحمة؛ من أجل إنشاء أسرة جديدة، تتجسَّد واقعًا في أجيال جديدة، ووالله لن ينشأ هذا المجتمع المسلم الذي أراده الإسلام لعمارة هذه الأرض إلَّا من خلال تطبيق هذا واقعًا في حياة المسلمين.

---

(١) النساء: ٣.

(٢) الطلاق: ٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨) كتاب الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.



١٠ شوَّال

سورة في كتاب الله شفعت لصاحبها (تبارك الذي بيده الملك)

سورة المِلك من السور المكيَّة الخالصة، ومن السور ذات الأسماء المتعدِّدة، قال الإمام الآلوسى: وتُسمَّى تبارك، والمانعة، والمنجية، والمجادِلة[1]؛ فعن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال:" كنَّا نُسَمِّيها في عهدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم المانِعَةَ، وإنَّها في كتابِ اللهِ سورةٌ؛ مَنْ قَرَأَها في ليلِهِ فقدْ أكثرَ وأَطْيَبَ. أيْ سورةُ تبارَكَ". أخرجه النسائي[2].

وكان نزولها بعد سورة المؤمنون، وقبل سورة الحاقَّة، وعدد آياتها ثلاثون آية.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمنَّى أنَّها في قلب كلِّ إنسان من أُمَّته؛ فقد جاء عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّه قال لرجلٍ: ألا أطرفك بحديثٍ تفرَح به؟ قال: بلى يا ابن عبَّاس، يرحمك الله. قال: اقرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾[3]، فاحفظْها، وعلِّمْها أهلك، وجميع ولدك، وصبيان بيتك، وجيرانك؛ فإنَّها المنجية، وهي المجادِلة، تُجادِل وتُخاصِم يوم القيامة عند ربِّها لقارئها، وتطلب إلى ربِّها أن يُنجيه من النار إذا كانتْ في جوفه، ويُنجي الله بها صاحبَها من عذاب القبر. قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" لَوَدِدْتُ أَنَّهَا فِي قَلْبِ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي". يَعْنِي: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ". أخرجه الطبراني[4].

وهذا إرشاد منه صلى الله عليه وسلم لكلِّ مسلم أن يحفظ هذه السورة، ويُعلِّمَها أهله وجيرانه.

وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أيضًا قال: ضرب بعض أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- خباءه على قبرٍ، وهو لا يحسب أنَّه قبرُ إنسانٍ يقرأ سورة الملك حتَّى ختمها، فأتى النبيَّ صلى

---

(١) تفسير الألوسي (١٥/ ٣). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٦٢) برقم (١٠٤٧٩) كتاب عمل اليوم والليلة، الفضل في قراءة تبارك الذي بيده الملك. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٩٣).

(٣) الملك: ١.

(٤) رواه عبد بن حميد في مسنده (ص ٢٠٦) برقم (٦٠٣). وروى الطبراني المرفوع منه كما في المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٢٤١) برقم (١١٦١٦). المنتخب من مسند عبد بن حميد، المؤلف: عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي. المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله؛ ضربتُ خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنَّه قبر، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك" تبارك" حتَّى ختمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" هي المانعة، هي المنجية، تُنجيه من عذاب القبر". رواه الترمذي[١].

والسورة الكريمة زاخرة بالحديث عن أدلَّة وحدانية الله تبارك وتعالى وقدرته، وعن مظاهر فضْله ورحمته بعباده، وعن بديع خلقه في هذا الكون، وعن أحوال الكافرين، وأحوال المؤمنين يوم القيامة، وعن وجوب التأمُّل والتدبُّر في ملكوت السموات والأرض، وعن الحجج الباهرة التي لقَّنَها سبحانه لنبيِّه صلى الله عليه وسلم لكي يقذف بها في وجوه المبطلين.

ولكن لماذا نقرؤها في كلِّ ليلةٍ؟ نقرؤها للأسباب التالية:

١- اتِّباعًا للنبي صلى الله عليه وسلم: فقد جاء عن جابر- رضي الله عنه-" أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتَّى يقرأ: آلم تنزيل، وتبارك الذي بيده الملك". رواه الترمذي[٢]، فأنتَ إذا قرأتَها تكون مُتَّبِعًا لسُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- هي سببٌ في الشفاعة ومغفرة الذنوب: يدلُّ على ذلك ما جاء عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال:" إنَّ سورةً منَ القرآنِ ثلاثونَ آيةً؛ شفعَت لرجلٍ حتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهيَ سورةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ". رواه الترمذي[٣].

٣- تُنجي من عذاب القبر: فقد كان عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- يقول:" مَن قرأ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ كلَّ ليلة؛ منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله صلى الله

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٦٤) برقم (٢٨٩٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل سورة الملك. والحديث ضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٦٣). مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ٢٦) برقم (١٤٦٥٩). الترمذي في جامعه (٥/ ١٦٥) برقم (٢٨٩٢) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل سورة الملك. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٦١) برقم (١٠٤٧٦) كتاب عمل اليوم والليلة ذكر ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة قبل أن ينام. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ١٣٠).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٣٥٣) برقم (٧٩٧٥). الترمذي في جامعه (٥/ ١٦٤) برقم (٢٨٩١) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل سورة الملك. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٠٩) برقم (١١٥٤٨) كتاب التفسير، تبارك الذي بيده الملك. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٤٤) برقم (٣٧٨٦) كتاب الأدب باب ثواب القرآن. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٦٣).



عليه وسلم نُسمِّيها المانعة، وإنَّها في كتاب الله سورة مَن قرأ بها في كلِّ ليلةٍ فقد أكثر وأطاب". رواه النسائي(١).

٤- سورة تُرسِّخ في قلب المسلم صفتَينِ من صفات الكمال التي يتَّصف بها سبحانه؛ فهو مالك الملك، وهو القادر المقتدر المتصرِّف في مُلكه وعبيده بما يشاء؛ فقد افتُتحتْ بقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)، ومَن يُوقن أنَّ الله تعالى هو مالك الملك، القدير على كل شيء؛ اطمأنَّ قلبُه، وهدأت نفسُه، وانصبغ بأنوار الرضا.

٥- السورة الكريمة تُخبرنا عن سبب وجودنا في هذه الحياة، وهو سؤال طالما سأل عنه الإنسان، فجاء الجواب بقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾(٣)، وهنا نلاحظ أنَّ الله سبحانه لم يقلْ: أكثركم عملًا؛ لأنَّ الكثرة في ميزان الله تعالى لا تعني شيئًا ما لم تكن منضبطة بشرع الله تعالى، ويُقصَد بها وجهُه، وإنَّما قال: أيُّكم أحسن عملًا، وهو أعظم اختبار نتعرَّض له في هذه الحياة.

كما تُحدِّثُنا آيات من هذه السورة عن النهاية الحزينة المفجعة لمن أعرضَ عن الله سبحانه، ولم يستمعْ لما جاءت به الرسل، ولم يعقل سبب وجوده في هذه الحياة، في مشهدٍ مُؤثِّرٍ للنار بشهيقها وتغيُّظها، وتقريع خزنتها للمُعرضين والمكذِّبين، وهو نافعٌ لمن تأمَّله واصطحبه في ذهنه في ليله ونهاره حذرًا من هذه النهاية المؤلمة؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾(٤).

وفي الختام؛ فقد ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء؛ يقول: هل قراءة سورة الملك كلَّ ليلةٍ تشفع لصاحبها عند الموت؟

فأجابت اللجنة: هذا الحديث عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى غفر له؛ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾". رواه أحمد. قال المنذري في مختصره: أخرجه النسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن، لكن في سنده ضعف، وعلى هذا يُرجى لمن آمَنَ بهذه السورة، وحافَظَ على قراءتها وابتغاء وجه الله؛ مُعتبِرًا بما فيها من العِبَر والمواعظ، عامِلًا بما فيها من أحكام؛ أن تشفع له(٥).

---

(١) تقدم تخريجه في أول هذه الفائدة.

(٢) الملك: ١.

(٣) الملك: ٢.

(٤) الملك: ٦- ٨.

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة (٤/ ٣٣٤). فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.



كما سُئل فضيلة الشيخ صالح بن فوزان: ما هي الفضائل التي وردتْ في سورة الملك؟ فأجاب فضيلته: سورة الملك سورة عظيمة، وردَ في فضْلها أحاديث، منها ما رواه أهل السُّنن الأربع: أنَّ رجلًا قرأ سورةً من ثلاثين آية شفعتْ له، ووردَ أنَّ سورة الملك أيضًا قراءتها تقي من عذاب القبر، أو ما هذا معناه، وفيها فضْل، وفيها ثواب عظيم؛ لما تشتمل عليه من المعاني العظيمة التي أنزلها الله تعالى فيها، فهي سورة عظيمة، ووردَ في تلاوتها هذا الفضْل الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم(١).

وعن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنَّه قال: يُؤتى الرجلُ في قبره فتُؤتى رجلاه فتقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى من قِبَل صدره فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك. قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب. أخرجه الحاكم(٢).

---

(١) مجموع فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان (١/ ١٣٢). مجموع فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٤٠) برقم (٣٨٣٩). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٩٢).



١١ شوَّال

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

الحديث عن أسماء الله الحسنى حديثٌ يأخذ بالقلوب، وينقلها من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة؛ ليتعرَّف على أسماء الله تعالى وصفاته، فيشعر المرء بعظمة الله وسلطانه وملكه وكبريائه، وحينما نتأمَّل القرآنَ العظيم؛ نجد أنَّ أسماء الله الحسنى مذكورة في جميع السور، وأحيانًا نجد حديثًا سردًا لأسماء الله وصفاته، وحديثًا عن عظمة الله تعالى، أو تعقيبًا على آية من الآيات؛ في وعد أو وعيد، أو حكم شرعي، أو حديثًا عن المكذِّبين والضالِّين، أو عن أنبياء الله ورسله، فما من أمْرٍ وردَ أكثر في كتاب الله من الحديث عن الأسماء والصفات؛ فقد بلغ عدد أسماء الله الحسنى التي ثبتتْ في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية أكثر من تسعةٍ وتسعين اسمًا؛ كما بيَّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. وتكمُن الحكمة من عدم تعيين عدد أسماء الله الحسنى في تحفيز كلِّ مسلمٍ كي يسعى إلى الاجتهاد، ويدعو الله بالأسماء التي يعرفها جميعها؛ سواء التي ذُكِرت في القرآن، أو التي ذُكِرت في السُّنَّة.

والعلم بأسمائه تعالى وصفاته والتفقُّه فيها رأس العلم وأساسه؛ فالعلم علمان: علْمٌ بالله، وعلْمٌ بأمره وشرعه، والآخَر راجعٌ إلى الأول وصادر منه؛ فالعلم بأسمائه أصل كل معلوم؛ كما أنَّ جميع المخلوقات والموجودات والأوامر الشرعية؛ ترجع إلى معاني هذه الأسماء.

بيَّن ذلك وجلَّاه ابن القيم- رحمه الله- حيث قال: فإحصاء الأسماء الحسنى والعلْم بها أصلٌ للعلْم بكل معلوم، فإنَّ المعلومات سواه إمَّا أن تكون خَلْقًا له تعالى أو أمْرًا، إمَّا علمٌ بما كوَّنه أو علمٌ بما شرَّعه، ومصدر الخلْق والأمْر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه؛ فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كلُّه حسنٌ لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه؛ فأمْره كلُّه مصلحة وحكمة ولطف وإحسان؛ إذ مصدره أسماؤه الحُسنى، وفعله كلَّه لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة؛ إذ مصدره أسماؤه الحُسنى، فلا تفاوت في خلْقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلًا ولا سدًى ولا عبثًا، فمَن أحصى أسماءه- كما ينبغي للمخلوق- أحصى جميع العلوم؛ لأنَّها من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمَّل صدور الخلْق والأمْر عن علمه وحكمته تعالى، ولهذا لا تجد فيها خللًا ولا تفاوتًا[1]؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٦٣). بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.



النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إلَّا واحِدًا، مَن أحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ" رواه البخاري(١)، ويُقصَد بإحصاء أسماء الله الحسنى: حِفْظُها، ومعرفة ما فيها من معانٍ، والعمل بما ورد فيها، فالعلم بأنَّ الله هو الأحد يقتضي عدم الإشراك به، وعبادته وحده، والعلم بأنَّه الرزَّاق يقتضي اليقين بأنَّ الرزق بيد الله وحده، كما يكون إحصاء الأسماء الحسنى بدعاء الله بها.

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: إنَّ القصد من إحصاء أسماء الله الحسنى ليست كتابتها، بل التعبُّد بها، والإحاطة بها جميعها، وفهمُها(٢).

ومن الجدير بالذكر أنَّ إحصاء أسماء الله الحسنى يكون على مراتب، أولاها: إحصاء عددها وألفاظها، وثانيها: فهْم معانيها ودلالتها، وثالثها: الدعاء بها؛ سواءً كان ذلك دعاء مسألة، أو دعاء عبادةٍ وثناءٍ على الله تعالى.

ويُعرَّف الإيمان بأسماء الله الحُسنى بأنَّه: إثبات ما أثبتَه الله لنفسه من صفات وأسماء، فيؤمن المسلم بأنَّ الله هو السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبَّار، ويؤمن بأنَّ الله تعالى فوق السماوات مستوٍ على العرش، وبأن لا أحدَ يُشبِه الله تعالى في أسمائه وصفاته؛ فالله الغني الذي ليس كمثله أحد، والعليم الحكيم الذي ليس لأحدٍ من العلم والحكمة مثل ما له.

ويستند الإيمان بأسماء الله الحسنى إلى عدَّة أركانٍ، وهي: الإيمان بالاسم، والإيمان بدلالة ما في الأسماء من مَعان، وما فيها من آثارٍ، وقد بيَّن العلامة ابن القيم- رحمه الله- آثار الإيمان بأسماء الله وصفاته فقال: تدلُّ أسماء الله الحسنى على الكمال؛ فكلُّ صفة لها فعل ومقتضى؛ إمَّا أن يكون لازمًا أو مُتعدِّيًا؛ فتعلُّق الفعل بالمفعول من لوازمه، وليس من الممكن تعطيل ذلك، فعلى سبيل المثال يُوجِب اسْمَا السميع البصير ما كان مسموعًا ومرئيًّا، أمَّا الخالِق فإنَّه يقتضي وجود مخلوقٍ، وأكملُ الناسِ عبوديةً مَن تعبَّد بجميع أسماء الله وصفاته التي يعلمها البشر(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٩٨) برقم (٢٧٣٦) كتاب الشروط باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٣) برقم (٢٦٧٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٢٣).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٤١٩). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

كما تُحقِّق محَبةَ الله سبحانه؛ فأكثرُ العباد معرفة بأسماء الله الحسنى أكثرُهم حُبًّا له عزَّ وجلَّ؛ إذ إنَّ الله محمودٌ على كلِّ فعلٍ وأمْرٍ، فجميعها تصدر عن حكمة وعلْمٍ.

كما تُعَدُّ معرفة أسماء الله الحسنى سببًا من أسباب الفوز بمغفرة الله ورضوانه؛ فمعرفة العبد أنَّ الله جبَّارٌ؛ تُحقِّق شعور العبد بتعظيم الله تعالى والخوف منه كذلك؛ فيحرص على تنفيذ أوامره، والابتعاد عمَّا نهى عنه.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]: ولله سبحانه وتعالى الأسماء الحسنى، الدالَّة على كمال عظمته، وكلُّ أسمائه حَسَنٌ، فاطلبوا منه بأسمائه ما تريدون، واتركوا الذين يُغيِّرون في أسمائه بالزيادة أو النقصان أو التحريف، كأن يُسمَّى بها مَن لا يستحقُّها، كتسمية المشركين بها آلهتهم، أو أن يجعل لها معنى لم يُرِدْه اللهُ ولا رسولُه صلى الله عليه وسلم، فسوف يُجزَون جزاء أعمالهم السيِّئة التي كانوا يعملونها في الدنيا من الكُفْر بالله، والإلحاد في أسمائه وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم[2].

فهذا بيانٌ لعظيم جلاله، وسعة أوصافه، بأنَّ له الأسماء الحُسنى، أي: له كلُّ اسمٍ حَسَنٍ، **وضابطُه**: أنَّه كلُّ اسمٍ دالٍّ على صفة كمالٍ عظيمة، وبذلك كانت حُسنى، فإنَّها لو دلَّت على غير صفة، أو كانت عَلَمًا محضًا لم تكن حُسنى، وكذلك لو دلَّت على صفةٍ ليست بصفة كمال؛ إمَّا صفة نقص، أو صفة مُنقسِمة إلى المدح والقدح؛ لم تكن حُسنى، فكلُّ اسمٍ من أسمائه تبارك وتعالى دالٌّ على جميع الصفة التي اشتُقَّ منها، مُستغرِقٌ لجميع معناها.

ونختم بما قاله الشيخ ابن باز- رحمه الله- حيث قال: يُبيِّنُ سبحانه أنَّ له الأسماء الحُسنى التي لا يعتريها نقص، بل هي كاملة: كالحكيم، والعزيز، والرؤوف، والقدير، والقدُّوس، والملِك، ونحو ذلك، كلُّها أسماء حُسنى دالَّة على المعاني العظيمة، موصوفٌ بها ربُّنا عزَّ وجلَّ على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، فيُدعَى بها سبحانه وتعالى، فيُقال: يا رحمنُ، يا رحيمُ، يا عزيزُ، يا حكيمُ؛ اغفرْ لنا، ارحمْنا، نجِّنا من النَّار، فهو يُدعَى بها سبحانه وتعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، والإلحاد فيها هو الميل بها عن الحقِّ والإشراك مع الله فيها سبحانه وتعالى، كمَن جعل لغير الله شيئًا من العبادة كاللات والعُزَّى والأصنام، قد أشركَ فيها مع اللهِ غيرَه وجعلها إلهًا له ولغيره،

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) ينظر: التفسير الميسر (١/ ١٧٤).

فصار كافرًا بذلك، وهكذا مَن ألحَدَ فيها بأنْ مالَ عن الحقِّ، وزعم أنَّه لا معنى لها كالجهميَّة والمعتزلة الذين نفوا صفات الله، أو نفوا أسماءه وصفاته جميعًا، فقد ألحدوا في ذلك، يعني مالوا عن الحقِّ، فالإلحادُ الميلُ عن الحقِّ، ومنَّه اللحدُ في القبر[١].

(١) من شرح الشيخ رحمه الله تعالى على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. ينظر موقع الشيخ رحمه الله.

١٢ شوَّال

أم المؤمنين عائشة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق

السَّيِّدة الصِّدِّيقة عائشة بنت عبد الله بن أبي قُحافة بن عثمان بن عامر بن كعب بن كنانة، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وابنة خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصِّدِّيق- رضي الله عنه-، وأمُّها أم رومان بنت عامر الكنانية. هاجر بِها والداها، وتزوَّجها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة للمدينة المنوَّرة وبعد وفاة زوجته السيدة خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها-، ولم يدخلْ بها إلَّا في شوَّال سنة اثنتين من الهجرة، بعد غزوة بدر، وهي ابنة تسع سنوات، فكانت زوجته في الدنيا، وهي زوجته كذلك في الآخرة. روى البخاري أنَّ عمرو بن العاص- رضي الله عنه- سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الناسِ أحبُّ إليكَ يا رسول الله؟ قال: عائشة، قال: فمِنَ الرجال؟ قال: أبوها"[١].

وكانت عائشة- رضي الله عنها- تُكنَّى بأمِّ عبد الله؛ نسبة لابن أختها عبد الله بن الزبير-رضي الله عنه-، والذي أتتْ به عند ولادته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فتفل في فمه؛ ليكون ذلك أول ما يدخل إلى جوفه، وقيل أيضًا: إنَّها أتتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبتْ منه أن يكون لها كُنية كباقي النساء؛ فكنَّاها بأمِّ عبد الله نسبة لابن أختها أسماء تطييبًا لخاطِرها، فعن عروة عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ كُلُّ صَوَاحِبِي لَهُنَّ كُنًى، قَالَ:" فَاكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ- يَعْني ابنَ أُختِها-". رواه أحمد[٢].

كان لها- رضي الله عنها- مكانة خاصَّة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يُظهِر ذلك الحُبَّ، ولا يُخفيه، وقال صلى الله عليه وسلم ذات مرَّةٍ:" يا أُمَّ سَلَمَةَ؛ لا تُؤْذِينِي في عَائِشَةَ، فإنَّه واللَّهِ ما نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وأَنَا في لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غيرِهَا". رواه البخاري[٣].

وكان صلى الله عليه وسلم يداعبها، فعن السيدة عائشة- رضي الله عنها- قالت:" لَقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُومُ علَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بحِرَابِهِمْ، في مَسْجِدِ رَسولِ اللهِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٥) برقم (٣٦٦٢) كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا». ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٦) برقم (٢٣٨٤) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٣/ ٢٩١) برقم (٢٦٢٤٢). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٩٣) برقم (٤٩٧٠) كتاب الأدب باب في المرأة تكنى. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٤٧٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٠) برقم (٣٧٧٥) كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضل عائشة رضي الله عنها.

صلى الله عليه وسلم، يَسْتُرُنِي برِدَائِهِ، لِكَيْ أَنْظُرَ إلى لَعِبِهِمْ، ثُمَّ يَقُومُ مِن أَجْلِي، حتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتي أَنْصَرِفُ، فَاقْدِرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، حَرِيصَةً علَى اللَّهْوِ". رواه مسلم(١).

وعنها أيضًا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كانَ إذا اشتَكى يقرأُ في نفسِهِ بالمعوِّذاتِ وينفُثُ، فلمَّا اشتدَّ وجعُهُ كنتُ أقرَأُ عليْهِ وأمسَحُ عليْهِ بيدِهِ رجاءَ برَكتِها". رواه البخاري ومسلم(٢).

فهي- رضي الله عنها- تُعتبَر من أكثر الصحابيَّات فضلًا، فيكفيها أنَّه نزل في براءتها قرآنٌ يُتلى إلى يوم القيامة، ويكفيها أنَّها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، وأنَّها أحبُّ نسائه إلى قلبه، وأنَّه مات في دارها ودُفِن فيها، وأنَّه مات بين سحْرها ونحْرها.

وقد أقرأها جبريل- عليه السلام- السلام، فعن عائشة- رضي الله عنها- أنَّها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يا عائِشُ؛ هذا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ، قُلتُ: وعليه السَّلَامُ ورَحْمَةُ اللَّهِ، قالَتْ: وهو يَرَى ما لا نَرَى". رواه البخاري ومسلم(٣).

ومن فضائلها أنَّها- رضي الله عنها- من أفقه نساء هذه الأمَّة، فقد روت عن الرسول- صلى الله عليه وسلم علمًا كثيرًا، وبلغ مُسندُها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وكانت- رضي الله عنها- أفصح أهل زمانها وأحفظهم للحديث، روى عنها- رضي الله عنها- الرواةُ من الرجال والنساء، يقول أبو موسى الأشعري- رضي الله عنه-:" ما أشكَل علينا - أصحابَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم- حديثٌ قطُّ، فسأَلْنا عائشةَ إلَّا وجَدْنا عندَها منه عِلْمًا". رواه الترمذي(٤).

وكان مسروق إذا روى عنها يقول: حدَّثتني الصِّدِّيقة بنتُ الصِّدِّيق البريئة المبرَّأة(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٨) برقم (٥١٩٠) كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٩) برقم (٨٩٢) كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١١) برقم (٤٤٣٩) كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٢١) برقم (٢١٩١) كتاب السلام باب استحباب رقية المريض. واللفظ المذكور هو لفظ ابن ماجه كما في سننه (٢/ ١١٦٦) برقم (٣٥٢٩) كتاب الطب باب النفث في الرقية.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٩) برقم (٣٧٦٨) كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضل عائشة رضي الله عنها. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٩٥) برقم (٢٤٤٧) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٧٠٥) برقم (٣٨٨٣) أبواب المناقب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٤٦).

(٥) ينظر: مسند أحمد (٤٣/ ١٦٨) برقم (٢٦٠٤٤).



وقال الزهري: كانت عائشة- رضي الله عنها- أعلم الناس، يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

وقال عطاء: كانت عائشة- رضي الله عنها- أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامَّة[٢].

وقد ثبت رجوع أكابر الصحابة مثل: عمر وعثمان وعليّ وابن عمر وابن مسعود وابن عبَّاس- رضي الله عنهم جميعًا- وغيرهم في الكثير من المسائل التي كانت تشكل عليهم؛ الى أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- فكانت تفصل بينهم بالحكم الشرعي.

ومن فضائلها- رضي الله عنها- أنَّها صاحبة معرفة بأنساب العرب، وأنَّها العابدة والزاهدة والشاعرة والطبيبة. قال عروة: ما رأيتُ أعلمَ بالشعرِ منها- يعني عائشة-". رواه البخاري[٣].

وكان لها- رضي الله عنها- علمٌ بالطِّبِّ، قال أبو عمر بن عبد البر: إنَّ عائشة- رضي الله عنها- كانت وحيدة عصرها من ثلاثة علوم: (علْم الفقه، وعلْم الشِّعْر، وعلْم الطِّبِّ) [٤].

وعند وفاتها- رضي الله عنها- جاء ابنُ أخيها عبدُ الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فأكبَّ عليها فقال: هذا عبد الله بن عبَّاس يستأذن، وهي تموت، فقالت: دعني من ابن عبَّاس. فقال: يا أماه؛ إنَّ ابن عبَّاس من صالحِ بنيكِ، يُسلِّم عليكِ ويُودِّعكِ. فقالت: ائذن له إن شئتَ. قال: فأدخلتُه، فلمَّا جلس قال ابن عبَّاس: أبشري. فقالت أمُّ المؤمنين: بماذا؟ فقال: ما بينك وبين أن تلقي مُحمَّدًا والأحبَّة إلَّا أن تخرج الروح من الجسد، وكنتِ أحبَّ نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٠/ ١٧). تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥/ ٢٣٤).

(٣) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٢/ ٥١٠). تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

(٤) ينظر: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة (ص: ٥٦). الْإِجَابَةُ لِإِيْرَادِ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: سعيد الأفغاني (تمت الإحالات على هذه الطبعة مع مراعاة عدم نقل تعليقه وقام بتحرير الكتاب والتعليق عليه والتخريج: د. عصمت الله)، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى: عام ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م، الثانية: عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.



إليه، ولم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحبُّ إلَّا طيِّبًا، وسقطتْ قلادتُك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبح الناس وليس معهم ماء، فأنزل الله آية التيمُّم، فكان ذلك في سببكِ، وما أنزل اللهُ من الرُّخصة لهذه الأُمَّة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات، جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد الله إلَّا يُتلَى فيه آناء الليل وآناء النهار. فقالتْ: دعني منك يا ابن عبَّاس، والذي نفسي بيده؛ لوددتُ أنِّي كنتُ نسيًا مَنسيًّا[١].

تُوفِّيت أمُّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- في المدينة المنوَّرة، ليلة الثلاثاء في السابع عشر من شهر رمضان، في السنة الثامنة والخمسين للهجرة؛ أي أنَّها عاشت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم خمسين عامًا، وأوصتْ أن تُدفَن ليلًا، وصلَّى عليها أبو هريرة- رضي الله عنه- ودُفِنت في البقيع، وكان ذلك زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه-.

ولا أجد ما نختم به أفضل من قول الشاعر:

قدْ عَزَّ مَن آلَتْ بُنوَّتُهُ لأُمِّ المؤمنينْ
هِيَ أمُّنا، زوجُ النبيِّ الصَّادقِ البَرِّ الأَمينْ
أمٌّ إلى يومِ القيامةِ للأُباةِ الصَّادِقينْ
صِدِّيقةٌ هيَ، وابنةُ الصدِّيقِ فَخرِ العَالَمينْ
هيَ فَخْرُ مَن نُسِبُوا إلَيها مِن بَناتٍ أوْ بَنِينْ
اَلحُرَّةُ الشَمَّاءُ، عِزُّ الخَلْقِ، في خُلُقٍ وَدِينْ
اللهُ طَهَّرَ ثَوبَها، مِن كلِّ بادِرةٍ تَشِينْ
وَلَها الكَرامةُ وَالسُّموُّ بِرَغـمِ كَيدِ الحَاقِدينْ[٢]

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٩٧) برقم (٢٤٩٦). والحديث صححه لغيره الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ١٩٥). والحديث رواه البخاري مختصرًا في صحيحه (٦/ ١٠٦) برقم (٤٧٥٣) كتاب تفسير القرآن باب {ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن [ص:١٠٦] نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم} [النور: ١٦].

(٢) لم أقف على قائلها. فالله أعلم

١٣ شوَّال

الشِّرْك الأكبر

الشِّرْك باللَّه مُصطلح إسلامي يُشير إلى جعْل شريكٍ لله في العبادة والمِلْك، ويَعتبِر الإسلامُ الشِّرْكَ باللهِ أكبرَ الكبائر، ويُسمَّى صاحبُه مُشرِكًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: أصل الشرك أن تَعدِلَ باللهِ مخلوقاته في بعض ما يستحقُّه وحده[1]، وقال الشيخ السعدي- رحمه الله-: حقيقة الشِّرْك بالله أن يُعبَد المخلوقُ كما يُعبَد الله، أو يُعظَّم كما يُعظَّم الله، أو يُصرَف له نوعٌ من خصائص الربوبيَّة والإلهيَّة[2]؛ فالشرك عدم التوحيد، وهو جعْل شيء من حقوق الله تعالى- في ربوبيَّته أو ألوهيَّته أو أسمائه وصفاته- لأحدٍ من خلْقه، وهو فرعٌ من الكفر بالله تعالى.

والشرك والكفر قد يُطلَقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله أي: التكذيب والجحود بالله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: الكفر هو عدم الإيمان، سواء كان معه تكذيب، أو استكبار، أو إباء، أو إعراض؛ فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر[3]. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[4].

قال الإمام النووي: إنَّ الشرك والكفر قد يُطلَقانِ بمعنى واحد، وهو الكفر بالله تعالى، وقد يُفرَّق بينهما، فيُخصُّ الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى، ككفَّار قريش، فيكون الكفرُ أعمَّ من الشرك[5].

ويُقسَّم هذا النوع من الشرك إلى عدَّة أنواع بحسب طبيعة الشرك المندرِج تحته:

١- الشرك في الربوبيَّة: وهو أن يعتقد المرء بأنَّ هناك شريكًا لله- سبحانه وتعالى-، مُتصرِّفًا في الكون بالخلْق والإنشاء والإيجاد والتدبير، وقد ادَّعى فرعون ذلك لنفسه، وجاء بيان ذلك في قوله تعالى

---

(١) الاستقامة (١/ ٣٤٤). الاستقامة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٩).

(٤) النساء: ١٣٦.

(٥) شرح النووي على مسلم (٢/ ٧١).

على لسانه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[١]، فكان إغراقُه دليلًا على كذب ادِّعائه، فكيف لربٍّ أن يعجز عن إنقاذ نفسه من الغرق؟ فلم يستطع إدراك ما ينتظره ليتفاداه ويُبعِد الشرَّ عن نفسه، ومن باب أولى أن يعجز عن إنقاذ غيره وإبعاد الخطر عنهم، ومَن كان هذا حاله فإنَّه يستحيل أن يكون ربًّا مُتصرِّفًا في الأمور.

٢- الشرك في الألوهيَّة: وهو أن يصرف المرءُ عبادتَه أو شيئًا منها لغير الله سبحانه وتعالى، فيجعل في تلك العبادة تقرُّبًا من ذلك الشريك، ومثال ذلك عبادة الأصنام والأوثان والالتجاء إلى القبور والتوسُّل بأصحابها، فيجب على مَن آمن بالله أن يُعزِّز إيمانه، ويُثبِّتَه بأن يصرف جميع عبادته ويجعلها مُتوجِّهة لما يُرضي اللهَ ويُقرِّبُه منه. ومن ذلك تَقرُّبه إليه بالصلاة وإفرادها له، والصيام وإخلاصه له، والحج والزكاة وغير ذلك من العبادات، وأن يعتقد أنَّ الله لم يدعْ بينه وبين عباده حاجزًا يمنعهم من الالتجاء إليه مباشرة، فلا يتوسَّل إلى صاحب قبرٍ لأن يُوصِّلَه إلى الله؛ مهما بلغ صاحب ذلك القبر من العلم والتقوى والورع، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢].

٣- الشرك في الأسماء والصفات: وهو أن يعتقد المرءُ أنَّ هناك من البشر أو الخلْق مُتَّصِفٌ بصفات الله عزَّ وجلَّ أو واحدة منها، وأنَّ اتِّصاف ذلك الشخص أو الشيء بتلك الصفة هو كاتِّصاف الله بها، وهو كمَن يعتقد أنَّ أحد الخلْق يعلمُ الغيبَ مثلَ علْمِ الله عزَّ وجلَّ، أو أنَّ هنالك من الخلْق مَن له مِن القدرة بحيث لا يَستعصي عليه فعْلُ شيءٍ، ولا يقف شيء في وجهه.

والشرك الأكبر أن تجعل لله نِدًّا (شريكًا) تدعوه كما تدعو الله، أو تصرف له نوعًا من أنواع العبادة، كالاستغاثة أو الذبح أو النذر أو غيرها، فعن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: سألتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم: أيُّ الذنبِ أعظم؟ قال:" أن تجعلَ لله نِدًّا وهو خلقك". رواه البخاري ومسلم[٣].

---

(١) النازعات: ٢٤.

(٢) الأنعام: ١٦٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٨) برقم (٤٤٧٧) كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون} [البقرة: ٢٢]. ومسلم في صحيحه (١/ ٩٠) برقم (٨٦) كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده.

والشرك الأكبر له صور ومظاهر مُتعدِّدة؛ نذكر منها:

١- شِرْك الدعاء: وهو دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء لطلب الرزق أو شفاء المرضى؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١]، ولقوله صلى الله عليه وسلم:" مَن مَاتَ وهو يدعو من دون الله نِدًّا دَخَلَ النَّارَ". رواه البخاري[٢].

٢- الشرك في صفات الله: كالاعتقاد بأنَّ الأنبياء أو الأولياء يعلمون الغيب، قال الله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾[٣].

٣- شِرْك المحبَّة: وهو محبَّة أحد الأولياء أو غيرهم كمحبَّة الله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾[٤].

٤- شِرْك الطاعة: وهو طاعة العلماء والمشايخ في المعصية مع اعتقادهم جواز ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٥]، وقد فُسِّرتِ العبادة بطاعتهم في المعصية بتحليل ما حرَّم الله، وتحريم ما أحلَّ الله؛ قال صلى الله عليه وسلم:" لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالِقِ". رواه أحمد[٦].

٥- شِرْك الحلول: وهو الاعتقاد بأنَّ الله تعالى حَلَّ في مخلوقاته، وهذه عقيدة ابن عربي الصوفي المدفون بدمشق حتَّى قال:

الرَّبُّ عبدٌ، والعبدُ رَبٌّ ... يَا ليتَ شِعري مَنِ المكلَّفُ؟[٧]

٦ - شِرْك التصرُّف: وهو اعتقاد أنَّ بعض الأولياء لهم تصرُّفات في الكون يُدبِّرون أموره، يُسمُّونهم الأقطاب، مع أنَّ الله تعالى يسأل المشركين الأقدمين قائِلًا: ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ ﴾[٨].

---

(١) يونس: ١٠٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٣) برقم (٤٤٩٧) كتاب تفسير القرآن باب قوله: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله} [البقرة: ١٦٥].

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) البقرة: ١٦٥.

(٥) التوبة: ٣١.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٣) برقم (١٠٩٤). والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٠٩٢).

(٧) مجموع الفتاوى (٢/ ٨٢) إلا أنه قال في الشطر الأول من البيت: "الرب حق والعبد حق"

(٨) يونس: ٣١.

٧- شِرْك الخوف: وهو الاعتقاد بأنَّ لبعض الأولياء الأموات أو الغائبين تصرُّفًا وضررًا يُسبِّب الخوف منهم، لذلك تجد بعض الناس يحلف بالله كاذبًا ولا يحلف بالوليّ كاذبًا خوفًا منه، وهذا اعتقاد المشركين الذي حذَّر منه القرآن بقوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾[1]. أمَّا الخوف من الحيوان المفترِس، والظالم الحيّ فجائزٌ، وليس بشِرْكٍ.

٨- شِرْك الحاكمية: وهو الذي يُصدِر القوانين المخالِفة للإسلام ويُجيزها، أو يرى عدم صلاحية حُكْم الإسلام، ويشمل الحاكم والمحكوم، وذلك إذا اعتقدها المحكوم ورضي بها.

والشِّرْك الأكبر يُحبِط العمل: لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[2].

ختامًا: الشرك الأكبر من الكبائر التي تُخرِج الإنسان من مِلَّة الإسلام، ويتلخَّص الشرْك الأكبر بشِرْكِ الربوبيَّة في ذات الله، وشِرْكِ الأسماء والصفات في أسماء الله وصفاته، وشِرْكِ الألوهيَّة في أفعال الله. والشرك الأكبر لا يغفرُه اللهُ إلَّا بالتوبة وترْك الشرْك كلِّه؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[3].

---

(١) الزمر: ٣٦.

(٢) الزمر: ٦٥.

(٣) النساء: ١١٦.

١٤ شوَّال

الشِّرْك الأصغر

إنَّ الشِّرْك بالله تعالى أعظمُ ذنبٍ عُصِيَ الله به، كما قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[(١)]، وهو نوعان: أكبر وقد تحدَّثنا عنه، وأصغر وهو موضوع حديثنا الآن، وللأسف الشديد فبعض الناس يظنُّون أنَّ تسميته شرْكًا أصغر تعني أنَّه من صغائر الذنوب، وليس الأمْرُ كذلك؛ بل هو من الكبائر لكن لا يُخرِجُ من الإسلام.

والشِّرْك الأصغر: هو ما ثبت بالنصوص من الكتاب والسُّنَّة تسميته شرْكًا؛ لكنَّه ليس من جنس الشِّرْك الأكبر.

وقد عرَّف العلَّامة عبد الرحمن السعدي- رحمه الله- الشِّرْك الأصغر بأنَّه: كلُّ وسيلةٍ وذريعةٍ يتطرَّق منها إلى الشِّرْك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[(٢)]، وقد خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابته- رضي الله عنهم- وهم أكمل الأُمَّة إيمانًا، ولكثرة مَن وقع فيه مِن المسلمين، فلا يكاد أحدٌ ينجو منه إلَّا مَن عَصمَ الله.

ويُمكن أن نُعرِّف الشِّرْك الأصغر بأنَّه ما أتى في النصوص أنَّه شِرْكٌ، ولم يصل إلى حدِّ الشِّرْك الأكبر.

وهناك دلالات مُعيَّنة تُبيِّنُ الشِّرْك الأصغر من الأكبر، منها:

صريح النَّصِّ عليه، كقوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّرْك الأصغر، قالوا: يا رسول الله؛ وما الشِّرْك الأصغر؟ قال: الرياء". رواه أحمد[(٣)].

ومن الدلالات على الشِّرْك الأصغر أن يأتي مُنكَّرًا غير مُعرَّف، فإن جاء مُعرَّفًا بـ "ال" دلَّ على أنَّ المقصود به الشِّرْك المخرِج من المِلَّة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الرُّقى والتمائم والتِّوَلَة شِرْكٌ". رواه أحمد[(٤)].

---

(١) لقمان: ١٣.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ٥٨). القول السديد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٩) برقم (٢٣٦٣٠). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٣٤).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١١٠) برقم (٣٦١٥). وأبو داود في سننه (٤/ ٩) برقم (٣٨٨٣) كتاب الطب باب في تعليق التمائم. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١٦٦) برقم (٣٥٣٠) كتاب الطب باب تعليق التمائم. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٨٤).

ومن الدلالات أيضًا على الشِّرْك الأصغر ما فهمَه الصحابة من النَّصِّ، فالصحابة أعلمُ الأُمَّة بمعاني نصوص الكتاب والسُّنَّة، ومثاله حديث:" الطِّيَرةُ شِرْكٌ، وما منَّا إلَّا، ولكنَّ الله يُذهِبه بالتَّوكُّل". رواه أحمد[١]. فإنَّ آخر الحديث على الصحيح هو من قول ابن مسعود–رضي الله عنه–، ومعناه: وما منَّا إلَّا ويقع له شيءٌ من التَّطيُّر.

ومن ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن حَلَفَ بغير الله فقد أشْرَكَ". رواه الترمذي[٢]، فقد فسَّر ابن عبَّاس– رضي الله عنهما– قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣]، أنَّ الحلف بغير الله مِن الشِّرْك الخفيّ والذي يُعتبَر شِرْكًا أصغر.

حيث فسَّر الرسول صلى الله عليه وسلم الشِّرْك الخفي بالرِّياء، والذي يُعَدُّ شِرْكًا أصغر، عن أبي سعيد الخدري– رضي الله عنه–:" ألا أخبركم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟ قالوا: بلى. قال: الشِّرْك الخفي، يقومُ الرجلُ فيُصلِّي فيُزيِّنُ صلاتَه لما يرى من نظر الرجل". رواه أحمد[٤].

ومن الشِّرْك الأصغر ما يكون شِرْكًا بحسب قائله ومقصده، فمثلًا الحلف بغير الله تعالى– في حد ذاته– من الشِّرْك الأصغر (شِرْك الألفاظ)، لكن إن قصد قائله تعظيم غير الله تعالى كتعظيم الله تعالى مثلًا، فهذا شِرْك أكبر.

والشِّرْك الأصغر قد يكون ظاهرًا جليًّا، وربما كان خفيًّا دقيقًا، كما أنَّه يكون في الإرادات والنِّيَّات، ويكون في الأقوال والأفعال.

فمن أمثلة هذا الشِّرْك: التَّطيُّر وهو التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع وغيرها، فنهى الشارع عن التَّطيُّر وذمِّ المتطيِّرين، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٢١٣) برقم (٣٦٨٧). وأبو داود في سننه (٤/ ١٧) برقم (٣٩١٠) كتاب الطب باب في الطيرة. والترمذي في جامعه (٤/ ١٦٠) برقم (١٦١٤) أبواب السير باب ما جاء في الطيرة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١٧٠) برقم (٣٥٣٨) كتاب الطب باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٩١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٢٧٥) برقم (٥٣٧٥). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٢٣) برقم (٣٢٥١) كتاب الأيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء. والترمذي في جامعه (٤/ ١١٠) برقم (١٥٣٥) أبواب النذور والأيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٦/ ٣٨٥).

(٣) البقرة: ٢٢.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ٣٥٤) برقم (١١٢٥٢) مختصرًا. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٦) برقم (٤٢٠٤) كتاب الزهد باب الرياء والسمعة. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٦٦).

يَعۡلَمُونَ ﴾(١)، وقال صلى الله عليه وسلم:" لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر". رواه البخاري(٢). إنَّ التَّطيُّر سوءُ ظنٍّ بالله تعالى، وتعلُّقٌ بأسباب موهومة، ومن ثَمَّ فإنَّ التشاؤم إنَّما هو في نفس الشخص المتشائِم لا في الشيء المتشاءَم منه، فوهمُه وخوفُه وإشراكُه هو الذي يُطيِّره ويَصدُّه، لا ما رآه وسمعه، ولذا لما قال معاوية بن الحكم السلمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ومنَّا أُناسٌ يتطيَّرون. فقال صلى الله عليه وسلم:" ذلك شيءٌ يجده أحدكم في نفسه، فلا يَصُدَّنكم". رواه مسلم(٣). ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبُّ الفأل ويكره الطِّيَرة، لأنَّ الفأل الحَسَنَ إنَّما هو حُسْنُ ظنٍّ بالله تعالى، ودون تعلُّقٍ للقلب بغير الله، بل فيه من المصلحة والسرور وتقوية النفوس، وموافقة الفطرة إلى ما يُلائمها، وقد جاءت الأحاديث في بيان علاج ذلك منها:" مَن ردَّتْه الطِّيَرةُ عن حاجته فقد أشْرَكَ، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهمَّ لا خيرَ إلَّا خيرُكَ، ولا طيرَ إلَّا طيرُك، ولا إلهَ غيرُكَ".رواه أحمد(٤).

ومن الشِّرْك الأصغر؛ الشِّرْك الخفي: وهو الشِّرْك في الإرادات والنِّيَّات، ورحم الله ابن القيم عندما قال عن هذا الشِّرْك: فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقَلَّ مَن ينجو منه، فمَن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئًا غير التقرُّب إليه وطلب الجزاء منه؛ فقد أشْرَكَ في نِيَّته وإرادته(٥).

أيضًا: الرياء اليسير في أفعال العبادات وأقوالها، كأن يُطيلُ في الصلاة أحيانًا ليراه الناس، أو يرفع صوته بالقراءة أو الذِّكْر أحيانًا ليسمعه الناس فيحمدوه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّرْك الأصغر: الرياء". رواه أحمد(٦)، أمَّا إذا كان لا يأتي بأصل العبادة إلَّا رياءً، ولولا ذلك ما صلَّى ولا صام، ولا ذَكَرَ الله ولا قرأ القرآن؛ فهو مُشْرِكٌ شِرْكًا أكبر، وهو من المنافقين الذين قال الله فيهم:﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ

---

(١) الأعراف: ١٣١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣٥) برقم (٥٧٥٧) كتاب الطب باب لا هامة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٨١) برقم (٥٣٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٦٢٣) برقم (٧٠٤٥). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٠٧٥).

(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ١٣٥). الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٩) برقم (٢٣٦٣٠). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٣٤).

كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾[١]، إلى أن قال: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[٢]، وصدق فيهم قوله تعالى في الحديث القدسي:" أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرْك، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ معي فيه غيري؛ تركتُهُ وشِرْكَهُ". رواه مسلم[٣].

ختامًا: الشِّرْك الأصغر لا يُخرِج مِن مِلَّة الإسلام، ولكنَّه أكبر الكبائر بعد الشِّرْك الأكبر؛ ولذا قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-:" لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ مِن أن أحلف بغيره صادقًا"[٤]، وعلى هذا فهو يُعامَل معاملة المسلمين فيرثُه أهله ويرثُهم، ويُصلَّى عليه إذا مات، ويُدفَن في مقابر المسلمين، وتُؤكَلُ ذبيحتُه، ولا يُخلَّدُ في النار إن أُدخِلها كسائر مُرتكبي الكبائر عند أهل السُّنَّة والجماعة، خِلافًا للخوارج والمعتزِلة.

---

(١) النساء: ١٤٢.

(٢) النساء: ١٤٢-١٤٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٨٩) برقم (٢٩٨٥) كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٨٣) برقم (٨٩٠٢). والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (٨/ ١٩١).



١٥ شوَّال

العناية بحقِّ الجار

لقد عظَّم اللهُ حقَّ المسلم على المسلم، وحقَّ القريب على قريبه، وحقَّ الجار على جاره.

والقيام بهذه الحقوق من أهمِّ أسباب السعادة للفرد والمجتمع، ولقد كان العرب- وهم في جاهليَّتِهم- يتفاخرون بحُسْن الجوار وإكرام الجار، ورعاية حقوقه وصون حُرُماته، وكفِّ الأذى عنه، حتَّى قال قائلُهم:

وَأَغُضُّ طَرْفِي إنْ بَدَتْ لِي جَارَتِي حتَّى يُوارِيَ جَارَتِي مَثْوَاهَا[١]

فلمَّا جاء الإسلام أكَّد هذا الخُلُق النبيل، وعظَّم حقَّ الجار على جاره، حتَّى كاد أن يُورِّثَه منه كأهلِه وعيالِه، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"[٢].

والجيرانُ ثلاثةٌ: جارٌ له حقٌّ واحدٌ، وجارٌ له حقَّانِ، وجارٌ له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم؛ فله حقُّ الجوار، وحقُّ الإسلام، وحقُّ الرحم، وأمَّا الذي له حقَّانِ فالجار المسلم؛ له حقُّ الجوار، وحقُّ الإسلام، وأمَّا الذي له حقٌّ واحدٌ؛ فالجار المشرِك.

قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ ﴾[٣]. الجار ذي القربى، أي: القريب؛ والجار الجُنُب، أي: الغريب[٤].

وقال الشيخ السعدي- رحمه الله-: الْجَارِ الْجُنُبِ أي: الذي ليس له قرابة، وكلَّما كان الجار أقرب بابًا كان آكَدَ حقًّا، فينبغي للجار أن يتعاهدَ جارَه بالهدية والصدقة، والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال، وعدم أذيَّته بقول أو فعل[٥].

---

(١) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (١٥/ ٣٣٨). نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١٥) كتاب الأدب باب الوصاة بالجار. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٥) برقم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب باب الوصية بالجار والإحسان إليه.

(٣) النساء: ٣٦.

(٤) ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٢٢١). شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٥) تفسير السعدي (ص: ١٧٨).



وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:" وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ"(١). والبوائق: جمع بائقة وهي الداهية، والشيء المهلك، والأمْر الشديد الذي يُوافي بغتة، وروى البخاري ومسلم أيضًا في صحيحيهما من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ"(٢).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الإحسان إلى الجار سببٌ لدخول الجنة، كما أنَّ إيذاءه سببٌ لدخول النار. فلقد روى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال:" قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ(٣)، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ"(٤).

وحقوق الجار كثيرة؛ منها: الإحسان وبذْلُ المعروف له، وإكرامه. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ"(٥).

قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: من حقِّ الجار أن تبسط إليه معروفك، وتكفَّ عنه أذاك(٦).

وكلَّما كان الجارُ أقربَ كان حقُّه أعظمَ. روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت:" قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِيَ؟ قَالَ: إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا"(٧).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١٦) كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٦) كتاب الإيمان باب بيان تحريم إيذاء الجار.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٦) برقم (٥١٨٥) كتاب النكاح باب الوصاة بالنساء. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٧) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان.

(٣) (بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ)، أَيْ: بِقِطَعٍ مِنْهُ جَمْعُ ثَوْرٍ بِالْمُثَلَّثَةِ وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْأَقِطِ. وهو لبن جامد مستحجر ويتخذ من مخيض اللبن الغنمي. انظر: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣١٢٦).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٤٢١) برقم (٩٦٧٤). والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٨٣) ٧٣٠٤، وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي، والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٦٩).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١) برقم (٦٠١٩) كتاب الأدب باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٧) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان.

(٦) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٦). الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.

(٧) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٨٨) برقم (٢٢٥٩) كتاب الشفعة باب: أي الجوار أقرب.



ومن الحقوق: زيارته، وتفقُّد أحواله والسؤال عنه، وإجابة دعوته. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ- وذكر منها- وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ"(١).

ومنها: إظهار محاسنه، وستْر عيوبه؛ وخاصَّة عند الأهل والأولاد، فإنَّ ذلك ينتج عنه انتشار المحبَّة، والمودَّة بين الجيران، وهذه الخصلة السابقة في غاية الأهمِّيَّة، ليكونَ ذلك داعيًا إلى عدم المجاهرة بالأخلاق السَّيِّئة.

قال الإمام الغزالي- رحمه الله- مُلخِّصًا حقوق الجار: أن يبدأه بالسلام، ويعوده في المرض، ويُعزِّيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويُهنئه في الفرح، ويُظهِر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلَّاته، ولا يتطلَّع من السطح إلى عوراته، ولا يُضايقه في وضع الجذْع على جداره، ولا في مصبِّ الماء في ميزابه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ويستر ما يتكشَّف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابتْه نائبة، ولا يغفل عن ملاحظته عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغضَّ بصره عن حُرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطَّف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودُنياه(٢).

ومن الحقوق عدم الإيذاء أو الإساءة للجار، ودليل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يؤذي جارَه". رواه مسلم(٣)، ومن أشكال إيذاء وإساءة الجار؛ حسدُه، وتمنِّي زوال النعمة عنه، والاستهزاء به، واحتقاره، ونشْر وإفشاء أخباره وأسراره بين الناس، والكذب على لسانه، والسعي لبُغض الناس له، وتتبُّع أخطائه والفرح بها، والتضييق عليه في السكن أو مكان اصطفاف السيارة، وإلقاء المهملات أمام باب منزله، والإساءة إلى أبنائه، وتتبُّع عوراته وعِرْضه، والعمل على إزعاجه بالأصوات المرتفعة المزعجة.

ومن إكرام الجار تقديم الهدايا والعطايا له، والسعي في المعروف والخير من أجله؛ فالهدايا من العوامل التي تُقرِّب القلوب والنفوس، وتُمحي الأحقاد بين الناس، وتبني المحبَّة والمودَّة بينهم؛ وممَّا يدلُّ على ذلك قولُ الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري- رضي الله عنه-:" يا أبا ذرٍّ؛ إذا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٥) برقم (٢١٦٢) كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٢١٣). إحياء علوم الدين، المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، الناشر : دار المعرفة – بيروت.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٦) برقم (٥١٨٥) كتاب النكاح باب الوصاة بالنساء. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٧) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان.



طبَختَ مَرَقةً، فأكثِرْ ماءَها، وتعاهَدْ جِيرانَك". رواه مسلم[١]، ولا يُشترَط في الهدية للجار أن تكون للفقير فقط؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يَقبَل الهديَّة، كما أنَّه كان يُهدي الناس.

ومن الإحسان إليه؛ محبَّة الخير والبرِّ والمعروف للجارِ كحُبِّها للنفس، وعدم حسد الجار على أي شيءٍ، حيث روى الإمام مسلم في صحيحه أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" والَّذي نفسي بيَدِه؛ لا يُؤمِنُ عبدٌ حتَّى يُحِبَّ لجارِه (أو قال: لأخيه) ما يُحِبُّ لنفسِه"[٢].

أيضًا تقديم كافة أنواع المساعدات للجار، روى أبو هريرة- رضي الله عنه- أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" لا يمنعُ أحدُكم جارَه أن يغرزَ خشبَه في جدارِه". رواه مسلم[٣].

ختامًا: الجارُ مِن أقربِ الناس إلى الإنسان، بل أقربُ إليه حتَّى مِن أهله، وهو كلُّ مَن يكون بجوارك سواءً كان في المسكن أم في العمل، ونظرًا لمدى قُرْبه من الإنسان؛ فإنَّ التعامل معه أمْرٌ ضروري، لذلك علينا احترام حقوق جيراننا وتوعية أبنائنا بذلك.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٥) برقم (٢٦٢٥) كتاب البر والصلة والآداب باب الوصية بالجار والإحسان إليه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٥) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٢) برقم (٢٤٦٣) كتاب المظالم والغصب باب: لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٣٠) برقم (١٦٠٩) كتاب المساقاة باب غرز الخشب في جدار الجار.

١٦ شوَّال

فلْيَقُلْ خَيرًا أو لِيصْمُتْ

رغَّبَ النبي صلى الله عليه وسلم معشر المؤمنين بحفظ اللسان، وقول الطَّيِّب من الكلام، فالذي يحمل في قلبه إيمانًا بالله تعالى، وإيمانًا بيوم القيامة وما فيه من حساب، يضع نُصبَ عينيه حفْظ لسانه، وعدم التفوُّه إلَّا بالخير، وبالكلمة الطَّيِّبة، وسوف يُؤجَر على هذا الفعل في اليوم الآخر، ومن لم يستطع ذلك فعليه بالصمت، فذلك أفضلُ له؛ فقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَن كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ"(١).

بدأ الحديث النبوي بذكْر الإيمان؛ ليحثَّ على وصْل الأعمال بالإيمان بالله، حيث لا يجوز ولا يُقبَل أيُّ عملٍ للإنسان بدون الإيمان، وهو أهمُّ شرطٍ لقبول الأعمال، وهذه الأعمال المذكورة أعمالٌ أمَرَ الله بها أو نهى عنها، فمَنِ التزم بذلك فله أجر عظيم، ودلَّ الالتزام بها على صدْق إيمان المرء وحُسْن خُلُقه، ومَن تركها كان إيمانُه ناقصًا لم يكتمل، فهو إمَّا أن يكون قد قصَّر في حقِّ الله، أو قصَّر في حقوق العباد.

وربْطُ قول الخير أو الصمت بإيمان المرء؛ فيه وعيدٌ شديدٌ لمن يتكلَّم بالكلمة السوء، دون أن يهتمَّ لوقْعِها، ولما ينتج عنها من قطيعة وتباغُض، ومن أسباب ربْطها بالإيمان أنَّ الأعمال مرتبطة ببعضها، فإكرام الضيف يتضمَّن قول الخير الذي يسرُّه، والسكوت عن الحديث الذي يُكدِّره، بالإضافة لكرم الضيافة المادي بحسب قدرة الإنسان، وعلاقة الجوار تتضمنُّ الإكرام والودَّ، وتتضمنُّ عدم الإيذاء والإساءة، وهذا يشمل الأفعال وأقوال اللسان من الخير والشرِّ، فالمؤمن يمتاز بحُسْن الخُلُق، والحكمة في التصرُّف.

ولا شكَّ أنَّ القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية الشريفة رغَّبَا في الكلمة الطيِّبة، منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١) برقم (٦٠١٨) كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٧) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان.



مُّبِينًا ﴾[(١)]، وعدَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقةً؛ كما ورد في الحديث:" كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ علَى دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عليها، أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ". رواه البخاري[(٢)].

ولحفْظ اللسان فوائد عديدة، منها ما يأتي:

١- حفْظ اللسان وإمساكه عن قول الشرِّ، وتدريبه على قول الخير؛ ينال المسلم به أجرًا عظيمًا، ويُبعِده عن الإثم وعذاب النار، فالناس تُلقَى في النار بسبب حصاد ألسنتهم.

٢- صاحب اللسان الذي لا ينطق إلَّا خيرًا محبوبٌ بين الناس، فالذي يحترم الناس ومشاعرهم فلا ينطق بما يؤذيهم؛ سيبادله الناس الاحترام، فتكون مشاعره بالحفظ والصون.

٣- انتشار المودَّة بين الناس، وانحصار البغضاء والكراهية، فكلمةٌ تُصلِحُ بين الناس، وكلمة تُسبِّب الفتن.

٤- يجعل المجتمع يتَّسم بالأخلاق، إذ لا كذب فيه، ولا لغو، ولا شتائم، ولا رمْي محصنات ولا اتهامات، ولا شهادة زور.

ومن مظاهر حفظ اللسان؛ حفظ اللسان عن الكذب، وعن الغيبة والنميمة، وعن شهادة الزور، وعن اللغو، وعن الخوض في أعراض الناس.

وفي هذه الأيام وبسبب كثرة الفتن وكثرة الشرور بين الناس وبسبب ما تُروِّجه وسائل الإعلام والتويترات والوسائل الكثيرة الدقيقة والمنتشرة في البيوت وفي كل مكان؛ يُنشَر من الأخبار ومن الإثارات والشائعات ما يُشيِّب الرؤوس ويشغل الناس، والناس إذا اجتمعوا في مجالسهم لا بدَّ لهم من حديثٍ: إمَّا في الخير، وإمَّا في الشرِّ، وإمَّا بما لا فائدة فيه.

والكلام الخبيث له مضارٌّ عديدة، منها:

١- الكلمة الخبيثة تُودي بصاحبها إلى الخسارة والهلاك في الدنيا والآخرة.

٢- الكلمة الخبيثة تنشر الشرَّ وكلَّ ما هو سيءٌ وبغيضٌ في النفوس والأنحاء.

٣- الكلمة الخبيثة تُشبِهُ الشجرة التي لا تُنبِت إلَّا نباتًا مُرًّا لا يُستفاد منه ولا يُستساغ.

---

(١) الإسراء: ٥٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٥٦) برقم (٢٩٨٩) كتاب الجهاد والسير باب من أخذ بالركاب ونحوه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٩٩) برقم (١٠٠٩) كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

٤- الكلمة الخبيثة يُحاسَب عليها الإنسان، وهي مردودة لا تُقبَل.

بينما للصمت وعدم الكلام فوائد عديدة، منها:

١- الصمت مدعاة للاحترام والتوقير.

٢- الصمت وعدم التحدُّث بما لا يليق إشارة لكمال الإيمان بالله تعالى، وبالتالي كسْبُ رضا الله تعالى ومحبَّته، ومحبَّة الناس.

٣- الصمت عن قول الحرام طريقٌ للفوز بالجنَّة ونعيمها، والنجاة من غضب الله وعقابه.

٤- الصمت عن قول المحرَّمات يُنشِئ مُجتمعًا صالحًا سويًّا، خالٍ من النزاعات والأحقاد، مبني على الاحترام المتبادَل.

٥- الصمت يُعلِّم صاحبه حُسْن الاستماع والإصغاء للآخرين.

٦- الصمت يحفظ اللسان من الوقوع في الأخطاء، والتلفُّظ بما قد يُودي بصاحبه إلى سوء الحساب يوم القيامة.

٧- الصمت يُوفِّر لصاحبه الفرصة الجيِّدة لاستثمار وقته بذكْر الله تعالى وعبادته والانشغال به.

فالمسلم إمَّا أن يتكلَّم بخير فيغنم، أو يسكت عن شرٍّ فيسلم، ولا فائدة في كلام لا يحصل به كفُّ فتنةٍ، ولا يحصل به إصلاح، إنَّما هو يُحرِّض على الفتنة، وعلى العداوات، وعلى الشرور، وقد ينتج عنه حروب، كما قال الشاعر:

وإن النَّارُ بِالعُودَينِ تُذكَى ... والحربُ أَوَّلُهُ كلام[١]

فعلى المسلمين أن يكفُّوا ألسنتهم عن الكلام في الشرِّ، وأن يقتصروا على الكلام في الخير وما فيه المصلحة لهم ولغيرهم، وكذلك الكفُّ عن الكلام الذي لا فائدة فيه، فإنَّ كلام الإنسان مكتوبٌ ومُسجَّلٌ عليه؛ قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٢]، وقال: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[٣].

---

(١) ينظر: التمثيل والمحاضرة (ص: ٢٦٤). التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) ق: ١٨.

(٣) الزخرف: ٨٠.



فعلى المسلم أن يتحفَّظ من لسانه، قال صلى الله عليه وسلم:" وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخِرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم". رواه الترمذي[1].

والخلاصة: على الإنسان أن لا يتكلم إلا بخير؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغّب الناس وأوصاهم بحفْظ اللسان، وعدم التفوُّه إلَّا بالخير، والكلام الطَّيِّب، وإن لم يستطع فلْيلْتزِمِ الصمت؛ فذلك أفضل له.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٤٤) برقم (٢٢٠١٦). والترمذي في جامعه (٥/ ١١) برقم (٢٦١٦) أبواب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٤) برقم (١١٣٣٠) كتاب التفسير قوله تعالى: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} [السجدة: ١٦]، وقوله تعالى: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} [السجدة: ١٧]. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣١٤) برقم (٣٩٧٣) كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٢/ ١٣٨).



١٧ شوَّال

إكرام الضيف

إكرام الضيف مَكْرُمَة من مكارم الأخلاق، وخصلة من خصال الخير، وخُلُق من أخلاق الإسلام، يدلُّ على سماحةٍ في النفس، وكرم في الطبع، وإيثار للغير، وشهامة ومروءة، وإيمان بما عند الله تعالى من العوض والفضل.

والضيف: هو المرء الذي يقصد بابًا يبتغي منه إكرامًا حتَّى يقضي حاجته، وقد قيل قديمًا: الضيف هو ضيف الله، أي: يتوجَّب على الإنسان أن يُكرمَه كرمًا عظيمًا؛ فلا يجد عنده وحشة، ولا يُقاسي معه غُربة، فيكون وإيَّاه كالرجل الواحد الذي لو اشتكى أحدهما أمرًا تداعى له الآخر بالسهر والحُمَّى.

وأوَّلُ طريقةٍ لإكرام الضيف هي الابتسامة في وجهه، وأن يكون الإنسان معه بشوشًا، فلا يلمس منه خشونة ولا فظاظة، ولا ينزعج من تصرُّفاته مهما كانت.

وإكرام الضيف يكون من خلال تقديم أجود ما يمتلكه من الطعام والشراب، فلا يُقدِّم له خلًّا وهو يمتلك لحمًا، ولا يُقدِّم له ماءً وهو يملك الفاكهة، أمَّا لو كان فقيرًا لا يملك مِن أمْره شيئًا؛ فإنَّ خير الطعام ما كان حاضرًا بين يديه.

ولقد أمَرَ الإسلام بإكرام الضيف، وتقديم أفضل ما يُمكن أن يكون في سبيل رضاه وسعادته، وجَعَلَ إكرام الضيف من الأخلاق الحميدة التي تستوجب الحصول على الأجر والثواب الكبيرين، خاصَّة أنَّ الضيف الذي يحضُر تحضُر معه البركة، وعندما يُغادِر فإنَّما يُغادر بذنوب أهل البيت إذا أكرموه وأدَّوا له حُسْن الضيافة.

ومن الأدلَّة على وجوب إكرام الضيف في الإسلام؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يُكرِم ضيفه إكرامًا كبيرًا، وكذلك كان يفعل الصحابة- رضوان الله عليهم- ومِن بعدهم التابعين، ولهذا فإنَّ إكرام الضيف واجبٌ على المرأة والرجل في الوقت نفسه.

ومن أشهر الأمثلة على إكرام الضيف ما فعله النبي إبراهيم- عليه السلام- الذي قدَّم عِجْلًا مَشْويًا لضيوفه، وهذا يدلُّ على أنَّ كرم الضيافة من أخلاق الأنبياء- عليهم السلام-، وقد ذكر الله تعالى قصَّة إكرام نبيِّه الخليل لضيوفه في القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾[1]، وذُكِرَتْ هذه الحادثة أيضًا بقوله تعالى في

(١) هود: ٦٩.



موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[١].

وحثَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أُمَّته على إكرام الضيف، وبيَّن أنَّ ذلك من تمام الإيمان بالله تعالى واليومِ الآخر، فقال صلى الله عليه وسلم:" ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ". رواه البخاري ومسلم[٢]، وأمَّا مَن يبخلُ عن ضيفانه ويُقصِّرُ في إكرامهم؛ فلا شكَّ أنَّ ذلك نقصٌ في إيمانه ومروءته.

ومن الواجب على المضِيف أن يُكرِم ضيفه مُدَّة الضيافة وهي ثلاثة أيام؛ أمَّا اليوم الأوَّل فيزيد في برِّه وإكرامه، ثم في اليومين الآخرين يُكرمه بما يحضُر عنده دون أن يتكلَّف له، فإذا زاد بقاء الضيف وإقامته على ثلاثة أيام، فإن أكرمه المضِيفُ كان ذلك منه بمنزلة الصدقة على الضيف، يُؤجَر ويُثاب عليها، ولكن لا ينبغي للضيف أن يُثقِل على مضيفه حتَّى يُحرجه ويضيق عليه، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جائِزَتُهُ يَوْمٌ ولَيْلَةٌ، والضِّيافَةُ ثَلاثَةُ أيَّامٍ، فَما بَعْدَ ذلكَ فَهو صَدَقَةٌ، ولا يَحِلُّ له أنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حتَّى يُحْرِجَهُ". رواه البخاري[٣].

ومن صور حُسْن الضيافة في الإسلام ما فعله الأنصارُ في المدينة المنوَّرة مع المسلمين المهاجرين الذين قدِموا من مكَّة مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث فتحوا بيوتهم لجميع المهاجرين، وأحسنوا ضيافتهم وأكرموهم، وقدَّموا لهم ما يحتاجون إليه من طعام وأدوات وملابس، وبهذا يكون الأنصار قدوة في إكرام الضيف، ولهذا يجب على جميع المسلمين أن يحافظوا على هذه العادة القيِّمة، والسجية الحسنة، وأن يستمرُّوا في إكرام ضيوفهم وتقديم أفضل الأشياء لهم حتَّى تظلَّ راسخة في المجتمع مثل الأشجار القويَّة التي تحافظ على جذورها مهما طال الزمان.

ومن آداب استقبال الضيف؛ الترحيب به بحفاوة كبيرة، وإشعاره بأنَّه في بيته، والتبسُّم في وجهه، وعدم سؤاله عن أي شيء قد يُسبِّب له الإزعاج.

---

(١) الذاريات: ٢٤- ٢٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١) برقم (٦٠١٨) كتاب الأدب باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٧) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١) برقم (٦٠١٩) كتاب الأدب باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٢) برقم (٤٨) كتاب اللقطة باب الضيافة ونحوها.



أيضًا الاستئذان من استقبال ضيفٍ آخر تتمُّ دعوته في حضوره، وذلك لعدم التسبُّب له بأي إزعاج، كما يجب تقديم الطعام والشراب له، وألَّا يجلس صاحب البيت إلَّا بعد جلوس الضيف، واستقباله بأجمل الثياب وأفضلها تكريمًا له.

وبالمقابل على الضيف أن يحترم آداب الزيارة؛ فلا يأتي دون موعد، ولا يُثقِل على أهل البيت بطلباته، وأن يأكل من الطعام الذي يُقدِّمونه إليه، وأن يحترم البيت الذي يحلُّ ضيفًا عليه، وأن يدعو لصاحب البيت بالخير والبركة بعد أن يفرغ من طعامه وشرابه.

وعلى صاحب البيت أن يُفضِّل الضيف على نفسه وأهل بيته، وأن يُقدِّم له الأفضل من كل شيء، وألَّا يُكثِر عليه بالكلام والأسئلة الكثيرة أو يُسبِّب له أي نوع من الأذى، كما يجب توفير جميع سُبُل الراحة له حتَّى لا يشعر بأي نقص، وعدم الغضب أمامه من الأبناء أو أي أحدٍ، وعدم سرْد القصص الحزينة أمامه حتَّى لا يشعر بالضيق والحزن، وإدخال السرور إلى قلبه، وأن يكون الحديث معه بما تميل إليه نفس الضيف، وأن يُقرِّب إليه الطعام الذي يُحبُّه، وعدم فراغ صاحب البيت من الطعام إلَّا بعد انتهاء الضيف منه.

وعند تقديم الضيافة للضيوف؛ يجب البدء بتقديمها للضيف الأكبر سِنًّا ثم للأصغر، ويستحب السمر والجلوس مع الضيف ومَن معه، وذلك تقديرًا واحترامًا لمكانة الضيف، وبمجرد أن يرغب الضيف بالمغادرة؛ فينبغي المشي معه وإيصاله إلى باب البيت، وهي من الأعمال المستحبَّة التي يُؤجَر عليها أهل البيت كثيرًا، لأنَّ إكرام الضيف من الأخلاق العربية الإسلامية الرفيعة التي يجب الالتزام بها، أمَّا الذين لا يُكرمون الضيف فقد كان العرب يهجونهم بالشعر، ويعدُّونهم بخلاء وليسوا أهلًا لاستقبال الضيف وإكرامه، وفي هذا قال الشاعر العربي في هجاء بني نجيح لعدم إكرامهم لضيوفهم وترْكهم يبيتون وهم جوعى:

يَبيتُ الضيفُ عند بني نُجيحٍ	خميصَ البطنِ ليسَ لهُ طعامُ
يَهونُ عليهم أن يَحرمـــــــوهُ	إذا حَلَبوا لقاحَهم ونامُــوا[١]

(١) البيتان للأسود النهشلي. ينظر: https://www.aldiwan.net/poem610.html.



١٨ شوَّال

يُحشَر المُتكبِّرون أمثال الذرِّ يوم القيامة

الكِبْرُ نوعان: باطنٌ وظاهرٌ؛ فالباطن: خُلُقٌ في نفس الإنسان، والظاهر: أعمالٌ تصدُرُ عن الجوارح، وهذه الأعمال الظاهرة هي ثمراتٌ لما في الباطن، فالباطن هو الأصل، والظاهر فرعٌ منه، والكِبْرُ الباطنيُّ معناه: أن يرى المتكبِّر نفسه فوق مَن يتكبَّر عليه، بحيث يصير ذلك كالعقيدة عنده، فيفرح به، ويركن إليه، ويعتزُّ في نفسه بسببه، وذلك هو خُلُق الكِبْر، وعلى هذا فالكِبْر يستدعي توافر أمورٍ ثلاثة: ١- إنسانٌ مُتكبِّرٌ. ٢- إنسانٌ يتكبَّرَ المتكبِّرُ عليه. ٣- سببٌ لهذا الكِبْر. فلا يُتصوَّر أن يُوجد إنسانٌ مُتكبِّرٌ دون أن يُوجد مَن يتكبَّر عليه؛ لأنَّه يرى نفسه فوقه في صفات الكمال، كما أنَّه لا يُعتبَر مُتَكبِّرًا بمجرد استعظامه لنفسه؛ فقد يستعظم نفسه ولكنَّه يرى غيره أعظمَ منه، كما أنَّه لا يُعتبَر مُتكبِّرًا بمجرد احتقاره غيره؛ فقد يحتقر غيره ويحتقر نفسه مثل احتقاره، وإنَّما يُوجَدُ الكِبر من أمور ثلاثة، هي: أن يرى لغيره منزلة ويرى لنفسه منزلة، ويرى أنَّ منزلته فوق منزلة غيره، فبهذه الثلاثة يحصُل خُلُقُ الكبرِ الباطنيّ، ويُسمَّى أيضًا: عزَّة وتعاظُمًا، وتعاليًا وانتفاخًا؛ حتَّى قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- لرجلٍ استأذنه في وعْظ الناس بعد صلاة الفجر: أخْشَى أن تَنتفِخَ حتى تَبْلُغَ الثُّرَيَّا[١].

ثمَّ إنَّ هذه الحال التي تحصُل للإنسان حتَّى يَكبر في نفسه، إذا وُجِدتْ آثارُها في تصرُّفاته مع الغير؛ فإنَّه يُسمَّى حينئذٍ مُتَكَبِّرًا، فالكِبر: حالة نفسية، والتكبُّر: أثَرٌ لهذه الحالة النفسية.

والآيات والأحاديث الواردة في الكِبْر وتحريمه من شأْنها أن تجعَل المسلم يقف صاغرًا أمام عظمة الله وجلاله، ويندم خاشعًا ذليلًا على كل ما فَرَط منه مِن كِبْر أو خيلاء، ويضرع إلى الله تائبًا مُنيبًا راجيًا إيَّاه أن يرحمَ ضعفه، ويَشفيَ مِن مرضِ الكِبْر نفسه، ويَرزقه التواضُعَ للحقِّ، والتطامُن للخَلْق، وأنْ يُنيرَ له طريقَ الهُدى، ويردَّه عن أسباب الهلاك والرَّدَى. والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾[٢]. ويقول أيضًا: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[٣]، كما يقول تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

(١) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٣٢٦).

(٢) الأعراف: ١٤٦.

(٣) القصص: ٨٣.

قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[(١)]؛ فالآية الأولى تدلُّ على أنَّ قلب المتكبِّر وبصيرته يعميهما الله تعالى فلا يَهتدي إلى الحق أبدًا، وفي آية سورة القَصص حُكْمٌ على المتعالين على النَّاس بِحرمانهم من جنَّة الله ورحمته في الآخرة، وفي آية سورة غافر دَلالةٌ على أنَّ قلوب المتكبِّرين مُغلَقةٌ عن الحقِّ وعن النور؛ جزاءً من الله وعقابًا لهم.

أمَّا الأحاديث: فقد الْتَقَى عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهم- على المروة فتحدَّثا، ثم مَضَى عبد الله بن عمرو، وبقي عبد الله بن عمر يبكي، فقال له رجلٌ: ما يُبْكيكَ يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هذا- يَعني: عبد الله بن عمرو- زَعَم أنَّه سَمِع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:" مَن كان في قلبه مِثقالُ حَبَّة من خَرْدَل مِن كِبْرٍ؛ كَبَّه الله لوجْهه في النار". رواه الإمام أحمد[(٢)].

وعن حذيفة- رضي الله عنه- قال: كنَّا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة، فقال:" ألا أُخبركم بشرِّ عباد الله؟ الْفظُّ المستكبِر، ألا أُخبركم بخير عباد الله؟ الضعيف المستضعَف ذو الطِّمْرَيْنِ لَا يُؤْبَه له، لو أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّه". رواه أحمد[(٣)].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" احتجَّتِ النَّارُ والجنَّةُ، فقالتْ هذه: يَدخُلُني الجبَّارون والمتكبِّرون، وقالت هذه: يدخُلُني الضُّعفاء والمساكين، فقال الله لهذه: أنتِ عَذَابي أعذِّبُ بكِ مَن أشاء، ورُبَّما قال: أُصيبُ بكِ مَن أشاء، وقال لهذه: أنتِ رحْمَتي أرحمُ بكِ مَن أشاء، ولكل واحدةٍ منكما مِلْؤُها". رواه مسلم[(٤)].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ثلاثةٌ لا يُكَلِّمهم الله يوم القيامة، ولا يُزَكِّيهم، ولا يَنظر إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّاب، وعائلٌ مُستكبر". رواه مسلم[(٥)].

---

(١) غافر: ٣٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٤٢١) برقم (٩٦٧٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٤٤) برقم (٢٣٤٥٧). والحديث ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٢٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٣٤) برقم (٧٤٤٩) كتاب التوحيد باب ما جاء في قول الله تعالى: {إن رحمة الله قريب من المحسنين}. ومسلم في صحيحه واللفظ له (٤/ ٢١٨٦) برقم (٢٨٤٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٥) رواه مسلم في صحيحه واللفظ له (١/ ١٠٢) برقم (١٠٧) كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.



وأنواع التكبُّر ومظاهر الكِبْر وآثاره كثيرة، لا يمكن إحصاؤها، وهي تختلف من فرد لآخر، ومن بيئة لأخرى، ومن عصر لعصر، وهكذا؛ فالولد الذي يأنف أن يسمع لأبيه ويخضع له- لأنَّه تعلَّم أكثر من أبيه- هو إنسانٌ عاقٌّ؛ بسبب التكبُّر على والده، والمرأة التي تأنف أن تخضع لزوجها وتطيعه- لأنَّها مُوظَّفةٌ مثلُه، أو لأنَّها غنيَّةٌ بمالها أو بجمالها- تُعتبَر مُتكبِّرةً على زوجها وعاصية له، ومُحرَّمٌ عليها أن تدخل الجنَّة، والطالب الذي يتعالَى على أستاذه- لغناه أو لمنصب أبيه- هو مُتكبِّر، دنِيء النفْس، والعالِم الذي ينتظرُ مِن الناس أن يَنْحَنُوا له، ويُقَبِّلوا يَدَيْه، ويَحمِلوا حذاءه؛ هو مُتكبِّرٌ، وأجهلُ الناس خيرٌ منه.

ومن هنا نُدرك قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" المتكبِّرون يوم القيامة أمثالُ الذَّرِّ في صُوَر الرجال، يَغشاهم الذُّلُّ من كلِّ مكان، فيُسَاقُون إلى سجنٍ في جهنَّمَ، يُقَال له: "بُولَس"، تَعلوهم نارُ الأنيار، يُسْقَون من عُصَارةِ أهلِ النَّارِ طينةِ الْخَبَالِ". رواه الترمذي(١).

والكِبْر حين يستشري في النفس، ويتمكَّن من قلب الإنسان، ويملك عليه حِسَّه وفكره؛ يكون أسوأ ما يُصيب الإنسان من أمراض القلب؛ فما من خُلُق من الأخلاق المذمومة إلَّا وتجد صاحب الكِبْر مُتَّصفًا به؛ فهو لا يُحبُّ للمؤمنين ما يُحبُّ لنفسه، ولا يقدر على التواضع، ولا يتخلَّص من الحقد، ولا يتغلَّب على الغضب والغيظ، ولا يستطيع دفْع الحسد عن نفسه، ولا يقبل نصيحة ناصح، ولا تعليم عالم، ولا يُعامِل الناس إلَّا بالازدراء والاحتقار، وإذا مشى اختال، وإذا تكلَّم افتخر، وإذا نصح سخر من الناس وحقَّرهم، وإذا تحدَّث تقعَّر في الكلام وتشدَّقَ، وإذا جالَسَ الناسَ غضِبَ إذا لم يكن له صدرُ المجلس، وأوَّل الكلام، وغاية التعظيم والاحترام؛ فلذلك أخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّه "لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر". رواه مسلم(٢)، فقد حجب الكِبرُ المتكبِّرين عن الجنَّة؛ لأنَّه حجبهم عن الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٢٦٠) برقم (٦٦٧٧). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٥) برقم (٢٤٩٢) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٩٨) برقم (١١٨٢٧) كتاب الرقائق. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٠٩). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٩٣) برقم (٩١) كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه.



ختامًا: إنَّ مَن يظنُّ أنَّه لا يُخطئ أبدًا لهو أَعظم الناس نقصًا، وأعظمهم مصيبة، فهو مُصطلِحٌ مع نفسه دائمًا، ولا يُزكِّيها بإصلاح عيوبها، والنَّاس يرون منه قُبح أعماله، وهو لا يدري؛ لأنَّه لا يرى خطأه، ولا يشعر به، ولا يتمثَّل أبدًا بقول الحكيم:

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا ... وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا ... فَأَنْتَ تَعْلَمُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ[١]

(١) البيتان للبوصيري. ينظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه (٦/ ٢٢٢). حسن التنبه لما ورد في التشبه ، المؤلف: نجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي (المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ، والمتوفى بها سنة ١٠٦١هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.



١٩ شوَّال

مَن تَواضَعَ للهِ رفعَهُ

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ما نقصتْ صدقةٌ من مالٍ، وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا، وما تواضع عبدٌ إلَّا رفعه اللهُ". رواه مسلم(١)، كلُّ ذلك فضْلٌ من الله تعالى على عبده بأن امتثل أمر الله فعطف على خلْق الله بماله، وعفا عمَّن ظلمه رجاء الثواب من عند الله، ولم يشارك اللهَ في صفة الكبرياء والعظمة، بل عرف قدْر نفسه بأنَّه مخلوق ضعيف، وأنَّ ما اتَّصف به من حُسْن خُلُقٍ، وزيادة مال، ورفعة منزلة، وعظم جاه، كلُّه من عند الله سبحانه وتعالى.

والتواضع: هو الاستسلام للحقِّ، وترْك الاعتراض في الحكم، وهو أعمُّ من الخشوع؛ لأنَّه يُستعمَل فيما بين العِباد، وفيما بينهم وبين الربِّ سبحانه، والخشوع لا يُستعمَل إلَّا في الثاني، فلا يُقال: خشع العبد لمثله، ولكن يُقال: تواضع له.

وسُئِلَ الفضيل بن عياض- رحمه الله- عن التواضع؟ فقال: يخضع للحقِّ، وينقاد له، ويقبله ممَّن قاله، ولو سمعه من صبي قَبِلَهُ، ولو سمعه من أجهل الناس قَبِلَهُ(٢). وقال ابن عطاء: التواضع هو قبول الحقِّ(٣).

وسُئِلَ الحسن البصري- رحمه الله- عن التواضع. فقال: التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلمًا إلَّا رأيتَ له عليك فضْلًا(٤).

والتواضع يكون من الإنسان على نوعين: أحدهما محمود، والثاني مكروه، وكلاهما مُشْعِرٌ بالذلَّة والخضوع؛ أمَّا المحمود فهو ترْك التطاوُل على الناس، وعدم غمْط حقوقهم، وخدْش كرامتهم، وتقديرهم بما يستحقونه؛ تواضعًا لله تعالى، وخوفًا من عقابه، وشعورًا بضعفه، وفهْمًا لحكمة الله بتفاوت خلْقه، وأمَّا المذموم فهو: الذلُّ والخضوع لذي الدنيا مِن أجل دنياه؛ رغبة فيما عنده، وطمعًا في ماله، غير مبالٍ بما يذهب عليه من ثواب الله الذي هو خيرٌ وأبقى من الحُطام الفاني، وربَّما ذهب عليه شيءٌ من أمور دينه الذي فيه صلاح معاشه ومعاده بسبب هذا التواضع المذموم.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠١) برقم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب العفو والتواضع.

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٣١٤).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٣١٤).

(٤) ينظر: التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (ص: ١٥٢). التواضع والخمول، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م.



والتواضع لله عزَّ وجلَّ على ضربين: أحدهما: تواضع العبد لربِّه عندما يأتي بالطاعات غير مُعجَب بفعله، ولا راءٍ له عنده حالةً يُوجِب له بها أسباب الولاية، إلَّا أن يكون المولى عزَّ وجلَّ هو الذي يتفضَّل عليه بذلك، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفي العُجْب عن الطاعات. والتواضع الآخر هو: ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكْره ما قارف من المآثِم؛ حتَّى لا يرى أحدًا من العالم إلَّا ويرى نفسه دونه في الطاعات، وفوقه في الجنايات، وقد فُسِّرت الخشية التي امتدح الله بها أنبياءه وأولياءه في التواضع بقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[1]؛ أي: متواضعين فيما يأتون من الطاعات لربِّهم.

قال المبرِّد: النعمة التي لا يُحسَد صاحبُها عليها التواضع، والبلاء الذي لا يُرحَم صاحبه منه العُجْب[2].

وعن عياض بن حمار- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ". رواه مسلم[3].

قال الشاعر:

تَواضَعْ تَكُنْ كَالبَدرِ لَاحَ لِنَاظِرٍ ... عَلَا طَبَقَاتِ الْجَوِّ وَهُوَ رَفِيعُ
وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يَعْلُو بِنَفْسِهِ ... إِلَى طَبَقَاتِ الجَوِّ وَهُوَ وَضِيعُ[4]

وللتواضع ثمار عديدة، منها:

أنَّ الله يُحبُّ المؤمنين المتواضعين: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[5]، ولم يُمدَح الذُّلُّ في كتاب الله إلَّا في موضعين: الذُّلُّ للمؤمنين، والذُّلُّ للوالِدَينِ، قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[6].

---

(١) الأنبياء: ٩٠.

(٢) ينظر: آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة (ص: ٣١). آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين (المتوفى: ٩٨٤هـ)، عني بتحقيقه: الدكتور عمر موسى باشا، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، عام النشر: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٨) برقم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٤) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (١/ ٤٣٧). مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، المؤلف: أحمد قبش بن محمد نجيب.

(٥) المائدة: ٥٤.

(٦) الإسراء: ٢.



والتواضع سبيل إبقاء النعم: قال كعب- رضي الله عنه-: ما أنعم الله على عبدٍ من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلَّا أعطاه الله نفْعها في الدنيا، ورفع بها درجة في الآخرة[١].

ومن ثمرته أيضًا الإكرام في الآخرة: فعن معاذ بن أنس الجهني- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن ترَك اللباس تواضعًا لله، وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتَّى يُخيِّره من أي حُلَلِ الإيمان شاء يَلبسُها". رواه أحمد[٢].

ومن ثمار التواضع أيضًا الرفعة: فعن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى:" مَن تواضع لي هكذا- وجعل باطن كفِّه إلى الأرض وأدناها؛ رفعتُهُ هكذا- وجعل باطن كفِّه إلى السماء ورفعها نحو السماء-". رواه أحمد[٣].

ونختم بصورة من صور تواضع النبي صلى الله عليه وسلم: حيث قال الله تعالى له صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[٤]، وقال صلى الله عليه وسلم للأعرابي الخائف تواضعًا:" هوِّنْ عليك، فإنَّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد". رواه ابن ماجه[٥]، وفي البخاري عن ابن عبَّاس أنَّه سمع عمر- رضي الله عنهم- يقول على المنبر: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنَّما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ الله ورسولُه"[٦].

ومن صور تواضعه صلى الله عليه وسلم أيضًا:" أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقَالُوا: مَاتَتْ. قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟ فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا،

---

(١) ينظر: التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٤).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٩٤) برقم (١٥٦٣١). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٠) برقم (٢٤٨١) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٣٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٩٩) برقم (٣٠٩). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٠) برقم (٢٤٨١) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٤٣٤).

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١١٠١) برقم (٣٣١٢) كتاب الأطعمة باب القديد. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٤٩٦).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٧) برقم (٣٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم: ١٦].

فَقَالَ: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِها، فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ، فجاء قبرَها، فصلى عليها". رواه البخاري ومسلم[١].

فالواجب على المسلم أن يتواضع لعباد الله، ويلين لهم جانبه، ويُحبَّ لهم الخير والنصح في كلِّ حالةٍ من أحوالهم؛ يحترم كبيرهم، ويحنو على صغيرهم، ويُوقِّر عالِمَهم، ويحفظ لكل ذي مكانةٍ منزلَتَه.

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٩) برقم (٤٥٨) كتاب الصلاة باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان. مسلم في صحيحه (٢/ ٦٥٩) برقم (٩٥٦) كتاب الجنائز باب الصلاة على القبر.



٢٠ شوَّال

مَن بطَّأَ به عملُهُ لمْ يُسرعْ به نسبُهُ

إنَّ الإسلام لا يزن الناس بألوانهم وأجناسهم، أو أنسابهم أو أحسابهم أو أموالهم أو أولادهم؛ إنَّما يزنهم بقلوبهم وأعمالهم وتقواهم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". رواه مسلم[١]، ويقول- صلى الله عليه وسلم-:" مَن أبطَأَ به عملُهُ لم يُسرِعْ به نسبُهُ". رواه مسلم[٢]. فمَن أخَّره يوم القيامة سوءُ عمله أو تفريطُه في العمل الصالح لا ينفعُه شرفُ نسبِه، ولا يُجديه عزُّ عشيرته، فالعبرة إذًا بالتقوى والعمل الصالح، لا بالنسب ولا بالحسب ولا بالقرابة، فالله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[٣]؛ فالذي يُقصِّر في عمله لا يستطيع نسبُه- مهما كان عظيمًا- أن يُقدِّمه على سواه، أو يُقرِّبه من رحمة مولاه؛ فبعد النفخة الثانية في الصور لا تنفع الإنسانَ قرابتُه، ولا يكترث أحدٌ بأحدٍ، ولا يلتفت أحدٌ إلى أحدٍ ولو كان من أعزِّ الناس عليه، ولا يحمل عنه وزن جناح بعوضة، فالكل مشغولٌ بنفسه يفرُّ من أقرب الناس إليه؛ قال تعالى:﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[٤].

قال الإمام القرطبي: وقال الفضيل بن عياض: هي المرأة تلقى ولدها يوم القيامة فتقول: يا ولدي؛ ألم يكن بطني لك وعاء؟ ألم يكن ثديي لك سقاء؟ ألم يكن حجري لك وطاء؟ فيقول: بلى يا أُمَّاه، فتقول: يا بُنيَّ؛ قد أثقلتْني ذنوبي، فاحملْ عني منها ذنبًا واحدًا، فيقول: إليكِ عنِّي يا أُمَّاه، فإنِّي بذنبي عنك مشغول[٥].

ويقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٧) برقم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٣) النجم: ٣٩.

(٤) عبس: ٣٤- ٣٧.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٨).

(٦) لقمان: ٣٣.



ليت الأمر يتوقَّف على هرب الناس بعضهم من بعض، وعلى تخلِّي كلِّ واحدٍ عن الآخر، فإنَّ لهفة المذنب على النجاة تُفقِده الشعور بغيره، فيودُّ لو يفتدى نفسه من عذاب النار بأعزِّ الناس إليه، ببنيه، بزوجته، بإخوانه، بعشيرته، وبمَن في الأرض جميعًا ثم ينجو، ولكن هيهات هيهات، فكلُّ هذا لا يُجديه نفعًا ولا يُنجيه، يقول الله تعالى: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾(١).

لما نزلَ قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(٢). دعا النبي صلى الله عليه وسلم قريشًا فقال:" يا معشر قريش؛ اشتروا أنفسكم من الله، لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا صفية عمَّة رسول الله؛ لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد؛ سليني من مالي ما شئتِ، لا أُغني عنكِ من الله شيئًا". رواه مسلم(٣).

وكان يقول:" يا بني هاشم، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم". رواه أحمد(٤).

فهذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأقاربه الأقربين: أعمامه، وعمَّته، وابنته؛ فما بالك بمَن هم أبعد؟ فعدم إغنائه عنهم شيئًا من باب أولى.

ويقول الشيخ ابن باز- رحمه الله-: ولو كان النسب ينفع أحدًا لنفع هؤلاء(٥).

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٦). فقوله تعالى: ﴿ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾: علَّة للجعْل؛ أي: جعلناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضًا؛ فتصلوا الأرحام وتُبيِّنوا الأنساب والتوارث، لا لتفاخروا بالآباء والقبائل، والحصر مأخـــوذ من التخصيص بالذكْر والســـكوت في معرض البيان.

---

(١) المعارج: ١١-١٤.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦) برقم (٢٧٥٣) كتاب الوصايا باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟. ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٢) برقم (٢٠٤) كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤].

(٤) لم أقف عليه. قال المناوي: "قال الولي العراقي: لم أقف عليه، وقال السيوطي: قلت: أخرجه ابن أبي حاتم من مرسل الحكم بن ميناء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا معشر قريش. إن أولى الناس بالنبي المتقون، فكونوا أنتم بسبيل من ذلك، فانظروا أن لا يلقاني الناس يحملون الأعمال، وتلقوني بالدنيا تحملونها، فأصد عنكم بوجهي" الفتح السماوي (١/ ١٨٥).

(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٩٩). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

(٦) الحجرات: ١٣.



وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ تعليلٌ للنهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف الحقيقي كأنَّه قيل: إنَّ الأكرم عند الله تعالى، والأرفع منزلة لديه عزَّ وجلَّ في الآخرة والدنيا؛ هو الأتقى، فإن فاخَرتم ففاخِروا بالتقوى.

فهؤلاء الذين يتعلَّقون بالرسول صلى الله عليه وسلم، ويلوذون به، ويستجيرون به، الموجودون في هذا الزمن وقبله؛ قد غرَّهم الشيطان واجتالهم عن طريق الحقِّ؛ لأنَّهم تعلَّقوا بما ليس بمُتعلَّق؛ إذ الذي ينفع بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم هو الإيمان به واتِّباعه. أمَّا دعاؤه والتعلُّق به ورجاؤه فيما يُؤمَّل، وخشيته فيما يُخاف منه؛ فهذا شِرْكٌ بالله، وهو ممَّا يُبعِدُ عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن النجاة من عذاب الله.

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: في الحديث امتثال النبي صلى الله عليه وسلم ربَّه في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[١]، فإنَّه قام بهذا الأمر أتمَّ القيام؛ فدعا وعمَّ وخصَّص، وبيَّن أنَّه لا يُنجي أحدًا من عذاب الله بأي وسيلة، بل الذي يُنجي هو الإيمان به واتِّباع ما جاء به. وإذا كان القُرْبُ من النبي صلى الله عليه وسلم لا يُغني عن القريب شيئا؛ دلَّ ذلك على منْع التوسُّل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ جاه النبي صلى الله عليه وسلم لا ينتفع به إلَّا النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان أصح قولَيْ أهل العلم تحريم التوسُّل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم[٢].

ولقد اجتهد الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله تعالى- في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٣]؛ حيث أوضح أنَّ الإنسان لا يحمل ذنب غيره، إلَّا أنَّه استثنى مِن ذلك إذا كان صاحبَ سُنَّةٍ آثمةٍ، فإنَّ عليه وزرَها ووزرَ مَن عمل بها إلى يوم القيامة، ولكن الحقيقة أنَّ هذا لم يتحمَّل وزر غيره؛ لأنَّ غيرَه قد وزرَ وأثِمَ، لكنَّه تحمَّل إثم السُّنَّة (الآثمة)، والبدء بالشرِّ، فيكون حقيقة أنَّه لم يوزَرْ وزرَ غيرِه، ولكنَّه وزرَ بوزْرِ نفسه[٤].

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٩/ ٢٨٩).

(٣) النجم: ٣٨.

(٤) تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد (ص: ٢٤١). تفسير الحجرات – الحديد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.



ختامًا: لله در الشاعر:

دَعِيُّ القومِ ينصُرُ مُدَّعيه ... وَيُلحِقُهُ بذي الحَسَبِ الصَّميمِ

أَبِي الإِسْلامُ لا أبَ لي سِوَاه ... إنِ افتخـــروا بقيسٍ أو تميـمِ[(١)]

فإن كنتَ تفتخر بنسبك إلى كذا؛ فالمسلم يفتخر بنسبه إلى صلاة الفجر، كما يفتخر بنسبه إلى قراءة القرآن، وأيضًا يفتخر بنسبه إلى الدعوة إلى الله، وإلى الجهاد في سبيل الله، وإلى سائر شرائع الإسلام.

---

(١) ينظر: الكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٣٣). الكامل في اللغة والأدب، المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٢١ شوَّال

حُفَّت النار بالشهوات

إنَّ هذه الحياة الدنيا ميدانٌ للجهاد، والله تعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[١]، والجهاد في هذه الحياة في مجالين عظيمين؛ وهما: ملازمة الطاعات والمحافظة عليها، وتجنُّب المعاصي والبُعْد عنها، ومَن أكرَمَه اللهُ عزَّ وجلَّ بتحقيق هذا الجهاد؛ فاز يوم القيامة فوزًا عظيمًا، قال الله تعالى:﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾[٢].

والشهوات: هي ما تميل إليها النفس، من غير تعقُّل ولا تبصُّر، ولا مُراعاة لدِين، ولا مراعاة لمروءة. وأصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربان: شهوة صادقة وشهوة كاذبة؛ فالصادقة ما يختلُّ البدن مِن دونها كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة ما لا يختلُّ البدن مِن دونها، وقد يُسمَّى المشتَهَى شهوة، وقد يُقال للقوَّة التي تَشتهِي الشيء شهوة.

ومن أسباب إثارة الشهوات:

ضعف الإيمان واليقين بالله: فالجهل به سبحانه، وعدم محبَّته وإجلاله وتعظيمه وخشيته؛ تجعل الإنسان يستخفُّ بوعد الله عزَّ وجلَّ ووعيده، والله سبحانه لا تخفى عليه خافية، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[٣].

قال ابن القيم- رحمه الله-: ومن ظنَّ أنَّه يقوى على ترْك المخالفات والمعاصي بدون الإيمان الراسخ الثابت فقد غلط، فإذا قوى سراج الإيمان في القلب، وأَضاءَت جهاته كلُّها به، وأشرق نوره في أرجائه؛ سرى ذلك النور إلى الأعضاء، وانبعث إليها، فأسرعت الإجابة لداعي الإيمان، وانقادت له طائعة مُذلَّلة غير مُتثاقِلة ولا كارهة، بل تفرح بدعوته حين يدعوها، كما يفرح الرجل بدعوة حبيبه المحسِن إليه إلى محلِّ كرامته. فهو كلُّ وقتٍ يترقَّب داعيه، ويتأهَّب لموافاته[٤].

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

(٣) غافر: ١٩.

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٧٥). طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

كذلك اتّباع الشيطان: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[١]؛ فالشيطان هو أخبثُ عدوٍ للإنسان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٢]. فقد أعمل الشيطان مكائده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم، وأفشى بينهم فتنة الشبهات والشهوات، ولم تزل هاتان الفتنتان تتزايدان شيئًا فشيئًا حتَّى استحكمتْ مكيدة الشيطان، وأطاعه أكثرُ الخَلْق، فمنهم من دخل في طاعته في فتنة الشبهات، ومنهم من دخل في فتنة الشهوات، ومنهم مَن جَمَعَ بينهما.

ومن آفات الشهوات: أنَّها سببٌ في هوان العبد على ربِّه: قال الحسن البصري- رحمه الله-: هانوا عليه فعصوه، ولو عزُّوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يُكرمْه أحدٌ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[٣]؛ فأهل العصيان وإن عظَّمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفًا من شرِّهم؛ فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه هوان المعاصي على المصِرِّين، ولا يزال العبد يرتكب الذنب حتَّى يهون عليه، ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإنَّ الذنب كلَّما صغر في عين العبد عظم عند الله[٤].

كذلك الشهوات سببٌ في دخول النار: فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ". رواه مسلم[٥].

قال الشيخ العلَّامة ابن باز- رحمه الله- هذا حديث صحيح، وفي رواية البخاري:" حُجِبتِ النَّار بالشهوات، وحُجِبتِ الجنَّة بالمكاره"[٦] المعنى: أنَّه جعل بين النار وبين الإنسان ارتكاب الشهوات المحرَّمة، فإنِ ارتكبها صار إلى النار وانتهك الحجاب، وإن امتنع منها سلم، فالنفس قد تشتهي الزنا أو الخمر، فإن طاوعها صار إلى النار، قد تشتهي ترْك الصلاة والكسل ولا يُصلِّي، فإن طاوع النفس

---

(١) النور: ٢١.

(٢) فاطر: ٦.

(٣) الحج: ١٨.

(٤) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي مشكل (ص: ٥٨). الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤) برقم (٢٨٢٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٢) برقم (٦٤٨٧) كتاب الرقاق باب حجبت النار بالشهوات.



صار إلى النار نعوذ بالله، قد تشتهي سبَّ الدين والاستهزاء، فإن طاوع نفسه كفر وصار إلى النار، قد تشتهي الرِّبا، فإن طاوع نفسه وفعَلَ الربا صار إلى النار، قد تشتهي النفس قطيعة الرحم والعقوق للوالدين، فإن طاوعها هلك وصار إلى النار، فالنار حُفَّت بالشهوات المحرَّمة(١).

وهذا من بديع كلامه صلى الله عليه وسلم وجوامعه الذى أوتيه من التمثيل الحسن، فإنَّ حفاف الشيء جوانبه، فكأنَّه أخبر صلى الله عليه وسلم أنَّه لا يُوصَل إلى الجنَّة إلَّا بتخطِّي المكاره وكذلك الشهوات، وما تميل إليه النفوس، وأنَّ اتِّباع الشهوات يُلقي فى النار ويُدخِلُها، وأنَّه لا ينجو منها إلَّا مَن تجنَّب الشهوات. وفيه تنبيه على اجتنابها.

فأمَّا المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات، والمواظبة عليها، والصبر على مشاقِّها، وكظْم الغيظ والعفو والحلم، والصدقة والإحسان إلى المسيء، والصبر عن الشهوات، ونحو ذلك.

وأمَّا الشهوات التي النار محفوفةٌ بها؛ فالظاهر أنَّها الشهوات المحرَّمة كالخمر والزنا، والنظر إلى الأجنبية، والغيبة، واستعمال الملاهي، ونحو ذلك، وأمَّا الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه، لكن يُكرَه الإكثارُ منها؛ مخافة أن يجُرَّ إلى المحرَّمة، أو يُقسِّي القلب، أو يشغل عن الطاعات، أو يحوج إلى الاعتناء.

ولله درُّ القائل:

صبرتُ على الأيامِ حتَّى تولَّتْ ... وألزمتُ نفسي صبرَها فاستمرَّتِ
وَمَا النَّفــسُ إلَّا حيث يجعلها الفتى ... فإن طمعتْ تاقتْ وإلَّا تسلَّتِ(٢)

وممَّا يُساعِد على دفْع الشهوات: دوام المراقبة لله والخوف منه سبحانه؛ فالمراقبة هي: دوام عِلْم العبد، وتيقُّنه باطِّلاع الحقِّ سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه. قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ**﴾(٣).

والخلاصة أنَّ النَّار حُجِبتْ بالشهوات، والجنَّة حُجِبتْ بالمكاره، فجاهدْ نفسك على ما يُحبُّ اللهُ وإن كرِهتْ، واعلمْ أنَّك إذا أكرَهتَ نفسك على طاعة الله؛ أحببتَ الطاعة وألِفْتَها، وصرتَ- بعد ما كنتَ تكرهُها- تأبى نفسُك أن تتخلَّف عن الطاعة إذا أردتَ أن تتخلَّف عنها.

---

(١) ينظر موقع سماحة الشيخ ابن باز عليه رحمة الله.

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٣١).

(٣) الملك: ١٢.

إنَّ الذنوب والمعاصي تضرُّ ويصلُ ضررُها إلى القلب، كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، فهي تورث الذُّلَّ، وتُفسِد العقل، وتُضعِف الغيرة، وتُذهِب الحياء، وتُزيل النِّعم، وتمحق البركة، واتِّباع الشهوات يُسبِّب ألمًا وأذىً في العاجل، ومنْعَ لذاتٍ في الآجل، فالعاقل مَن ينهى نفسه عن لذَّةٍ يُعقِبُها ألمًا، وشهوةٍ تُورثُ ندمًا.



٢٢ شوَّال

حُفَّت الجنَّة بالمكاره

الجنَّة طريق المشتاقين، وغاية المؤمنين العابدين، وأمل القانتين المخْبِتين، حُفّتْ بالمكاره، واستعصتْ على كل جاحد وكاره، فيَا سَعدَه مَن جدَّ إليها في الطلب، وسعى إليها وما هرب، وبَذَلَ لها النفيس والغالي، وكان من أهل الهمم والمعالي، ولم تُقعِده الدنيا عن طلبها والسعي إليها، ولا الشهوات والملذَّات عن وقف القلب والنفس عليها، فهي غاية الآمال، وثمرة الجدِّ والأعمال، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ". رواه مسلم[١]، وفي رواية البخاري:" حُجِبَتِ النَّار بالشهوات، وحُجِبَتِ الجنَّة بالمكاره"[٢].

والْمَكَارِهِ: هي الأمور التي تكرهها النفس لمشقَّتها، فلا يصل إلى الجنَّة أحدٌ إلَّا إذا تجرَّع من غصص هذه المكاره التي تُحيط بها، فالطريق إليها ليس سهلًا؛ بل هو طريقٌ وَعِرٌ محفوفٌ بالمتاعب والآلام، والدموع والعرق، والدم والتضحيات، وبذْل كلِّ ما في الوسع، ليس طريقًا مليئًا بالمتع والشهوات والنزوات، فمَن أراد الجنَّة ونعيمها فليوطِّن نفسه لتحمُّل هذه المكاره التي حُفَّتْ بها الجنَّة، والتي ينبغي على مَن يريد الجنَّة أن يُؤدِّيها ويقوم بها خير قيام؛ كالصبر على المِحَن والبلايا والمصائب، والصبر على الطاعات التي تشقُّ على النفس كالجهاد في سبيل الله وغير ذلك، وقد ورد من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ؛ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ؛ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ؛ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا". رواه أحمد[٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤) برقم (٢٨٢٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٢) برقم (٦٤٨٧) كتاب الرقاق باب حجبت النار بالشهوات.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٢٨٩) برقم (٨٦٤٨). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٣٦) برقم (٤٧٤٤) كتاب السنة باب في خلق الجنة والنار. والترمذي في جامعه (٤/ ٦٩٣) برقم (٢٥٦٠) أبواب صفة الجنة باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٤٣١) برقم (٤٦٨٤) كتاب الأيمان والنذور الحلف بعزة الله سبحانه وتعالى. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٥٨٧).

فمِنَ المكاره التي حُفَّتْ بها الجنَّة ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ"[(١)].

فقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ثلاثًا من الطاعات:

١- إسباغ الوضوء على المكاره كبرودته في الشتاء القارس، أو قِلَّته أو نحو ذلك.

٢- الترغيب في كثرة الخطى إلى المساجد، ويقع ذلك في حال بُعْد المسجد، وتكرار الذهاب إليه في الظُّلَم والحرِّ والبرد والخوف وغيره.

٣- انتظار الصلاة بعد الصلاة في المسجد، فإنَّ المؤمن في صلاة ما دامت الصلاة تَحبِسه، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس- رضي الله عنه- أنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:" أَمَا إِنَّكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرْتُمُوهَا"[(٢)].

ومنها: الجهاد في سبيل الله، فإنَّه مكروهٌ إلى النفوس وهي تُحِبُّ الحياة، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٣)].

قال العلَّامةُ ابنُ عثيمين- رحمه الله-: والشهوات: هي ما تميل إليه النفس، من غير تعقُّل ولا تبصُّر، ولا مراعاة لدين، ولا مراعاة لمروءة. فالزنا- والعياذ بالله- شهوة الفرْج، تميل إليها النفس كثيرًا، فإذا هتَكَ الإنسانُ هذا الحجابَ؛ فإنَّه سيكون سببًا لدخوله النار، وكذلك شُرْب الخمر، تهواه النفس وتميل إليه، ولهذا جعل الشارع له عقوبة رادعة بالجَلد، فإذا هتك الإنسانُ هذا الحجابَ وشرب الخمر؛ أدَّاه ذلك إلى النَّار، والعياذ بالله. وكذلك حبُّ المال شهوةٌ من شهوات النفس، فإذا سرق الإنسان بدافع شهوة حُبِّ جمْعِ المال؛ فلرغبة أن يستولي على المال الذي ترغبه نفسه، فإذا سرق فقد هتك هذا الحجاب؛ فيَصِلُ إلى النار، ومِن ذلك الغشُّ مِن أجل أن يزيد ثمن السلعة، هذا تهواه النفس، فيفعله الإنسان، فيهتك الحجاب

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٩) برقم (٢٥١) كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٩) برقم (٥٧٢) كتاب مواقيت الصلاة باب وقت العشاء إلى نصف الليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٤٣) برقم (٦٤٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب وقت العشاء وتأخيرها.

(٣) البقرة: ٢١٦



الذي بينه وبين النار، فيدخل النار. كذلك الاستطالة على الناس، والعلوُّ عليهم، والترفُّع عليهم، كلُّ إنسانٍ يُحبُّ هذا، وتهواه النفس، فإذا فعله الإنسان فقد هتك الحجاب الذي بينه وبين النار، فيَصِلُ إلى النار، ولكن ما دواء هذه الشهوة التي تميل إليها النفس الأمَّارة بالسوء؟ دواؤها ما بعدها، قال:" وحُفَّتِ الجنَّة بالمكاره" أو" حُجِبَتْ بالمكاره"، يعني: أُحيطتْ بما تكرهه النفوس؛ لأنَّ الباطل محبوبٌ للنفس الأمَّارة بالسوء، والحقُّ مكروهٌ لها، فإذا تجاوَزَ الإنسان هذا المكروه، وأكره نفسه الأمَّارة بالسوء على فعْل الواجبات وعلى ترْك المحرَّمات، فحينئذ يَصِلُ إلى الجنَّة[١].

وختامًا: قد شبَّه الحديث الشريف حال التكاليف الشاقَّة على النفس- التي حُفَّتْ بها الجنَّة- والتي ينبغي على من يريد الجنَّة أن يُؤدِّيها ويقوم بها خير قيام، شبَّه كلَّ ذلك بحال أسوارٍ كثيفةٍ من الأشواك التي يكمن فيها كلُّ حيوانٍ ضارٍ من الوحوش والحيَّات والعقارب، وهذه الأسوار الكثيفة الكريهة مُحيطةٌ ببستانٍ عظيمٍ تلتفُّ به من كلِّ مكانٍ بحيث لا يستطيع أن يصل أحدٌ إلى هذا البستان، ولا يحظى بالتنعُّم بما فيه إلَّا بعد أن يتخطَّى هذه الأسوار البغيضة، ويتجشَّم المشاقَّ التي تلحقه حين سلوكه فيها، ولا شكَّ أنَّ ذلك يحتاج إلى جهادٍ طويل شاق وصبرٍ دائم، كذلك الجنَّة لا ينالها ويحظى بنعيمها الدائم إلَّا مَن تخطَّى شدائد دنياه مجاهدًا نفسه، صابرًا على ما يُصيبه راضيًا بقضاء الله تعالى قائمًا بتكاليف الإسلام خير قيام مُضحِّيًا بالنفس والمال في سبيل نيْل مطلوبه؛ فالجنَّة هي الثمن الذي اشترى الله به نفوس المؤمنين وأموالهم، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٢]. قال شمر بن عطية: ما من مسلمٍ إلَّا لله عزَّ وجلَّ في عنقه بيعة، وفَّى بها أو مات عليها، ثمَّ تلا الآية السابقة[٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٨٧).

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٢٩٦). الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.



ولله درُّ مَن قال:

يا سلعةَ الرحمنِ لستِ رخيصـــةً	بلْ أنتِ غاليةٌ على الكسـلانِ
يا ســـــلعةَ الرحمـنِ ليسَ ينالُها	في الألْفِ إلَّا واحدٌ لا اثنــانِ
يا سلعةَ الرحمنِ أينَ المشــــتري	فلقدْ عُرِضْتِ بأيسرِ الأثمــانِ
يا سلعةَ الرحمنِ هلْ مِـنْ خاطِبٍ	فالمهْرُ قبْل المـوتِ ذو إمكانِ[١]

(١) الكافية الشافية (ص: ١٠٣٧). لكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية المتوفى (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي | ناصر بن يحيى الجنيني | عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل | فهد بن علي المساعد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ.



٢٣ شوَّال

يتبعُ الميّتَ ثلاثةٌ

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ". رواه البخاري ومسلم(١). هذا الحديث الموجَز المختصَر بيَّنَ فيه النبي صلى الله عليه وسلم منزلة العمل في حياة الإنسان وبعد موته، فإنَّ الإنسان إذا مات تبعه ثلاثة كما قال صلى الله عليه وسلم:" يتْبعُ الميْتَ ثلاثَةٌ: أهلُهُ ومالُه وعمَلُه" أهله يشمل كلَّ مَن يتَّصفون بالأهل من ولد، ووالد، وزوج، وقريب، وأمَّا المال فالمقصود به كلُّ ما يُتموَّل ممَّا يتبع الإنسان، وأيضًا ما كان بسبب المال كأن يكون الإنسان له مال يُطمَع فيه، فيتبعه الناس لأجل إصابة شيء من ماله بعد موته، وأمَّا العمل فهو كلُّ ما يصدُر عن الإنسان من قولٍ أو فعلٍ، ظاهرٍ أو باطنٍ، فهذه الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة تتبع الإنسان، لصيقة به لا تفارقه، وهي أقرب ما يكون من هؤلاء الثلاثة التصاقًا بالإنسان، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:" فيرْجِع اثنانِ ويبْقَى واحِدٌ" يرجع الأهل بعد الفراغ من دفنه، ويرجع المال إذ لا يكون مع الإنسان شيءٌ من ماله الذي اكتسبه وجمعه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾(٢)؛ فيأتي الإنسان ليس معه شيء، حتَّى الثوب الذي عليه ممَّا يستر به المؤمن، ما أسرع أن يبلى ويذهب، فلا يبقى مع الإنسان شيءٌ إلَّا العمل.

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: قوله" يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ": هذا يقع في الأغلب، ورُبَّ مَيتٍ لَا يتبعه إِلَّا عملُه فقط، والمراد مَن يتبع جنازته مِن أهله ورفقته ودوابه على ما جرتْ به عادة العرب، وإذا انقضى أمر الحزن عليه رجعوا، سواء أقاموا بعد الدفن أم لا(٣).

وسُئِل الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: الرسول صلى الله عليه وسلم يقول:" يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ" كيف أنَّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٧) برقم (٦٥١٤) كتاب الرقاق باب سكرات الموت. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٣) برقم (٢٩٦٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) الأنعام: ٩٤.

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٦٥). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.



مالَه يتبعه؟ فأجاب: قال أهل العلم- رحمهم الله تعالى-: هذا في الميّت الذي له أرقَّاء يتبعونه، والأرقَّاء أمواله يُباعون ويُشترون. وقال بعض العلماء: المراد بماله هو ما يُكرَم من أجله، يعني أنَّ الناس غير أقاربه وغير أهله؛ يخرجون معه من أجل ماله إذا كان تاجرًا، فعبَّر بالمال عن التابعين من أجل المال، ولهذا نجد الفقير إذا صُلِّي عليه في المسجد لا يتبعه إلَّا الذين يحملون النعش فقط، أربعة، أو خمسة، أو ستَّة، لكن إذا كان غنيًّا ملأوا المسجد إلَّا ما شاء الله، فهذا تبع المال. ورُبَّما يُقال: المال ما يُعطَى به من أكسية أو نحوها، يرجع، فيكون هذا هو المراد بالمال؛ لكنَّ هذا ضعيف. فالمعنى إمَّا أن يُقال: إنَّ المراد بالمال العبيد الأرقَّاء، أو يُراد بالمال ما يُكرَم به من أجله، وهو كثرة الناس الذين ليسوا من أهل الميت. والله أعلم(١).

قال:" ويبقَى عملُهُ" يرجع اثنان ويبقى الثالث وهو العمل، والعمل يبقى وهو القرين الذي لا يُفارِق الإنسان كما قال الله تعالى:﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ ﴾(٢). طائره يعني عمله، فكلُّ إنسان يلازمه عمله لا ينفكُّ عنه، وهذه الملازمة تترتَّب عليها المجازاة، فإنَّ الإنسان إنَّما يُجازَى بما كان يعمل، وبما كان يصنع، وبما يصدر عنه من قول أو فعل ظاهر أو باطن، ولذلك ينبغي للإنسان أن يُجوِّدَ مَن يصاحبه وهو العمل الذي لا يُفارِقه، فهو يُصاحبه في قبره، ثم يُصاحبه بعد بعثه ونشوره، ثم يُصاحبه في مقرِّه ومنزله في جنَّة أو نار. أمَّا مصاحبته في القبر فكما في حديث البراء بن عازب:" أنَّ الإنسان إذا قُبِرَ جاءه عمله إن كان طيِّبًا بصورة حسنة، وريح حسنة، وثياب حسنة، وأمَّا إن كان قبيحًا فيأتي على خلاف ذلك، فإن كان العمل سيِّئًا جاء بصورة قبيحة، وثياب قبيحة، وريح مُنتنة، فيُسأل في الحالة الأولى فيقول: مَن أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، وفي الحالة الثانية يُسأل: مَن أنت؟ فيقول: أنا عملك السَّيِّئ". رواه وأحمد(٣).

فينبغي للإنسان أن يحرص على صُحبة العمل الصالح، والاجتهاد فيه، واحتساب الأجر فيما يلقاه في سبيله؛ فإنَّه الذي ينفعه، وهو الذي يبقى ولا يُفارِقه، كلُّ شيء يمضي ويُفارِق إلَّا العمل الصالح، حتَّى في الآخرة فإنَّه سبحانه وتعالى يقول:﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾(٤)، فالعمل هو الرفيق، فلا يُرافقك ولا يكون معك إلَّا ما كان من صالح عملك، فاحرصْ على استصحاب العمل

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٧/ ٤٢٩).
(٢) الإسراء: ١٣.
(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٩٩) برقم (١٨٥٣٤). والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٥١٢).
(٤) المؤمنون: ١٠١.



الصالح الذي تُسَرُّ به عند لقاء ربِّك، ابتداءً بالواجبات والفرائض لا تُفرِّطْ فيها، واجتهدْ في إتقانها وإصلاحها، ثم استكثرْ من الصالحات، واحتسب الأجر عند الله في ذلك، فإنَّ ما عملتَه ستلقاه، فمَن يعملْ مثقال ذرةٍ خيرًا يره، ومَن يعملْ مثقال ذرة شرًّا يره، قال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1]؛ فإنَّ الحياة صحائف تطويها الأيام، تمرُّ سريعةً مرَّ السحاب، تحمل في طياتها الفرص التي إن لم يغتنمها الإنسان وفاتَتْه فإنَّ عاقبته الخسارة والندم، ولا يغتنمُ الفرصَ إلَّا كلُّ حريصٍ على دُنياه وآخرته، ولا يمكن لمن كان طبعه الكسل والتسويف أن يغتنم فرص الحياة؛ لما تورثه هذه الطباع من الصفات السلبية التي تحول دون سعي الإنسان نحو ترْك بصمته الإيجابيَّة في الحياة، والتي تترك أثرًا لا يغيب مهما توالت الأيام والسنوات، والكيِّس الفطن مَن يعي هذه المعاني ويعمل على ترْك الأثر الحَسَن في دنياه قبل رحيله عنها إلى الدار الآخرة، فيجتهد في بذْل الخير للخلْق، ومُساعدة المحتاجين، ويسعى في نصْح الناس وهدايتهم إلى طريق الحقِّ؛ بالدعوة إلى الله، وإرشادهم إلى لزوم الطاعة، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ويجعل مِن أهدافه ومهامه في هذه الحياة أن يكون عونًا للناس على الخير، سندًا للضعفاء وغوثًا للمحتاجين، يضع بذلك بصمته، ويغرس به أثرًا يبقى بعده، وآثار الناس تبقى؛ سواءً كانت خيرًا أم شرًّا، ثم يُجزَى الإنسان بها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[2]؛ فأعمال الإنسان مُسجَّلة بما فيها مِن آثار الخير والشرِّ التي كان الإنسان سببًا فيها سواءً في حياته أم بعد مماته، والمؤمن يحرص دائمًا على ترْك الأثر بين الناس ليُجزَى به في الآخرة، فيكون حاله في هذه الدنيا بين نشْر العلم النافع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين بذْل الخير للناس.

وفي الختام؛ على العبد أن يختار أنيسه في الدار الآخرة، ولن يجد أنيسًا ولا مُؤنِسًا أفضل من العمل الصالح.

لَا دارَ للمرءِ بعدَ الموتِ يَسكُنُهَا ... إلَّا الَّتي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَبْنِيهَا
فَإنْ بَنَاهــــا بِخيرٍ طَابَ مَسْكَنُه ... وإنْ بَنَاها بِشَرٍّ خَــابَ بَانيهَا[3]

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) يس: ١٢.

(٣) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٣/ ٣٩٤).



٢٤ شوَّال

ولكن ساعة وساعة (حديث حنظلة ومعنى ساعة وساعة)

هذا مشهد من حياة أحد الصحابة الأكرمين، إنَّه الصحابي المجاهد البطل الشهيد: حنظلة بن أبي عامر عمرو بن صيفي الأنصاري الأوسي المدني، الذي كان من سادات الصحابة وفضلائهم، وكان من أهل الصُّفَّة الأتقياء الأوفياء، وقد استُشهد في غزوة أحد، وغسَّلته الملائكة كما جاء في الخبر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وهذه الوصيَّة النبويَّة جاءت بعد قصَّة قصيرة ذكرها الرواة لتكون سببًا لورودها. إنَّ البيوت الربانيَّة لا تضيع عليها ساعة سُدًى، فالساعات عديدة لكن النِّيَّة واحدة.

فعن حنظلة الأسيدي- رضي الله عنه- قال: لقيني أبو بكر، وقال: كيف أنتَ يا حنظلة؟ قلتُ: نافَقَ حنظلة. قال: سبحان الله، ما تقول؟ قلتُ: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يُذكِّرُنا بالنَّار والجنَّة حتَّى كأنَّا رأْي عين، فإذا خرجْنا من عنده عافسْنا (أي: خالطنا ولاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا. فقال أبو بكر: فوالله إنَّا لنلقى مثل هذا. قال حنظلة: فانطلقتُ أنا وأبو بكر حتَّى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلتُ: نافَقَ حنظلة يا رسول الله، فقال: وما ذاكَ؟ قلتُ: يا رسول الله؛ نكون عندك تُذكِّرُنا بالنَّار والجنَّة كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافَسْنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيرًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده؛ لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكْر لصافحتْكم الملائكة على فُرُشِكم وفي طُرُقِكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة؛ ثلاثَ مرَّاتٍ". رواه مسلم(١).

قال العلَّامةُ ابنُ عثيمين- رحمه الله- شارحًا الحديث الشريف: عن حنظلةَ الكاتب، أحدِ كُتَّاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أنَّه قال: لقيني أبو بكر- رضي الله عنه- فقلتُ: نافَقَ حنظلة- يعني نفسه- ومعنى نافَقَ: يعني صار من المنافقين، قال ذلك ظنًّا منه- رضي الله عنه- أنَّ ما فعله نفاقٌ، فقال أبو بكرٍ: وما ذاك؟ فقال- رضي الله عنه-: نكون عند رسول الله- صلى الله عليه وسلم يُذكِّرُ بالجنة والنار حتَّى كأنَّا رأىَ عينٍ، يعني كأنَّما نرى الجنَّة والنَّار رأىَ عينٍ من قوة اليقين، حيث يخبرهم بذلك صلى الله عليه وسلم، وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فإنَّه كالمشاهَدِ، بل قد يكون أعظم؛ لأنَّه خبرٌ مِن أصدقِ الخلْق- صلوات الله وسلامه عليه-، وأعلم الخلْق بالله. فإذا

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٦) برقم (٢٧٥٠) كتاب التوبة باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا.



خرجْنا من عنده عَافَسْنا الأزواج والأولاد والضَّيْعاتِ، يعني: لهونا معهم ونسينا ما كُنَّا عليه عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكرٍ عن نفسِه: إنَّه يُصيبُه كذلك، ثم ذهبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلمَّا وصلا إليه قال حنظلةُ: نافَقَ حنظلة يا رسولَ اللهِ، قال: وما ذاك؟ فأخبره بأنَّهم إذا كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فحدَّثهم عن الجنَّة والنَّار، أخَذَهم من اليقين ما يجعلُهم كأنَّهم يرونهما رأي العينِ، ولكن إذا خرجوا عافَسُوا الأهل والأولادَ والضَّيعاتِ وتلهَّوا بهم نَسُوا كثيرًا. فقال النبي– عليه الصلاة والسلام–:" وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ؛ إنْ لَوْ تَدُومُونَ علَى ما تَكُونُونَ عِندِي وفي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ علَى فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ". رواه مسلم. أي من شدَّةِ اليقينِ تُصافحكم إكرامًا لكم وتثبيتًا لكم؛ لأنَّه كلَّما زاد يقين العبد، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يُثبِّتُه ويُقوِّيه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾[١]، ولكن يا حنظلةُ ساعةً وساعةً، ومعنى ساعة وساعة أي: كقوله صلى الله عليه وسلم:" فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا". رواه البخاري، ساعة تحضرون مجلس الذِّكر، وساعة تتعبَّدون لله، تُصلُّون وتذكرونه وتقرأون القرآن، وساعة تقومون بحقوق الزوجات والأولاد، وتقومون بما يُصلح معايشكم من تجارة وحرفة وصناعة وما إلى ذلك. وهذه سُنَّةُ الله في هذه الحياة[٢].

ويتعلَّق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: ينبغي للمسلم أن يكون حريصًا على تقوية إيمانه ومحاسبة نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾[٣]، ولقد حرص الصحابة– رضي الله عنهم– والسلف الصالح على ذلك. روى الأسود بن هلال المحاربي قال: قال لي معاذٌ: اجلس بنا نؤمن ساعة[٤]، يعني نذكر الله، وفي لفظ: كان معاذٌ يقول لرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيجلسان يذكران الله ويحمَدانه[٥]. وقال عليٌّ بن أبي طالب – رضي الله عنه–: أجمُّوا هذه القلوب؛ فإنَّها تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان[٦]. أي تَكِلُّ.

---

(١) محمد: ١٧.

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين (٢/ ٢٣٥).

(٣) الحشر: ١٨.

(٤) رواه البخاري تعليقًا في صحيحه (١/ ١١).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٦٤) برقم (٣٠٣٦٥).

(٦) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٣٣) برقم (٦٥٩). جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.



الفائدة الثانية: ينبغي للمسلم أن يكون حريصًا على مجالس الذِّكر؛ فإنَّها روضة من رياض الجنة، يحصل فيها الخير والأجر، ويقوم منها وقد غُفر له ذنبُه، وأُجيبتْ دعوته، تحفُّه الملائكة، وتغشاه الرحمة، ويذكره الله فيمن عنده، فأيُّ فضلٍ أكبر من هذا؟ وينبغي للمسلم أن يكون حذرًا من التشبُّه بمَن قال الله فيهم: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾[١]، فهم ينفِرون عن مجالس ذكْر الله والموعظة كما تنفِر الحُمُرُ مِن الأسَد، بل وصل الحال ببعضهم أنَّهم يُنفِّرون منها غيرهم.

الفائدة الثالثة: يُبيِّنُ الحديثُ أنَّ المسلم إذا أُشكِل عليه شيءٌ في أمر دينه، فإنَّه ينبغي له أن يُراجع أهل العلم؛ حتَّى يتبيَّن الحُكم الشرعي فيما هو فيه، والناس في هذا متفاوتون؛ فمنهم مَن لا يَسأل عن أمر دِينه ألبتة، ومنهم مَن قد يُفتي نفسه ويعمل بما بدا له، ومنهم مَن يتبرَّع له بعض الجُهَّال فيفتيه بما يهواه، فيقنع بفتواه، ويظنُّ أنَّ هذا يكفيه، ويكون حُجَّة له بين يدي ربِّه، وما علِم المسكين أنَّه لما كان مُقصِّرًا في السؤال الواجب عليه بقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢]؛ كان عليه إثم تقصيره بالسؤال، وإثم غلَطه، كما أنَّ هذا المتقحِّم للفتوى بغير علمٍ عليه من الإثم نصيب وافر.

الفائدة الرابعة: الخوف من النفاق: قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: ولما تقرَّر عند الصحابة– رضي الله عنهم– أنَّ النفاق هو اختلاف السر والعلانية؛ خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغيَّر عليه حضور قلبه ورقَّته وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل، والأولاد، والأموال أن يكون ذلك منه نفاقًا، كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأسدي[٣].

سبحان الله! يخاف حنظلة على نفسه النفاق وهو أحد كُتَّاب الوحي، ولا يمكن أن يكون أحدُ المنافقين كاتبًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يدلُّ دلالة واضحة على خطر النفاق، وأنَّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتخوَّفون على أنفسهم، ولهذا جاء عن بعضهم:" ما خافه إلَّا مؤمنٌ، وما أَمِنَهُ إلَّا مُنافقٌ"[٤].

---

(١) المدثر: ٤٩– ٥١.

(٢) النحل: ٤٣.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩٤). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٤) رواه البخاري تعليقًا في صحيحه (١/ ١٨).



الخلاصة: أنَّ مَن كانت إرادته مُتمحضَّة للدنيا؛ مِن أجْلها يقوم، ومِن أجْلها يقعد، ومِن أجْلها يعمل، ومِن أجْلها يكدح، لا يريد ما عند الله تعالى فإنَّه مُتوعَّدٌ بالنَّار، والإنسان لا يُعابُ إذا طلب الدنيا، ولكنَّ ذلك الطلب لا يُنسيه الآخرة، فهو يُصلِح قلبه ويتعاهد نفسه، ويتوب من ذنوبه، ويعمل الأعمال الصالحة التي تُقرّبه إلى الله تعالى، وتُعمِّر آخرته ولا يكون من الغافلين، هذا هو الطريق، وهو المخرَج بإذن الله تعالى.



٢٥ شوَّال

الأُخوَّة في الله

الأُخوَّة في الله منحة ربانيَّة، ونعمة إلهيَّة، يقذفها الله في قلوب المخلِصين من عباده، والأصفياء من أوليائه، والأتقياء من خلْقه؛ قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾(٢)؛ فلا يخفى على أحدٍ أنَّه لم يكن الناس في جاهليَّتهم يعرفون شيئًا اسمه (الحبُّ في الله)، وكانت العلاقات التي تربط بعضهم ببعض علاقات منشؤها الأرض، أو النسب، أو ما شابه ذلك، فجاء الله بنور الإسلام، وسما بتلك العلاقات، فجعل علاقة الدِّين أرفعها وأجلَّها، ورتَّب على هذه العلاقة الأجر والثواب، والحُبَّ والبُغض، فنشأ مع الإسلام مصطلح (الأُخوَّة في الله، والحُبِّ في الله). فالحُبُّ في الله يعني: محبَّة المسلم لما فيه من خصال الخير والطاعة لله تعالى، فليست لأجْل المال، ولا النسب، ولا الوطن، ولا غير ذلك.

والأُخوَّةُ في الله علامةُ الإيمان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٣)؛ فإذا وُجِدَتِ التقوى والإيمان في عبدٍ ولم تُوجدْ أُخوَّةٌ صادقةٌ، فهو إيمانٌ ناقصٌ، وتقوى مزعومة؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" لا يؤمن أحدُكم حتَّى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه". رواه البخاري(٤).

والمتحابُّون في الله يعطيهم الله النور والأمن يوم القيامة، يقول صلى الله عليه وسلم:" إنَّ مِن عبادِ اللهِ لَأُناسًا ما هم بأنبياءَ ولا شُهداءَ، يَغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ بمكانِهم مِن اللهِ تعالى، قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ تُخبِرُنا مَن هم؟ قال: هم قومٌ تحابُّوا برُوحِ اللهِ على غيرِ أرحامٍ بَيْنَهم، ولَا أموالٍ يتعاطَوْنَها، فواللهِ إنَّ وجوهَهم لَنُورٌ، وإنَّهم على نُورٍ، لا يخافونَ إذا خاف النَّاسُ، ولا يحزَنونَ إذا حزِن النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٥) ". رواه أبو داود(٦).

---

(١) الأنفال: ٦٣.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) الحجرات: ١٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٣) كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٧) برقم (٤٥) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

(٥) يونس: ٦٢.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٥٤٠) برقم (٢٢٩٠٦). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٨٨) برقم (٣٥٢٧) كتاب البيوع باب في الرهن. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٤) برقم (١١١٧٢) كتاب التفسير، قوله تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [يونس: ٦٢]. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٥٤).



ومن فضائل الحُبِّ في الله:

١- محبَّة الله تعالى للمُتحابِّين فيه، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم:" أنَّ رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا، فلمَّا أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمةٍ تربُّها؟ قال: لا، غير أنِّي أحببْتُه في الله عزَّ وجلَّ، قال : فإنِّي رسول الله إليك أنَّ الله قد أحبَّك كما أحببْتَه فيه". رواه مسلم[١]، وفي الحديث القدسي:" قال اللهُ عزَّ وجلَّ: وجبتْ محبَّتي للمُتحابِّين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ". رواه أحمد[٢].

٢- المتحابُّون في الله تعالى في ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، قال صلى الله عليه وسلم:" سبعة يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه؛ (منهم): ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه". رواه البخاري[٣]، وقال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله يقول يوم القيامة: أين المتحابُّون بجلالي، اليوم أُظلُّهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلَّا ظلِّي". رواه مسلم[٤].

٣- الحُبُّ في الله من أسباب دخول الجنَّة، قال صلى الله عليه وسلم:" لا تدخلون الجنَّة حتَّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا". رواه مسلم[٥].

وللأُخوَّة آدابٌ تُشعِر بصدق هذه المحبَّة في الله تعالى، فمنها:

١- السلام والبشاشة عند اللقاء، قال صلى الله عليه وسلم:" لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق". رواه مسلم[٦].

٢- الهدية، ولها أثر كبير في زيادة المحبَّة، وإذهاب ما في النفوس، قال- صلى الله عليه وسلم-:" تهادُوا تحابُّوا". رواه البخاري في الأدب المفرد[٧].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٨) برقم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب باب في فضل الحب في الله.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٥٩) برقم (٢٢٠٣٠). والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٨) برقم (٢٥٦٦) كتاب الزكاة باب في فضل الحب في الله.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٤) كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٧) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٠٨) برقم (٥٩٤). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٢١).

٣- الدعاء له، قال صلى الله عليه وسلم:" ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب؛ إلَّا قال المَلَكُ: ولك بمثل". رواه مسلم[١]، ويستمرُّ ذلك في حياته وبعد موته.

٤- إخباره بهذه المحبَّة،" مَرَّ رجُلٌ بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وعِندَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم رجُلٌ جالِسٌ، فقال الرَّجُلُ: واللهِ يا رسولَ اللهِ؛ إنِّي لَأُحِبُّ هذا في اللهِ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أخبَرْتَه بذلك؟ قال: لا، قال: قُمْ فأَخبِرْهُ؛ تَثْبُتِ المودَّةُ بيْنكما. فقام إليه فأخبَرَه، فقال: إنِّي أُحِبُّك في اللهِ، أو قال: أُحِبُّك للهِ، فقال الرَّجُلُ: أَحَبَّك الذي أحبَبْتَني فيه". رواه أبو داود وأحمد[٢].

٥- الزيارة، والأفضل كونها بين فترة وأخرى، لا قليلة فتُنتِج الجفاء، ولا كثيرة فتؤدِّي إلى السآمة والملل.

٦- المعونة، وقضاء الحوائج، وأعلى مراتبها: تقديم حوائجه على حوائج النفس، وأوسطها القيام بحوائجه من غير طلب منه، مع كونها غير متعارضة مع حوائج النفس، وأقل ذلك القيام بحوائجه بعد طلبه.

٧- ستْر معايبه، وحفْظ سرِّه والقيام له بحقِّ النصيحة بأدبٍ وستْر، والدفاع عن عِرْضه، والتجاوز عن زلَّاته، وحُسْن الخُلُقِ معه، وغير ذلك.

ولِما للصاحب من تأثيرٍ على صاحبه؛ فالواجب على المسلم أن يعتني بمَن يختاره لصُحبته، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:" الرجل على دِينِ خليله، فلْينظرْ أحدُكم مَن يُخالِل". رواه أبو داود[٣]، ومن أهمِّ الصفات التي ينبغي اتِّصاف الصاحب بها:

١- أن يكون ذا دِينٍ وتقوى، وعلامته: حرْصٌ على فرائض الله، كالصلاة ونحوها، ونظافة لسانه من السبِّ واللعن والغيبة وغيرها، ونصْحه لصاحبه، ومحبَّته للصالحين، وبُعْده عن الرذائل والفواحش، وإعانته على الطاعة وتثبيطه عن المعصية، ونحو ذلك من الصفات، وعلامة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٤) برقم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢١/ ١٦٩) برقم (١٣٥٣٥). وأبو داود في سننه (٤/ ٣٣٣) برقم (٥١٢٥) كتاب الأدب باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٧٩) برقم (٩٩٣٩) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول لأخيه إذا قال: إني لأحبك. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ١٤٢) برقم (٨٤١٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٥٩) برقم (٤٨٣٣) كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس. والترمذي في جامعه (٤/ ٥٨٩) برقم (٢٣٧٨) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٥٩٧).



ضدِّه بضدِّ ذلك، قال صلى الله عليه وسلم:" لا تُصاحِبْ إلَّا مُؤمنًا، ولا يأكلْ طعامَكَ إلَّا تقي". رواه أبو داود وأحمد(١).

٢- أن يكون عاقلًا، فلا خيرَ في صُحْبة الأحمق، لأنَّه قد يُريد نفعَك فيضرُّك.

٣- أن يكون حَسَنَ الأخلاق، فسيِّئُ الخُلُق ضرره إليك واصل، ولو لم يكن من ذلك إلَّا أنَّه قد يُعديك بسوءِ طباعه، أو يُؤذيك بكثرة خصامه.

٤- أن يكون صاحب سُنَّة، وإيَّاك وصاحبَ البدعة، فإنَّه يجرُّك إلى بدعته، ولا أقلَّ من أن يُشوِّش فكْرك، ويُؤذي خاطرك. وكان عبد الله بن معاوية يقول:

لَا يُزهِـدَنَّكَ في أخٍ لـكَ أنْ تـراه زلَّ زلَّـهْ
مَا مِنْ أخٍ لك لا يُعـابُ ولوْ حرصتَ الحِرْصَ كُلَّه(٢)

ختامًا: إنَّ التفريط في تحقيق معاني الأُخوَّة في الله؛ قد أدَّى إلى تفكُّك المجتمعات، وبالتالي ضعفت الأُمَّة بأسرها، فاسعوا إلى تحقيق عِزَّة أُمَّتكم من خلال تحقيق معاني الأُخوَّة في الله، ليس بينكم وبين مَن يعيش معكم في قطركم فقط، بل لا بُدَّ من تحقيقها على مستوى الأُمَّة ككلٍّ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ٤٣٧) برقم (١١٣٣٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٥٩) برقم (٤٨٣٢) كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس. والترمذي في جامعه (٤/ ٦٠٠) برقم (٢٣٩٥) أبواب الزهد باب ما جاء في صحبة المؤمن. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٧).

(٢) ينظر: الصداقة والصديق (ص: ١٢٧). الصداقة والصديق، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: الدكتور إبراهيم الكيلاني، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، دار الفكر - دمشق - سورية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.



٢٦ شوَّال

الحثُّ على الزواج واختيار المرأة الصالحة

شرع الله تعالى الزواج؛ ليكون اللبنة الأولى في المجتمع، والتي تتحقَّق من خلالها السكينة والمودَّة، وإشباع الرغبات والميول الفطري بين كلٍّ من الجنسين الذكر والأنثى، ولقد حثَّ الإسلام على حُسْن اختيار الزوجة وشدَّد فيه، فقد وردت العديد من الأدلَّة التي تحثُّ على أُسُسِ اختيار الزوجة الصالحة، ومن أهمِّ هذه الأدلَّة قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(١)]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تزوَّجوا الودودَ الولودَ، فإنِّي مُكاثِرٌ بكمُ الأمَمَ". رواه أبو داود[(٢)]، وقال صلى الله عليه وسلم:" الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المرْأَةُ الصَّالِحَةُ". رواه مسلم[(٣)]، ويقول صلى الله عليه وسلم:" خيرُ النِّساء التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تُخالِفه في نفسها ولا ماله بما يكره". رواه أحمد[(٤)].

وإذا كان بعض الناس يميل إلى المرأة الغنيَّة، أو الجميلة، أو ذات النسب والحسب؛ فإنَّ الشباب المسلم ينبغي أن يختار المرأة الصالحة، سواء وُجِدَتْ فيها تلك الخصال أم لا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تُنكَح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفرْ بذات الدين تربتْ يداك". رواه البخاري[(٥)].

ومن أهمِّ الأمور أن يُعنى بالدين، مثل ما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فقد تنكح للجمال، وقد تنكح للحسب، وقد تنكح للمال، وقد تنكح للدين، لكن ينبغي للمؤمن أن تكون عنايته بالدين، لقوله صلى الله عليه وسلم:" فاظفر بذات الدين تربتْ يداك"، وقال صلى الله عليه وسلم

(١) الروم: ٢١.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ٦٣) برقم (١٢٦١٣). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٢٠) برقم (٢٠٥٠) كتاب النكاح باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء. والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٠) برقم (٥٣٢٣) كتاب النكاح النهي عن تزويج المرأة التي لا تلد. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٢٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٩٠) برقم (١٤٦٧) كتاب الرضاع باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٣٨٣) برقم (٧٤٢١). والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦١) برقم (٥٣٢٤) كتاب النكاح، أي النساء خير. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٧٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٧) برقم (٥٠٩٠) كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٨٦) برقم (١٤٦٦) كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين.



أيضًا:" إذا خَطَب إليكم مَن تَرْضَوْنَ دِينَه وخُلُقَه فزَوِّجُوه. إلَّا تفعلوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ". رواه الترمذي[(١)].

وكما أنَّ المرأة مأمورة بأن تتحرَّى الاختيار الملائم للزوج الصالح، فإنَّ الرجل كذلك مأمورٌ بأن يتحرَّى الاختيار الملائم للزوجة الصالحة، لتُبنى أسرة متماسكة، وتساهم في تقدُّم ورفعة الأُمَّة والمجتمع، فالزوجة الصالحة هي خير متاع الدنيا، فالمشروع للمؤمن عند الزواج أن ينظر إلى المخطوبة قبل أن يُتِمَّ العقد، فإن لم يتيسَّر له النظر؛ استعان بالثقات من أهل بيته من أُمِّه أو أخته أو زوجة أبيه أو نحو ذلك؛ بأن تنظر إلى المرأة، وتعرف حالها، وتسأل عمَّا يلزم من ذلك حتَّى يكون على بيِّنة في خِطبته، والمقصود أنَّ هذا الأساس ينبغي العناية به، إمَّا من طريق النظر إذا تيسَّر، وإمَّا من طريق بعْث مَن يعرف حالها، أو سؤال مَن يعرف حالها وأخلاقها ودينها، حتَّى يكون الزواج على بصيرة، وإذا نظر إليها فليس له أن يخلو بها، إنَّما ينظر إليها من دون خلوة، ينظر إليها مع وجود أبيها أو أخيها أو أُمِّها أو نحو ذلك ممَّن تزول معه الخلوة، وحتَّى يعرف منها ما يدعوه إلى نكاحها، أو يدعوه إلى الترْك، ويُسنَّ النظر إلى المخطوبة، ليكون الرجل على بيِّنة مِن الأمر، فلا يُقدِم أو يُحجِم إلَّا عن اقتناع، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا خَطِبَ أحدُكم المرأة؛ فإنِ استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل". رواه أحمد[(٢)]، وعن المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه- أنَّه خطب امرأة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنظرتَ إليها؟ قال: لا، قال: انظرْ إليها؛ فإنَّه أحرى أن يُؤدم بينكما". رواه أحمد[(٣)]، ومعنى (أحرى) أي: أجدر أن يدوم الوفاق بينكما، ولا مانع أن ينظر إليها أكثر من مرَّة سواء برضاها أم لا.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٣٨٦) برقم (١٠٨٤) أبواب النكاح باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه. وابن ماجه في سننه (١/ ٦٣٢) برقم (١٩٦٧) كتاب النكاح باب الأكفاء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٢٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢/ ٤٤٠) برقم (١٤٥٨٥). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٢٨) برقم (٢٠٨٢) كتاب النكاح باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٣٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٨٨) برقم (١٨١٥٤). والترمذي في جامعه (٣/ ٣٨٩) برقم (١٠٨٧) أبواب النكاح باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة. والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٢) برقم (٥٣٢٨) كتاب النكاح، إباحة النظر إلى المرأة قبل تزويجها. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٩٩) برقم (١٨٦٥) كتاب النكاح باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٣٢).

غير أنَّ لهذا النظر ضوابط شرعيَّة ينبغي مراعاتها، وهي:

١- ألَّا يكون فيه خلوة، لقوله صلى الله عليه وسلم:" لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ، ولا تُسافر المرأة إلَّا مع ذي محرم". رواه مسلم[(١)].

٢- أن يكون النظر إلى ما يظهر منها غالبًا مثل: الوجه، واليد، والقدم، والرقبة.

٣- أن يكون عازمًا على الخطبة، مُقدِمًا على الزواج، لا عابثًا.

٤- أن يغلب على ظنِّه إجابة طلبه، فإن عرف أنَّه لا يُجاب، فلا ينبغي أن ينظر إليها.

٥- ألَّا يتحدَّث عمَّا يراه من الجوانب السلبيَّة في المرأة.

وأمَّا عن اختيار الزوجة الصالحة فهو كالآتي:

١- اختيار ذات الدِّين التي يأمن الرجل معها على عرضه وبيته وماله، كما أنَّها تكون مُعينًا له على مُختلَف وجوه الخير، وتُربِّي أبناءها تربية صالحة، وتكون ذات لطف ولين، ولا تُكلِّف زوجها فوق ما يطيق.

٢- اختيار ذات الجمال: وإنَّه يجدر الإشارة إلى أنَّ الجمال نسبي، ويختلف من شخص لآخر، المهم أن يختار الرجل مَن يجد أنَّها تُشبع رغبته، وتعفُّه عن الحرام، ومَن تكون أقرب إلى الوئام والمودَّة وحُسْن المعاشرة.

٣- اختيار ذات المال: إنَّ التكاليف الماليَّة عمومًا في الزواج من واجبات الرجل، إلَّا أنَّ اختيار امرأةٍ قد تكون ذات مالٍ؛ ممَّا قد يُخفِّف عن الرجل من بعض التكاليف للكماليَّات التي تحتاجها المرأة، كما أنَّها قد تُساعده في سدِّ بعض الحوائج إذا احتاج للمال يومًا ما.

٤- اختيار ذات الحسب: إنَّ نسب المرأة ممَّا يُؤثِّر تأثيرًا مُباشرًا على الأبناء، فهم يأخذون جزءًا من الصفات الوراثيَّة لأخوالهم، كما أنَّ اختيار العائلات الراقية والمحترمة يُؤدِّي إلى تبادُل الاحترام بين كلٍّ من الرجل وعائلة زوجته، وبين الزوجة وعائلة الزوج.

٥- أن تكون الزوجة أجنبيَّة: وذلك بأن تكون من غير أقاربه، حتَّى لا يكون هذا الزواج سببًا لقطيعة الرحم خاصة عند الطلاق، ولكي يستفيد الأبناء من صفات أخوالهم، بعيدًا عن الصفات المتواجدة داخل العائلة نفسها.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٥٩) برقم (٣٠٠٦) كتاب الجهاد والسير باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة، أو كان له عذر، هل يؤذن له. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٨) برقم (١٣٤١) كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره.



٦- أن تكون بكرًا وولودًا: فقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على الزواج من البكْر؛ لأنَّها تكون أكثر تعلُّقًا بالرجل إذ لم تعهد أحدًا قبله، كما أنَّه رغَّب في الزواج مِن التي تمتلك القدرة على الإنجاب، لتحقيق رغبة الزوجين بامتلاك ذريَّة صالحة، وتكثير الأبناء، وتكثير أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم.

والخلاصة: أنَّ لاختيار الزوجة الصالحة أهمِّيَّة لا يمكن تجاهلها أبدًا، لذا يُنصَح دائمًا باختيار الزوجة الصالحة، وذلك لعدَّة أمور؛ من أهمِّها: دور المرأة في تربية الأبناء وتنشئتهم، وإنَّ هذا الدور على قدر أهمِّيَّته فهو خطيرٌ؛ إن لم يُوضع الأبناء بين يدي أُمٍّ تُربِّيهم بشكلٍ صحيحٍ وقويمٍ. كما أنَّ اختيار الزوجة الصالحة يضمن للأبناء أن ينشأوا في بيئة صالحة، وأسرة صالحة عالمة بالأحكام والأخلاق والآداب، ومُلِمَّة بالأركان، وعارفة بالواجبات الإسلامية، ومُتخلِّقة بها. ثمَّ إنَّ الزوجة الصالحة والواعية والمتفهِّمة لأمور دينها تستطيع أن تُرَبِّي أبناءها على علمٍ ونورٍ وهُدًى. وأيضًا فإنَّ الخصائص الوراثيَّة للآباء والأُمَّهات تُؤثِّر على الأبناء، وتُساعِد في عملية اكتساب الطفل للقيم والأخلاق.

وصدق مَن قال:

سعادةُ المرْءِ في خَمْسٍ إذا اجتمعتْ	صـلاحِ جيرانِـهِ، والـبِرّ في ولـدِهْ
وزوجةٍ حسُنتْ أخلاقُهــا، وكذا	خِلٌّ وفيٌّ، ورزقُ المــرءِ في بلدِهْ[1]

(١) ينظر: عودة الحجاب (٢/ ٢٤١). عودة الحجاب، المؤلف: محمد أحمد إسماعيل المقدم، ج ١: دار طيبة (توزيع دار الصفوة) - الطبعة العاشرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ج ٢: دار ابن الجوزي، القاهرة - الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، ج ٣: دار القمة، دار الإيمان (الإسكندرية) - الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.



٢٧ شوَّال

الناس معادن والأرواح جنود مُجنَّدة

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" تجدون الناسَ معادنَ، خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدَّهم له كراهية، وتجدون شرَّ الناس ذا الوجهين؛ الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ، ويأتي هؤلاء بوجهٍ". رواه البخاري ومسلم(١). ومعنى هذا اللفظ كما ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري: قوله:" تجدون الناس معادن" أي أصولًا مُختلفة، والمعادن جمع معدن، وهو الشيء المستقِرُّ في الأرض، فتارة يكون نفيسًا، وتارة يكون خسيسًا، وكذلك الناس(٢).

وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ". رواه مسلم(٣). فالألفة توفيقٌ من الله تعالى، لأنَّه سبحانه وتعالى هو الذي بيده القلوب، ولا أعظم من أكبر ألفةٍ في التاريخ، حينما ألَّف الله تعالى للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بين أصحابه- رضي الله عنهم- فقد امتنَّ الله تعالى على حبيبه صلى الله عليه وسلم؛ فقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٤).

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في شرح الحديث: قوله" الأرواح جنودٌ مُجَنَّدة" قال الخطابي: يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشرِّ، والصلاح والفساد، وأنَّ الخَيِّرَ من الناس يَحِنُّ إلى شكله، والشرير- نظير ذلك- يميل إلى نظيره، فتعارُف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جُبِلتْ عليها من خيرٍ وشرٍّ؛ فإذا اتَّفقتْ تعارفتْ، وإذا اختلفتْ تناكرتْ. ويحتمل أن يُراد الإخبار عن بدء الخَلْق في حال الغيب، على ما جاء أنَّ الأرواح خُلِقَتْ قبل الأجسام، وكانت تلتقي فتتشاءم فلمَّا حلَّتْ بالأجسام تعارفتْ بالأمر الأوَّل، فصار تعارُفُها وتناكُرُها على ما سبق من العهد المتقدِّم(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٨) برقم (٣٤٩٣) كتاب المناقب باب قول الله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} [الحجرات: ١٣]. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٥٨) برقم (٢٥٢٦) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنه باب خيار الناس.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٢٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٣٣) برقم (٣٣٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣١) برقم (٢٦٣٨) كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة.

(٤) الأنفال: ٦٣.

(٥) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٦٩).



قال ابن الجوزي: ويُستفاد من هذا الحديث أنَّ الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة ممَّن له فضيلة أو صلاح؛ فينبغي أن يبحث عن المقتضي لذلك؛ ليسعى في إزالته حتَّى يتخلَّص من الوصف المذموم، وكذلك القول في عكسه[١].

والألفة تحتاج إلى شيءٍ من الجهد والتضحية، والتنازُل عن بعض الحقوق، وعدم الاكتراث ببعض المواجهات، ولو كانتْ عنيفة أحيانًا بين الإخوان، وتاجُ ذلك كلِّه نيَّةٌ صالحةٌ، وقولٌ جميلٌ، فمثل هذا هو الذي يستطيع أن يتآلف مع الناس، أمَّا مَن يتمادح بقوة المجادَلة، والانتصار في النقاش، ويعدُّ التنازُلَ عن بعض الحقوق إهدارًا لكرامته، فهذا أبعد ما يكون مِن الألفة، وعليه أن يتأمَّل هذا الموقف النبوي الكريم الذي ينُمُّ عن حكمة النبي صلى الله عليه وسلم، وطيب نفسه، ومحبَّته لأصحابه جميعًا، وحرصه على تأليف قلوبهم؛ فعن عبد الله بن زيد بن عاصم قال:" لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا؛ إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؛ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي، كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى رِحَالِكُمْ؟ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا؛ لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ". رواه البخاري[٢].

إنَّ تآلُفك مع أحبابك وانسجامك معهم؛ هو الطريقُ إلى الخيريَّة التي قال عنها النبي- صلى الله عليه وسلم-:" المؤمنُ يَألَفُ ويُؤلَفُ، ولا خيرَ فيمَن لا يألَفُ ولا يُؤلَفُ". رواه الطبراني[٣].

(١) نقله عنه الحافظ ابن حجر كما في فتح الباري (٦/ ٣٧٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٥٧) برقم (٤٣٣٠) كتاب أحاديث الأنبياء باب غزوة الطائف. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٨) برقم (١٠٦١) كتاب المغازي باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٥٨) برقم (٥٧٨٧). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٨٧). المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

قال ابن القيم- رحمه الله- في زاد المعاد: أنَّ التناسُب والتنافُر بين الأرواح له حكمة مُعيَّنة عند الله تعالى في خلْقه وأمْره على وقوع التناسُب والتآلُف بين الأشباه، وانجذابِ الشيء إلى مُوافِقِه ومُجانِسِه بالطبعِ، وهُروبه من مُخالِفِه، ونُفرته عنه بالطبع، فَسِرُّ التمازُج والاتِّصال في العالم العُلوي والسُّفلي؛ إنَّما هو التناسُبُ والتشاكُلُ، والتوافُقُ، وسِرُّ التبايُن والانفصال؛ إنَّما هو بعدم التشاكُل والتناسُب، وعلى ذلك قام الخلْق والأمْر، فالمِثْلُ إلى مِثلِه مائلٌ، وإليه صائرٌ، والضِّدُّ عن ضده هارب، وعنه نافر(١).

وقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾(٢)، فجعل سُبحانه وتعالى الرجلَ يسكُنُ إلى امرأتِه لأنَّها مِن جنسه وجوهره، والسكون هنا معناه الحُبُّ لأنَّها منه.

وذلك يكون يومَ القيامة أيضًا، وليس فقط في الحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾(٣). قال عمر بن الخطاب- رضى الله عنه-: أزواجهم أشباهُهم ونُظراؤهم(٤).

وفي مسند أبي يعلى قصَّة في أول هذا الحديث عن عمرة بنت عبد الرحمن قالتْ: كانتْ امرأة مزَّاحة بمكَّة، فنزلتْ على امرأة مثلها في المدينة، فبلغ ذلك عائشة- رضي الله عنها- فقالت: صَدَقَ حِبِّي ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم.... فذكر مثله(٥).

والخلاصة: احذر- أخي- كلَّ الحذر أن تُقيم صُلْب الأُلفة على الحاجات الدنيوية الزائلة، فإنَّها سرعان ما تزول، أو تنهار فجأة، حينما تبرز الروحانِ على حدِّ المنافسة في أي شأنٍ، بعكس مَن تقاربتْ روحهما حتَّى التقتْ على محبَّة الرحمن، فإن ترَ كلَّ معاني الإخاء تتَّخذ مكانها من نفسيهما، فالحب، والإيثار، والنصرة، وصُنْع المعروف؛ ترَها ماثلةً في حياتهما، هذا التأليف الحقيقي بين القلوب.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٤٧). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٢) الأعراف: ١٨٩.

(٣) الصافات: ٢٢ – ٢٣.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٤٨).

(٥) ينظر: مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ٣٤٤) برقم (٤٣٨١). مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.



قال الإمام مالك- رحمه الله-: الناس أشكال كأجناس الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، وكلُّ إنسانٍ مع شكله(١).

وتأمَّل قول بعضهم: إنَّ مِن الناس مَن إذا رآه المرء يُعجَب به، فإذا ازداد به علمًا ازداد به عجبًا، ومنهم مَن يَبغَضه حين يراه، ثم لا يزداد به علمًا إلَّا إذا ازداد له مقتًا، فاتِّفاقهما يكون باتِّفاق الروحين قديمًا، وافتراقهما يكون بافتراقهما، وإذا ائتلفا ثم افترقا فراق حياة من غير بُغْضٍ حادثٍ، أو فراق مماتٍ، فهنالك الموت الفظيع، والأسف الوجيع، ولا يكون موقفٌ أطول غُمَّة، وأظهر حسرة، وأدوم كآبة، وأشدُّ تأسُّفًا، وأكثر تلهُّفًا، من موقف الفراق بين المتواخيين، وما ذاق طعمًا أمرَّ من فراق الخِلَّيْنِ، وانصرام القرينَيْنِ.

قال الشاعر:

فمَا تُبصِرُ العينانِ والقلبُ آلِفٌ ... وَلَا القلــبُ والعينــانُ مُنطبقــانِ
ولكنْ هما روحــــانِ تعرُضُ ذي ... لذي فيعرف هذا ذي فيلتقيانِ(٢)

---

(١) ينظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٠٩). روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) ينظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٠٨).



٢٨ شوَّال

إكرام أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

الشريف في ذاته يفيض بالشرف على مَن حوله، والكريم في معدنه يسري كرمه في المحيطين به، انظر إلى زجاجة العطر كيف تبقى فوَّاحة بعد نفاد ما فيها، تطلَّع إلى جوار المصباح وكيف استحال هالة من نور، وسوارًا من ضياء، وكذلك البشر؛ تفيض بركة السعداء منهم وتتعدَّاهم إلى غيرهم، فكثيرٌ من سُلالة إبراهيم الخليل غَدَوْا أنبياء، وأصحاب عيسى صاروا حواريين، ورفاق محمد صلى الله عليه وسلم شرفوا بالصحبة، وأزواجه أمهات للمؤمنين، ونسْلُه استحقوا وصْف الشرف والسيادة، كيف لا وفيهم من دمائه دم، ومن روحه نبض، ومن نوره قبس، ومن شذاه عبق، ومن وجوده صلى الله عليه وسلم بقيَّة.

ولكرم النبي صلى الله عليه وسلم كُرِّمتْ ذُرِّيَّته، ولشرفه شَرُفَ آلُ بيته، وكانت مودَّتُهم ومحبَّتُهم جُزءًا من شريعة المسلمين، رعوها على مرِّ الزمان كما رعوا باقي الشريعة، وأقاموها كما أقاموا بقيَّة أحكام الدين.

والمراد بأهل البيت في الاصطلاح الشرعيِّ هم: آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فيُقال: أهل البيت كما يُقال آل البيت، ويُقصَد بهما كما بيَّنَ ذلك ابن الجوزي- رحمه الله-: الأهل والقرابة المعتمَد فيهما على النَّسب، أو الاتِّباع بسببٍ ما[1]، كما ورد في قول الله تعالى: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[2].

وحقيقة استعمال لفظ آل البيت يدلُّ على آل البيت في السكن، ويدلُّ مجازًا على آل البيت في النسب، وأصحُّ الأقوال في المراد بآل البيت؛ أنَّهم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وذُرِّيَّته من نَسْل عبد المطلب؛ أي بنو هاشم بن عبد مناف؛ فعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الصَّدَقَةَ لا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ؛ إنَّما هي أَوْسَاخُ النَّاسِ، ادْعُوَا لي مَحْمِيَةَ- وَكانَ علَى الخُمُسِ- وَنَوْفَلَ بنَ الحَارِثِ بنِ عبدِ المطَّلِبِ، قالَ: فَجَاءَاهُ، فَقالَ لِمَحْمِيَةَ: أَنْكِحْ هذا الغُلَامَ ابْنَتَكَ، لِلْفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ، فأنْكَحَهُ، وَقالَ لِنَوْفَلِ بنِ الحَارِثِ: أَنْكِحْ هذا الغُلَامَ ابْنَتَكَ، لِي، فأنْكَحَنِي، وَقالَ لِمَحْمِيَةَ: أَصْدِقْ عنْهما مِنَ الخُمُسِ كَذَا وَكَذَا". رواه مسلم[3].

---

(١) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ١٧١). كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

(٢) غافر: ٤٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٥٢) برقم (١٠٧٢) كتاب الزكاة باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة.



ولقد وردت العديد من الآيات والأحاديث التي تُبيّن فضْل آل البيت منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١]، وما ورد في صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه- رضي الله عنهم- والمسلمين إلى صيغة الصلاة عليه. كما ثبت في الصحيح من قوله:" اللَّهُمَّ صَلِّ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ علَى إبْرَاهِيمَ وعلَى آلِ إبْرَاهِيمَ؛ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما بَارَكْتَ علَى إبْرَاهِيمَ وعلَى آلِ إبْرَاهِيمَ؛ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ". رواه البخاري[٢]، فقُرِنت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة على آله؛ لفضْلهم ومكانتهم وعظيم قدْرهم.

وممَّا رُوِي في فضل فاطمة- رضي الله عنها- قولُ أمُّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يا فَاطِمَةُ؛ أَمَا تَرْضِيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هذِه الأُمَّةِ؟ قالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الذي رَأَيْتِ"[٣]، وفي الصحيحين أنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم قال:" فاطمة بضعة منّي، مَن أغضبَها أغضبني"[٤]، وفي رواية في الصحيحين أيضًا:" فاطمة بضعة منّي، يريبني ما رابها، ويُؤذيني ما آذاها"[٥].

وروى البخاري أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه-:" أنتَ منّي وأنا منك"[٦]، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسن بن علي- رضي الله عنهما-:" إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين". رواه البخاري[٧].

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٦) برقم (٣٣٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء باب بدون ترجمة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٣) برقم (٣٦٢٤) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٠٤) برقم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٩) برقم (٣٧٦٧) كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب فاطمة عليها السلام.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٧) برقم (٥٢٣٠) كتاب النكاح باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٠٢) برقم (٢٤٤٩) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الصلح باب كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه.

(٧) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٦) برقم (٢٧٠٤) كتاب الصلح باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما.



وما ورد من الأحاديث في فَضْل الحسن والحسين؛ ابنَيْ عليّ بن أبي طالب- رضي الله عنهم جميعًا- كقول النبيّ صلى الله عليه وسلم:" الحسنُ والحُسَينُ سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ". رواه الترمذي(١).

قال العلَّامةِ ابن عثيمين- رحمه الله-: وأهلُ بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ينقسمون إلى قسمين: قسم كفَّار، فهؤلاء ليسوا من أهل بيته وإن كانوا أقارب له في النسب، لكنَّهم ليسوا من أهل بيته؛ لأنَّ الله تعالى قال لنوح- عليه الصلاة والسلام- حين قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾(٢)، وكان ابنه كافرًا، قال له: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ﴾(٣). فالكُفَّار من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا من أهل بيته، وإن كانوا أقارب له نسبًا. لكنَّ أهل بيته هم المؤمنون من قرابته صلى الله عليه وسلم، ومنهم أيضًا زوجاته، فإنَّ زوجاته- رضى الله عنهنَّ- من آل بيته، كما قال الله تعالى في سياق نساء أُمَّهات المؤمنين: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٤)، وهذا نصٌّ صريحٌ واضحٌ جدًّا بأنَّ زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم من آل بيته، خلافًا للرافضة الذين قالوا: إنَّ زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ليسوا من أهل بيته، فزوجاتُه من أهل بيته بلا شكٍّ.

ولأهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين حقَّانِ: حقُّ الإيمان، وحقُّ القرابة من الرسول- صلى الله عليه وسلم-، وزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم أُمَّهاتُ المؤمنين، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾(٥)؛ فأزواج الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ٣١) برقم (١٠٩٩٩). والترمذي في جامعه (٥/ ٦٥٦) برقم (٣٧٦٨) أبواب المناقب باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣١٨) برقم (٨١١٣) كتاب المناقب، فضائل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وعن أبويهما. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٤) برقم (١١٨) باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح"كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٣٧).

(٢) هود: ٤٥.

(٣) هود: ٤٦.

(٤) الأحزاب: ٣٢، ٣٣.

(٥) الأحزاب: ٦.



أُمَّهات للمؤمنين، وهذا بالإجماع، فمن قال: إنَّ عائشة- رضي الله عنها- ليست أُمًّا لي؛ فهو ليس بمؤمن؛ لا مؤمن بالقرآن ولا بالرسول صلى الله عليه وسلم.

وحقوق آل البيت كثيرة، منها:

لم يرد أي خلاف عن العلماء فيما يتعلَّق بمودَّة آل البيت، ومحبَّتهم، بل ورد الاتِّفاق على ذلك؛ فمحبَّتهم فرعٌ من محبَّة النبي صلى الله عليه وسلم، كما أنَّه أوصى بهم خيرًا؛ فيجب على المسلم توقير آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وموالاتهم، ونصرتهم، وإكرامهم، والاقتداء بهم، والسير على خطاهم في الدين ما داموا مُتمسِّكين بالقرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية.

كذلك يجب على المسلم الصلاة عليهم؛ فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الصلاة عليه متبوعةٌ بالصلاة عليهم، وذلك ما ورد في صحيح البخاري عن أبي حميد الساعدي- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الصحابة إلى الصلاة عليه وعلى آله، بقول:" اللَّهُمَّ صَلِّ علَى مُحَمَّدٍ وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ، كما صَلَّيْتَ علَى آلِ إبْرَاهِيمَ، وبَارِكْ علَى مُحَمَّدٍ وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ، كما بَارَكْتَ علَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"[1].

ولآل البيت حقٌّ ماليٌّ في بيت مال المسلمين؛ وذلك بإعطائهم من الغنيمة والفيء، قال تعالى عن حقِّهم في الغنيمة: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[2]، وقال عن حقِّهم في الفيء: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3].

ويجب على المسلم مُناصرة آل البيت، والبذْل والعطاء لهم، والدفاع عنهم، وذكْر محاسنهم، وفضائلهم، ومُراعاتهم، وحُسْن مداراتهم، وتقديم النصيحة للمُسيء منهم، وأمْره بالمعروف، ونَهيه عن المنكر، والرحمة به، والشفقة عليه. وقد يكون بعض المسلمين قد قصَّر في هذا الجانب كما يُقصِّر بعض المسلمين في بعض واجباتهم؛ فتُكتَبُ عليهم ذنبًا من الذنوب وخطيئة من الخطايا، إلَّا أنَّ الطابع العام للأُمَّة هو معرفة قدْرهم، وبذْل المودَّة لهم ومحبَّتهم وموالاتهم، شهدت بذلك عقائدهم المدوَّنة،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٦) برقم (٣٣٦٩) كتاب أحاديث الأنبياء باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٠٦) برقم (٤٠٧) كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) الحشر: ٧.

وتفاسيرهم المبسوطة، وشروحات السنن، وكُتُبُ الفقه. كيف لا؟! وهم وصيَّة نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم، هم وصيَّته وهم بقيَّته، إذ يقول:" أُذكِّركم الله في أهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي". رواه مسلم(١).

الخلاصة: الواجب علينا احترامُ وتوقير ومحبَّةُ آلِ بيتِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم من قرابته المؤمنين، ومن زوجاته أُمَّهات المؤمنين، كلُّهم آلُ بيته ولهم حقوق.

يقول الإمام الشافعي في مدح أهل البيت:

يَا آلَ بيتِ رسولِ اللهِ حُبُّكُمُ فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمُ مِنْ عَظِيمِ الذِّكْرِ أَنَّكُمُ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُم لَا صَلَاةَ لَهُ(٢)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٣) برقم (٢٤٠٨) كتاب كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) ديوان الإمام الشافعي (ص: ٩٢). ديوان الإمام الشافعي، المؤلف : أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي المتوفى عام ٢٠٤هـ.



٢٩ شوَّال

خصال النِّفاق (أعاذَنَا الله منها)

إنَّ أخطر مرضٍ يُبتلَى به المرء هو مرض النِّفاق، هذا المرض الذي يجعل القلب أسود مظلمًا، لا يُحِلُّ حلالًا، ولا يُحرِّم حرامًا، الدنيا همُّه، والمال غايته، يبذل المنافق قصارى جهده لتحصيل ما يفنى، ويصرف ملء الأرض ذهبًا لتحصيل ما يبلى، مرضٌ إنْ أصاب المرء جعله أجوف كالخيزران، الجثمان جثمان إنسان، والقلب قلب شيطان، إنْ تكلَّم فالشيطان يُلقِّنه، وما نظر إليه فالشيطان يُزيِّنه، وإن فكَّر فالشيطان يُمنِّيه، وإن سمع فالشيطان يستفزُّه، آثَر دنيا زائلة على نعيمٍ لا يبلى، له رأسٌ بوجهَينِ، وجسمٌ بقلبَينِ. هو للمسلمين من الخائنين، وللمؤمنين من المثبِّطين، شرُّه مستطير، وحِقدُه للإسلام ليس له نظير، إذا ضحِك للمسلِم فقلبُه يحترق، وإنْ خلا بإخوان الشياطين فوجهُه يبرق، يظنُّ أنَّ الهُدى هُدى الشيطان، وما يعلم المسكين أنَّ حياته ضياع وخسران.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: واعلم أنَّ النفاق هو إظهار الخير وإبطان الشرِّ، ويدخل في هذا التعريفِ النفاقُ الاعتقاديُّ، والنفاقُ العمليُّ، كالذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:" آيَةُ المنَافِقِ ثَلَاثٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا وعَدَ أخْلَفَ، وإذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ". رواه مسلم[(١)][(٢)].

وقد قسَّمه جمهور العلماء ومُحقِّقوهم قسمَينِ: نفاق أكبر، ونفاق أصغر، أو نفاق اعتقادي، ونفاق عملي، أمَّا النفاق الأكبر فهو المخرِج من الملَّة باتِّفاق أهل العلم، وهو كما قال ابن الإمام القيِّم- رحمه الله-: وأمَّا النفاق فالداء العُضال الباطن، الذي يكون الرجل مُمتلِئًا منه وهو لا يشعر، فإنَّه أمْرٌ خفيٌّ على الناس، وكثيرًا ما يَخفى على مَن تلبَّس به، فيزعم أنَّه مُصلِحٌ وهو مُفسد[(٣)]. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافقًا خالِصًا، ومَن كانت فيه خَصلةٌ منهن؛ كانت فيه خصلة من النفاق حتَّى يَدَعَها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصَم فجر". متفق عليه[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٣) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) برقم (٥٩) كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٢).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٥٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٤) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) برقم (٥٨) كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق.

قال سماحة العلَّامة الشيخ ابن عثيمين– رحمه الله–: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص– رضي الله عنهما– ففيه" أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافقًا خالصًا، ومَن كان فيه خصلة منهنَّ كان فيه خصلة من النفاق حتَّى يَدَعَها". المراد به أنَّ هذه الأربع لا تجتمع إلَّا في المنافق الخالص، وإن كان المؤمن قد يحصل له واحدة منها، لكنَّه لا يكون منافقًا خالصًا، بل يكون فيه خصلة من نفاق حتَّى يَدَعَها، وهذه الأربع هي: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وهذه الخصال الأربع إذا اجتمعت في المرء كان مُنافقًا خالصًا؛ لأنَّه استوفى خصال النفاق، والعياذ بالله. وإذا كان فيه واحدة منهنَّ كان فيه خصلة من النفاق حتَّى يَدَعَها[١].

وفي هذا الحديث: دليلٌ على التحذير البليغ من هذه الصفات الأربع: الخيانة في الأمانة، والكذب في الحديث، والغدر بالعهد، والفجور في الخصومة.

وفيه أيضًا دليلٌ على أنَّ الإنسان قد تجتمع فيه خصال إيمان وخصال نفاق؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" كان فيه خصلة من النفاق" هذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الإنسان يكون فيه خصلة نفاق وخصلة إيمان، وخصلة فسوق وخصلة عدالة، وخصلة عداوة وخصلة ولاية، يعني أنَّ الإنسان ليس بالضرورة أن يكون كافرًا خالصًا أو مؤمنًا خالصًا، بل قد يكون فيه خصال من الكفر وهو مؤمنٌ، وخصال من الإيمان وهو كافرٌ.

وللمنافقين خصالٌ كثيرة، قد بيَّنها الله في كتابه، ونبيُّه صلى الله عليه وسلم في سُنَّته، وقد جعل الله هذه الخصال دليلًا على نِفاق المرء، فمَنِ اتَّصف بها كان مُنافقًا خالصًا، لا تنفعه شفاعةُ الشافعين، وفي نار جهنمَ من المخلَّدين، وصعوبة أمْر المنافق تكمُن في سريرته التَّي لا يعلمها إلَّا الله وحده لا شريك له، وقد أعلم نبيَّه صلى الله عليه وسلم ببعضهم، حيث قال: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[٢]؛ فلمَّا كان شرُّ المنافقين مُستطيرًا، فسنأتي على بعضِ صفاتهم، والتي منها:

يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[٣].

---

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٨).

(٢) محمد: ٣٠.

(٣) البقرة: ٨-٩.



والإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[١].

والاستهزاء بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[٢]. الحَلِفُ كذبًا سترًا لجرائمهم، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣].

موالاة الكافرين ونُصرتهم على المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[٤].

ترْك التحاكُم إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾[٥].

الفَرَح بكلِّ مصيبةٍ تصيب المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾[٦].

طعْنُهم في المؤمنين وتثبيطهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[٧].

---

(١) البقرة: ١١-١٢.

(٢) البقرة: ١٤.

(٣) المنافقون: ٢.

(٤) النساء: ١٣٧- ١٤٠.

(٥) النور: ٤٧-٤٩.

(٦) التوبة: ٥٠.

(٧) التوبة: ٥٨.

الأمرُ بالمنكر، والنهي عن المعروف، قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1]؛ فهم يأمرون بالإباحيَّة وينهون عن الحجاب، ويأمرون بالفجور وينهون عن التقوى، يأمرون بالرِّبا وينهون عمَّا أحلَّ الله من البيوع، يأمرون بالخمور وينهون عمَّا أحلَّ الله من الطِّيِّبات، فعليهم لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين.

التغرير بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[2].

وصفات المنافقين كثيرة، غنيَّة لمن أراد النجاة من سبيل القوم، فهم قد جمعوا كلَّ بَليَّةٍ، وشربوا كُلَّ رذيلةٍ، وتحلَّوا بالمكر والخداع والغشّ.

وقد أحسن أبو العتاهية في قوله:

لَيْسَ دُنْيَا إِلَّا بِدِينٍ وَلَيْسَ الدِّ ... يـنُ إِلَّا مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
إِنَّمَا المِكْرُ وَالخَدِيعَةُ فِي النَّارِ ... هُمَا مِنْ خِصَالِ أَهْلِ النِّفَاقِ[3]

---

(١) التوبة: ٦٧.

(٢) الحشر: ١١- ١٢.

(٣) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٤/ ٣٣٤). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧هـ.

٣٠ شوَّال

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

الدنيا مهما عظُم نعيمُها وطابت أيامُها، وزَهَت مساكنُها، فإنَّها للمؤمن بمنزلة السجن؛ لأنَّ المؤمن يتطلَّع إلى نعيمٍ أفضل وأكمل وأعلى، وأمَّا بالنسبة للكافر فإنَّها جنَّتُه؛ لأنَّه يُنعَّم فيها وينسى الآخرة. فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ". رواه مسلم(١).

فالمؤمن في الدنيا مُحاصَرٌ فيها، لا يستطيع أن يفعل كلَّ ما يُريد، ولا يقول كلَّ ما يشاء، وإنَّما هو مُقيَّدٌ بالأوامر والنواهي، والحلال والحرام، والخير والشرِّ. إذا أراد أن يفعل الشرَّ، أو يُمارس المنكَر، أو ينجرف وراء الشهوات والملذَّات؛ علم أنَّه في هذه الدنيا ليس طليقًا فيها، ولم يُسمَح له بأن يفعل ما يشاء وإنَّما هو مرهونٌ بأمْرِ الله، فلذلك عندما يعلم أنَّ هذا الأمر حرامٌ حرَّمه الله ونهى عنه؛ ينتهي عنه مباشرة، ويتركه لوجه الله.

أمَّا الكافر فإنَّه يرى نفسه حُرًّا طليقًا، لا حرام إلَّا ما حرَّمه هو على نفسه، ولا منهيًّا إلَّا ما ينتهي عنه هو، ولذلك فإنَّه يُمارس الشرور ويفعل المعاصي بكلِّ حُرِّيَّةٍ وطلاقة، دون أن يرى نفسه مُقيَّدًا بشيء اسمه حلال أو حرام، أو مباح أو محظور. يُعربِد، ويسكر، ويأكل الحرام، ويزني، ويكذب على الناس ويضحك عليهم، ويفعل كلَّ ما بدا له؛ لأنَّه لا يرى نفسه مُقيَّدًا من أحدٍ أو مُكلَّفًا منه، بخلاف المؤمن الذي يرى نفسه مسجونًا في هذه الدنيا بسجن الأوامر والنواهي والتكاليف الشرعية المشروعة والممنوعة.

والدنيا عند الله مُهانة، فلمَّا أهانها المؤمنُ أعزَّه الله، بأن صارت الدنيا في يديه لا في قلبه، كما قيل للإمام أحمد: أيكون الرجل زاهدًا وعنده مائة ألف دينار؟ قال: نعم، شريطة ألَّا يفرح إذا زادتْ، ولا يحزن إذا نقصتْ(٢). وما أخذوا منها إلَّا ما ينفعهم في آخرتهم، وتركوا ما يضرُّ دينَهم، فليس معنى الزهد في الدنيا ترْكها بالكليَّة، والانزواء في تكيَّة أو رباط، وليس معناه ترْك إعداد القوَّة، التي بها يرهب العدو، وإنَّما معناه ترْك ما يضرُّ في الآخرة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٢) برقم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٤٦٣).



دنيا المؤمن مُوحِشة، فهي ليست دار قرار ولا سكون ولا استقرار، بل هي دار اختبار، فمَن صبر في ظلمة السجن واستعان بنور الإسلام، واستظلَّ بغيمة الإيمان، واستروح بحبِّ الله؛ هانتْ عليه جحافل الدنيا وزينتها، فهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فطريق الجنة مُوحِشٌ تَحفُّه المكاره، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ". رواه مسلم(١) .

والدنيا جنَّة الكافر؛ إذ إنَّ حاله يرتع ويلعب، ويسرح بالشهوات بلا ضوابط، ويمرح بلا اتِّعاظ، ويُؤسِّس أركان بيته مُتشبِّثًا بالدنيا، عاضًّا عليها بنواجذه، ويستقرُّ في جُعبتها يَخاف فُقدانها، ويظنُّ أنَّها خالدة، غافلٌ عن حقيقتها، فتلك الروح غير المؤمنة جنَّتها الوحيدة هي هذه الدنيا الموحِشة، وقد جعل الله لهم حقَّ التمتُّع في الدنيا من باب عدله، حتَّى إذا أتى يوم القيامة لا يكون لهم شيء؛ لأنَّهم نالوا ما تشتهيه أنفسهم في الدنيا.

وعندما ينتهي الأجل يأخذ الله أرواح أهل الكفر انتزاعًا؛ قال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ (٢)، فحال موت الكفار أنَّ رُوحهم تُنتزَع انتزاعًا؛ لأنَّها لا ترغب في مغادرة الدنيا الغارقة في ملذَّاتها، ولأنَّها ظنَّت أنَّها مُستقرُّها ومُستودعها.

أمَّا الروح المؤمنة في سجن الجسد الدنيوي تستوحش من الدنيا؛ لأنَّها ليست مُستقرًّا لها، فالسجين من أُبعِدَ عن بيته الحقيقي، فالروح المؤمنة لا تأوي إلَّا بطاعة الله، وتصطبر على سكرات الدنيا، فالصراط المستقيم في الدنيا محفوفٌ بالمكاره كما حُفَّتِ الجنَّة، وتَخطِّي صراط الدنيا يُسهِّلُ على صاحبه تَخطِّي صراط يوم القيامة، فيسير بسرعة البرق وصولًا إلى جنَّة الخُلد مأواه الحقيقي بصحبة الفضلاء أهل الإيمان، وقد وصف الله موت المؤمنين قائلًا: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾(٣)؛ فالروح المؤمنة تنساب بسهولة من زنزانة الجسد الدنيوي، ولا تتشبَّث بقضبان الدنيا كالروح الكافرة الَّتي ظنَّتْ أنَّ الدنيا هي المأوى، فإنَّه إذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد. قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" إنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بها في الدُّنْيا ويُجْزَى بها في الآخِرَةِ، وأَمَّا الكافِرُ فيُطْعَمُ بحَسَناتِ ما عَمِلَ بها لِلَّهِ في الدُّنْيا، حتَّى إذا أَفْضَى إلى الآخِرَةِ؛ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها". رواه مسلم(٤)، فالدنيا سجن المؤمن، وجنَّته في الدنيا الإيمان، فهي الطريق للجنان الخالدة، ومسكن روحه الحقيقي، واستقراره وسلامه، أمَّا الكافر فجنَّته هي الدنيا، وسجنُه المستبِدُّ نارُ الخُلد يوم القيامة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤) برقم (٢٨٢٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) النازعات: ١.

(٣) النازعات:٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٢) برقم (٢٨٠٨) كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا.



ويُذكَر عن ابن حجر العسقلاني- رحمه الله- صاحب كتاب "فتح الباري"؛ وكان قاضي قضاة مصر في وقته، كان يمرُّ بالسوق على العربة في موكب، فاستوقفه ذات يوم رجلٌ من اليهود، وقال له: إنَّ نبيَّكم يقول:" إنَّ الدنيا سجن المؤمن وجنَّة الكافر" وكيف ذلك وأنتَ في هذا الترف والاحتفاء! وهو- يعني نفسه اليهودي- في غاية ما يكون من الفقر والذُّلِّ، فكيف ذلك؟ فقال له ابن حجر: أنا وإن كنتُ كما ترى من الاحتفاء والخدم فهو بالنسبة لي بما يحصل للمؤمن من نعيم الجنَّة كالسجن، وأنتَ بما أنتَ فيه من هذا الفقر والذُّلِّ بالنسبة لما يلقاه الكافر في النَّار بمنزلة الجنَّة. فأعجب اليهوديَ هذا الكلامُ، وشهد شهادة الحق. وقال: أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله[1].

ختامًا: هذا الحديث فيه تنبيهٌ ظاهرٌ لمن تأمَّل، وأحضر للنظر عقلًا سليمًا، أنَّ منزلة الدنيا عند المؤمن غير منزلتها عند الكافر، فالكافر غاية آماله، ومنتهى متاعه؛ إنَّما يكون في الدنيا، قال تعالى: ﴿ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾[2]؛ لذا فهو يجتهد في بنائها وزخرفتها، يسعى في شهواتها لنيل أعظم ما فيها من الملذَّات، أمَّا المؤمن فإنَّ الله قد وعده خيرًا في الآخرة، وبيَّنَ له أنَّ إقباله على الدنيا فيه إضرارٌ بخير الآخرة؛ فلذا يعيش مُرتقِبًا حذِرًا، مُنتظِرًا لحظة النجاة والخروج من السجن، لا وقت لديه لأن يسعى في مباهج الحياة الدنيا. فهل نرى مثل هذا الفرق بين المسلمين والكافرين اليوم؟ إنَّ المسلمين يسعون في الدنيا كما يسعى الكُفَّار، لا نقول إنَّهم يسعون في اكتساب النافع، كلا، بل هم يسعون في شهوات الدنيا الضارَّة، كما يسعى فيها أولئك الهالكون؛ يبنون البيوت وهي غاية في الزخرفة والتزيين، تمامًا مثل أولئك، وفي مطعمهم، وملبسهم، وأشيائهم، هم غاية في الترف، وكان ينبغي لهم أن يترفَّعوا عن الترف، لأنَّه من أوصاف أهل النار:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾[3]، وملهاتهم ملهاة الكافرين نفسها؛ مهرجانات، وملاهي ألعاب، ومُسلِّيات، وأولمبياد.. إلخ. هذا ليس من السبيل، فلا بُدَّ للمسلم أن ينظر صفات الكافرين أهل النار في القرآن فيخالفهم فيها، فمِن صفاتهم أنَّهم يُحبُّون الدنيا، فمُخالفتهم كراهيتها.

---

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٦/ ٢).

(٢) الممتحنة: ١٣.

(٣) الواقعة: ٤٥.

يقول الإمام ابن القيم- رحمه الله-:

لَا يُلهينَّــكَ منــزِلٌ لعبــتْ بــه ... أيدي البلا من ســالفِ الأزمانِ
فلقــدْ ترحَّــلَ عنــه كــلُّ مســرةٍ ... وتبدَّلــتْ بالــهمِّ والأحــزانِ
سجنٌ يَضيقُ بصاحــبِ الإيمانِ ... لَكِنَّ جنَّةَ المأوى لذي الكُفرانِ[1]

(١) الكافية الشافية (ص: ٩١٥).



المؤلف

الأستاذ الدكتور / خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

هو بروفيسور في طب الأسرة والتعليم الطبي، وكان العميد المؤسِّس لكلية الطب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمشرف على الخدمات الطبية سابقًا. ويرأس حاليًا مجلس إدارة جمعية التطوُّع الصحية – أثر. وقد كان وكيلًا لجامعة الإمام للتخطيط والتطوير والجودة، ومستشارًا غير متفرغ لمعالي وزير التعليم السابق. وكان رئيسًا للجنة عمداء الطب بالجامعات السعودية. وله اهتمام كبير في العمل الصحي التطوُّعي؛ حيث تم تكريمه من معالي وزير الصحة بمناسبة اليوم العالمي للتطوُّع الموافق للخامس من شهر ديسمبر ٢٠١٧ م. وهو أستاذ كرسي الدكتور الخولي لتطوير التعليم الطبي بالمملكة العربية السعودية. ورئيس تحرير ملحق مجلة المعلم الطبي الدولية. ورئيس تحرير مجلة جامعة الإمام للعلوم التطبيقية. ومؤسِّس الجمعية السعودية للدراسات الطبية الفقهية. وعضو المجلس الصحي السعودي سابقًا. وعضو مؤسِّس للجائزة الدولية للتميز في التعليم الطبي ومقرها بريطانيا. وقد شارك كمتحدِّث رئيس في أكثر من ٣٠٠ مؤتمر عالمي في مجال التعليم الطبي وطب الأسرة، ولديه أكثر من سبعين بحثًا محكمًا ومنشورًا في دوريات عالمية ومحلية. وهو المحرر الرئيس لكتاب روتليدج الدولي للتعليم الطبي ٢٠١٦- "The Routledge International Handbook of Medical Education" – الناشر: روتليدج الدولية للكتب، التابعة لمجموعة تيلور وفرانسيس – Taylor & Francis Group – العالمية المعروفة. وقد حصل البروفيسور آل عبد الرحمن على العديد من الجوائز وشهادات التقدير المحلية والعالمية، من آخرها جائزة التميُّز في التحرير من الجمعية الأوربية الدولية للتعليم الطبي في شهر سبتمبر ٢٠١٤م في المؤتمر الدولي للتعليم الطبي AMEE 2014 الذي عُقِد في مدينة ميلانو الإيطالية.




تم بحمد الله



٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر ذي القعدة

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء الحادي عشر

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ



ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر ذي القعدو الجزء الحادي عشر من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة
علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٢٥ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ٢٠٩٢٩ / ١٤٤٥
ردمك :٩-٢١٨-٠-٠٥-٦٠٣-٩٧٨



بسم الله الرحمن الرحيم



إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويرضي الله عز وجل.





مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القاري الكريم الجزء الحادي عشر من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضم فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ . تمَّ تقسيمها على أيام السنة الهجرية بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مخصص لفوائد شهر ذي القعدة، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحجة لكاتبه وقارئه وكل من أعان على نشره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن

drkhalid63@gmail.com

الرياض

شهر ذي القعدة ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر ذو القعدة



غُرَّة ذي القعدة

إذا سألتَ فاسْألِ الله

عن عبد الله بن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: كنتُ خلفَ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي:" يَا غُلامُ؛ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" رواه الترمذي(١).

فقوله صلى الله عليه وسلم:" إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله" هذا مُنتزَعٌ من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٢)، فإنَّ السؤالَ هو دعاؤه والرغبة إليه.

و"الدعاء هو العبادة" كذا رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث النعمان بن بشير- رضي الله عنه-، وتلا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٣)، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٤٠٩) برقم (٢٦٦٩). والترمذي في سننه (٤/ ٦٦٧) برقم (٢٥١٦) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٥٩). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤،)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م. مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.

(٢) الفاتحة: ٥.

(٣) غافر: ٦٠.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٢٩٧) برقم (١٨٣٥٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٧) برقم (١٤٧٩) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في سننه (٥/ ٢١١) برقم (٢٩٦٩) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٤) برقم (١١٤٠٠) كتاب التفسير باب ومن سورة غافر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٥٨) برقم (٣٨٢٨) كتاب الدعاء باب فضل الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٤٦). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

وروى الترمذي من حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" الدعاء مُخُّ العبادة"[(١)]، فتضمَّن هذا الكلام أن يسأل اللهَ عزَّ وجلَّ، ولا يُسألُ غيرُه.

وأمَّا السؤال فقد أمَرَ الله بمسألته، فقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾[(٢)]، وفي الترمذي عن ابن مسعود- رضي الله عنه- مرفوعًا:" سلوا الله من فضْله؛ فإنَّ الله يُحبُّ أن يُسأل"[(٣)]. وفيه أيضًا عن أبي هريرة- رضي الله عنه- مرفوعًا:" مَن لا يسألِ اللهَ يغضبْ عليه". وفي حديث آخر:" لِيسألْ أحدُكم ربَّه حاجتَه كلَّها حتَّى يسأل شسع نعله إذا انقطع" رواه الترمذي[(٤)].

وقد بايع النبيُّ صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا: منهم أبو بكر الصِّدِّيق، وأبو ذر، وثوبان، وغيرهم- رضي الله عنهم جميعًا-، فكان أحدُهم يَسقطُ سوطه أو خطام ناقته؛ فلا يسأل أحدًا أن يناوله إياه[(٥)].

وخرَّج ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله؛ إنَّ بني فلان أغاروا عليَّ فذهبوا بابني وإبلي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ آل محمد كذا وكذا أهل بيت، ما لهم مُدٌّ من طعام أو صاع، فاسألِ اللهَ عزَّ وجلَّ، فرجع إلى امرأته، فقالت: ما قال لك؟ فأخبرها، فقالت: نِعمَ ما ردَّ عليك، فما لبثَ أن ردَّ الله عليه ابنه وإبله أوفرَ ما كانتْ، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره، فصعد المنبر

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٤٥٦) برقم (٣٣٧١) أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب منه. والحديث ضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٦٩٣).

(٢) النساء: ٣٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٥٦٥) برقم (٣٥٧١) أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب في انتظار الفرج وغير ذلك. والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٤٨١). ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة.

(٤) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٥٨٣) برقم (بدون) أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف سنن الترمذي (ص: ٤٧٩). ضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش، بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض، توزيع: المكتب الاسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٢١) برقم (١٠٤٣) كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.



فحمد الله وأثنى عليه، وأمر الناس بمسألة الله عزَّ وجلَّ والرغبة إليه، وقرأ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾(١)(٢).

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول: هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من سائلٍ فأعطيه؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟(٣)

واعلم أخي المسلم؛ أنَّ سؤال الله تعالى دون خلْقه هو المتعيَّن، لأنَّ السؤالَ فيه إظهار الذلِّ من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقُدرة المسئول على دفع هذا الضرر، ونَيْل المطلوب، وجلْب المنافع، ودرء المضار، ولا يصلح الذلُّ والافتقار إلَّا لله وحده، لأنَّه حقيقة العبادة، وكان الإمام أحمد يدعو ويقول: اللهم كما صُنتَ وجهي عن السجود لغيرك؛ فصُنْهُ عن المسألة لغيرك، ولا يقدر على كشف الضرِّ وجلب النفع سواه. كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ ﴾(٤)، وقال أيضًا: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(٥).

والله سبحانه يُحبُّ أن يُسأل ويُرغَب إليه في الحوائج، ويُلَحَّ في سؤاله ودعائه، ويغضب على مَن لا يسأله، ويستدعي مِن عباده سؤاله، وهو قادر على إعطاء خلْقه كلِّهم سُؤْلَهم من غير أن ينقص من مُلْكه شيء، والمخلوق بخلاف ذلك كلِّه، يكره أن يُسأل، ويُحبُّ أن لا يُسأل؛ لعجزه وفقره وحاجته، ولهذا قال وهب بن منبه لرجل كان يأتي الملوك: ويحك، تأتي مَن يُغلقُ عنك بابَه، ويُظهِر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتدعُ مَن يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار، ويُظهِر لك غناه، ويقول: ادعني أستجب لك؟!(٦)

---

(١) الطلاق: ٢-٣.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (ص: ٣٣). الفرج بعد الشدة، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، خرجه وعلق عليه: أبو حذيفة عبيد الله بن عالية، الناشر: دار الريان للتراث، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٢٢) برقم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه.

(٤) يونس: ١٠٧.

(٥) فاطر: ٢.

(٦) ينظر: الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢٠٦). الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



وقال طاوس لعطاء: إيَّاك أن تطلب حوائجك إلى مَن أغلق بابَه دونك، ويجعل دونها حجابَه، وعليك بمَن بابُه مفتوحٌ إلى يوم القيامة، أمَرَكَ أن تسألَه، ووعدك أن يُجيبَك[١].

وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ– رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ"[٢].

حين تشتدُّ بك الخطوب، وتحيط بك الكروب، وتُظلِمُ أمام عينيك الدنيا فقل: يا ألله.

حين يضيق بك الأمر، وتستحكم عليك حلقاته، ولا تجد لك مخرجًا؛ فقل: يا ألله.

حين يتبدَّلُ الحال، ويقلُّ المال، وتكثُر النفقات، وتتراكم على رأسك الطلبات، ولا تجد معك ما تُؤدِّي به الحقوق والواجبات؛ فقل: يا ألله.

حين تتبدَّل الحقائق، وتنتكس الفِطَر، ويُهزَأ بالقيم، وتُحارَب الفضائل، وتُمتدَحُ الرذائلُ؛ فقل: يا ألله.

حين يُتطاوَل على القرآن، ويُستهزَأ بالنبيِّ العدنان صلى الله عليه وسلم، ولا تجد مَن يقف ليردَّ أو ينتصر لله ولدينه ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ فقل: يا ألله.

حين يتكالب الناس على أهل العلم ويستهزءون ويستخفُّون بأهل الدين، فيُلجِؤونهم إلى ركن ضيِّق في مكان مُظلم، أو سجن مُغلَق؛ فقل: يا ألله.

حين يعلو الباطل وينتشر وينتفش، وينخفض الحقُّ ويستخزي وينكمش، حين يحدث ذلك فيضيق له صدرك، وتلتاع له نفسك؛ فقل: يا ألله.

واجأرْ إليه بالدعاء؛ فإنَّه لا مَخرجَ ولا مَلجأَ إلَّا في الدعاء.

إذا الصَّدرُ ضَاقَ بآهَاتِهِ وطَالَ أسَى قلبِكَ المكْتَرِبْ
فنَاجِ الَّـــــذي في مُنَاجــاتِهِ خَلاصُكَ، وَاسْجُدْ لَه وَاقْتَرِبْ[٣]

---

(١) ينظر: شعب الإيمان (٢/ ٣٦٠) برقم (١٠٦٣). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٦٣) برقم (٢٣٢٦) أبواب الزهد باب ما جاء في الهم في الدنيا وحبها. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١١١٨). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٣) البيتان لأبي الأسود الدؤلي. ينظر: إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه – موسوعة الأدب العربي(adab.wiki) .
https://www.alukah.net/sharia/٠/١٢٥٩٣٨/%D٨%٩/%D٧A%٨A%D٨-%٣A%٩D%٨٤%٩D%٨٤%٩D%٨٧/.

والخلاصة: أنَّ الله تعالى خزائنُه ملأى، وجاء في الحديث القدسي:" لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم، وإنسَكم وجنَّكم؛ قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني، فأعطيتُ كلَّ واحدٍ مسألتَه؛ ما نقصَ ذلك ممَّا عندي إلَّا كما ينقصُ المخيطُ إذا غُمِسَ في البحر" رواه مسلم[١].

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٤) برقم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

٢ ذي القعدة

صلاة الاستخارة ودعاؤها

حياة الإنسان مليئة بالخيارات التي تُحيِّرُه، فلا يجد وسيلةً للعون والمساعدة لانتقاء الخيار الأفضل سوى اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال صلاة الاستخارة، باعتبارها سُنَّة نبويَّة ثابتة، أجمع الْعُلَمَاءُ على أَنَّ الاسْتِخَارَةَ سُنَّةٌ، يُثاب فاعلُها ولا يأثم تاركُها، ويُستحبُّ للمسلم القيام بها، لما أخرجه الإمام البُخَارِيُّ عَن جَابِر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّوْرَةَ مِنَ الْقُرْآنِ[١].

وحكمة مشروعيَّتها تسليم الأمر لله تعالى، واللجوء إليه سبحانه؛ للجمع بين خيري الدنيا والآخرة، وتكون صلاة الاستخارة في الأمور التي لا يعلم العبد الصواب فيها، فيستخير الله سبحانه وتعالى؛ ليُيَسِّرَها له كالزواج أو السفر أو الإقدام على وظيفة، أو شراء منزل أو سيارة، وغير ذلك من الأمور، فيدعو الله تعالى، ويتضرَّع إليه، ويسأله أن يختار له الخير، والأفضل أن يجمع بين الاستخارة والاستشارة، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾[٢].

وصلاة الاستخارة ركعتان، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا همَّ أحدُكم بأمرٍ فليُصَلِّ ركعتين، ثم ليقل: اللهمَّ إنِّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنَّك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علَّام الغيوب، اللهمَّ إن كنتَ تعلم أنَّ هذا الأمر- ويُسمِّيه باسمه- (يقول: هذا الأمر زواجي بفُلانة، أو سفري إلى محلِّ كذا، أو شراء كذا، أو ما أشبه ذلك، يُعيِّنُ حاجته) خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري؛ فيَسِّرْه لي، ثم باركْ لي فيه، وإن كنتَ تعلم أنَّ هذا الأمر- ويُسمِّيه باسمه- شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري؛ فاصرفْه عني واصرفْني عنه، وقدِّرْ لي الخير حيث كان، ثمَّ رضِّني به" رواه البخاري[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨١) برقم (٦٣٨٢) كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨١) برقم (٦٣٨٢) كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة.



يقول العلَّامة ابن باز– رحمه الله–: هذه السُّنَّة، هذا دعاء الاستخارة. وإذا كان لا يعرف هذا الدعاء يدعو بما تيسَّر، يقول: اللهمَّ قدِّر لي الخير، اللهم يسِّرْ لي الخير، اللهمَّ اشرح صدري لهذا السفر إن كان خيرًا، اللهم اشرح صدري لهذا الزواج إن كان خيرًا، يدعو بما يفهم وبما يعرف بعد السلام، يرفع يديه ويدعو بعد صلاة الركعتين(١).

وصلاة الاستخارة ليس لها وقتٌ مخصوص، فإنَّه يجوز للمسلم متى أهمَّهُ أمرٌ وأراد أن يطلب الخِيَرة من الله عزَّ وجلَّ لذلك الأمر أن يتوجَّه إليه بالصَّلاة ويسأله حاجته، إلَّا أنَّ ذلك الجواز محصورٌ بأوقات الاستحباب والإباحة، فلا تُشرَع صلاة الاستخارة في أوقات الكراهة، وهي ما بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشَّمس بقدر رُمح، وفترة توسُّط الشّمس في السَّماء قبل الزوال، وما بعد صلاة العصر إلى الغروب؛ أي عندما تميل الشمس للغروب، فإن ابتعد عن تلك الأوقات جاز له أن يُصلِّيها متى أراد.

كما أنَّ صلاة الاستخارة تكون في الأمور المباحة، أو الأمور المندوبة والواجبة؛ بشرط أن يحصل تعارض بين واجبين أو مندوبين، ويريد المستخير أن يختار أحدهما أو يبدأ بأحدهما قبل الآخر، أمَّا الأمور الواجبة والمستحبَّة فلا يُستخار لفعلهما، وكذلك الأمور المحرَّمة أو المكروهة فلا يُستخار لتركهما.

وعلى المسلم ألَّا يكتفي بأداء صلاة الاستخارة مرَّة واحدة، ولكن يجب عليه تكرارها عدَّة مرَّات، كما فعل عمر بن الخطاب– رضى الله عنه– عندما أراد أن يُدوِّن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ظلَّ يستخير الله تعالى شهرًا كاملًا(٢).

ويجوز للمُصلِّي قراءة ما يشاء من القرآن الكريم في صلاة الاستخارة، ويُستحبُّ له أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(٣)، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(٤)، وناسَبَ الإتيان بهما في صلاة يُراد منها إخلاص الرغبة وصدْق التفويض وإظهار العجْز أمام الله عزَّ وجلَّ.

واستحسن بعض العلماء أن يزيد في صلاة الاستخارة على القراءة بعد الفاتحة قولَه تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ

---

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١١/ ٦٤). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

(٢) ينظر: المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ٤٠٧). المدخل إلى السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.

(٣) الكافرون: ١–٦.

(٤) الإخلاص: ١–٣.



صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾[(١)]؛ في الركعة الأولى، وفي الركعة الثانية قولَه تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾[(٢)].

وكيف يعرف المسلم نتيجة صلاة الاستخارة؟ إذا أقدم الإنسان على ما استخار فيه ربَّه، فوجده مُيَسَّرًا، ووجد أبوابه مفتوحة له؛ فإنَّ فيه الخير إن شاء الله، وإن كان غير ذلك، ورأى فيه عُسْرًا؛ فإنَّه ينصرف عنه. وليس من شرطها أن يرى بعدها رؤيا يُقال له فيها: افعل ولا تفعل، بل من علامتها التيسير.وصلاة الاستخارة تعني التوكُّل على الله عزَّ وجلَّ، والاستعانة به، وتفويض كل الأمر إليه، واليقين بحُسن اختياره للعبد، والاستقسام بقدرته وعلمه، ولا يذوق حلاوة الإيمان إلَّا مَن رضي بالله ربًّا، ومن لوازمه الرضا والقناعة بما يختار، فذاك السعادة الحقيقية للمؤمن.

كما يتضمَّن دعاء الاستخارة معاني قيِّمة وسامية منها: إظهار عجز العبد وحاجته إلى الله القوي القادر، والإقرار بوجود الله عزَّ وجلَّ وبأسمائه وصفاته الكاملة المطلَقة، واللجوء إلى الله والاستعانة به والإقرار بربوبيَّته.

الخلاصة أنَّ السعادة الحقيقيَّة عندما يتوكَّل العبد على الله حقَّ التوكُّل في الأمر الذي يريد الاستخارة له، ثم يرضى بما اختاره الله تعالى له، أمَّا الشقاء فيكون إذا ترك العبد التوكُّل والاستخارة، وسخط بما قدَّره الله تعالى عليه.

روي الترمذي وأحمد عن سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" من سعادة ابن آدم استخارة الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عزَّ وجلَّ"[(٣)].

وختامًا؛ اعلمْ أنَّ الاستخارة تكون بعد الأخذ بالأسباب، ومن الأخذ بالأسباب الاستشارة. ولكن كما قال سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: الاستخارة تُقدَّم أوَّلًا، لقول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ...إلى آخره"، ثم إذا كرَّرَها ثلاث مرَّات ولم يتبيَّنْ لك الأمر؛ فاستشرْ، ثم ما أُشيرَ عليك به فخذْ به، وإنَّما قلنا: إنَّه يستخير ثلاث مرَّات؛ لأنَّه من عادة

(١) القصص: ٦٨-٦٩.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٥٤) برقم (١٤٤٤). والترمذي في سننه (٤/ ٤٥٥) برقم (٢١٥١) أبواب القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء. والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٤/ ٣٧٧). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه إذا دعا دعا ثلاثًا، وقال بعض أهل العلم: إنَّه يُكرِّر الصلاة حتَّى يتبيَّنَ للإنسان خيرُ الأمرَيْنِ[١]. وقال الشاعر الصاحب بن عياد:

إذا هَمَمْتَ بِأَمرٍ فَقَدّمْ الِاسْتِخَارَه وَإِنْ عَزَمْتَ عَلَيهِ فَكَرِّرْ الِاسْتِشَارَه[٢]

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين (٤/ ١٦٢). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

(٢) لم أقف عليه.



٣ ذي القعدة

ما يقوله مَن عليه دَين (اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ)

عَن عليٍّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- أنَّ مُكاتَبًا جاءَهُ فقالَ: إنِّي قد عَجزتُ عَن مكاتبتي فأعنِّي، قالَ: ألا أعلِّمُكَ كلِماتٍ علَّمَنيهنَّ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لو كانَ عَليكَ مثلُ جَبلِ صيرٍ دينًا أدَّاهُ اللَّهُ عَنكَ، قالَ: قُلْ:" اللَّهمَّ اكفني بِحلالِكَ عن حرامِكَ، وأغنِني بِفَضلِكَ عَمَّن سواكَ" رواه الترمذي(١).

في هذا الحديث يأتي مُكاتَب، وهو شخص قد كاتب سيدَه على أن يشتري حُريَّته منه بمبلغ من المال مُقسَّطًا، فإذا أدَّاه صار حُرًّا، وسُمِّيتْ كتابة؛ لأنَّ العبد يكتب على نفسه لمولاه ثمنه، ويكتب مولاه له عليه العتق، ولكنَّ هذا العبد لم يجد مالًا لكي يُسدِّد سيده؛ فلجأ إلى عليٍّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- وهو يومئذٍ أميرُ المؤمنين، يسأله أن يُساعده في قضاء دينه، فأرشده- رضي الله عنه- إلى العلاج الربَّانيِّ، وهو دعاءٌ علَّمه إيَّاه النبيُّ- صلى الله عليه وسلم، إذا قاله مُخلِصًا قضى الله عنه دينه ولو كان مثل الجبل، فقال له: قل:" اللهمَّ اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمَّن سواك". والمعنى: اجعل لي كفاية في الحلال، تُغنيني بها عن الحاجة للحرام، واجعل لي رزقًا من فضلك تُغنيني به عن سؤال الناس.

وفي هذا الحديث الكثير والكثير من الفوائد؛ منها:-

١- مشاورة وطلب رأي أهل العلم والدِّين.

٢- على أهل العلم والدعاة إلى الله تعالى دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ما يُعينهم على ما يعرض لهم من مشكلات.

٣- الحثُّ على إعانة المكاتب.

٤- الدعاء بهذه الكلمات؛ لأنَّ بركتها تظهر في وفاء الدَّين، والاستغناء بالله عن الناس.

٥- الرزق الحلال وإن قلَّ خيرٌ من المال الحرام وإن كان كثيرًا.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٣٨) برقم (١٣١٩). والترمذي في سننه (٥/ ٥٦٠) برقم (٣٥٦٣) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٥٣٢). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.



٦- الفضل كلُّه لله تعالى، فلا يُنسَب خيرٌ إلَّا له تعالى ولغيره تبعًا.

٧- ينبغي على العبد أن يستعين بالله تعالى وحده فيما لا يقدر عليه إلَّا الله تعالى.

وهذا الدعاء المبارك مُجرَّبٌ وله الكثير من المواقف في حياة الكثيرين، تقول إحدى السيدات: كنتُ في آخر عام من المدرسة الثانوية، وحدثتْ لي ظروف شديدة، ورسبتُ هذا العام بسبب هذه الظروف، وهذا الأمر سبَّب لي العديد من المتاعب النفسيَّة؛ لأنِّي كنتُ أرغب في الحصول على درجات عالية للالتحاق بكلية الطب، وقرأتُ ذات مرَّة عن فضْل دعاء:" اللهمَّ اكفني بِحَلاَلِكَ عن حرامك..."، فاستخدمتُ هذا الدعاء يوميًّا، وأنا أتوسَّل إلى الله في تحقيق جميع أحلامي وطموحاتي، وأنَّ الله يُساعدني بأن ألتحق مُجدَّدًا لاستكمال عامي الدراسي، كانتْ أصعب الأيام التي مرَّتْ عليَّ، لكن بفضْل الله عزَّ وجلَّ وفضْل هذا الدعاء العظيم؛ التحقتُ بكلية الطِّبِّ بعد نجاحي في المدرسة الثانوية بأعلى مجموع، وحقَّق الله لي جميع أحلامي، فلله الحمد والمنَّة.

وتحكي سيدة أخرى فتقول: كنتُ أمرُّ بفترة ماديَّة صعبة، وكان أبنائي يشعرون بالحزن والضيق بسبب ذلك، وكنتُ كلَّما نظرتُ إليهم شعرتُ بالألم والحزن الشديد. لذلك كنتُ أقوم بالصلاة والاستغفار، وكنتُ أقوم عقب كل صلاة بقراءة دعاء:" اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمَّن سواك"، وكنتُ أشعر براحة نفسيَّة كبيرة نتيجة ذلك، وعقب فترة كنتُ أقوم بترديد الدعاء بشكل كبير، وبفضْل الله تخلَّصتُ من أزمتي، وعاد أبنائي من جديد للضحك واللعب، وكنتُ كلَّما نظرتُ إليهم أقوم بحمد الله وشكره، ولا أزال أقوم بتكرار الدعاء، وكذلك كنتُ قد قمتُ بتحفيظ أبنائي:" اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمَّن سواك"، وكنتُ أحرص على أن يقوم الأبناء بقراءته بشكل يومي، وبعد كل صلاة، والحمد لله ننعم الآن أنا وأبنائي بحياة سعيدة.

وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على أنَّ لهذا الدعاء أثرًا كبيرًا في تفريج الكروب الماديَّة والمعنويَّة.

وهذا الدعاء يُعلِّمنا أنَّ الحلال ولو كان قليلًا يكفي صاحبه أكثر من الحرام وإن كان كثيرًا، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]، وأنَّ الاستغناء بالله أنفع من الاستغناء بالناس مهما كانوا، وقديمًا قيل: استغنِ عمَّن شئتَ تكن نظيرَه، وأحسِنْ إلى مَن شئتَ تكن أميرَه، واحتجْ إلى مَن شئتَ تكن أسيرَه[2].

---

(١) المائدة: ١٠٠.

(٢) ينظر: الإعجاز والإيجاز (ص: ٣٤). الإعجاز والإيجاز، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة.

وممَّا يُروى أيضًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدعية قضاء الديون؛ ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه كان يقول إذا أوى إلى فراشه:" اللهمَّ ربَّ السماوات السبع وربَّ الأرض وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحَبِّ والنَّوى، مُنزلَ التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بكَ من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ أنت آخِذٌ بناصيته، أنت الأوَّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عني الدَّين، وأغنني من الفقر"[(١)].

ومنها ما في الصحيحين عن عائشة- رضي الله عنها- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة:" اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا، وفتنة الممات، اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من المأثم والمغرم" فقال له قائل: ما أكثرَ ما تستعيذُ من المغرم؟ فقال:" إنَّ الرجل إذا غرم حدَّث فكذب، ووعد فأخلف"[(٢)]، والمغرم هو الدَّين الذي لا يجد وفاءه، أو الدَّين مُطلقًا.

وكذلك ما روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ذات يوم، فإذا برجل من الأنصار يُقال له أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة؛ ما لي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال: هومٌ لزمتني وديونٌ يا رسول الله، فقال: أفلا أعلمك كلامًا؛ إذا قلتَه أذهب الله همَّك، وقضى عنك دينَك؟ قلتُ: بلى يا رسول الله، قال: قلْ إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال. قال: فقلتُ ذلك، فأذهب الله تعالى همِّي وغمِّي، وقضى ديني[(٣)].

يقول الإمام الشافعي- رحمه الله-:

يا صاحب الهمِّ إنَّ الهمَّ مُنفرجٌ	أبشرْ بخيرٍ؛ فإنَّ الفارجَ اللهُ
اليأسُ يَقطعُ أحيانًا بصاحبِهِ	لا تيأسانَّ؛ فإنَّ الكافي اللهُ
اللهُ يُحدِثُ بعد العُسرِ ميسرةً	لا تجزعنَّ؛ فإنَّ الصانعَ اللهُ
فإذا بُليتَ فثِقْ باللهِ وارضَ بِهِ	إنَّ الذي يكشفُ البَلوي هُو
واللهِ ما لكَ غيرُ اللهِ مِنْ أحــدٍ	اللهُ فحسبُكَ اللهُ، في كلٍّ لكَ اللهُ[(٤)]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٦) برقم (٨٣٢) كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام. ومسلم في صحيحه (١/ ٤١٢) برقم (٥٨٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

(٣) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٩٣) برقم (١٥٥٥) باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستعاذة. والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف أبي داود - الأم (٢/ ١٠٢). ضعيف أبي داود — الأم، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر : مؤسسة غراس للنشر و التوزيع - الكويت، الطبعة : الأولى - ١٤٢٣هـ.

(٤) ينظر: معجم ابن عساكر (٢/ ٦٧٧) مع تقديم وتأخير في الأبيات. معجم الشيوخ، المؤلف: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: الدكتورة وفاء تقي الدين، الناشر: دار البشائر — دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



٤ ذي القعدة

آداب الطعام

للطعام آداب عديدة، وَرَدَ بعضُها في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وورد بعضها في السنة النبوية، وقد أورد ابن القيم- رحمه الله تعالى- شَذَراتٍ من هَدْيِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الأكل والشرب، فقال: كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما جَرَتْ عادةُ أهل بلده بأكله، ولم يكن يحبس نَفْسَه على نوع واحد من الأغذية، وإذا كان في أحد الطعامَينِ كيفيَّةٌ تحتاج إلى كَسْرٍ وتعديلٍ؛ كَسَرَها وعدَّلها بضدِّها، كتعديل حرارة الرُّطب بالبطيخ، وإذا عافت نفسُهُ الطعامَ لم يأكله. كما ذكر أبو هريرة- رضي الله عنه-: ما عابَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم طعاماً قطُّ؛ إِن اشتهاهُ أَكَلَهَ، وإِلَّا تَرَكَهُ ولم يأكلْ منه[(١)]، وكان يحبُّ اللحم والحلواء والعسل، وكان يأكل الخبز مأدومًا ما وجد إدامًا، وكان أحبُّ الشراب إليه صلى الله عليه وسلم الحلو البارد، ويحتمل أن يريد به الماءَ العَذْبَ، ويحتمل أن يريد به الماءَ الممزوجَ بالعسل، أو الذي نُقِعَ فيه التَّمْرُ أو الزَّبيب[(٢)]. وصحَّ عنه- صلى الله عليه وسلم- أنَّه أمَرَ بتخمير الإناءِ ولو أنْ يعرض عليه عودًا[(٣)].

وبالإجمال يمكن إيجاز آداب الطعام فيما يلي:

١- غسْل اليدين قبل الطعام لتخليصهما من الغبار والأوساخ المؤذية المسبِّبة للأمراض.

٢- التسمية قبل الأكل: فقد روى الترمذي عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا أكل أحدُكم طعامًا فلْيقلْ: بسم الله، فإن نسي في أوَّلِه فلْيقلْ: بسم الله في أوَّله وآخره"[(٤)]، وفي رواية أخرى عنها- رضي الله عنها- قالت: كان النبي صلى الله عليه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٠) برقم (٣٥٦٣) كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٣٢) برقم (٢٠٦٤) كتاب الأشربة باب لا يعيب الطعام.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٩٩) وما بعدها. زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٠٨) برقم (٥٦٠٥) كتاب الأشربة باب شرب اللبن. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٩٣) برقم (٢٠١٠) كتاب الأشربة باب في شرب النبيذ وتخمير الإناء.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤٢/ ٤٧٩) برقم (٢٥٧٣٣). وأبو داود في سننه (٣/ ٣٣٩) برقم (٣٧٣٠) كتاب الأشربة باب ما يقول إذا شرب اللبن. والترمذي في سننه (٤/ ٢٨٨) برقم (١٨٥٨) أبواب الأطعمة باب ما جاء في التسمية على الطعام. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٨٦) برقم (٣٢٦٤) كتاب الأطعمة باب التسمية عند الطعام. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٧٨).



وسلم يأكل طعامًا في سِتَّةٍ من أصحابه، فجاء أعرابيٌّ فأكله بلقمتينِ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أما إنَّه لو سَمَّى لكفاكم" رواه الترمذي(١).

٣- يجب الأكل باليمين إلَّا لعذر، ولا بأس باستعمال الملعقة ونحوها، فإن لم يجد جاز الأكل بالأصابع، روى مسلم عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا أكل أحدُكم فلْيأكُلْ بيمينه، وإذا شرِب فليشرَب بيمينه؛ فإنَّ الشيطان يأكل بشِماله، ويشرب بشماله"(٢) وروى مسلم أيضًا عن إياس بن سَلَمة بن الأكوع أنَّ أباه حدَّثه أنَّ رجلًا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشِماله، فقال: كُلْ بيمينِك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعتَ، ما منعه إلَّا الكبرُ، قال: فما رفعها إلى فيه(٣).

٤- الأكل ممَّا يليه من الطعام، فلا تمتدُّ يده إلى ما يلي الآخرين ولا إلى وسط الطعام، لما روي عن عمر بن أبي سلمة- رضي الله عنه- قال: كنتُ غلامًا في حجر رسولِ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- وكانتْ يَدي تَطيشُ في الصُّحْفَةِ، فقال لي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ياغلامُ؛ سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بيمينكَ، وَكُلْ ممَّا يليكَ، قالَ: فما زالتْ تلكَ طعمتي بعدُ. متفق عليه(٤).

وكذا الأكل من جوانب القصعة أو الطبق، روى أبو داود عن عبد الله بن بُسر- رضي الله عنه- قال: كان للنبي صلى الله عليه وسلم قصعةٌ يُقال لها الغرَّاء، يحملها أربعةُ رجالٍ، فلمَّا أضحَوا وسجدوا الضحى؛ أُتِيَ بتلك القصعة، يعني وقد ثُرِد فيها، فالتفُّوا عليها، فلما كثُروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أعرابيٌّ: ما هذه الجِلسة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلْني جبارًا عنيدًا، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كُلُوا مِن حَوَالَيْها، ودَعُوا ذروتَها؛ يُبَارَكْ فيها(٥).

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٢٨٨) أبواب الأطعمة باب ما جاء في التسمية على الطعام. والحديث صححه الألباني كما في مختصر الشمائل (ص: ١٠٧). مختصر الشمائل المحمدية، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن، تحقيق: اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٩٨) برقم (٢٠٢٠) كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٩٩) برقم (٢٠٢١) كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٦٨) برقم (٥٣٧٦) كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام والأكل باليمين. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٩٩) برقم (٢٠٢٢) كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٣٤٨) برقم (٣٧٧٣) كتاب الأطعمة باب ما جاء في الأكل من أعلى الصحفة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٩٠) برقم (٢٣٧٥) كتاب الأطعمة باب النهي عن الأكل من ذروة الثريد. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٣٩). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.



وروى الإمام أحمد عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" كُلُوا في القصعة مِن جوانبها، ولا تأكلوا من وسطِها؛ فإنَّ البركةَ تنزِل في وسطِها"[(١)].

٥- وإذا ما وقعت منه اللقمةُ فلْيُمطْ عنها الأذى ولْيأكلْها، لما رُوي عن جابر- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم: كانَ إذا طَعِمَ طعامًا لَعَقَ أصابعَه الثَّلاثَ وقالَ: إنَّ الشيطان يحضُرُ أحدَكم عند كلِّ شيءٍ من شأنه، حتَّى يَحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فلْيُمِطْ ما كان بها من أذًى، ثم لْيأكُلْها، ولا يدَعْها للشيطان، فإذا فرغَ فليَلْعَقْ أصابعه؛ فإنَّه لا يدري في أي طعامه تكون البركة" رواه مسلم[(٢)].

٦- ويُندَب الجلوس للأكل، ويُكرَه الاتِّكاء؛ لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم:" لا آكلُ مُتَّكِئًا، إنَّما أنا عبدٌ، آكلُ كما يأكلُ العبد، وأجلس كما يجلس العبد" رواه البخاري[(٣)].

٧- وينتظر حتَّى يبرد الطعام قليلًا؛ لما روى الإمام أحمد عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النفخ في الطعام والشراب[(٤)]، وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ في الشُّرب، فقال رجلٌ: القذاة أراها في الإناء، قال: أهرِقْها، قال: فإنِّي لا أُروَى مِن نَفَس واحد، قال: فأَبِنِ القَدَح إذًا عن فيك[(٥)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٥٥) برقم (٢٤٣٩). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٨٢٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٠٧) برقم (٢٠٣٣) كتاب الأشربة باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى، وكراهة مسح اليد قبل لعقها.

(٣) روى البخاري الشطر الأول من الحديث: "لا آكل متكئًا" في صحيحه (٧/ ٧٢) برقم (٥٣٩٨) كتاب الأطعمة باب الأكل متكئًا. وروى الشطر الآخر منه البغوي في شرح السنة للبغوي (١١/ ٢٨٦). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٨٢). شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٦) برقم (٢٨١٧). وأبو داود في سننه (٣/ ٣٣٨) برقم (٣٧٢٨) كتاب الأشربة باب في النفخ في الشراب والتنفس فيه. والترمذي في سننه (٤/ ٣٠٤) برقم (١٨٨٨) أبواب الأشربة باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١٣٤) برقم (٣٤٢٩) كتاب الأشربة باب النفخ في الشراب. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٣٦).

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٨/ ١٩٦) برقم (١١٦٥٤). والترمذي في سننه (٤/ ٣٠٣) برقم (١٨٨٧) أبواب الأشربة باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٣٦).

٨- ويُكرَه الإتيان بحركات مُنفرّةٍ للمشاركين كالجُشاء والبصاق والمخاط ونحوه. ففِي صَحِيحِ الْحَاكِمِ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: أَكَلْتُ ثَرِيدَةً مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَجَعَلْت أَتَجَشَّأُ فَقَالَ: يَا هَذَا؛ كُفَّ عَنَّا مِنْ جُشَائِك، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فقيل: فَمَا أَكَلَ أَبُو جُحَيْفَةَ مِلْءَ بَطْنِهِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، كَانَ إذَا تَغَدَّى لَا يَتَعَشَّى، وَإِذَا تَعَشَّى لَا يَتَغَدَّى(١).

٩- ويُستحبُّ عدم الإكثار من الطعام؛ فقد روى الترمذي عن مقدام بن معدي كرب- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" ما ملأَ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحسب ابن آدم أكلات يُقِمْن صُلبه، فإن كان لا محالة فثُلُثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفَسه"(٢).

١٠- ويستحبُّ للضيف ألَّا يُطيل الجلوس عند المضيف من غير حاجة بعد الفراغ من الأكل، بل يستأذن ربَّ المنزل وينصرف؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾(٣).

١١- ولا يُذَمُّ الطعامُ مهما كان- ما دام حلالًا-؛ وذلك لحديث: مَا عابَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم طعامًا قط، إن اشتهاه أَكَلَه، وإلَّا تركه ولم يأكلْ منه. متفق عليه(٤).

١٢- ويُسَنُّ بعد الطعام أن يحمد الله ويدعو، ويغسل يده، ويتمضمض، روى البخاري عن أبي أمامة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع مائدته قال:" الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غيرَ مَكْفيٍّ ولا مُوَدَّعٍ، ولا مُستغنًى عنه ربُّنا"(٥).

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٦٤٩) برقم (٢٤٧٨) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٧٢) وذكر طرقه وألفاظه المختلفة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ٤٢٢) برقم (١٧١٨٦). والترمذي في سننه (٤/ ٥٩٠) برقم (٢٣٨٠) أبواب الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٦٨) برقم (٦٧٣٧) كتاب الوليمة ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١١١) برقم (٣٣٤٩) كتاب الأطعمة باب الاقتصاد في الأكل، وكراهة الشبع. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٤١).

(٣) الأحزاب: ٥٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٠) برقم (٣٥٦٣) كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٣٢) برقم (٢٠٦٤) كتاب الأشربة باب لا يعيب الطعام.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٨٢) برقم (٥٤٥٨) كتاب الأطعمة باب ما يقول إذا فرغ من طعامه.



وعن أبي أيوب الأنصاري- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل أو شرب قال:" الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوَّغه، وجعل له مخرجًا" رواه أبو داود(١).

وروى أحمد عن عبد الرحمن بن جبير أنَّه حدَّثه رجلٌ خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين، أنَّه سمع النبيَّ صلى الله عليه وسلم إذا قُرِّب إليه طعامه، يقول: بسم الله، وإذا فرغ من طعامه، قال: اللهمَّ أطعمتَ وأسقيتَ، وأغنيتَ وأقنيتَ، وهديتَ وأحيَيْتَ، فلك الحمد على ما أعطيتَ(٢).

والحمد بعد الطعام من أسباب رضا الله عن العبد، فقد روى مسلم عن أنس- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ اللهَ لَيرضى عن العبد أن يأكلَ الأكلةَ فيحمَده عليها، ويشرب الشربة فيحمَده عليها"(٣).

وختامًا؛ فالطعام والشراب من أتمِّ وأكملِ النِّعم على العبد، فعلى المسلم أن يتحَّلى بآداب الطعام شُكْرًا لله تعالى على نِعمه، واتباعًا لسُنَّة النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٣٦٦) برقم (٣٨٥١) كتاب الأطعمة باب ما يقول الرجل إذا طعم. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٠٨) برقم (٦٨٦٧) كتاب الأشربة المحظورة، القول بعد الشرب. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢١٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٧/ ١٤٠) برقم (١٦٥٩٥). والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣١٠) برقم (٦٨٧١) كتاب الأشربة المحظورة نوع آخر. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١٥٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٥) برقم (٢٧٣٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب.

٥ ذي القعدة

إنَّ اللهَ كتب الإحسان على كل شيء

الإحسان كلمة بليغة مُعبِّرة، والإحسان" أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك" رواه البخاري ومسلم[١].

وعن أبي يعلى شدَّاد بن أوسٍ- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة، ولْيُحِدَّ أحدُكم شفرتَه، ولْيُرِحْ ذبيحتَه" رواه مسلم[٢].

فقوله: (إنَّ الله كتب) أي: أوجب عليكم الإحسان في كلِّ شيءٍ، قال ابن رجب الحنبلي: ولفظ الكتابة يقتضي الوجوب عند أكثر الفقهاء والأصوليين، خلافًا لبعضهم، وإنَّما يُعرَف استعمال لفظة الكتابة في القرآن فيما هو واجبٌ حتمٌ؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[٤]، وقوله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾[٥][٦].

(الإحسان) مصدر أحسن يُحسِن، إذا أجاد وأتقن وأتى بالشيء على أحسن الوجوه وأكملها، والمراد طلب تحسين الأعمال المشروعة.

(على كل شيءٍ)؛ أي: إلى كلِّ شيءٍ، أو في كلِّ شيءٍ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾[٧].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٩) برقم (٥٠) كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٦) برقم (٨) كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٤٨) برقم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة.

(٣) النساء: ١٠٣.

(٤) البقرة: ١٨٣

(٥) البقرة: ٢١٦.

(٦) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨٠). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٧) البقرة: ١٠٢



(فإذا قتلتم) أي: أردتم قتْلَ مَن يجوز قتله (فأحسِنوا القِتلة) والقِتلة بكسر القاف، وهي الهيئة والحالة، بأن تختاروا أسهل الطرق وأخفَّها إيلامًا وأسرعها زهوقًا، ويُستثنَى منه قتْل قاطع الطريق بالصَّلب، والزاني المحصَن بالرجم؛ لورود النص بذلك.

(وإذا ذبحتم) ما يحلُّ ذبحُه من الحيوانات (فأحسِنوا الذِّبْحة) وإحسان الذبح في البهائم: الرفق بها، فلا يَصرعها، ولا يَجُرُّها من موضعٍ إلى آخر، وإحداد الآلة، وتوجيهها إلى القِبلة، والتسمية، والإجهاز، ونيَّة التقرُّب إلى الله بذبحها، وإراحتها، وتركها إلى أن تبرد، وشُكْر الله حيث سخَّرها لنا ولم يُسلِّطها علينا، ولا يذبحها بحضرة أخرى.

(ولْيُحِدَّ أحدُكم) أي: لِيَسُنَّ كلُّ ذابحٍ (شفرته) أي: سكِّينه، (وليُرِحْ ذبيحته) بعرض الماء عليها قبل ذبحها لتشرب، وأن يسوقها إلى موضع الذبح برفق، وأن يضجعها بمكانٍ سهلٍ غير وعرٍ، وأن يجعل إمرار السكِّين عليها بقوَّة؛ ليُسرِعَ موتها فتستريح من ألمه.

وكان النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ينهى عن المثْلة، وكانَ صلى الله عليه وسلم إذا بعثَ سريةً تغزو في سبيلِ اللهِ قالَ لهم:" لا تُمثِّلوا ولا تقتلوا وليدًا" رواه مسلم(١)، وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم:" قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا تُمَثِّلُوا بِعِبَادِي" رواه أحمد(٢). كما روى أيضًا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قَالَ:" مَنْ مَثَّلَ بِذِي رُوحٍ ثُمَّ لَمْ يَتُبْ؛ مَثَّلَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(٣).

والقصاص في القتل بأن يُقتَلَ القاتلُ كَمَا قَتَلَ، ففي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ- رضي الله عنه- قَالَ: خَرَجَتْ جَارِيَةٌ عَلَيْها أَوْضَاحٌ بِالمدِينَةِ، فَرَمَاهَا يَهُودِيٌّ بِحَجَرٍ، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبِهَا رَمَقٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: فُلاَنٌ قَتَلَكِ؟ فَرَفَعَتْ رَأْسَها، فأعَادَ عَلَيْهَا، قالَ: فُلَانٌ قَتَلَكِ؟ فَرَفَعَتْ رَأْسَهَا، فَقَالَ لَهَا فِي الثَّالِثَةِ: فُلانٌ قَتَلَكِ؟ فَخَفَضَتْ رَأْسَها، فَدَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَرَضَخَ رَأْسَهُ بَيْنَ الحَجَرَيْنِ(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٧) برقم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ٩٩) برقم (١٧٥٥٨). والحديث ذكره الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٢٩٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٤٧٤) برقم (٥٦٦٢). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١١/ ١٥٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٥١) برقم (٥٢٩٥) كتاب الطلاق باب الإشارة في الطلاق والأمور. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٩٩) برقم (١٦٧٢) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحددات، والمثقلات، وقتل الرجل بالمرأة.



وفي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قَتَلَ جَارِيَةً مِنَ الأَنْصارِ عَلَى حُلِيٍّ لَهَا، ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي القَلِيبِ، وَرَضَخَ رَأْسَها بِالحِجَارَةِ، فَأُخِذَ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُرْجَمَ حَتَّى يَمُوتَ، فَرُجِمَ حَتَّى مَاتَ(١).

كما نهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن التحريق بالنار، ففِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْثٍ فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا وفُلانًا- لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ- فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ أَرَدْنَا الخُرُوجَ: إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلانًا وفُلانًا بِالنَّارِ، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا(٢).

وفيه أَيْضًا عَنِ ابنِ عبَّاسٍ- رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ(٣).

وخَرَّجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ مِن حَدِيثِ ابنِ مَسْعُودٍ- رضي الله عنه- قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَمَرَرْنَا بِقَرْيَةِ نَمْلٍ قَدْ أُحْرِقَتْ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: إِنَّه لَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يُعَذِّبَ بِعَذَابِ اللَّهِ عزَّ وَجَلَّ(٤).

ولا صحَّة لما رُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ- رضي الله عنه- أَنَّه حَرَّقَ الفُجَاءَةَ بالنَّارِ. ولا ما رُوي عن عَلِيِّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- أَنَّه حَرَّقَ المرْتَدِّينَ، وإِنَّمَا دَخَّنَ عَلَيْهِم فقط حَتَّى مَاتُوا.

وأجاز البعض التَّمْثِيلِ للكُفْرِ لا سِيَّمَا إِذَا تَغَلَّظَ، وحُمِلَ النَّهْيُ عن المثْلَةِ عَلَى القَتْلِ بالقِصَاصِ، واسْتَدَلَّ مَن أَجَازَ ذَلِكَ بِحَدِيثِ العُرَنِيِّينَ، وَقَدْ خَرَّجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِن حَدِيثِ أَنَسٍ- رضي الله عنه-: أَنَّ أُنَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم المدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا؛ فَافْعَلُوا، فَفَعَلُوا فَصَحُّوا، ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرِّعَاءِ، فَقَتَلُوهُم، وَارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلامِ، وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولِ اللَّهِ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٩٩) برقم (١٦٧٢) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحددات، والمثقلات، وقتل الرجل بالمرأة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٤٩) برقم (٢٩٥٤) كتاب الجهاد والسير باب التوديع.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦١) برقم (٣٠١٧) كتاب الجهاد والسير باب لا يعذب بعذاب الله.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٧/ ١١٨) برقم (٤٠١٨). وأبو داود في سننه (٣/ ٥٥) برقم (٢٦٧٥) كتاب الجهاد باب في كراهية حرق العدو بالنار. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٢٢) برقم (٨٥٦٠) كتاب السير، النهي عن إحراق الحيوان. والحديث صحح إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٤).



صلى الله عليه وسلم، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَبَعَثَ فِي أَثَرِهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُم وَأَرْجُلَهُم، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُم، وَتَرَكَهُم فِي الحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا(١).

فيَدُلُّ هَذَا الحديث عَلَى جَوَازِ التَّمْثِيلِ بِمَن تَغَلَّظَتْ جَرَائِمُهُ فِي الجُمْلَةِ، وإِنَّمَا نُهِيَ عن التَّمْثِيلِ فِي القِصَاصِ.

وَقَدْ وَرَدَ الأَمْرُ بالرِّفْقِ بالذَّبِيحَةِ عِنْدَ ذَبْحِهَا، روى ابنُ ماجه مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ- رضي الله عنه- قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَرَجُلٍ وهو يَجُرُّ شَاةً بأُذُنِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: دَعْ أُذُنَهَا وَخُذْ بِسَالِفَتِهَا(٢). والسَّالِفَةُ: مُقَدَّمُ العُنُقِ.

وروى الطَّبَرَانِيُّ مِن حَدِيثِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَرَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَه عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ، وهو يَحُدُّ شَفْرَتَه، وهي تَلْحَظُ إِلَيْهِ ببَصَرِهَا، فَقَالَ: أَفَلا قَبْلَ هَذَا؟ تُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَتَين؟(٣)

ورَأَى عُمَرُ رَجُلًا يَسْحَبُ شَاةً برِجْلِهَا لِيَذْبَحَهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ قُدْهَا إِلَى المَوْتِ قَوْدًا جَمِيلًا(٤).

وفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ عَن مُعَاوِيَةَ بنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنِّي لأَذْبَحُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: والشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٦٢) برقم (٦٨٠٢) كتاب الحدود باب المحاربين من أهل الكفر والردة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٩٦) برقم (١٦٧١) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب حكم المحاربين والمرتدين.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٥٩) برقم (٣١٧١) كتاب الذبائح باب إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح. والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف الإسناد جدا" كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٧/ ١٧١). صحيح وضعيف سنن ابن ماجه المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٥٤) برقم (٣٥٩٠). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٣). المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

(٤) رواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (٤/ ٤٩٣) برقم (٨٦٠٥). والأثر ضعفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب ٣٤٠). المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣. ضَعِيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدّين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٥٩) برقم (١٥٥٩٢). والحديث صحح إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٥).

وقَالَ نَوْفٌ البِكَالِيُّ: إِنَّ رَجُلًا ذَبَحَ عِجَّوْلًا بَيْنَ يَدَيْ أُمِّهِ، فَخُبِّلَ، فَبَيْنَا هو تَحْتَ شَجَرَةٍ فِيهَا وَكْرٌ فِيهِ فَرْخٌ، فَوَقَعَ الفَرْخُ إِلَى الأَرْضِ، فَرَحِمَهُ فأَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، فَرَدَّ اللَّهُ علَيْهِ قُوَّتَهُ(١).

وختامًا أخي المسلم؛ اعلمْ أنَّ امرأة بغيًّا من بغايا بني إسرائيلَ سقتْ كلبًا فغُفِرَ لها بهِ. متفقٌ عليهِ(٢). ودخلتْ امرأةٌ النَّارَ في هِرةٍ حبستْها، ولم تطعمْها ولمْ تدعْها تأكلُ من خِشاشِ الأرضِ. متفقٌ عليهِ(٣).

أَحْسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ فَطَالَما اسْتَعْبَدَ الإنسانَ إحْسَانُ
وَإِنْ أسَاءَ مُسـيءٌ فلْيَكنْ لكَ في عُروضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وَغُفـرانُ(٤)

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٣) برقم (٣٤٦٧) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦١) برقم (٢٢٤٥) كتاب السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٢) برقم (٢٣٦٥) كتاب المساقاة باب فضل سقي الماء. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦٠) برقم (٢٢٤٢) كتاب السلام باب تحريم قتل الهرة.

(٤) البيتان لأبي الفتح البستي. ينظر: موسوعة الرقائق والأدب (ص ٧١١). موسوعة الرقائق والأدب
المؤلف: ياسر بن أحمد بن محمود بن أحمد بن أبي الحمد الكويس الحمداني.



٦ ذي القعدة

لا ضرر ولا ضرار

عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ" رواه ابن ماجه(١). هذا الحديث يشمل كُلَّ أنواع الضَّرر؛ لأنَّ النَّكِرةَ في سياقِ النَّفي تعمُّ.

وهذا الحديث يُمثِّل قاعدة الإسلام في الشرائع وقواعد الأخلاق والتعامل بين الخلْق، وهي دفْع الضرر عنهم بمختلف أنواعه ومظاهره، فالضرر مُحرَّمٌ، وإزالة الضرر واجبٌ، والضرر لا يُزال بالضرر، والمضارُّ مُحرَّمة.

بل إنَّ بعض العلماء جعل هذا الحديث" لا ضرر ولا ضرار" نصف الفقه، وذلك أنَّ الأحكام: إمَّا لجلب مصلحة، أو لدفْع مضرَّة؛ لأنَّ الشريعة إمَّا أمْرٌ بمعروف، أو نهيٌ عن مُنكَر، والأوَّل تُجلَب فيه المصالح، والثاني تُدفَع فيه المضار.

وهل بين الضرر والضرار فرق أم لا؟ فمن العلماء من قال: هما بمعنى واحد على وجه التأكيد، والمشهور أن بينهما فرقًا، ثم قيل: إنَّ الضرر هو الاسم، والضرار الفعل، فالمعنى أنَّ الضرر نفسه مُنتفٍ في الشرع، وإدخال الضرر بغير حق كذلك، وقيل: الضرر أن يُدخِل على غيره ضررًا بما ينتفع هو به، والضرار: أن يُدخِل على غيره ضررًا بلا منفعة له به، كمَن منع ما لا يضرُّه ويتضرَّر به الممنوع، ورجَّح هذا القول طائفة، منهم ابن عبد البر، وابن الصلاح، وقيل: الضرر: أن يضرَّ بمن لا يضرُّه، والضرار: أن يضرَّ بمَن قد أضرَّ به على وجه غير جائز، وبكلِّ حالٍ فالنبي صلى الله عليه وسلم إنَّما نفى الضرر والضرار بغير حق(٢).

وأقرب تصوُّر للكلمتين: أنَّ نفي الضرر إنَّما قُصِد به عدم وجود الضرر فيما شرعه الله لعباده من الأحكام، وأمَّا نفي الضرار: فأُريد به نهي المؤمنين عن إحداث الضرر أو فعله.

على أنَّ الضرر المنفيَّ في الدِّين لا يتناول العقوبة والقصاص؛ لأنَّ عقاب المجرِم على جريمته هو السبيل الوحيد الذي يردع الناس عن انتهاك حدود الله، والاعتداء على حقوق الآخرين، بل إنَّنا نقول: إنَّ هذه الحدود التي شرعها الله عزَّ وجلَّ هي مقتضى العدْل والحكمة؛ إذ لا يُعقَل أن نُغلِّب

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٥٥) برقم (٢٨٦٥). وابن ماجه في سننه (٢/ ٧٨٤) برقم (٢٣٤١) كتاب الأحكام باب من بنى في حقه ما يضر بجاره. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٤٠٨).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ٢١٢).



جانب مصلحة الفرد على حساب مصلحة المجتمع كلِّه، ولا يُعقَل أن ننظر بعين العطف على الجاني، ونتناسى حقَّ مَن جنى عليهم، ولذلك يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١).

ولذا قال العلماء: يُسْتَثْنى من هذا الحديث: إدخال الضَّرَرِ على أحدٍ يستحِقُّه؛ لِكَونِه تَعَدَّى حُدودَ الله، فيُعاقَب بقدْرِ جريمته، أو لِكونِه ظَلَمَ نفسَه وغيرَه، فيَطْلُب المظلومُ مُقابلته بالعدل؛ فهذا غيرُ مُرادٍ بالحديث قَطْعًا. ومن أمثلة الضَّرَر الجائز الذي لا حَرَجَ فيه؛ قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾(٢).

ولم يقتصر الحديث على نفي الضرر في الشريعة، بل أتبعه بالنهي عن إضرار العباد بعضهم لبعض، فالمكلَف منهيٌّ عن كلِّ فعلٍ يترتَّب عليه إضرار الآخرين، سواء قصد صاحبه الإضرار أم لم يقصد. وهذا أصلٌ عظيمٌ من أصول الدين، فإنَّ الفرد إذا التزم بصيانة حقوق غيره وعدم الإضرار بها؛ فإنَّ مِن شأن ذلك أن تقلَّ المنازعات بين الناس، فينشأ المجتمع على أساس من الاحترام المتبادَل بين أفراده.

أمَّا إذا تخلَّى الناس عن العمل بهذا المبدأ، وصار كلُّ إنسانٍ ينظرُ إلى مصلحته دون أي اعتبارٍ للآخرين؛ فهنا تحصل الكارثة، وتشيع الأنانية المدمِّرة، وهذا ما جاء الإسلام بإزالته والقضاء عليه.

فدفْعُ الأذى والضرر عن النفس والغير، وعدم المضارة؛ من القواعد الأصولية التي أطبق على القول بها علماءُ الإسلام، مستنبطين ذلك من كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويحكمون على كثير من الحوادث بها؛ ففي كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ﴾(٣)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾(٦)، وكما قرن عزَّ وجلَّ الضرار بأكبر الذنوب؛ حيث قال:

(١) البقرة: ١٧٩.

(٢) البقرة: ١٩٤.

(٣) الطلاق: ٦.

(٤) البقرة: ٢٣٣.

(٥) النساء: ١٢.

(٦) البقرة: ٢٨٢.



﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾(١)، كما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنَّ إماطة الأذى عن الطريق صدقة، في أخبار كثيرة تُقرِّرُ أنَّه لا يحلُّ لمسلم أن يُلحِق ضررًا بنفسه أو بغيره.

وقد طبَّق الخلفاء والفقهاء والقضاة هذا المبدأ على مرِّ الدهور والعصور، ففي عهد أمير المؤمنين عُمَرَ بن الخطَّاب- رضي الله عنه- سَاقَ الضَّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ خَلِيجًا لَهُ مِنَ الْعُرَيْضِ، فَأَرَادَ أَنْ يَمُرَّ بِهِ فِي أَرْضِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَأَبَى مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ الضَّحَّاكُ: لِمَ تَمْنَعُنِي وَهُوَ لَكَ مَنْفَعَةٌ؛ تَشْرَبُ بِهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَلَا يَضُرُّكَ؟ فَأَبَى مُحَمَّدٌ، فَكَلَّمَ فِيهِ الضَّحَّاكُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَدَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَأَمَرَهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهُ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: لَا، فَقَالَ عُمَرُ: لِمَ تَمْنَعُ أَخَاكَ مَا يَنْفَعُهُ وَهُوَ لَكَ نَافِعٌ تَسْقِي بِهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَهُوَ لَا يَضُرُّكَ؟ فَقَالَ مُحَمَّدٌ: لَا وَاللَّهِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ لَيَمُرَّنَّ بِهِ، وَلَوْ عَلَى بَطْنِكَ، فَأَمَرَهُ عُمَرُ أَنْ يَمُرَّ بِهِ، فَفَعَلَ الضَّحَّاكُ. رواه مالك في الموطَّأ(٢).

والمراد بالضرر في الحديث: لا ضرر في الشرع، أي لا ضرر كائن في الشريعة الإسلامية، وهذا النفي مُنصبٌّ على جهتين: العبادات والمعاملات. ففي العبادات لم يُشرَع لنا شيء فيه ضرر على العبد، فمثلًا إذا نظرتَ إلى المريض يُصلِّي قائمًا، فإن تضرَّر بالقيام صلَّى قاعدًا، يتطهَّر بالماء، فإن كان الماء يضرُّه ينتقل منه إلى التراب، فهذا يدلُّ على أنه لم تُشرَع عبادة فيها ضرر بالعبد، بل إذا وجد الضرر جاء التخفيف. وفي المعاملات نُفِيَ الضرر شرعًا في أمور المعاملات والأمور الاجتماعية مثل النكاح والبيع والشراء وغيرها، وهذه كلُّها في تشريعات الإسلام نفى فيها الضرر من جهة التشريع.

ومن لطائف هذه القاعدة الفقهية: أنه قد بُنِيَ عليها الكثير من الفروع الفقهية، كالحجْر على فاقد الأهلية أو ناقصها حماية له وحفظًا لحقوق الآخرين، وثبوت حق الشفعة دفعًا للضرر الذي يمكن أن يلحق الشريك من المشتري. ومنها: لو باع شيئًا مما يسرع إليه الفساد كالفواكه وغاب المشتري قبل دفع الثمن؛ وخيف فساد الفواكه فللبائع أن يفسخ البيع ويبيع لآخر، دفعًا للضرر. ومنها أيضًا:

---

(١) التوبة: ١٠٧.

(٢) رواه موطأ مالك ت الأعظمي (٤/ ١٠٨٠) برقم (٢٧٦٠). والأثر قال عنه الألباني: "وهذا سند صحيح على شرط الشيخين" إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ٢٥٤). الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

جواز حبْس المشهورين بالدعارة والفساد حتَّى تظهر توبتهم، ولو لم يثبت عليهم جُرمٌ مُعيَّن بطريق قضائي دفعًا لشرِّهم.

الخلاصة: لقد حرَّم الإسلام الضرار بكل صوره، وجميع أشكاله، حتَّى حرَّم الإضرار بالآخرين منذ ولادتهم إلى حين وفاتهم، بل وبعد موتهم، فحرَّم إضرار الأم بولدها، وحرَّم تغيير الوصية بعد سماعها، وحرَّم إضرار الموصي في وصيَّته، وحَفِظَ للأموات حقوقهم حتَّى حرَّم سبَّ الأموات، فما أعظمَها من شريعة! وما أحسنَه من دين!



٧ ذي القعدة

اللهُ لطيفٌ بعباده

قال الإمام السعدي- رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾[(١)]: (الله لطيفٌ بعباده) يُخبِر تعالى بلطفه بعباده ليعرفوه ويُحبُّوه، ويتعرَّضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يُوصِّل عباده- وخصوصًا المؤمنين- إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون. فمِن لطفه بعبده المؤمن أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسَّر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبَّة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام أن يُثبِّتوا عباده المؤمنين، ويحثُّوهم على الخير، ويُلقوا في قلوبهم مِن تزيين الحق ما يكون داعيًا لاتِّباعه. ومِن لطفه أن أَمَرَ المؤمنين بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض. ومِن لطفه أن قيَّض لعبده كلَّ سببٍ يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتَّى أنَّه تعالى إذا علم أنَّ الدنيا والمال والرياسة ونحوها- ممَّا يتنافس فيه أهل الدنيا- تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية؛ صرفها عنه، وقدَرَ عليه رزقه، ولهذا قال هنا: (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) بحسب اقتضاء حكمته ولطفه (وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) الذي له القوة كلُّها، فلا حول ولا قوَّة لأحدٍ من المخلوقين إلَّا به، الذي دانتْ له جميع الأشياء[(٢)].

وقال الإمام القرطبي: قوله تعالى: (الله لطيفٌ بعباده) قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: حفيٌّ بهم. وقال عكرمة: بارٌّ بهم. وقال السدي: رفيقٌ بهم. وقال مقاتل: لطيفٌ بالبَرِّ والفاجر، حيث لم يقتلهم جوعًا بمعاصيهم. وقال القرظي: لطيفٌ بهم في العرض والمحاسبة. قال:

غدًا عند مولى الخلْق للخلْق موقفٌ ... يُسائِلُهم فيه الجليلُ ويَلطُفُ

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين: يلطف بهم في الرزق من وجهين: أحدهما أنَّه جعل رزقك من الطيِّبات. والثاني أنَّه لم يدفعْه إليك مرَّة واحدة فتبذِّره. وقال الحسين بن الفضل: لطيفٌ بهم

---

(١) الشورى: ١٩.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٥٦). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

في القرآن وتفصيله وتفسيره. وقال الجنيد: لطيفٌ بأوليائه حتَّى عرفوه، ولو لطف بأعدائه لما جحدوه. وقال محمد بن علي الكتاني: اللطيف بمَن لجأ إليه مِن عباده؛ إذا يئس من الخلْق توكَّل ورجع إليه، فحينئذ يَقبَله ويُقبِل عليه.

ثم قال: قال أبو علي الثقفي- رضي الله عنه-:

أمرُّ بأفناء القبور كأنَّني ... أخو فطنةٍ والثوابُ فيه نحيفُ

ومَن شقَّ فاه اللهُ قدَّرَ رزقَه ... وربِّي بمَن يلجأ إليه لطيفُ

وقيل: اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب، وقيل: هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل. وقيل: هو الذي يجبر الكسير ويُيَسِّر العسير. وقيل: هو الذي لا يُخاف إلَّا عدلُه، ولا يُرجى إلَّا فضلُه.

وقيل: هو الذي يبذل لعبده النعمة فوق الهمَّة، ويُكلِّفه الطاعة فوق الطاقة، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾[(١)]، وقال: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۚ﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾[(٣)]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾[(٤)]. وقيل: هو الذي يُعين على الخدمة، ويُكثِر المدحة. وقيل: هو الذي لا يُعاجِل مَن عصاه، ولا يُخيِّب مَن رجاه. وقيل: هو الذي لا يَرُدُّ سائله، ولا يوئس آمله. وقيل: هو الذي يعفو عمَّن يهفو. وقيل: هو الذي يَرحم مَن لا يَرحم نفسه[(٥)].

وقال البعض: إن الإضافة في (بعباده) إضافة تشريف؛ إذ أكثر استعمال التنزيل الجليل في مثل ذلك، فيختصُّ العباد بأوليائه تعالى المؤمنين، وحمل اللطف على منح الهداية وتوفيق الطاعة، وعلى الكمالات الأخروية والكرامات السَّنيَّة.

---

(١) النحل: ١٨.

(٢) لقمان: ٢٠.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) النساء: ٢٨.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ١٦). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.



وقال ابن القيم- رحمه الله-: واسمه اللطيف يتضمَّن علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفيَّة[١]، وقد نظم هذا في النونية فقال:

وهو اللطيفُ بعبدِهِ ولعبدِهِ ... واللطـــفُ في أوصــافِهِ نوعــــانِ
إدراكُ أسرارِ الأمورِ بخبرةٍ ... واللطفُ عندَ مواقعِ الإحسانِ والعبدُ
فيُريــكَ عزَّتَهُ ويُبـــدي لُطفَهُ ... في الغفـــلاتِ عــن ذا الشـــانِ[٢]

وقد استدلَّ البعض بهذا الاسم (اللطيف) على وجود الله تعالى، عندما سُئل: ما الدليل على وجود الله تعالى؟ فقال: إنَّ البعر يدلُّ على البعير، وإنَّ الأثر يدلُّ على المسير، فسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فجاج، وبحارٌ ذات أمواج، ألَّا يدلُّ ذلك على وجود اللطيف الخبير؟![٣]

وختامًا: فاللَّطِيف صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَاسْمٌ مِنْ أَسمائه. فهو اسمُ ذاتٍ تضمَّن صفةَ فعلٍ، وقد ذُكِر في القرآن سبع مرَّات؛ خمسٌ منها مُطلقًا غير مُقيَّد، مقرونًا بالخبير: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[٤]، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[٥]، ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾[٦]، ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾[٧]، ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[٨].

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٣٤). شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٢) الكافية الشافية (ص: ٧١٨). الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية المتوفى (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي | ناصر بن يحيى الجنيني | عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل | فهد بن علي المساعد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ.

(٣) ينظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٥٧). شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ.

(٤) الأنعام: ١٠٣.

(٥) الملك: ١٤.

(٦) الحج: ٦٣.

(٧) لقمان: ١٦.

(٨) الأحزاب: ٣٤.

ومرَّتان جاء مُقيَّدًا ومُعَدَّى بحرف جر: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾[١]، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾[٢]. ويُروى عن عليٍّ - رضي الله عنه - أنَّه قال:

فكـــمْ للهِ مِـن لُطـفٍ خفـــيٍّ ... يَدقُّ خَفاه عن فهِمِ الذَّكيِّ

وكم يُسرٍ أتى من بعـــد عُســرٍ ... ففرَّجَ كُربَةَ القلبِ الشَّجـيِّ

وكـــمْ أمْرٍ تُســاءُ به صباحًـــا ... وتأتيك المسـرَّةُ في العَشـــيِّ

إذا ضـــاقتْ بك الأحـوال يومًا ... فثِقْ بالواحــدِ الفــــردِ العليِّ

وَلَا تَجزَعْ إذا مـــا نَابَ خَطْــبٌ ... فكمْ للهِ مِن لُطفٍ خفيٍّ[٣]

---

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) الشورى: ١٩.

(٣) ينظر حدائق الأولياء (٢/ ٢٨٤). حدائق الأولياء، (١٣٤ مجلسًا في شتى فروع المعرفة من الفقه والتفسير والأحوال والمقامات ومكارم الأخلاق وغيرها) المؤلف: سراج الدين عمر بن علي بن أحمد بن الملقن الأنصاري الأندلسي (ت ٨٠٤ هـ) اعتنى به ووضع حواشيه: السيد يوسف أحمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م.

٨ ذي القعدة

البحْثُ عن الحقِّ (قصَّة سلمان الفارسيِّ)

يحكي الصحابي الجليل سلمان الفارسي- رضي الله عنه- عن نفسه فيقول: كنتُ رجلًا فارسيًّا من أهل أصبهان، من أهل قرية منها يُقال لها: جَيٌّ، وكان أبي دهقان (رئيس) قريته، وكنتُ أحبُّ خلْقِ اللهِ إليه، فلم يزل به حُبُّه إيَّاي حتَّى حبسني في بيته كما تُحبَس الجارية، واجتهدتُ في المجوسيَّة حتَّى كنتُ قاطنَ (خادم) النار الذي يُوقدها، لا يتركها تخبو ساعة، وكانت لأبي ضيعة (بستان) عظيمة، فَشُغِلَ في بنيانٍ له يومًا، فقال لي: يا بُنيَّ؛ إنِّي قد شُغِلتُ في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فأطلعها، وأمَرَني فيها ببعض ما يريد، فخرجتُ أريد ضيعته، فمررتُ بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يُصلُّون، وكنتُ لا أدري ما أمر الناس لحبْس أبي إيَّاي في بيته، فلمَّا مررتُ بهم وسمعتُ أصواتهم؛ دخلتُ عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتُهم أعجبتْني صلاتُهم، ورغبتُ في أمرهم، وقلتُ: هذا واللهِ خيرٌ من الدِّين الذي نحن عليه، فواللهِ ما تركتُهم حتَّى غربتِ الشمس، وتركتُ ضيعة أبي ولم آتِها، فقلتُ لهم: أين أَصْلُ هذا الدين؟ قالوا: بالشام، ثم رجعتُ إلى أبي، وقد بَعثَ في طلبي، وشغلتُه عن عمله كلِّه، فلمَّا جئتُه قال: أيْ بُنيَّ؛ أين كنتَ؟ ألم أكن عهدتُ إليك ما عهدتُ؟ قلتُ: يا أبتِ؛ مررتُ بناسٍ يُصلُّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيتُ من دينهم، فواللهِ ما زلتُ عندهم حتَّى غربت الشمس، قال: أيْ بُنيَّ؛ ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينُك ودينُ آبائك خيرٌ منه، قلتُ: كلا واللهِ، إنَّه خيرٌ من ديننا، فخافني، فجعل في رجلي قيدًا، ثمَّ حبسني في بيته، وَبَعَثْتُ إلى النصارى فقلتُ لهم: إذا قدم عليكم ركبٌ من الشام تجارٌ من النصارى فأخبروني بهم، فقدِمَ عليهم ركبٌ من الشام تجارٌ من النصارى، فأخبروني بهم، فقلتُ لهم: إذا قضَوا حوائجَهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم، فلمَّا أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيتُ الحديد من رجلي، ثم خرجتُ معهم حتَّى قدمتُ الشام، فلمَّا قدمتُها قلتُ: مَن أفضلُ أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، فجئتُه فقلتُ: إنِّي قد رغبتُ في هذا الدين، وأحببتُ أن أكون معك، أخدمك في كنيستك، وأتعلَّم منك وأُصلِّي معك، قال: فادخلْ، فدخلتُ معه، فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويُرغِّبُهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء؛ اكتنزه لنفسه ولم يُعطِه المساكين، حتَّى جمع سبع قلال من ذَهَبٍ وَوَرِقٍ (فضة)، وأبغضتُه بُغضًا شديدًا لما رأيتُه يصنع، ثم مات، فاجتمعَت إليه النصارى ليدفنوه، فقلتُ لهم: إنَّ هذا كان رجلَ سوءٍ، يأمرُكم بالصدقة ويُرغِّبُكم فيها، فإذا جئتموه بها

اكتنزها لنفسه ولم يُعطِ المساكين منها شيئًا، قالوا: وما علمُك بذلك؟ قلتُ: أنا أدلُّكم على كنزه، قالوا: فدُلَّنا عليه، فأريتُهم موضعه، فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبًا ووَرِقًا، فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا، فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة، ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه بمكانه.

يقول سلمان: فما رأيت رجلًا لا يُصلِّي الخمس أرى أنَّه أفضل منه، أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلًا ونهارًا منه، فأحببتُه حُبًّا لم أُحبَّه مَن قبله، وأقمتُ معه زمانًا، ثم حضرتُه الوفاة، فقلتُ له: يا فلان؛ إنِّي كنتُ معك، وأحببتُك حُبًّا لم أحبَّه أحدًا من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى مَنْ تُوصي بي؟ وما تأمرُني؟ قال: أيْ بُنيَّ؛ واللهِ ما أعلمُ أحدًا اليوم على ما كنتُ عليه، لقد هلك الناس وبدَّلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلَّا رجلًا بالموصِل وهو فلان، فهو على ما كنتُ عليه، فالْحَقْ به.

فلمَّا مات وغُيِّبَ لحقتُ بصاحب الموصل، فقلتُ له: يا فلان؛ إنَّ فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنَّك على أمره، فقال لي: أقمْ عندي، فأقمتُ عنده، فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلمَّا حضرتْه الوفاة قلتُ له: يا فلان؛ إنَّ فلانًا أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله عزَّ وجلَّ ما ترى، فإلى مَن تُوصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أيْ بُنيَّ؛ واللهِ ما أعلم رجلًا على مثل ما كُنَّا عليه إلَّا رجلًا بنصيبين، وهو فلان فالْحقْ به .

فلمَّا مات وغُيِّبَ لحقتُ بصاحب نصيبين، فجئتُه فأخبرتُه بخبري وما أمرني به صاحبي فقال: فأقمْ عندي، فأقمتُ عنده، فوجدتُه على أمر صاحبَيه، فأقمتُ مع خيرِ رجلٍ، فواللهِ ما لبثتُ أن نزل به الموت، فلما حُضِر قلتُ له: يا فلان؛ إنَّ فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى مَن تُوصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أيْ بُنيَّ؛ واللهِ ما نعلم أحدًا بقي على أمرنا آمرُك أن تأتيَه إلَّا رجلًا بعمورية، فإنَّه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببتَ فأتِه، فإنَّه على أمرنا.

فلمَّا مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب عمورية، وأخبرتُه خبري، فقال: أقمْ عندي، فأقمتُ مع رجلٍ على هدْي أصحابه وأمْرهم، واكتسبتُ حتى كان لي بُقَيْرَاتٌ وَغَنَيمَةٌ، ثم نزل به أمرُ اللهِ، فلمَّا حضر قلتُ له: يا فلان؛ إنِّي كنتُ مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى مَن تُوصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أيْ بُنيَّ؛ ما أعلم أحدًا من الناس أصبحَ على ما كُنَّا عليه آمرُك أن تأتيَه، ولكنَّه قد أظلَّك زمانُ نبيٍّ، هو مبعوثٌ بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مُهاجِرًا إلى أرض بين حرَّتَينِ (أرض ذات حجارة سود) بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفَيه خاتم النبوة، فإنِ استطعتَ أن تلحق بتلك البلاد فافعل.



ثم مات وغُيِّبَ، فمكثت بعَمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مرَّ بي نفر من كَلْبٍ تُجَّارٌ، فقلتُ لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم، فأعطيتُهموها وحملوني، حتَّى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني، فباعوني من رجلٍ من اليهود عبدًا، فكنتُ عنده، ورأيتُ النخل، ورجوتُ أن تكون البلد الذي وصف لِي صاحبي، ولم يحقَّ لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدِمَ عليه ابنُ عمٍّ له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فواللهِ ما هو إلَّا أن رأيتُها فعرفتُها بصفة صاحبي، فأقمتُ بها.

وبعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكَّة ما أقام، لا أسمع له بذكْرٍ مع ما أنا فيه من شغل الرِّقِّ، ثم هاجر إلى المدينة، فواللهِ إني لَفِي رَأْسِ عِذْقٍ لِسَيِّدِي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالسٌ إذ أقبل ابنُ عمٍّ له حتَّى وقف عليه فقال: يا فلان؛ قاتلَ اللهُ بني قيلة، واللهِ إنَّهم الآن لمجتمعون بقِباء، على رجلٍ قدِمَ عليهم من مكَّة اليوم يزعمون أنَّه نبيٌّ، فلمَّا سمعتُها أخذتْني العُرُواء (برد الحُمَّى)، حتَّى ظننتُ أنِّي سأسقط على سيدي، ونزلتُ عن النخلة فجعلتُ أقول لابن عمِّه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟ فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالكَ ولهذا؟ أقبلْ على عملك، قلتُ: لا شيء؛ إنَّما أردتُ أن أستثبتَ عمَّا قال، وقد كان عندي شيء قد جمعتُه، فلمَّا أمسيتُ أخذتُه ثم ذهبتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء، فدخلتُ عليه فقلتُ له: إنَّه قد بلغني أنَّك رجلٌ صالحٌ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتُكم أحقَّ به مِن غيركم، فقرَّبْتُه إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكلْ، فقلتُ في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفتُ عنه، فجمعتُ شيئًا، وتحوَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ثم جئتُ به فقلتُ: إنِّي رأيتُك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتُك بها، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلتُ في نفسي: هاتانِ اثنتانِ. ثم جئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد، وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالس في أصحابه، فسلَّمتُ عليه ثم استدرتُ أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلمَّا رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرتُه، عرف أنِّي أستثبتُ في شيء وُصِفَ لي، فألقي رداءه عن ظهره، فنظرتُ إلى الخاتم فعرفتُه، فانكببتُ عليه أُقبِّله وأبكي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تحوَّلْ، فتحوَّلتُ، فقصصتُ عليه حديثي كما حدَّثْتُك يا ابن عبَّاس.



فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حتَّى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرٌ وأُحُدٌ.

قال سلمان: ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: كاتِبْ يا سلمان، فكاتبتُ صاحبي على ثلاث مئة نخلة أُحييها له بالفقير (أي أغرسها له) وبأربعين أوقية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودية (صغار النخل)، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر حتى اجتمعتْ لي ثلاث مئة ودية، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب يا سلمان، ففقِّرْ لها (احفر لها موضع غرسها)، فإذا فرغتَ فأتِني أكون أنا أضعها بيدي، ففقَّرتُ لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغتُ منها جئتُه فأخبرتُه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها، فجعلنا نُقرِّب له الودي، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديتُ النخل وبقيَ عليَّ المال، فأتي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: ما فعل الفارسي المكاتَب؟ فَدُعِيتُ له، فقال: خذْ هذه، فأدِّ بها ما عليك يا سلمان. فقلتُ: وأين تقع هذه يا رسول الله ممَّا عليَّ؟ قال: خذْها، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ سيُؤدِّي بها عنك، فأخذتُها، فوزنتُ لهم منها- والذي نفس سلمان بيده- أربعين أوقية، فأوفيتُهم حقَّهم، وعُتِقتُ، فشهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق، ثم لم يفتْني معه مشهد. رواه أحمد[1].

والقصة أبلغ أن تُشرَح، وفيها من الدروس والعِبَر ما يُغني عن البيان والتوضيح. والحُرُّ يكفيه المقال.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ١٤٠) برقم (٢٣٧٣٧). والحديث حسن إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٥٥٥).



٩ ذي القعدة

ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقِمْنَ صُلبَه، فإن كان لا محالة؛ فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسِه" رواه الترمذي(١).

شرح المباركفوري في تحفة الأحوذي شرح الترمذي هذا الحديث فقال: (ما ملأ آدمي وعاء) أي ظرفًا (شرًّا من بطن) صفة وعاء، جعل البطن أوَّلًا وعاءً كالأوعية التي تُتخَذ ظروفًا، ثم جعله شرَّ الأوعية؛ لأنَّها استُعملت فيما هي له، والبطن خُلِقَ لأن يتقوَّم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يُفضي إلى الفساد في الدين والدنيا، فيكون شرًّا منها (بحسب ابن آدم) مبتدأ أو الباء زائدة، أي يكفيه، وقوله (أكلات) بضمتين، خبره نحو قوله بحسبك درهم، والأكلة بالضم اللقمة، أي يكفيه هذا القدر في سدِّ الرمق وإمساك القوة (يُقِمْنَ) من الإقامة (صلبه) أي ظهره، تسمية للكل باسم جزئه، كناية عن أنَّه لا يتجاوز ما يحفظه من السقوط، ويتقوَّى به على الطاعة (فإن كان لا محالة) بفتح الميم ويضم، أي إن كان لا بدَّ من التجاوز عمَّا ذكر فلتكن أثلاثًا (فثلث) يجعله (لطعامه) أي مأكوله، (وثلث) يجعله (لشرابه) أي مشروبه، (وثلث) يدعه (لنفَسه) بفتح الفاء، أي يبقى من ملئه قدر الثلث ليتمكَّن من التنفُّس، ويحصل له نوع صفاء ورقَّة، وهذا غاية ما اختير للأكل، ويحرُم الأكلُ فوق الشبع(٢).

وخصَّ صلى الله عليه وسلم النَّفَسَ بالذِّكرِ؛ لأنَّ الرِّئةَ تَحتاجُ إلى مِساحةٍ للتَّنفُّسِ، وامتلاءُ البطنِ يُحجِّمُ أمرَها ويُقلِّلُ مِن أدائِها، وفي هذا صحَّةُ الإنسانِ وسَلامتُه مِن الآفاتِ، وهذا ليس فيه مَنْعٌ مِن الشِّبَعِ في بعضِ المرَّاتِ، ولكنَّه إرشادٌ للأفضلِ والأنفعِ للبدَنِ والقلبِ؛ فإنَّ البطنَ إذا امتلَأتْ مِن الطَّعامِ ضاقَت عن الشَّرابِ، فإذا ورَد عليها الشَّرابُ ضاقتْ عن النَّفَسِ وعرَض لها الكَرْبُ والتَّعبُ بحَمْلِه.

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٩٠) برقم (٢٣٨٠) أبواب الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٦٨) برقم (٦٧٣٧) كتاب الوليمة، ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١١١) برقم (٣٣٤٩) كتاب الأطعمة باب الاقتصاد في الأكل، وكراهة الشبع. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٤١).

(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٣). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

قال العلّامة ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطبِّ كلِّها، وقد رُوي أن ابن ماسويه لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطَّلت المارشايات (أي المستشفيات)، ودكاكين الصيادلة. وإنَّما قال هذا لأن أصل كل داءٍ التخم[(١)].

وذكر الإمام القرطبي في تفسيره أنَّ الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطِّبِّ شيء، والعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان. فقال له عليٌّ: قد جمع الله الطِّبَّ كلَّه في نصف آية من كتابنا. فقال له: ما هي؟ قال: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾[(٢)]. فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطِّبِّ. فقال عليٌّ: جَمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الطِّبَّ في ألفاظ يسيرة. قال: ما هي؟ قال: المعدة بيت الأدواء، والحمية رأس كل دواء، وأعطِ كلَّ جسدٍ ما عوَّدْتَه. فقال النصراني: ما ترك كتابُكم ولا نبيُّكم لجالينوس طِبًّا[(٣)].

قال ابن القيم- رحمه الله- في (زاد المعاد): وأمَّا الحديث الدائر على ألسنة كثيرٍ من الناس: (الحمية رأس الدواء، والمعدة بيت الداء، وعوِّدوا كلَّ جسمٍ ما اعتاد) فهذا الحديث إنَّما هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، ولا يصحُّ رفعُه إلى النبي صلى الله عليه وسلم[(٤)].

أسلم طبيب أمريكي، فسُئِلَ عن سبب إسلامه فقال: أسلمتُ بسبب حديثٍ واحدٍ، قالوا له: وما هو؟! فذكر هذا الحديث الشريف، ثم قال: هذا أصل الطِّبِّ، ولو أنَّ الناس نفَّذوه ما كاد يمرض أحدٌ.

وقال لقمان لابنه: يا بُنَيَّ؛ لا تأكلْ شبعًا فوق شبعٍ، فإنَّك أن تنبذه للكلب خيرٌ من أن تأكله.

وسأل سمرة بن جندب عن ابنه: ما فعل؟ قالوا: بشم البارحة. قال: بشم! فقالوا: نعم. قال: أما إنَّه لو مات ما صلَّيتُ عليه. (والبشم: التخمة من الدسم)[(٥)].

قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما: كُلْ ما شئتَ، والبسْ ما شئتَ، ما أخطأتْك خصلتان: سرفٌ ومخيلة[(٦)].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٦٨).

(٢) الأعراف: ٣١.

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ١٩٢).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٩٦).

(٥) تفسير القرطبي (٧/ 519).

(٦) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا (٧/ ١٤١) كتاب اللباس باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٥٢).



وعنه أيضًا قال: أحلَّ الله الأكل والشُّرب، ما لم يكن سرفًا أو مخيلة(١). وروى الإمام أحمد بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" كُلُّوا واشربوا والبسوا وتصدَّقوا، في غير مخيلةٍ ولا سرفٍ، فإنَّ الله يُحبُّ أن يرى نعمته على عبده"(٢).

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٥٠٦) برقم (٦١٢٥). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٣١٢) برقم (٦٧٠٨). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٠٤). صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.



وقال العلَّامة ابن باز- رحمه الله تعالى-: والشِّبَع لا بأس به، والرِّيُّ لا بأس به، لكن إذا ترك بعضَ الشِّبَع وبعضَ الري ليتنفَّس وليُعطي بطنَه الراحة؛ فهذا لا بأس به[١].

وقد سبق أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دعا أهل الصُّفَّة، وأعطى أبا هريرة- رضي الله عنه- قدحًا فيه لبن ليسقيهم، فسقاهم جميعًا، ثم بقي أبو هريرة والنبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: اشربْ، فشربَ، ثم قال: اشربْ، فشربَ، ثم قال: اشربْ، فشربَ، ثم قال: اشربْ، فقال: والذي بعثك بالحقّ؛ لا أجد له مسلكًا. رواه البخاري[٢] وغيره، يعني: قد رويتُ جدًّا، فلا بأس أن يروى الإنسان ويشبع، لكنَّ كونه يُعالج نفسه، ويُبقي شيئًا للنَّفَس في أكله وشربه، ولا يشبع كثيرًا، ولا يروى كثيرًا؛ يكون أصلح لحاله، وأصلح لجسمه، وأسلم من العواقب.

قال الإمام ابن القيم- رحمه الله- في كتابه (بدائع الفوائد): ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلَّا أنَّه يدعو إلى الغفلة عن ذِكْر الله ساعة واحدة جثم عليه الشيطان، ووعده ومنَّاه وشهَّاه، وهام به في كلِّ وادٍ؛ فإنَّ النفس إذا شبعت تحرَّكت وجالت وطافت على أبواب الشهوات، وإذا جاعت سكنتْ وخشعتْ وذلّتْ[٣].

وفِي صَحِيحِ الْحَاكِمِ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: أَكَلْتُ ثَرِيدَةً مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَجَعَلْت أَتَجَشَّأُ فَقَالَ: يَا هَذَا؛ كُفَّ عَنَّا مِنْ جُشَائِك، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٤]، فقيل: فَمَا أَكَلَ أَبُو جُحَيْفَةَ مِلْءَ بَطْنِهِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، كَانَ إذَا تَغَدَّى لَا يَتَعَشَّى، وَإِذَا تَعَشَّى لَا يَتَغَدَّى.

ويُذكَرُ أنَّ بعض الأوروبيين لا يشبعون في الأكل، لكن يُكثرون عدد الوجبات، نحن نأكل ثلاث مرَّات، وهم يأكلون خمس مرَّات، لكنَّهم لا يُكثرون الأكل، وهذا هو الترتيب الصِّحِّي، كُلْ قليلًا، وإذا جُعتَ فَكُلْ.

---

(١) ينظر موقع الشيخ ابن باز عليه رحمة الله: -٨٥%٩D%٨٣%٩AD%D%٨/%D٢٢١٤https://binbaz.org.sa/fatwas/
A-٨%٩D%١B%٨D%٨٤%٩D%٧A%٨D%٨٨%٩-%D٩B%٨D%٨A%٨D%٤B%٨D%٨٤%٩D%٧A%٨%D
-٨٥%٩D%٧A%٨D%٩B%٨D%٧B%٨D%٨٤%٩D%٧A%٨-%D٨٦%٩D%٨٥%٩%D
٨A%٨D%٧A%٨D%١B%٨D%٤B%٨D%٨٤%٩D%٧A%٨D%٨٨%٩%D

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٦) برقم (٦٤٥٢) كتاب الرقاق باب: كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتخليهم من الدنيا.

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٢٧٣). بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه (٤/ ١٣٥) برقم (٧١٤٠). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٠٢).

وقد ذكر الأطباء المتخصِّصون أنَّ الإسراف في الطعام هو السبب الحقيقي لمرض السِّمْنة، التي تُؤدِّي إلى تصلُّب الشرايين، وأمراض القلب، وتشحُّم الكبد، وتكوُّن حصوات المرارة، وتُسبِّب مرض السكر، ودوالي القدمين، والجلطة القلبية، والروماتيزم المفصلي الغضروفي بالركبتين، وارتفاع ضغط الدم، والأمراض النفسيَّة، والآثار الاجتماعية التي يُعاني منها البعض.

الخلاصة أنَّ الإسراف والتبذير مذمومانِ؛ وخاصَّة في الطعام والشراب، ونرى ذلك واضحًا في الولائم، وكمْ رأينا بواقي ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب تُلقى في القمامة، بينما هناك الملايين يموتون جوعًا، أو هناك مَن لا يجد ما يسدُّ به رمقه، أو يُقيم به صلبه، وصدق القائل:

دَبِّرِ الْعَيْشَ بِالْقَلِيلِ لِيَبْقَى فَبَقَاءُ الْقَلِيلِ بِالتَّدْبِيرِ
لا تُبَذِّرْ وَإِنْ مَلَكْتَ كَثِيرًا فَزَوَالُ الْكَثِيرِ بِالتَّبْذِيرِ[١]

---

(١) ينظر: https://www.alriyadh.com/١١٢٣٣٣٨.

١٠ ذي القعدة

قصَّة الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة

عن أبي عَبْد الرَّحْمَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ- رضيَ اللهُ عنهما- قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمبيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجْبلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا الله تعالى بصالح أَعْمَالكُمْ. قَالَ رجلٌ مِنهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لَا أَغبِقُ قبْلهَما أَهْلًا وَلا مالًا، فنأَى بِي طَلَبُ الشَّجرِ يَوْمًا فلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلبْتُ لَهُمَا غبُوقَهمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقظَهما وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمي، فَاسْتَيْقظَا فَشَربَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ.

قَالَ الآخَر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانتْ لِيَ ابْنَةُ عمٍّ كانتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشد مَا يُحبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسهَا فَامْتَنَعتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ففَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، وفي رواية: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتركْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعلتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

وقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجرَاءَ، وَأَعْطَيْتُهمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَركَ الَّذي له وَذَهبَ، فثمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كثرتْ منه الأموال فجاءنِي بَعدَ حِينٍ، فَقالَ: يَا عبدَ اللهِ؛ أَدِّ إِلَيَّ أَجْري، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى منْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَم وَالرَّقِيق، فقالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ، لا تَسْتهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنه شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فخرَجُوا يَمْشُونَ" متفقٌ عليه[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٩١) برقم (٢٢٧٢) كتاب الإجارة باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٩) برقم (٢٧٤٣) كتاب الرقاق باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال.



قال الإمام ابن باز- رحمه الله- بعد ذكره هذا الحديث: خرجوا بعد هذا التوسُّل وهذا الإخلاص، بعدما توسَّلوا إلى الله بهذه الأعمال الخالصة لله، هذا يدلُّ على أنَّ الأعمال إذا كانت لله؛ تكون سببًا لتفريج الكروب في الدنيا والآخرة، الأعمال الصالحة من أسباب تفريج الكروب في الدنيا، ومن أسباب تفريج الكروب في الآخرة يوم القيامة، فعلى العبد أن يجتهد في إصلاح النِّيَّة وإخلاص أعماله لله؛ من صوم وصدقة، وعطاء ومِنَّة، وحجٍّ وعمرة، وغير ذلك يكون لله، تكون أعماله يبتغي بها وجه الله، لا رياء ولا سمعة، وله البشرى من الله أنَّ الله يعطيه الأجر العظيم في الدنيا والآخرة(١).

وفي الحديث جواز أن يتوسَّل العبد إلى الله سبحانه وتعالى بالإيمان به وبوحيه، والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم واتِّباعه، كما قال تعالى عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(٢)، وقال أيضًا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾(٣)، وقولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(٤).

فظهر لنا من قصَّة الرجل الأوَّل فضْل البرِّ والإحسان للوالدين وعظيم حقِّهما، فإنَّ حقَّهما بعد حقِّ الله تعالى، كما أمر الله حيث يقول جلَّ شأنه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾(٥). فمن كان بارًّا بهما أكرمه الله في دنياه بالخيرات والبركات في ماله وعمره، فضْلًا عن إكرام الله له في الآخرة.

أمَّا الرجل الثاني فقد انصرف عن المرأة وهي أحبُّ الناس إليه؛ تعظيمًا لله سبحانه، وإجلالًا له، وخوفًا وخشية منه، وهذا فيه قوة وازعه وخوفه وتعظيمه، وهذا أمر عظيم لا يقدر عليه إلَّا من عظُم صدقُه وإخلاصه وتقواه، ونستفيد منه أنَّ الإخلاص لله وخوفه والصدق معه، من أعظم أسباب النجاة من فتنة الشهوات؛ قال الله تعالى عن يوسف- عليه السلام- بعد أن ذكَر الفتنة العظيمة التي حصلت له: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٦)، في

---

(١) من تعليق الشيخ عليه رحمة الله على كتاب رياض الصاحين. ينظر الموقع الرسمي للشيخ عليه رحمة الله: 06من حديث (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه(binbaz.org.sa) ..)

(٢) آل عمران: ٥٣.

(٣) آل عمران: ١٩٣.

(٤) المؤمنون: ١٠٩.

(٥) الإسراء: ٢٣.

(٦) يوسف: ٢٤.

قراءة بكسر اللام فتكون بمعني المخلِصين بطاعتهم وعبادتهم، وفي قراءة أخرى بالفتح أي: المخلَصين المختارين للنبوة والرسالة.

ومن إكرام الله لمن كان كذلك أن جعله من السبعة الذين يُظلُّهم الله بظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" سبعة يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه: منهم: ورجل طلبتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقال: إِنِّي أخاف الله،... إلخ" متفق عليه[١].

أمَّا الرجل الثالث فقد ضرب مثلًا عظيمًا في الوفاء والإحسان، والأمانة والسماحة، وعدم إنكار الحقوق، فلم يُفتَن بالمال وحُبِّه، لعظيم إخلاصه وخشيته لله جلَّ وعلا. فأين هؤلاء الذين يأخذون حقَّهم من الناس ويستوفون، ولا يُعطون الناس حقوقهم كاملة، فلْيتقوا الله، ولْيحذروا، ولْيعلموا أنَّ مَنِ استأجرَ أجيرًا ولم يُوفِّه أجره؛ فإنَّ الله سبحانه سيكون خصمه يوم القيامة، فلن يكون خصمك هذا العامل المسكين الضعيف فحسب، بل سيكون خصمُك ربَّ العالمين، فقد جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجلٌ أعطى بي ثمَّ غدر، ورجلٌ باع حُرًّا فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيرًا فاستوفَّ منه ولم يُعطه أجره"[٢].

والسؤال الذي نطرحه أَيُّها الفضلاء: لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنَّا اليوم نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ وَلَيْسَ حَوْلَهُ من يَسْتَنْجِدُ بِهِ، هَلْ لَدَيْنَا عَمَلٌ صَالِحٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ تعالى يُمكنُ أَنْ نَتَوَسَّلَ بِهِ لِكَيْ نَنْجُوَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ؟ هَلْ لَنَا أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ خَفِيَّةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ؟ هَلْ لِأَحَدِنَا خَبِيئَةٌ قَدْ خَبَّأَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ؟ هَلْ دَمْعَةٌ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ سَقَطَتْ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ؟ أَوْ رَكَعَاتٌ فِي السَّحَرِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ؟ أَوْ صَدَقَةٌ خَفِيَّةٌ لِأَيْتَامٍ أَوْ فُقَرَاءَ مُنْذُ سَنَوَاتٍ لَا يَدْرِي بِهَا أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ؟

لقد ضرب هؤلاء أروع الأمثلة في مواجهة الفتن والشهوات، التي طُبعَ حبُّها في الإنسان، فخافوا مقام ربِّهم، وغلَّبوا أهواءهم أمام الفتنة، فقد ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾[٣]. وقد بيَّن الله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٩٠) برقم (٢٢٧٠) كتاب الإجارة باب إثم من منع أجر الأجير.

(٣) آل عمران: ١٤.

أنَّ مَن كان كذلك؛ فإنَّ جنته هي المأوى لهم ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[١].

وختامًا؛ فقد وردتْ بعض الأعمال التي تجعل صاحبها في ظلِّ الرحمن سبحانه يوم القيامة يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، وقد نظمها بعضُهم في بيتين:-

وَقَالَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى: إِنَّ سَبْعَةً ... يُظِلُّهُمُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِظِلِّهِ
مُحِــبٌّ عَفِيــفٌ نَاشِئٌ مُتَصَــدِّقٌ ... وَبَاكٍ مُصَلٍّ وَالْإِمَامُ بِعَدْلِهِ[٢]

(١) النازعات: ٤٠،٤١.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٤٣). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

١١ ذي القعدة

آداب المساجد (في الشخص نفسه وكذا أدبه داخل بيوت الله)

المساجد بيوت الله، ورياض الجنَّة في الأرض، وأحبُّ البقاع إلى الله، وبها تتعلَّق القلوب، ولها آدابٌ؛ على المسلم أن يتحلَّى بها في نفسه، وداخل بيوت الله.

فمن آداب المساجد في الشخص نفسه:

١- استحباب لبْس الثياب الحسنة والتطيُّب واستعمال السِّواك عند الذهاب إلى المسجد، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[١].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ" رواه البخاري ومسلم[٢].

٢- النهي عن حضور المساجد لمن أكل الثوم أو البصل ونحوهما، عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ" رواه البخاري ومسلم[٣].

٣- يُستحَبُّ المشي إلى المساجد؛ لما رواه الإمام مسلم من حديث أُبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:" إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ"[٤].

وعن أُبي بن كعب- رضي الله عنه- قال: كان رجلٌ لا أعلم رجلًا أبعد من المسجد منه، وكان لا تُخطئه الصلاة، فقيل له: لو اشتريتَ حمارًا تركبُه في الظلماء وفي الرمضاء؟ قال: ما يسرُّني أنَّ منزلي إلى جنب المسجد، إنِّي أريد أن يُكتَب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" قد جَمَعَ اللهُ لك ذلك كلَّه" رواه مسلم[٥].

---

(١) الأعراف: ٣١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٤) برقم (٨٨٧) كتاب الجمعة باب السواك يوم الجمعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٠) برقم (٢٥٢) كتاب الطهارة باب السواك.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٧٠) برقم (٨٥٥) كتاب الأذان باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٩٥) برقم (٥٦٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٩) برقم (٢٥١) كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٠) برقم (٦٦٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد.

٤- يُستحَبُّ التبكير إلى المساجد لما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ"(١).

٥- المشي إلى الصلاة بخشوع وسكينة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"(٢).

٦- الدخول بالقدم اليمنى والخروج بالقدم اليسرى وهو يقول الأدعية الواردة في ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ لْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ" رواه مسلم(٣).

٧- عدم اتِّخاذها قبورًا؛ لأنَّ المساجد بُنيتْ لعبادة الله تعالى وتوحيده، فينبغي أن تُصان عن كلِّ مظهرٍ يتنافى مع التوحيد؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾(٤)، وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ:" لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" رواه البخاري ومسلم(٥).

ومن آداب المسلم داخل المسجد:

١- يُستحَبُّ الإكثار في المسجد من ذكْر الله تعالى، بالتسبيح والتهليل، والتحميد والتكبير وغيرها من الأذكار، وكذلك قراءة القرآن، وقراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلْم الفقه،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٥) كتاب الأذان باب الاستهام في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٥) برقم (٤٣٧) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٩) برقم (٦٣٥) كتاب الأذان باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٢٠) برقم (٦٠٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيا.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٤) برقم (٧١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما يقول إذا دخل المسجد، دون قوله "فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم" فقد رواها الدارمي في سننه (٢/ ٨٧٦) برقم (١٤٣٤). مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

(٤) الجن: ١٨.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٥) برقم (٤٣٥) كتاب الصلاة باب الصلاة في البيعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٦) برقم (٥٢٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد، على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد.



وسائر العلوم الشرعية، قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾[١].

قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إِنَّمَا بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ"[٢]، وفي رواية أخرى:" إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ"[٣] رواهما مسلم.

٢- إذا دخل المسجد يُصلِّي ركعتين تحية المسجد؛ لما روى البخاري ومسلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ"[٤].

٣- النهي عن البيع والشراء، وإنشاد الضالة في المسجد، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ، أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ؛ فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ" رواه الترمذي[٥].

وروى مسلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّهاَ اللَّه عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا"[٦].

ويلحق بذلك سؤال الناس أموالهم في المساجد بحجَّة الفقر والحاجة.

٤- ويجتنب اللغو واللغط، والخوض في أعراض الناس، وكثرة الحديث في أمور الدنيا، ويحذر من الكلام الباطل، أو الكلام الذي لا فائدة فيه، فلا مكان في المسجد للغيبة والنميمة والكذب ونحوها، وإذا كانت هذه الأشياء مُحرَّمة خارج المسجد؛ فهي في المسجد أشدُّ تحريمًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: وأمَّا الكلام الذي يُحبُّه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في

---

(١) النور: ٣٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٩٧) برقم (٥٦٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٦) برقم (٢٨٥) كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٧) برقم (بدون) كتاب التهجد باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٩٥) برقم (٧١٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحية المسجد بركعتين، وكراهة الجلوس قبل صلاتهما، وأنها مشروعة في جميع الأوقات.

(٥) رواه الترمذي في سننه (٣/ ٦٠٢) برقم (١٣٢١) أبواب البيوع باب النهي عن البيع في المسجد. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٧٧) برقم (٩٩٣٣) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول لمن يبيع أو يبتاع في المسجد. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ١٣٤).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٩٧) برقم (٥٦٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد.

المسجد فَحَسَنٌ، وأمَّا المحرَّم فهو في المسجد أشدُّ تحريمًا، وكذلك المكروه يكون في المسجد أشدَّ كراهية، ويُكرَه فيه فضول المباح[١].

وقد ورد عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّه قال في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾[٢]؛ قال: نهى سبحانه عن اللغو فيها[٣].

٥- النهي عن الخروج من المسجد بعد الأذان إلَّا لضرورة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الشعثاء قال: كنا قعودًا في المسجد مع أبي هريرة- رضي الله عنه- فأذَّن المؤذِّن فقام رجلٌ من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بَصَرَهُ حتَّى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أمَّا ذا فقد عصى أبا القاسم[٤].

ولعلَّ سبب النهي عن الخروج من المسجد بعد الأذان ألَّا يتشبَّه المسلم بالشيطان؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا نُودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتَّى لا يسمع صوت التأذين" رواه البخاري[٥].

٦- عدم رفْع الصوت في المسجد ولو بقراءة القرآن، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" لا يجهر بعضُكم على بعض بالقرآن" رواه أحمد[٦].

وعن السائب بن يزيد قال: كنتُ قائمًا في المسجد فحصبني رجلٌ، فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، فقال: اذهب فأتني بهذين- وأشار إلى رجلين يتحدَّثان-، فجئتُه بهما فقال: مَن أنتما؟ أو مِن أين أنتما؟ قالا: مِن أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتُكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه البخاري[٧].

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٨٤). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٢) النور: ٣٦.

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٦٢). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٣) برقم (٦٥٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦٠٨) كتاب الأذان باب فضل التأذين.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ٣٦٣) برقم (١٩٠٢٢). والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٣٨٧) برقم (٣٣٥٠) كتاب الاعتكاف هل يعظ المعتكف، وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٢٧١).

(٧) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٠١) برقم (٤٧٠) كتاب الصلاة باب رفع الصوت في المساجد.

٧- الحرص على نظافة المساجد وصيانتها من النجاسات والأوساخ، فيكون المسجد على أكمل صورة في النظافة؛ تعظيمًا لشأنه، فعن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ. رواه أبو داود[١].

ولذا قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي بال في المسجد:" إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ" رواه مسلم[٢].

والخلاصة أنَّ على المسلم أن يحترم بيوت الله، ويتأدّب أثناء زيارتها وأثناء جلوسه فيها.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (١/ ١٢٤) برقم (٤٥٥) كتاب الصلاةباب اتخاذ المساجد في الدور. وترمذي في سننه (٢/ ٤٨٩) برقم (٥٩٤) أبواب السفر باب ما ذكر في تطييب المساجد. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٣١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٦) برقم (٢٨٥) كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها.



١٢ ذي القعدة

يُبعَث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه

عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ" رواه مسلم[١].

فيُبعَث العبد من قبره على ما مات عليه من العمل؛ من إيمان وصلاح، أو نفاق وفساد، والمقصود بالحديث أنَّ الناس يوم القيامة يجنون ما قدَّموه، لا سيَّما ما يكون في آخر أعمارهم؛ إذ إنَّ الأعمال بالخواتيم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيم" رواه البخاري[٢]، فمن كانت خاتمتُه إيمانًا وطاعة وإحسانًا وبرًّا؛ كانت آخرته وكان مبعثه على نحو ما كان في مُقدِّمة عمله من إحسان، وقد قال الله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[٣]. فالعبرة بما تُكِنُّه الصدور والضمائر، لا الصور والأشكال.

وإن كان على غير ذلك من فساد أو شرٍّ أو معصية؛ كان مبعثه على نحو ما مات عليه، وليس الشأن فيما يكون من الصور والمظاهر، بل الشأن كل الشأن فيما حوته الصدور؛ ولذلك أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن قومٍ ينزل بهم عذابٌ إلَّا أنَّهم يُبعَثون على نيَّاتهم، وهذا خبرٌ عامٌّ أنَّه إذا نزل العذاب بقومٍ وفيهم من لا يستحقُّ العذاب لصلاحه، أو لوجود مانع فإنَّ نزول العذاب بالقوم أو بالجماعة لا يتطرَّق إلى هذا؛ لأنَّه على نيَّة مختلفة.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن جيشٍ يغزو الكعبة يُخسَف بأوَّلهم وآخرهم، قالت عائشة- رضي الله عنه-: وفيهم سوقتهم يا رسول الله؟ ومن ليس منهم، (يعني مَن جاء يبيع ويشتري يقصد التجارة، أو ما له غرضٌ في هذا المجيء إمَّا إكراه أو غير ذلك) قال:" يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ" متفق عليه[٤]، يُبعَثون على نيَّاتهم يعني ما في قلوبهم، فقوله صلى الله عليه وسلم:" يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ" يعني في قلبه من إيمان وصلاح واستقامة، أو عكس ذلك من نفاق وفساد ومعصية.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٠٦) برقم (٢٨٧٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢٤) برقم (٦٦٠٧) كتاب القدر باب العمل بالخواتيم.

(٣) الرحمن: ٦٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٦٥) برقم (٢١١٨) كتاب البيوع باب ما ذكر في الأسواق. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢١٠) برقم (٢٨٨٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت.

والإنسان يموت على واحدٍ من هذه الأحوال:

١- إمَّا أن يموت على عملٍ صالحٍ؛ كأن يموت مُصلِّيًا، أو مُحرِمًا، أو مُجاهِدًا.

٢- أو يموت على معصيةٍ؛ كمَن يموت زانيًا، أو سارقًا، أو مُغتابًا.

٣- أو يموت على عمل مُباحٍ؛ كالذي يموت وهو يأكل أو يشرب، أو في عمله، أو في طريقه لجهة من الجهات المباحة.

وقوله صلى الله عليه وسلم:" يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ"؛ يحتمل أنه يُبعَث على الصورة التي مات عليها من عملٍ صالحٍ، أو عملٍ سيءٍ، أمَّا المباح فلا إثابة فيه، ولا معاقبة عليه.

وقد جاء في الحديث في خبر الذي وقصته راحلته، أي سقط من الراحلة وكان مُحرِمًا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا" رواه البخاري ومسلم(١)، أي يُبعَث على العمل الذي مات عليه.

وكذلك الشهيد فإنَّه يُبعَث يوم القيامة ودمه يثعب، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، وهذا قد مات على عملٍ صالحٍ. عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ-؛ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ " متفق عليه(٢).

وكذلك جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ مَن جاهد في سبيل الله فقُتِل صابرًا مُحتَسِبًا بُعِثَ يوم القيامة صابرًا مُحتَسِبًا، ومَن قاتَلَ رياءً ومُكابرة بُعِثَ يوم القيامة مُرائيًا مُكابِرًا. رواه أبو داود(٣)، وهذا يدلُّ على أنَّه يُبعَث على صورة عمله، فإن مات مُصلِّيًا بُعِثَ يوم القيامة مُصلِّيًا.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧٦) برقم (١٢٦٧) كتاب الجنائز باب كيف يكفن المحرم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٦٥) برقم (١٢٠٦) كتاب الحج باب ما يفعل بالمحرم إذا مات.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨) برقم (٢٨٠٣) كتاب الجهاد والسير باب من يجرح في سبيل الله عز وجل. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٩٦) برقم (١٨٧٦) كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

(٣) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٤) برقم (٢٥١٩) كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ولفظه: عن عبد الله بن عمرو، قال: قال عبد الله بن عمرو: يا رسول الله، أخبرني عن الجهاد والغزو؟ فقال: «يا عبد الله بن عمرو، إن قاتلت صابرا محتسبا، بعثك الله صابرا محتسبا، وإن قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا، يا عبد الله بن عمرو، على أي حال قاتلت، أو قتلت بعثك الله على تلك الحال». والحديث ضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١١٢٩).



وقد أخبر الله تعالى أنَّ البعث يكون على وفق العمل في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[1] ، وقال أيضًا فيمن تولَّى عن ذكره: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾[2] ، فنسيتَها يعني: عميتَ عنها، وكذلك اليوم.

والغالَّ من الغنيمة يأتي يوم القيامة بما غلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[3]. قال الإمام القرطبي- رحمه الله-: ﴿ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: يأتي به حاملًا له على ظهره ورقبته، مُعذَّبًا بحمله وثقله، ومرعوبًا بصوته، ومُوبَّخًا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد[4].

ومن الغلول غلول الحكام والموظَّفين والعمال والولاة من الأموال العامَّة. ويقول الصحابي الجليل أبو هريرة- رضي الله عنه-: قَامَ فِينَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ الغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وعَظَّمَ أمْرَهُ، قَالَ:" لَا أُلْفِيَنَّ أحَدَكُمْ يَومَ القِيَامَةِ علَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، علَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ له حَمْحَمَةٌ، يقولُ: يَا رَسولَ اللَّهِ؛ أغِثْنِي، فأقُولُ: لَا أمْلِكُ لكَ شيئًا، قدْ أبْلَغْتُكَ، أو علَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ له رُغَاءٌ، يقولُ: يَا رَسولَ اللَّهِ؛ أغِثْنِي، فأقُولُ: لَا أمْلِكُ لكَ شيئًا قدْ أبْلَغْتُكَ، أو علَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فيَقولُ: يَا رَسولَ اللَّهِ؛ أغِثْنِي، فأقُولُ: لَا أمْلِكُ لكَ شيئًا قدْ أبْلَغْتُكَ، أوْ علَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فيَقولُ: يَا رَسولَ اللَّهِ؛ أغِثْنِي، فأقُولُ: لَا أمْلِكُ لكَ شيئًا، قدْ أبْلَغْتُكَ" رواه البخاري ومسلم[5].

كذلك آكِلُ الرِّبا يُبعَث يوم القيامة على حالٍ مُعيَّنة استحقَّها؛ لأكْلِه الرِّبا، فإنَّه يُبعَث يوم القيامة كالمجنون الذي أصابه المسُّ؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾[6].

---

(١) الإسراء: ٧٢.

(٢) طه: ١٢٥، ١٢٦.

(٣) آل عمران: ١٦١.

(٤) تفسير القرطبي (٤/ ٢٥٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٧٤) برقم (٣٠٧٣) كتاب الجهاد والسير باب الغلول. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٦١) برقم (١٨٣١) كتاب الإمارة باب غلظ تحريم الغلول.

(٦) البقرة: ٢٧٥.



قال الإمام ابن كثير- رحمه الله-: أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلَّا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبُّط الشيطان له، وذلك أنَّه يقوم قيامًا مُنكَرًا، وقال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: آكِلُ الرِّبا يُبعَث يوم القيامة مجنونًا يُخنَق[١].

الخلاصة: يقول العلَّامة ابنُ القيِّم- رحمه الله-: الرجل يموت على ما عاش عليه، ويُبْعَثُ على ما مات عليه[٢].

فعلى الإنسانِ أنْ يَجتَهِدَ في فِعْلِ الأعْمالِ الصَّالِحةِ؛ لأجْلِ أنْ يَبعَثَه اللهُ عزَّ وجلَّ على عَمَلٍ صالِحٍ، وعليه أنْ يَتَمسَّكَ بالإسلامِ في حَياتِه لِيَموتَ عليه، كما قال تَعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣]، أي: اتَّقوا اللهَ بفِعْلِ أوامِرِه واجتنابِ نَواهيهِ، وحافِظوا على الإسلامِ في حالِ صِحَّتِكم وسَلامَتِكم لِتَموتوا عليه؛ فإنَّ الكَريمَ قدْ أجْرى سُنَّتَه بكَرَمِه أنَّه مَن عاشَ على شَيءٍ ماتَ عليه، ومَن ماتَ على شَيءٍ بُعِثَ عليه، فمَن مات على الصَّلاةِ بُعِثَ على الصَّلاةِ، ومَن مات على الحجِّ بُعِثَ على الحجِّ، ومَن مات على الجِهادِ بُعِثَ على الجِهادِ، ومَن مات على الفِسقِ والفُجورِ والعِصيانِ بُعِثَ عليها، وهَذا عامٌّ في كلِّ صورةٍ ومعنًى؛ فعَلَى كلِّ إنسانٍ أنْ يَحرِصَ على أنْ يَموتَ على خَيرِ الأحوالِ، وفي هذا حثٌّ على دَوامِ عَملِ الصَّالحاتِ والخيراتِ؛ فإنَّه لا يَدْري أحدٌ متَى يموتُ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٤٤) برقم (٢٨٨٦). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

(٢) لم أقف عليه عن ابن القيم رحمه الله، لكن ذكر الذهبي كما في كتابه الكبائر (ص: ٩١). الكبائر، المؤلف: تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة — بيروت.

(٣) آل عمران: ١٠٢.



١٣ ذي القعدة

لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي ذرٍّ- رضي الله عنه- قال: قال لي النبي- صلى الله عليه وسلم: لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق[١].

وفي رواية عند أحمد من حديث أبي جري الهجيمي- رضي الله عنه- قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ: يا رسول الله؛ إنَّا قومٌ من أهل البادية؛ فعلِّمْنا شيئًا ينفعُنا الله تبارك وتعالى به، قال: لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تُفرِغ من دلوك في إناء المستسقِي، ولو أن تُكلِّم أخاك ووجهك إليه منبسط، وإيَّاك وتسبيلَ الإزار؛ فإنَّه من الخيلاء، والخيلاء لا يُحِبُّها الله عزَّ وجلَّ، وإنِ امرؤ سبَّك بما يعلم فيك؛ فلا تسبَّه بما تعلم فيه، فإنَّ أجره لك، ووباله على مَن قال[٢].

يُبيِّنُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ المسلِمَ لا يَجِبُ عَليهِ أنْ يَحقِرَ، أي: يُقلِّلَ منَ المعروفِ، أي: مِن فِعلِ الخيرِ؛ شيئًا ولَو أنْ يَلقَى أَخاهُ المسلمَ بوَجهٍ "طَلْقٍ"، أي: ضاحكٍ مُستبشِرٍ، وليسَ بوَجهٍ عَبوسٍ مُكفهِرٍّ.

ينهى الرسولُ صلى الله عليه وسلم المسلمَ عن التقليل من شأن المعروف، أيًّا كان مقداره؛ فإنَّ الله تعالى يُحِبُّ المعروف كلَّه قليله وكثيره؛ فلذلك ينبغي للمسلم أن يحرص على فعْل المعروف بجميع أنواعه ولا يحتقر منه شيئًا، فلربما كانت نجاته في عملٍ يسيرٍ؛ فعن عدي بن حاتم- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيِّبة" متفق عليه[٣].

والمعروف: هو ما عُرِف بالشرع أنَّه من الخير؛ فيدخل في عموم هذا الحديث ما لا يُحصَى من الأعمال الصالحة التي ينبغي على المسلم أن يحرص على فعْلها بنفسه، أو الإعانة على فعْلها بنفسه أو بماله، أو برأيه، أو بولده أو بخادمه، أو بغير ذلك من الوسائل؛ إذ كل ذلك من المعروف الذي يشمله هذا الحديث.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٥/ ٣٠٩) برقم (١٥٩٥٥). وأبو داود في سننه (٤/ ٥٦) برقم (٤٠٨٤) كتاب اللباس باب ما جاء في إسبال الإزار. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٩٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١) برقم (٦٠٢٣) كتاب الأدب باب طيب الكلام. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٤) برقم (١٠١٦) كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار.



والعمل اليسير من المعروف قد يكون كبيرًا عند الله عزَّ وجلَّ، وذلك بحسب ما قام بالعمل أو العامل من الأحوال، فلربَّما عظُم العمل بسبب النِّيَّة الصالحة؛ كما قال عبد الله بن المبارك- رحمه الله: رُبَّ عملٍ صغيرٍ تُعظِّمه النِّيَّة، ورُبَّ عملٍ كبيرٍ تُصغِّره النِّيَّة(١)، أو لأنَّ ذلك غاية ما يستطيعه العامل، أو لأنَّه آثر به مع حاجته، ولربَّما كان سبب التعظيم ما قارنه من شدَّة حال العمل، كما لو كان العمل مُتعلِّقًا بشدَّة حاجة الشخص، أو كان زمن أو موضع حاجة، أو بسبب قرابة مُحتاج ونحو ذلك؛ فإنَّ العمل في مثل هذه الأحوال يتضاعف ويعظم أجره عند الله عزَّ وجلَّ؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾(٢).

وعن أنس- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" إن قامتِ الساعةُ وفي يد أحدكم فسيلة؛ فإن استطاع ألَّا تَقومَ حتَّى يَغرِسَها؛ فليَغرِسْها" رواه أحمد(٣).

وعَنْ أَبِي ذَرَ- رضي الله عنه- أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالُوا لِلنَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ:" أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهِ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ" رواه مسلم(٤).

وفي الحديث دلالة على أنَّ مفهوم الصدقة مفهوم واسع لا يقتصر على الأموال فقط، وإنَّما كل معروف صدقة، فقد تكون الصدقة بالأقوال كالتسبيح والتكبير والتحميد والتهليل، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تكون بالأفعال كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (فإنَّ مِنَ المنكر ما يتغيَّر باليد)، وإماطة الأذى، وإعانة الرجل في حمل متاعه، والخُطا إلى الصلوات كلُّها صدقات، وقد تكون الصدقة بالنِّيَّات، ومن ذلك احتساب المباحات؛ كالجماع وما فيه من إعفافٍ للزوجين،

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٧١).

(٢) البلد: ١١-١٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ٢٥١) برقم (١٢٩٠٢). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٣٨).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٩٧) برقم (١٠٠٦) كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.



وهذه الأنواع الثلاثة من الصدقة جاءت في حديث الباب، وما أعظم فضل الله عزَّ و جلَّ علينا، فكلُّ معروفٍ صدقةٌ.

فبالعمل اليَسِير بُشِّر بلالُ بن رباح بالجنَّة؛ قال صلى الله عليه وسلم:" يا بلال؛ حدِّثني بأرجَى عملٍ عملته في الإسلام؛ فإنِّي سمعتُ دَفَّ نعلَيْكَ بين يديَّ في الجنَّة، قال بلال: ما عمِلتُ عمَلًا أرجَى عندي منفعةً من أنِّي لا أتطهَّر طُهورًا في ساعةٍ مِنْ ليلٍ أو نهارٍ؛ إلَّا صلَّيتُ بذلك الطُّهور ما كتَب الله لي أنْ أصلِّي" رواه البخاري[١].

وعن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" بينَما رجلٌ يمشِي بطريقٍ وجَد غُصنَ شوكٍ على الطريق فأخَّره، فشَكَر اللهُ له فغُفِرَ له" متفق عليه[٢]. وروى أيضًا أبو هريرة– رضي الله عنه– عن حبيبنا صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" بينما كلبٌ يطيف بركِيَّة قد كاد يقتُلُه العطَش، إذ رأَتْه بغيٌّ من بَغايا بني إسرائيل، فنزَعَتْ مُوقَها (أي: خُفَّهَا) فاستَقَتْ له به، فسقَتْه إيَّاه، فغُفِر لها به" متفق عليه[٣].

وهذا رجلٌ من الأُمَم السابقة نبَّأنا خبرَه نبيُّنا صلى الله عليه وسلم فقال:" تلقَّت الملائكةُ رُوحَ رجلٍ ممَّن كان قبلَكم، فقالوا: أعمِلتَ من الخير شيئًا؟ قال: لا، قالوا: تذكَّر، قال: كنتُ أُداينُ الناسَ فآمُرُ فِتياني أنْ يُنظِروا المعسِر، ويتجوَّزوا عن الموسِر، فقال الله عزَّ وجلَّ: تجوَّزوا عنه" متفق عليه[٤].

وبالعملِ الصّادِقِ اليسيرِ فازَت أمُّ مِحجَن– رضي اللهُ عنها– بصلاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ودعائِه لها، وهي المرأةُ السوداءُ البسيطَةُ المغمُورَةُ التي كانت تقُمُّ وتُنظِّف المسجد، لم يكن اسمُها ممَّا تَتَدَاوَله الألسُن، ولم يكن عمَلُها محطَّ أنظارِ النّاس، ولكنَّه عملٌ قد أهمَّ هذه المرأةَ حتَّى فرَّغت له وقتَها، واستَفرَغت لأجلِه طاقتها بكلِّ إخلاصٍ، حتَّى ودَّعتْ دُنياها، وفارَقتْ باللّيل، فبادَرُوا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٣) برقم (١١٤٩) كتاب التهجد باب فضل الطهور بالليل والنهار، وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩١٠) برقم (٢٤٥٨) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل بلال رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٢) برقم (٦٥٢) كتاب الأذان باب فضل التهجير إلى الظهر. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢١) برقم (١٩١٤) كتاب الإمارة باب بيان الشهداء.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٣) برقم (٣٤٦٧) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦١) برقم (٢٢٤٥) كتاب السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧) برقم (٢٠٧٧) كتاب البيوع باب من أنظر معسرًا. ومسلم في صحيحه (٣/ ١١٩٤) برقم (١٥٦٠) كتاب المساقاة باب فضل إنظار المعسر.



بتَجهِيزها، ثم الصلاةِ عليها ودفنوها ليلًا؛ دون أن يُخبِروا المصطَفَى صلى الله عليه وسلم. ثم مضَتْ أيَّام وأيَّام، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى هذه المرأة، فسأل عنها اهتِمامًا بها، وإكبارًا لشأنها، فأُخبِر بوَفاتها، فقال: أفلا كنتُم آذَنتُموني، فكأنَّ الناس صغَّروا أمرَها، فقال صلى الله عليه وسلم: دُلُّوني على قَبرِها، فدلُّوه، فوقَف على قبرِها، وصلَّى عليها، ودعا لها وقال:" إنَّ هذه القُبُورَ مملوءَةٌ ظلمَةً على أهلِها، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ يُنوِّرُها بصَلاتِي عليهم" رواه مسلم[(١)].

والخلاصة: لا تستَصغرْ ثوابَ الشَّفاعةِ الحسنة، ولا قَضاء حوائجِ النّاسِ البسيطة، ولا مُواسَاة مكلوم، أو تعزية مُصاب، أو تشييع جنازة، أو عِيادة المرضَى، أو إنظار المعسِرين، فما يُدريكَ؟ لعلَّ مع ذلكَ العملِ سعادَتُك ونجاتُك في دُنياكَ وأُخراك.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٩) برقم (٤٥٨) كتاب الصلاة باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٥٩) برقم (٩٥٦) كتاب الجنائز باب الصلاة على القبر.



١٤ ذي القعدة
وغرَّتْكمُ الحياةُ الدنيا

كثيرٌ من الناس اليوم شغلتْهم الدنيا عن الآخرة، فمنهم مَن اشتغل بجمْع الأموال وتنميتها وضيَّع ما أوجب الله عليه من الصلوات والعبادات، ومنهم مَن اشتغل بالتمتُّع بها وإعطائه نفسَه ما تشتهي من ملاذها وشهواتها، فأترف فيها ونسي الآخرة وصار يكره ذكرها ويستثقل الحديث عنها، وهؤلاء يعتبرون التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة من باب التغفيل؛ لتمكُّن الدنيا من قلوبهم وغفلتهم عن الآخرة، فاتقوا الله– عبادَ الله– واستعدُّوا للقاء الله. ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

والآيات الواردة في القرآن الكريم في التحذير من الاغترار بالدنيا وبيان سرعة زوالها وضرب الأمثال لها كثيرة، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن مصير مَن رضي بها وأرادها وحدها وأعرض عن الآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣].

وفي صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الدنيا سجنُ المؤمن وجنَّةُ الكافر" رواه مسلم[٤]، وفي حديث آخر:" لو كانت الدنيا تعدِلُ عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء" رواه الترمذي[٥].

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز– رحمهما الله– فقال: أما بعد؛ فإنَّ الدنيا دار ظعن وليست بدار مقام، وإنَّما أُنزِلَ إليها آدم عقوبة فاحذرْها يا أمير المؤمنين، فإنَّ الزاد منها تَرْكُها،

---

(١) العنكبوت: ٥–٦.

(٢) يونس: ٧–٨.

(٣) هود: ١٥–١٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٢) برقم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٥) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٦٠) برقم (٢٣٢٠) أبواب الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٧٦) برقم (٤١١٠) كتاب الزهد باب مثل الدنيا. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٢٩٩).



والغنى فيها فقرها، تُذلُّ مَن أعزَّها، وتُفقر مَن جمعها، كالسمِّ يأكله مَن لا يعرفه وهو حتفه، فاحذرْ هذه الدار الغرَّارة الخدَّاعة، وكن أسرَّ ما تكون فيها؛ أحذرَ ما تكون لها، سرورها مشوبٌ بالحزن، وصَفْوها مَشُوبٌ بالكدر، فلو كان الخالق لم يُخبِرْ عنها خبرًا، ولم يضربْ لها مثلًا، لكانت قد أيقظت النائم، ونبَّهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عزَّ وجلَّ عنها زاجر، وفيها واعظ، وقد عُرِضَتْ على نبيِّنا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها وخزائنها لا ينقصه عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها، وكره أن يُحبَّ ما أبغضه خالقه، أو يرفع ما وضعه مليكه، زواها الله عن الصالحين اختيارًا، وبسطها لأعدائه اغترارًا، أفيظنُّ المغرور بها، المقتدر عليها؛ أنه أُكْرِم بها؟! ونسي ما صنع الله بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم حين شدَّ على بطنه الحجر(١). والله ما أحد من الناس بُسِطَ له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مُكِرَ به؛ إلَّا كان قد نقص عقله وعجز رأيه.

إنَّ الاغترار بالدنيا والتنافُس عليها طريقٌ للهلاك، وسبيلٌ للخسران؛ فعن المسور بن مخرمة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، فقدم أبو عبيدة بمالٍ من البحرين، فسمعتِ الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمَّا صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف، فتعرَّضوا له، فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم، ثم قال: أظنُّكم سمعتم أنَّ أبا عبيدة قدم بشيءٍ من البحرين؟ قالوا: أجل يا رسول الله، قال:" أبشروا، وأمِّلوا ما يسرُّكم، فواللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكنِّي أخشى عليكم أن تُبْسَطَ الدنيا عليكم، كما بُسِطَتْ على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم" متفق عليه(٢).

وأصل التنافُس: التسابُق إلى الشيء أيُّهم يأخذه أوَّلًا، وكأنَّه كثُرَتِ الرغبة في الشيء، وهو أوَّل أبواب التحاسُد. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، أليس من أجل الدنيا وحطامها يقتتل الناس اليوم؟ أليس من أجلها تُقطع الأرحام، ويُعادي الأخُ أخاه، والابنُ أباه؟ أليس من أجلها نكذب ونُزوِّر ونُخادِع؟ فأي هلاك أعظم من هذا الهلاك؟

---

(١) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٢٢٧). عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٩٦) برقم (٣١٥٨) كتاب الجزية باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٣) برقم (٢٩٦١) كتاب الزهد والرقائق.



وعن مطرف عن أبيه قال: أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[١]، قال:" يقول ابن آدم: مالي، مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلَّا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدَّقتَ فأمضيتَ" رواه مسلم[٢]؛ أي: أنَّ ما تصدَّقت به هو الذي يبقى، وما سواه فيفنى ويزول؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[٣].

يقول العلَّامة ابن القيم- رحمه الله- في كتابه (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي): وأعظم الخلق غرورًا مَن اغترَّ بالدنيا وعاجلها، فآثرها على الآخرة، ورضي بها من الآخرة، حتَّى يقولَ بعض هؤلاء: الدنيا نقْدٌ، والآخرة نسيئة، والنقد أحسن من النسيئة. ويقول بعضهم: ذرة منقودة، ولا درة موعودة. ويقول آخر منهم: لذات الدنيا مُتيقَّنة، ولذات الآخرة مشكوكٌ فيها، ولا أدع اليقين بالشك. وهذا من أعظم تلبيس الشيطان وتسويله، والبهائم العجم أعقل من هؤلاء؛ فإنَّ البهيمة إذا خافت مضرَّة شيءٍ لم تُقدِم عليه ولو ضُرِبَتْ، وهؤلاء يقدم أحدهم على ما فيه عطبه، وهو بين مُصدِّقٌ ومُكذِّبٌ. فهذا الضرب إن آمن أحدهم بالله ورسوله ولقائه والجزاء؛ فهو مِن أعظم الناس حسرةً، لأنَّه أقدم على علم، وإن لم يؤمن بالله ورسوله فأبعد له.

وقول هذا القائل: النقد خيرٌ من النسيئة. جوابه أنَّه إذا تساوى النقد والنسيئة فالنقد خير، وإن تفاوتا وكانت النسيئة أكبر وأفضل فهي خير، فكيف والدنيا كلُّها مِن أوَّلها إلى آخرها كنفَسٍ واحدٍ من أنفاس الآخرة؟ كما في مسند أحمد والترمذي من حديث المستورد بن شدَّاد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الدنيا في الآخرة إلَّا كما يدخل أحدكم إصبعه في اليم؛ فلينظر بم يرجع؟

فإيثار هذا النقد على هذه النسيئة، من أعظم الغبن وأقبح الجهل، وإذا كان هذا نسبة الدنيا بمجموعها إلى الآخرة، فما مقدار عمر الإنسان بالنسبة إلى الآخرة، فأيُّهما أولى بالعاقل؟ إيثار العاجل في هذه المدَّة اليسيرة، وحرمان الخير الدائم في الآخرة، أم ترْك شيءٍ حقيرٍ صغيرٍ مُنقطعٍ عن قُرْبٍ، ليأخذ ما لا قيمة له ولا خطر له، ولا نهاية لعدده، ولا غاية لأمده؟

---

(١) التكاثر: ١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٣) برقم (٢٩٥٨) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) المزمل: ٢٠.



وأمَّا قول الآخر: لا أترك مُتيقَّنًا لمشكوكٍ فيه، فيُقال له: إمَّا أن تكون على شكٍّ من وعد الله ووعيده وصدْق رسله، أو تكون على يقين من ذلك، فإن كنتَ على اليقين فما تركتَ إلَّا ذرةَ عاجلةَ مُنقطعةَ فانيةَ عن قربٍ، لأنَّه مُتيقَّنٌ لا شكَّ فيه ولا انقطاع له(١).

هِيَ الدُّنيا تقولُ بملْءِ فيها   حذارِ حذارِ مِن بطشي وفتكي
فلا يغرركمــــو مِنِّي ابتســـامٌ   فقولي مُضْحِكٌ والفعلُ مُبكي(٢)

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ٣٦). الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م

(٢) ينظر: اللطائف والظرائف (ص: ١٨). اللطائف والظرائف، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار المناهل، بيروت.

١٥ ذي القعدة

قصة قارون (والدروس المستفادة منها)

قصَّ الله علينا في كتابه الكريم العديد من القصص القرآني، منها قصَّة قارون المذكورة في سورة القصص، حيث قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١].

قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: كان قارون ابن عمِّ موسى، وهو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث. قال قتادة: وكان يُسمَّى المنوَّر، لحُسْن صوته بالتوراة. ولكنَّ عدوَّ الله نافَقَ كما نافَقَ السامري، فأهلكه البغي لكثرة ماله[٢].

وقال شهر بن حوشب: زاد في ثيابه شبرًا طولًا ترفُّعًا على قومه، وقد ذَكَرَ الله تعالى كثرة كنوزه، حتَّى أنَّ مفاتيحه كان يثقُلُ حملها على الفئام من الرجال الشداد.

وقد قيل: إنَّها كانت من الجلود، وإنَّها كانت تُحمَل على سِتِّين بغلًا، فالله أعلم.

وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين: لا تفرحْ أي: لا تبطرْ بما أُعطيت وتفخرْ على غيرك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ يقولون له: لتكنْ همَّتُك مصروفةً لتحصيل ثواب الله في الدار الآخرة، فإنَّه خيرٌ وأبقى، ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: وتناولْ منها بمالِكَ ما أحلَّ الله لك، فتمتَّعْ لنفسك بالملاذ الطَّيِّبة الحلال.

﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ أي: وأحسِنْ إلى خلْق الله كما أحسن اللهُ خالقُهم إليك.

---

(١) القصص: ٧٦-٨٣.

(٢) ينظر: تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٦٥٦).

﴿ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ أي: ولا تُسيءْ إليهم، ولا تُفسدْ فيهم، فتقابلهم ضدَّ ما أُمِرْتَ فيهم، فيُعاقبُك ويسلبُك ما وهبك. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾.

فما كان جوابه لهذه النصيحة إلَّا أن قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ يعني: أنا لا أحتاج إلى استعمال ما ذكرتم، ولا إلى ما إليه أشرتم، فإنَّ الله إنَّما أعطاني هذا، لعلمه أنِّي أستحقُّه، وأنِّي أهلٌ له، ولولا أنِّي حبيبٌ إليه وحَظِيٌّ عنده؛ لَمَا أعطاني ما أعطاني.

فقال الله تعالى ردًّا عليه: ﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ أي: قد أهلكْنَا- من الأمم الماضين بذنوبهم وخطاياهم- مَن هو أشدُّ من قارون قوةً وأكثر أموالًا وأولادًا، فلو كان ما قال صحيحًا لم نُعاقِبْ أحدًا ممَّن كان أكثرَ مالًا منه، ولم يكن مالُه دليلًا على محبَّتنا له واعتنائنا به. كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾(١). وقال تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾(٢)، وهذا الردُّ عليه يدلُّ على صحَّة ما ذهبنا إليه من معنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾.

قال الله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي ﴾ ذكر كثيرٌ من المفسِّرين: أنَّه خرج في تجمُّلٍ عظيمٍ من ملابس، ومراكب، وخدم، وحشم، فلمَّا رآه مَن يُعظِّم زهرة الحياة الدنيا، تمنَّوا أن لو كانوا مثله، وغبطوه بما عليه وله، فلمَّا سمع مقالتهم العلماء ذوو الفهم الصحيح الزهاد الألبَّاء؛ قالوا لهم: ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ أي: ثواب الله في الدار الآخرة خيرٌ وأبقى، وأجلُّ وأعلى.

ثمَّ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ أي: وما يُلقَّى هذه النصيحة، وهذه المقالة، وهذه الهِمَّة السامية، إلى الدار الآخرة العليَّة عند النظر إلى زهرة هذه الدُّنيا الدَّنيَّة، إلَّا مَن هدى الله قلبه، وثبَّت فؤاده، وأيَّد لُبَّه، وحقَّق مُراده، وما أحسن ما قال بعض السلف: إنَّ الله يُحبُّ البصر النافذ عند ورود الشبهات، والعقل الكامل عند حلول الشهوات.

قال الله تعالى: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴾ لما ذَكَرَ تعالى خروجه في زينته واختياله فيها، وفخره على قومه بها، قال: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾.

---

(١) سبأ: ٣٧.

(٢) المؤمنون: ٥٥-٥٦.



كما روى البخاري من حديث الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" بينا رجلٌ يَجُرُّ إزاره إذ خُسِفَ به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة"[١].

وقد ذكر ابن عبَّاس- رضي الله عنه- والسدي: أنَّ قارون أعطى امرأة بغيًا مالًا على أن تقول لموسى- عليه السلام- وهو في ملأٍ من الناس: إنَّك فعلتَ بي كذا وكذا.

فيُقال: إنَّها قالتْ له ذلك، فارعدَّ من الفرق، وصلَّى ركعتين، ثم أقبل عليها فاستحلفها من ذلك على ذلك وما حملك عليه، فذكرتْ أنَّ قارون هو الذي حملها على ذلك، واستغفرتِ الله وتابتْ إليه، فعند ذلك خرَّ موسى لله ساجدًا، ودعا اللهَ على قارون، فأوحى اللهُ إليه أنِّي قد أمرتُ الأرض أن تُطيعكَ فيه، فأمر موسى الأرضَ أن تبتلعَه وداره، فكان ذلك، فالله أعلم.

وقد قيل: إنَّ قارون لما خرج على قومه في زينته، مرَّ بجحفله، وبغاله، وملابسه على مجلس موسى- عليه السلام-، وهو يُذكِّر قومه بأيام الله.

فلمَّا رآه الناس انصرفتْ وجوه كثيرٍ من الناس ينظرون إليه، فدعاه موسى- عليه السلام-، فقال له: ما حملك على هذا؟

فقال: يا موسى؛ أما لئن كنتَ فُضِّلتَ عليَّ بالنُّبوَّة، فلقد فُضِّلتُ عليك بالمال، ولئن شئتَ لتخرجَنَّ فلتدعونَّ عليَّ، ولأدعونَّ عليك.

فخرج، وخرج قارون في قومه، فقال له موسى: تدعو أو أدعو؟

قال: أدعو أنا، فدعا قارون فلم يُجَبْ في موسى.

فقال موسى: أدعو؟

قال: نعم.

فقال موسى: اللهمَّ مُرِ الأرضَ فلْتُطعْني اليوم، فأوحى الله إليه إنِّي قد فعلتُ، فقال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذتْهم إلى أقدامهم، ثم قال: خذيهم، فأخذتْهم إلى ركبهم، ثم إلى مناكبهم، ثم قال: أقبلي بكنوزهم وأموالهم، فأقبلتْ بها حتَّى نظروا إليها، ثم أشار موسى بيده فقال: اذهبوا بني لاوى فاستوتْ بهم الأرض.

وقد روي عن قتادة أنَّه قال: يُخسَفُ بهم كلَّ يومٍ قامة إلى يوم القيامة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٤١) برقم (٥٧٩٠) كتاب اللباس باب من جر ثوبه من الخيلاء.



وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنه- أنَّه قال: خُسِفَ بهم إلى الأرض السابعة، وقد ذكر كثيرٌ من المفسِّرين ههنا إسرائيليات كثيرة أضربْنا عنها صفحًا، وتركناها قصدًا.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ لم يكن له ناصرٌ من نفسه ولا من غيره، كما قال تعالى: ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾[١].

ولما حلَّ به ما حلَّ من الخسف، وذهاب الأموال، وخراب الدار، وإهلاك النفس والأهل والعقار؛ نَدِمَ مَن كان تمنَّى مثلَ ما أُوتي، وشكروا الله تعالى الذي يُدبِّر عباده بما يشاء من حُسْن التدبير المخزون، ولهذا قالوا: ﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ وقد قال قتادة: ويكأنَّ بمعنى: ألم تر أنَّ. وهذا قولٌ حَسَنٌ من حيث المعنى.

ثم أخبر تعالى أنَّ الدار الآخرة- وهي دار القرار- وهي الدار التي يُغبَط مَن أُعطيها، ويُعزَّى مَن حُرِمَها، إنَّما هي سعادةٌ للذين لا يُريدون عُلوًّا في الأرض ولا فسادًا، فالعلوُّ هو: التكبُّر، والفخر، والأشر، والبطر، والفساد: هو عمل المعاصي اللازمة، والمتعدية من أخْذِ أموال الناس، وإفساد معايشهم، والإساءة إليهم، وعدم النُّصْح لهم. ثم قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

وقد ذكر الله تعالى مذمَّة قارون في غير ما آية من القرآن فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٣].

فالذي خُسِفَ به الأرض قارون كما تقدَّم، والذي أُغْرِقَ: فرعون وهامان وجنودهما.

وختامًا فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه ذكر الصلاة يومًا فقال:" مَن حافظَ عليها كانتْ له نورًا وبُرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومَن لم

---

(١) الطارق: ١٠.

(٢) غافر: ٢٣-٢٤.

(٣) العنكبوت: ٣٩-٤٠.



يُحافِظْ عليها لم يكن له نورٌ ولا بُرهانٌ ولا نجاةٌ، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأُبيِّ بن خلف"[(١)][(٢)].

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ١٤١) برقم (٦٥٧٦). والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ١٦٤). ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدّين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

(٢) ينظر هذا الشرح والبيان في: البداية والنهاية (٢/ ٢٠٢– ٢٠٨). البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.



١٦ ذي القعدة

فضْل الذِّكْر وأهمِّيَّته في حياة المسلم

مَن أحبَّ شيئًا أكثر مِن ذكْره، وأدام الحديث عنه، فمَن أحبَّ التجارة وجنى بسببها المال الكثير، وذاق حلاوة الأرباح؛ تجده دائم الحديث عن تجارته، ومَن أحبَّ الرياضة تجده من المكثرين في الحديث عن المباريات والدوريات ونجوم الرياضة وأخبارهم وتنقُّلاتهم بين الأندية، وكذلك مَن استهواه الفنُّ والمسلسلات والأفلام، فهو مشغول الوقت والذهن بمتابعة كلِّ جديدٍ والحديث عنه، أمَّا أهل الصِّدْق والدِّين والإيمان فلهم شأنٌ آخَر، فهُم يُحبُّون ربَّهم وخالقَهم ورازقَهم، ويحرصون على كلِّ ما يُرضيه، ويرفع درجتهم عنده، ويُعلي مِن مقامهم لديه؛ لذا يُكثرون مِن ذِكْره.

وذِكْر الله كثيرًا من علامات حُبِّ الله. قال بعض العلماء: علامة حُبِّ الله كثرة ذِكْره. فإنَّك لن تُحبَّ شيئًا إلَّا أكثرتَ مِن ذِكْره.

وكما أخبر الله تعالى أنَّ الإكثار من ذِكْره سببٌ للفلاح والفوز بالرضوان؛ أخبرَ أنَّ الَّذي يُلهيه مالُه وولدُه عن ذكْر الله يبوء في الدنيا والآخرة بالخسران. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[1]. تلكم حال الذين أعرضوا عن ذِكْرِ الله؛ ما كانوا إلَّا قومًا بُورًا، يتصرَّفون بغير هُدًى، ويتقلَّبون في الأرض بدوافع الهوى. نسُوا الله فأنساهم أنفسهم؛ والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[2].

فذِكْرُ الله سبحانه وتعالى مِن أفضلِ الأعمال التي ينبغي على المسلم أن يحرص عليها، وتتجلَّى أهمِّيَّته ودوره في عِدَّة أمور؛ منها:

أنَّه يطرد وساوس الشيطان ويُبعِدها عن العبد.

القضاء على الهموم والأحزان، ويجلب السرور والسعادة للمؤمن.

سببٌ في قُوَّة القلب والبدن، وجلب الرزق والكسب الحلال.

يمنح المسلم المحبَّة لربِّه ومولاه، ويرزقه المهابة والخشية.

يجعل المؤمن في استحضارٍ دائمٍ لمراقبة الله تعالى له، فيرتقي العبد إلى مرتبة الإحسان.

---

(١) المنافقون: ٩.

(٢) الحشر: ١٩.



يُعتبَر الذِّكْر سببًا في ذكْر الله سبحانه لعبده.

يكون سببًا في نزول الرحمة والسكينة من الله على قلب المؤمن.

غراس المؤمن في جنات النعيم.

يُعتبَر سببًا في صلاة الله على عبده وثنائه عليه بين ملائكته.

يُصنَّف بأنَّه علاج لقسوة القلب.

يقي المؤمن من نسيان الله سبحانه وتعالى.

وهل تُشترَط الطهارة عند الذِّكر؟ لا خلاف بين أهل العلم على عدم اشتراط الطهارة للذِّكْر سواء من الحدث الأصغر أو الحدث الأكبر، فيصحُّ ذكْرُ الله على كلِّ حالٍ حتَّى ولو كان المسلم على جنابة، لحديث عائشة- رضي الله عنها-: كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يذكرُ اللهَ على كلِّ أحيانِه. رواه البخاري[١].

وتأتي أهمية الذِّكْر أيضًا من كونه الرافد الدائم للمخزون الإيماني، والمحرِّك الموقظ لدواعي الطاعة، والحصن الذي يلوذ به المؤمن حينما تُداهمه المصائب، وتعترضه عقبات الطريق، ويُقعِده طائف الشيطان ولماته، إنَّ العبد حينما يكون ذاكرًا لله في كلِّ أحيانِه قد شغل نفسه، وألزمها بأذكار وأوراد من تسبيح وتحميد، وتهليل وصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ومداومة على المسنون من الأذكار؛ فإنَّ ذلك يُبقِي قلبه حيًّا، ويُديم إيمانه نضرًا يقظًا، فإذا ما اعترتْه أهواء النفس البشرية التي بين جنبيه، أو اجتالتْه الشياطين التي لا تفترُ عن مُحاربته وعداوته؛ انتفض ذلك القلبُ الذاكرُ شامخًا بإيمانه، مُستعليًا على شهوات نفسه، مُدافعًا لنفثات الشيطان وهمزاته.

وحاجة المسلم إلى مجالس الذِّكْر والتذكير كحاجة السَّمك إلى الماء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-:" الذِّكْر للقلب مثلُ الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟"[٢] لأنَّه محلُّ الحياة لها، وكذلك فإنَّ حياة القلوب وتزكيتها وطهارتها تكون بملازمة تلك المجالس، وترويض النفس على المداومة على الأذكار والأدعية، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَثَلُ الذي يذكُرُ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا (١/ ١٢٩) كتاب الأذان باب: هل يتتبع المؤذن فاه ها هنا وها هنا، وهل يلتفت في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٨٢) برقم (٣٧٣) كتاب الحيض باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها.

(٢) نقله عنه تلميذه ابن القيم كما في الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٢). الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م.



ربَّه، والذي لا يذكُرُ ربَّه؛ مثلُ الحيّ والميّتِ" متفق عليه[١]، وفي رواية:" مَثَلُ البيتِ الذي يُذكَرُ اللهُ فيه، والبيتِ الذي لا يُذكَرُ اللهُ فيه؛ مَثَلُ الحيّ والميّت" رواه مسلم[٢].

واللسان الغافل عن ذِكْر الله تعالى كاليد الشلَّاء، أو العين العمياء، أو الأذن الصمَّاء؛ أعضاءٌ مُعطّلة عن فِعْل ما خُلِقتْ لأجله، فكيف تستنير بصيرةٌ إن لم يكن لها من مدد القلوب وغِياثِها؟ ولذلك وصف العلماء الذِّكْر للقلب بالقوت؛ متى حُرِمت الأجساد منه صارت قبورًا، وجعلوه بمثابة السلاح الذي يُقاتِل به أصحابه قُطَّاع الطريق، والماء الذي يُطفِئون به نار الحريق، ودواء الأسقام الذي متى فارقَهم انتكستْ منهم القلوبُ، فضلًا عن كونه السببَ الواصلَ والعلاقة التي كانت بينهم وبين علَّام الغيوب.

من هنا نفهم سرَّ اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بقضية الذِّكْر، وبيان فضائله المرَّةَ تلو الأخرى، روى أبو الدرداء- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:" ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق (الفضَّة)، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، فقال صلى الله عليه وسلم:" ذِكْر الله تعالى" رواه الترمذي[٣].

وعن عبد الله بن بُسر- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله؛ إنَّ شرائع الإسلام قد كَثُرتْ عليَّ، فأخبِرْني بشيءٍ أتشبَّثُ به، فقال صلى الله عليه وسلم:" لا يزالُ لسانُكَ رطبًا من ذكر الله" رواه الترمذي وابن ماجه[٤].

وقال أبو الدرداء- رضي الله عنه-: لكلِّ شيءٍ جلاءٌ، وإنَّ جلاء القلوب ذِكْرُ الله عزَّ وجلَّ[١].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٦) كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٣٩) برقم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٣) برقم (٢١٧٠٢). والترمذي في سننه (٥/ ٤٥٩) برقم (٣٣٧٧) أبواب الدعوات باب منه. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٤٥) برقم (٣٧٩٠) كتاب الأدب باب فضل الذكر. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٠٢).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ٢٢٦) برقم (١٧٦٨٠). والترمذي في سننه (٥/ ٤٥٧) برقم (٣٣٧٥) أبواب الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٤٦) برقم (٣٧٩٣) كتاب الأدب باب فضل الذكر. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٠٢)



ولا ريب أنَّ القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذِّكْر، فإنَّه يجلوه حتَّى يدعه كالمرآة البيضاء. فإذا ترك الذِّكْرَ صَدِئ، فإذا ذكره جلَّاه.

و صدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذِّكْر.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[٢].

وختامًا؛ أفضل الذِّكْر ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنَّما كان ذِكْر القلب وحده أفضل من ذِكْر اللسان وحده؛ لأنَّ ذِكْر القلب يُثمِر المعرفة بالله، ويُهيِّج المحبَّة، ويُثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويزع عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسَّيِّئات، وذِكْرُ اللسان وحده لا يُوجب شيئًا من هذه الآثار، وإن أثمر شيئًا منها فثمرة ضعيفة.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٣) برقم (٥٢٠). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٢) الكهف: ٢٨.

١٧ ذي القعدة

أذكار دُبُرِ الصَّلاة

يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[١].

يقول الإمام السعدي- رحمه الله- في تفسيره: أي: فإذا فرغتم من صلاتكم، صلاة الخوف وغيرها، فاذكروا الله في جميع أحوالكم وهيئاتكم، ولكن خُصَّت صلاة الخوف بذلك لفوائد؛ منها: أنَّ القلب صلاحه وفلاحه وسعادته بالإنابة إلى الله تعالى في المحبَّة وامتلاء القلب من ذِكْره والثناء عليه. وأعظم ما يحصل به هذا المقصود؛ الصلاة، التي حقيقتها أنَّها صلة بين العبد وبين ربِّه. ومنها: أنَّ فيها من حقائق الإيمان ومعارف الإيقان ما أوجب أن يفرضها الله على عباده كلَّ يومٍ وليلة. ومن المعلوم أنَّ صلاة الخوف لا تحصل فيها هذه المقاصد الحميدة بسبب اشتغال القلب والبدن والخوف فأمر بجبرها بالذِّكْر بعدها. ومنها: أنَّ الخوف يُوجب من قلق القلب وخوفه ما هو مظنَّة لضعفه، وإذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذِّكْر لله والإكثار منه من أعظم مُقوِّيات القلب. ومنها: أنَّ الذكر لله تعالى مع الصبر والثبات سببٌ للفلاح والظفر بالأعداء، كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢]، فأمر بالإكثار منه في هذه الحال إلى غير ذلك من الحِكَم[٣].

وقال العلَّامة ابن باز- رحمه الله-: يُشرَع للمؤمن والمؤمنة بعد السلام من الصلاة- صلاة الفريضة الفجر أو الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء- أن يقول بعد السلام مباشرة: أستغفرُ الله، أستغفرُ الله، أستغفرُ الله؛ ثلاث مرَّاتٍ، اللهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام، لما روى مسلم في الصحيح عن ثوبان- رضي الله عنه- قال: كان النبي صلى الله عليه إذا سلَّم يستغفر ثلاثًا- يعني: يقول: أستغفرُ الله، أستغفرُ الله، أستغفرُ الله-، ثم يقول:" اللهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام"[٤]، هذه هي السُنَّة للإمام والمأموم والمنفرد

---

(١) النساء: ١٠٣.

(٢) الأنفال: ٤٥.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٩٩).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤١٤) برقم (٥٩١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.



والرجل والمرأة، وإذا كان إمامًا ينصرف إلى الناس بعد هذا، بعد ما يقول: اللهم أنت السلام .. إلى آخره، ينصرف إلى الناس ويعطيهم وجهه إذا كان إمامًا، ثم يقول كلُّ واحدٍ بعد هذا: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلَّا بالله، لا إله إلَّا الله، ولا نعبد إلَّا إيَّاه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحَسَن، لا إله إلَّا الله، مُخلِصين له الدين ولو كره الكافرون. رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الزبير[1]- رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه كان يفعل هذا بعد كلِّ صلاةٍ- عليه الصلاة السلام- إذا أقبل على الناس، زاد المغيرة - رضي الله عنه- في روايته كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه كان يقول مع هذا: اللهمَّ لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعطيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ[2]. كلُّ هذا مُستحَبٌّ بعد الصلوات الخمس، ويُستحّبُّ أن يزيد بعد المغرب والفجر:"لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو على كل شيء قدير" عشر مرَّاتٍ، هذه زيادة على ما تقدَّم، بعد المغرب وبعد الفجر كان النبي يقولها صلى الله عليه وسلم عشر مرَّاتٍ: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو على كل شيء قدير، وإن قال زيادة:" بيده الخير، أو قال: وهو حيٌّ لا يموت"[3] كلُّه طيِّبٌ، كلُّه جاء في بعض الأحاديث.

وهذا الذِّكْر جاء على عدَّة أنواع:- منها: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

ومنها: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو على كل شيء قدير، بزيادة: يُحيي ويُميت.

ومنها: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

ومنها: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤١٥) برقم (٥٩٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٨) برقم (٨٤٤) كتاب الأذان باب الذكر بعد الصلاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤١٤) برقم (٥٩٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

(٣) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٥١٥) برقم (٣٤٧٤) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢١٥) برقم (١٠٣٣٨) كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال ذلك عشر مرات على إثر المغرب. والحديث حسنه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٢١). وينظر أيضًا: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٢٢٩).



ومنها: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

كلُّ هذا بحمد الله مشروع طيِّب، إذا جاء بهذا أو هذا كلُّه طيِّبٌ والحمد لله، ثم يشرع له أيضًا أن يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين مرَّة؛ الرجل والمرأة، الإمام والمأموم والمنفرد، يُسبِّح الله ويحمده ويُكبِّره ثلاثًا وثلاثين، يقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين مرَّة، ثم يقول تمام المائة: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا:" مَن سبَّح الله دُبُرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبَّر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعٌ وتسعون، ثم قال تمام المائة: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، غُفِرتْ خطاياه وإن كانتْ مِثْلَ زبدِ البحرِ"[(١)] وهذا فضل عظيم.

وهذا عند أهل العلم إذا كان لم يُصِرَّ على كبيرةٍ، أمَّا إذا كان عنده كبائر من الذنوب كالزنا والسرقة والنميمة والغيبة؛ فإنَّ هذا الذِّكْر ونحوه لا يُكفِّر هذه الكبائر؛ لقوله- عليه الصلاة والسلام:" الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان؛ كفَّاراتٌ لما بينهن ما لم تُغشَ الكبائرَ، وفي لفظ: إذا اجتنب الكبائر" رواه مسلم في صحيحه[(٢)(٣)].

ويُستحَبُّ أن يأتي مع هذا بآية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ..... ﴾[(٤)]، ثم يأتي بالسور الثلاث من آخر القرآن؛ الإخلاص والفلق والناس. يأتي بها مرَّة في الظهر والعصر والعشاء، وثلاث مرَّاتٍ في المغرب والفجر، هذه السور الثلاث، أمَّا آية الكرسي يأتي بها مرَّةً واحدةً بعد كلِّ صلاةٍ، وعند النوم، كلُّ هذا مشروعٌ ومُستحَبٌّ، وفيه خير كثير.

كان هذا أيضًا سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم حيث علَّم فاطمة وعليًّا- كما رواه البخاري- أن يقولا: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ثلاثة وثلاثين مرة عند النوم[(٥)]، والتكبير يكون أربعًا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤١٨) برقم (٥٩٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٩) برقم (٢٣٣) كتاب الطهارة باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.

(٣) ينظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (٩/ ٤٢- ٤٦).

(٤) البقرة: ٢٥٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٨٤) برقم (٣١١٣) كتاب فرض الخمس باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساكين وإيثار النبي صلى الله عليه وسلم أهل الصفة والأرامل، حين سألته فاطمة، وشكت إليه الطحن والرحى: أن يخدمها من السبي، فوكلها إلى الله. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩١) برقم (٢٧٢٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم.



ثلاثين، لكن بعد الصلاة إن شاء أربعًا وثلاثين تكبيرة، وإن شاء ختم المائة بـ "لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" لأنَّه ورد في الحديث الصحيح ختمها بلا إله إلَّا الله، وإن ختمها بالتكبير فقد جاء ذلك أيضًا.

والخلاصة: ما قاله الفقيه أبو زكريا النَّووي الشافعي- رحمه الله- في كتابه الأذكار: أجمَعَ العلماءُ على استحباب الذِّكْرِ بعد الصلاة، وجاءت فيه أحاديث كثيرة صحيحة، في أنواع مِنه مُتعدِّدة[1].

---

(١) الأذكار للنووي (ص: ٧٠). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

١٨ ذي القعدة

أذكار النوم

أذكار قبل النوم لها فوائد عظيمة، منها تحصينٌ للنفس من شرِّ الشيطان وسائر المخلوقات، وشعور الإنسان بالطمأنينة والسكينة.

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة العديد من الأذكار والأدعية التي يدعو بها المسلم قبل نومه، وفيما يأتي ذكرها:

أولًا: أذكار قبل النوم من القرآن الكريم: من السُّنَّة أن يقرأ الإنسان قبل نومه ما يأتي:

قراءة آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[١]. خواتيم سورة البقرة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[٢]، وقراءة سور الملك والكافرون والإخلاص والمعوِّذتين.

ثانيًا: أذكار قبل النوم من السُّنَّة النَّبويَّة: وقد حثّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض الأدعية التي تُقال قبل النوم، ومنها ما يأتي:

"اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، ووَجَّهْتُ وجْهِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولَا مَنْجا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ" رواه البخاري[٣].

"اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ كُلِّ شيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأوَّلُ

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) البقرة: ٢٨٥- ٢٨٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٨) برقم (٦٣١١) كتاب الدعوات باب إذا بات طاهرًا وفضله. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨١) برقم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.



فليسَ قَبْلَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فليس بَعْدَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فليس فَوْقَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فليسَ دُونَكَ شيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ" رواه مسلم[١].

"ربِّ قِني عذابَكَ يوم تَبعثُ عبادَكَ" رواه الترمذي[٢].

"الحمدُ للهِ الذي أطعَمَنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكَم مِمَّنْ لَا كافِيَ له، ولا مُؤْوِيَ له" رواه مسلم[٣].

"سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي، بكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وإنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بما تَحْفَظُ به عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ" رواه مسلم[٤].

"اللَّهُمَّ باسْمِكَ أحْيَا وأَمُوتُ" رواه البخاري[٥].

"بسم اللهِ وضعتُ جنبي، اللهمَّ اغفرْ لي ذنبي، وأخْسئْ شيطاني، وفكَّ رِهاني، واجعلْني في النديِّ الأعلى" رواه أبو داود[٦].

"اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بوجهِكَ الكريمِ، وَكَلماتِكَ التَّامَّةِ، مِن شرِّ ما أنتَ آخذٌ بناصيتِهِ، اللَّهمَّ أنتَ تَكْشِفُ المغرمَ والمأثمَ، اللَّهمَّ لَا يُهْزَمُ جندُكَ، ولَا يُخلَفُ وعدُكَ، ولَا ينفعُ ذا الجدِّ منكَ الجدُّ، سُبحانَكَ وبحمدِكَ" رواه أبو داود[٧].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٥٩٢) برقم (١٨٦٣١). والترمذي في سننه (٥/ ٤٧١) برقم (٣٣٩٩) أبواب الدعوات باب منه. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٧٧) برقم (١٠٥٢٠) كتاب عمل اليوم والليلة ما يقول إذا أوى إلى فراشه، وذكر اختلاف الناقلين للخبر عن أبي إسحاق في ذلك. ورواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٢) برقم (٧٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب يمين الإمام. وفي صحيح مسلم أنه مان يقوله عقب الصلاة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٥) برقم (٢٧١٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٠) برقم (٦٣٢٠) كتاب الدعوات باب التعوذ والقراءة عند المنام. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١١٩) برقم (٧٣٩٤) كتاب التوحيد باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها.

(٦) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣١٣) برقم (٥٠٥٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقال عند النوم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٨٥١).

(٧) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣١٢) برقم (٥٠٥٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقال عند النوم. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٥٤) برقم (٧٦٨٥) كتاب النعوت، قوله سبحانه: "كل شيء هالك إلا وجهه". والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١١/ ٥٢). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.



"اللّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسي، وَأَنْتَ تَوَفَّاها، لَكَ مَماتها وَمَحْياها، إنْ أَحْيَيْتَها فاحْفَظْها، وَإِنْ أَمَتَّها فَاغْفِرْ لَها، اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العافِيَةَ" رواه مسلم(١).

كذلك يُشرَع للمسلم أن يقول عند النوم:" أعوذ بكلمات الله التامَّات كلِّهنَّ من شرِّ ما خلق" رواه أبو داود(٢).

"باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم" ثلاث مرَّات. رواه الترمذي(٣).

كذلك يقول: "اللهمَّ فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه، أشهد أن لا إله إلَّا أنت، أعوذ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ الشيطان وشركه، وأعوذ بك أن أقترف على نفسي سوءًا أو أجرَّه إلى مسلم" رواه أبو داود والترمذي(٤).

"اللهمَّ أنت ربِّي لا إله إلَّا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفرْ لي، فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنت" رواه البخاري(٥).

كما ورد أيضًا أن يقول قبل نومه: سُبْحَانَ اللَّهِ (٣٣ مرة) الْحَمْدُ لِلَّهِ (٣٣ مرة) اللَّهُ أَكْبَرُ (٣٤ مرة) . رواه البخاري(٦).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٣) برقم (٢٧١٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) رواه مسلم في صحيحه دون لفظة (كلهن): (٤/ ٢٠٨١) برقم (٢٧٠٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره. ورواه أبو داود في سننه (٤/ ١٣) برقم (٣٨٩٨) كتاب الطب باب كيف الرقى.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٩٨) برقم (٤٤٦). والترمذي في سننه (٥/ ٤٦٥) برقم (٣٣٨٨) أبواب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٧٣) برقم (١٠١٠٦) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا انتهى إلى قوم فجلس إليهم. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧٣) برقم (٣٨٦٩) كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٣٩).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٤٢) برقم (٨١). وأبو داود في سننه (٤/ ٣١٦) برقم (٥٠٦٧) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والترمذي في سننه (٥/ ٥٤٢) برقم (٣٥٢٩) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٣٧) برقم (٧٦٤٤) كتاب النعوت، الرب. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٦٢٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧) برقم (٦٣٠٦) كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٨٤) برقم (٣١١٣) كتاب فرض الخمس باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساكين وإيثار النبي صلى الله عليه وسلم أهل الصفة والأرامل، حين سألته فاطمة، وشكت إليه الطحن والرحى: أن يخدمها من السبي، فوكلها إلى الله. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩١) برقم (٢٧٢٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم.



ثم يجمع كفَّيه ثم ينفث فيهما ويقرأ سور الإخلاص والمعوَّذتين ويمسح ما استطاع من الجسد، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. رواه البخاري(١).

وهناك أذكار لمن قلق في فراشه ولم ينم؛ فعن بريدة- رضي الله عنه- قال: شكا خالد بن الوليد- رضي الله عنه- إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ ما أنام الليل من الأرق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا أويتَ إلى فراشك فقل: اللهمَّ ربَّ السموات السبع وما أظلَّتْ، وربَّ الأرضين وما أقلَّتْ، وربَّ الشياطين وما أضلَّتْ، كُنْ لي جارًا مِن خلقك كلِّهم جميعًا أن يفرطَ عليَّ أحدٌ منهم، أو أن يبغي عليَّ، عزَّ جارُكَ، وجلَّ ثناؤك، ولا إله غيرُك، ولا إله إلَّا أنت" رواه الترمذي(٢).

وفي رواية:" أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشرِّ عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون" رواه أبو داود والترمذي وأحمد(٣).

وفي الختام؛ فإنَّ النوم على ذِكْر الله سبحانه وتعالى أمرٌ مُستحَبٌّ، أمَّا النوم دون ذِكْره فهو مكروه؛ والأصل أن يغلب النومُ المسلمَ بعد أن يغلب ذِكْر الله على قلبه؛ لأنَّ الذي يغلب على الشخص عند النوم هو ما كان عليه قبل نومه، فيكون المسلم بذلك مع الله؛ بِذِكْرِهِ في يقظته ونومه. وقد رُويتْ أحاديث تُبيِّنُ ذلك، منها ما جاء عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن الرسول صلى الله عليه وسلم:" مَن قَعَدَ مَقْعدًا لم يَذكُرِ الله تعالى فيه كانتْ عليه من الله تِرَة، ومَنِ اضطجع مضجعًا لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى تِرَة" والتِّرَة هي النقص. رواه أبو داود(٤)، فينبغي على المسلم الإكثار من ذِكْر الله تعالى في كلِّ أحواله.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٠) برقم (٥٠١٧) كتاب فضائل القرآن باب فضل المعوذات.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٥٣٨) برقم (٣٥٢٣) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٥٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٧/ ١٠٨) برقم (١٦٥٧٣). والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٨١) برقم (١٠٥٣٤) كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفزع في منامه. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٥٢٨).

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٦٤) برقم (٤٨٥٦) كتاب الأدب باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٥) برقم (١٠١٦٤) كتاب عمل اليوم والليلة، من جلس مجلسًا لم يذكر الله تعالى فيه، وذكر الاختلاف على سعيد بن أبي سعيد في خبر أبي هريرة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١٥٩).

١٩ ذي القعدة

أذكار الصباح والمساء

بترديد أذكار الصباح والمساء يحصل المسلم على الثواب العظيم من الله تعالى، فإنَّ من أفضل الأعمال الصالحة اليسيرة التي تُقرِّب المسلم إلى ربِّه جلَّ وعلا؛ الذِّكْرُ، وقد ذكر الله تعالى الذاكرين في كتابه الكريم، فقال الله سبحانه:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(١).

وبيَّن الله تعالى في آية أخرى فضل الذكْر، وأنَّه تطمئن به قلوب أهل الإيمان؛ فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٢)، وجعل جزاء الذاكر أن يذكره سبحانه، وهل هناك أرفع من أن يذكر الله سبحانه عبده المؤمن؟! قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾(٣).

وعن أبي هريرة– رضي الله عنه– أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" يقول الله عزَّ وجلَّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ هُمْ خيرٌ منهم" رواه البخاري(٤).

وهناك أذكارٌ يُستحَبُّ للمسلم أن يُردِّدها في الصباح والمساء حتَّى ينال الفضل العظيم، ويحظى بحفظ الله تعالى له. منها:–

قراءة آية الكرسي: لأنَّ "مَن قالها حين يُصبح أُجيرَ مِن الجنِّ حتَّى يُمسي، ومَن قالها حين يُمسي أُجيرَ مِن الجنِّ حتَّى يُصبح" رواه النسائي(٥).

---

(١) آل عمران: ١٩٠–١٩١.

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) البقرة: ١٥٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢١) برقم (٧٤٠٥) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} [آل عمران: ٢٨]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦١) برقم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٠١) برقم (٥٤١). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤١٧). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.



قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة (٢٨٥-٢٨٦)؛ لقول رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" الآيتانِ مِن آخرِ سورةِ البقرةِ؛ مَن قرَأَ بهِما مِن ليلةٍ كفَتاه" رواه البخاري ومسلم(١).

قيل في (كفتاه) أنَّهما كفتاه كلَّ سُوءٍ، أو كفتاه شرَّ الشيطان، وقيل: إنَّهما أجزأتاه؛ أي أجزأتا قارئهما عن قيام الليل أو تلاوة القرآن، أو أجزأتاه في أمور الاعتقاد ممَّا يشتملان عليه من معاني الإيمان والأعمال الصالحة(٢).

قراءة سورة الإخلاص والمعوَّذتين (٣ مرَّات).

"اللّهمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إلهَ إلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَني وَأَنا عَبْدُك، وَأَنا عَلى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ، مَن قَالَهَا مُوقِنًا بها حين يُمسي وماتَ مِن ليلته دخل الجنَّة، وكذلك حين يُصبح" رواه البخاري(٣).

"رَضيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإسْلامِ دينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم نَبِيًّا. من قالها وجبت له الجنة" رواه أبو داود والنسائي(٤). وفي رواية مسلم:" مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"(٥).

وفي رواية أحمد:" مَن قالَها حين يُصبحُ وحين يُمسي ثلاث مرَّاتٍ؛ كان حقًّا على الله أن يرضيه يوم القيامة"(٦).

"اللّهُمَّ إِنِّي أَمسيتُ أُشْهِدُك، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِك، وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَميعَ خَلْقِك؛ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إلهَ إلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَريكَ لَك، وَأَنَّ مُحَمّدًا عَبْدُكَ وَرَسولُك. مَن قالَها حين يُصبحُ إلَّا غفر الله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٨٤) برقم (٤٠٠٨) كتاب المغازي باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥٤) برقم (٨٠٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ٥٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧) برقم (٦٣٠٦) كتاب الدعوات باب فضل الاستغفار.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٨٧) برقم (١٥٢٩) باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستغفار. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٧) برقم (٩٧٤٨) كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال حين يصبح، وحين يمسي: رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٣٠).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠١) برقم (١٨٨٤) كتاب الإمارة باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ٣٠٢) برقم (١٨٩٦٧).



له ما أصاب في يومه ذلك. وإن قالَها حين يَمسي غفر الله له ما أصاب في تلك الليلة مِن ذنبٍ" رواه أبو داود والترمذي(١).

" اللّهُمَّ ما أَصبح بي مِنْ نِعْمَةٍ أَو بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِك؛ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شريكَ لَك، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْر" مَن قالها حين يُصبح فقد أدَّى شكر يومه، ومَن قالها حين يُمسي فقد أدَّى شُكر ليلته. رواه أبو داود والنَّسائي(٢).

" حَسْبِيَ اللَّهُ لا إلهَ إلَّا هُوَ، عَلَيهِ تَوَكَّلتُ، وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظيم" من قالها سبعَ مرات؛ كفاه اللهُ ما أهمَّه ، صادقًا كان أو كاذبًا. رواه أبو داود(٣).

" بِسمِ اللهِ الذي لا يَضُرُّ مَعَ اسمِهِ شَيءٌ في الأَرْضِ وَلا في السَّماءِ وَهوَ السَّميعُ العَليم". من قالها ثلاث مرَّات لم يضرَّه من الله شيءٌ. رواه الترمذي(٤).

" اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَينا وَبِكَ أَصْبَحْنا، وَبِكَ نَحْيا وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" رواه الترمذي(٥).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٢٠) برقم (٥٠٧٨) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والترمذي في سننه (٥/ ٥٢٧) برقم (٣٥٠١) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٩) برقم (٩٧٥٤) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر من القول، وثواب من قاله. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١١/ ٧٨). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣١٨) برقم (٥٠٧٣) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ 8) برقم (٩٧٥٠) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. والحديث ضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٤٤).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٢١) برقم (٥٠٨١) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والحديث قال عنه الألباني: "منكر" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١١/ ٤٤٩).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٩٨) برقم (٤٤٥). وأبو داود في سننه (٤/ ٣٢٣) برقم (٥٠٨٨) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والترمذي في سننه (٥/ ٤٦٥) برقم (٣٣٨٨) أبواب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٨١) برقم (١٠٥٣٤) كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفزع في منامه. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧٣) برقم (٣٨٦٩) كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٣٩).

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣١٧) برقم (٥٠٦٨) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والترمذي في سننه (٥/ ٤٦٦) برقم (٣٣٩١) أبواب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٨) برقم (٩٧٥٢) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧٢) برقم (٣٨٦٨) كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٥٢٥).



" أَمْسَيْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ- صلى الله عليه وسلم-، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ المشْرِكِينَ" رواه النسائي وأحمد(١).

" سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِه، وَرِضا نَفْسِه، وَزِنَةَ عَرْشِه، وَمِدادَ كَلِماتِه" رواه مسلم(٢).

" اللَّهُمَّ عافِنِي في بَدَني، اللَّهُمَّ عافِنِي في سَمْعي، اللَّهُمَّ عافِنِي في بَصَري، لا إلهَ إلَّا أَنْتَ" رواه أبو داود(٣).

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْكُفر وَالفَقْر، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبْر، لا إلهَ إلَّا أَنْتَ" رواه أبو داود(٤).

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعافِيةَ في الدُّنْيا وَالآخِرَة، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعافِيةَ في ديني وَدُنْيايَ وَأَهْلي وَمالي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عوْراتي وَآمِنْ رَوْعاتي، اللَّهُمَّ احْفَظْني مِن بَينِ يَدَيَّ وَمِن خَلْفي، وَعَن يَميني وَعَن شِمالي، وَمِن فَوْقي، وَأَعوذُ بِعَظَمَتِكَ أَن أُغْتالَ مِن تَحْتي. رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد(٥).

" يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ؛ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ" رواه النسائي(٦).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٧٧) برقم (١٥٣٦٠). والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٥) برقم (٩٧٤٣) كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا أصبح. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ١٢٣٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٠) برقم (٢٧٢٦) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٤/ ٧٤) برقم (٢٠٤٣٠). وأبو داود في سننه (٤/ ٣٢٤) برقم (٥٠٩٠) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٤) برقم (٩٧٦٦) كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفزع في منامه. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٦٠). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع،الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٤) هو تتمة للحديث الذي قبله.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٨/ ٤٠٣) برقم (٤٧٨٥). وأبو داود في سننه (٤/ ٣١٨) برقم (٥٠٧٤) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢١٠) برقم (١٠٣٢٥) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧٣) برقم (٣٨٧١) كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٤٦٥).

(٦) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٢) برقم (١٠٣٣٠) كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفزع في منامه. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١٠١٣).

" أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى المُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ ما في هذِه اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ ما بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما في هذِه اللَّيْلَةِ وَشَرِّ ما بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بكَ مِنَ الكَسَلِ وَسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بكَ مِن عَذَابٍ في النَّارِ وَعَذَابٍ في القَبْرِ، وإذَا أَصْبَحَ قالَ ذلكَ أَيْضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ لِلَّهِ" رواه مسلم[١].

عليكَ بذكْرِ اللهِ تحظى بقُرْبِهِ   عليكَ بذكْرِ اللهِ في العُسرِ واليُسرِ
عليكَ بذكْرِ اللهِ في كلِّ حالةٍ   عليكَ بذكْرِ اللهِ في السرِّ والجهرِ[٢]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٨) برقم (٢٧٢٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٢) ينظر: https://www.aldiwan.net/poem٢٧٥٤٥html..

٢٠ ذي القعدة

تتمة أذكار الصباح والمساء

يقول الله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾(١)، وكثيرًا ما نرى آيات القرآن الكريم تتحدَّث عن ذكْر الله تعالى بالعشيّ والإبكار ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾(٢)، أو بكرةً وأصيلًا ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(٣)، أو بالغدو والآصال ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾(٤)، أي صباحًا ومساءً.

وها نحن نذكر طرفًا جديدًا من أذكار الصباح والمساء بعد ما ذكرناه سابقًا:-

" اللَّهُمَّ عالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ، فاطِرَ السَّماواتِ وَالأرْضِ، رَبَّ كلِّ شَيءٍ وَمَليكَه، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْت، أَعوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفْسي وَمِن شَرِّ الشَّيْطانِ وَشركِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلى نَفْسي سوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلى مُسْلِم" رواه أحمد وأبو داود والترمذي(٥).

" أَعوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَق". مَن قاله لم يضرَّه شيءٌ حتَّى يُصبح. رواه أبو داود(٦).

" اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ" رواه أحمد(٧).

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجَالِ " رواه البخاري(٨).

---

(١) الروم: ١٧-١٨.

(٢) آل عمران: ٤١.

(٣) الإنسان: ٢٥.

(٤) الأعراف: ٢٠٥.

(٥) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٤٢) برقم (٨١). والترمذي في سننه (٥/ ٥٤٢) برقم (٣٥٢٩) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٢٨٩).

(٦) رواه رواه مسلم في صحيحه دون قوله "حتى يصبح" (٤/ ٢٠٨١) برقم (٢٧٠٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره. ورواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١١٦٢) برقم (٣٥١٨) كتاب الطب باب رقية الحية والعقرب.

(٧) رواه أحمد في مسنده (٣٢/ ٣٨٣) برقم (١٩٦٠٦). والحديث قال عنه الألباني: "حسن لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢١).

(٨) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٦) برقم (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير باب من غزا بصبي للخدمة.



" أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الحَيُّ القَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيهِ" غُفِرَ له وإنْ كان فرَّ من الزحفِ. رواه الترمذي(١).

" يَا رَبِّ؛ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ، وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ" رواه ابن ماجه(٢).

" لَا إِلَه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ" (مائة مرة) كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبتْ له مائة حسنة، ومُحيتْ عنه مائة سيئة، وكانتْ له حرزًا من الشيطان يَومَهُ ذلكَ حتَّى يُمْسِيَ، ولَمْ يَأْتِ أحَدٌ بأَفْضَلَ ممَّا جاءَ إلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أكْثَرَ منه. رواه البخاري(٣).

" سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ" (مائة مرة) حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ. رواه البخاري(٤).

" اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأوَّلُ فليسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فليسَ بَعْدَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فليسَ فَوْقَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فليسَ دُونَكَ شَيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ" رواه مسلم(٥).

والصحيح أنَّ أذكار المساء والصباح لها وقتٌ مُحدَّدٌ، بدليل التحديد الوارد في كثير من الأحاديث النبوية: مَن قال حين يُصبح كذا وكذا، ومَن قال حين يُمسي كذا وكذا.

لكنَّ العلماء اختلفوا في تحديد وقت أذكار المساء والصباح بدايةً ونهايةً، فمن العلماء مَن يرى أنَّ وقت الصباح يبدأ بعد طلوع الفجر، وينتهي بطلوع الشمس، ومنهم مَن يقول إنَّه ينتهي بانتهاء الضحى.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٨٥) برقم (١٥١٧) باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستغفار. والترمذي في سننه (٥/ ٥٦٨) برقم (٣٥٧٧) أبواب الدعوات باب في دعاء الضيف. والحديث قال عنه الألباني: "صحيح لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٢).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٤٩) برقم (٣٨٠١) كتاب الأدب باب فضل الحامدين. والترمذي في سننه (٥/ ٥٦٨) برقم (٣٥٧٧) أبواب الدعوات باب في دعاء الضيف. والحديث قال ضعفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٤٧٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٢٦) برقم (٣٢٩٣) كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧١) برقم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٦) برقم (٦٤٠٥) كتاب الدعوات باب فضل التسبيح. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧١) برقم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.



لكنَّ الوقت المختار للذكْر هو من طلوع الفجر إلى ارتفاع الشمس، وأمَّا أذكار المساء؛ فمِن العلماء مَن يرى أنَّ وقت أذكار المساء يبتدئ من وقت العصر وينتهي بغروب الشمس، ومنهم مَن يرى أنَّ وقت أذكار المساء يمتدُّ إلى ثلث الليل، وذهب بعضهم إلى أنَّ بداية أذكار المساء تكون بعد الغروب.

ولعلَّ أقرب الأقوال أنَّ العبد ينبغي له أن يحرص على الإتيان بأذكار الصباح من طلوع الفجر إلى طلوعِ الشمس؛ فإن فاتْه ذلك فلا بأس أن يأتي به إلى نهاية وقت الضحى وهو قبل صلاة الظهر بوقت يسير، وأن يأتي بأذكار المساء من العصر إلى المغرب، فإن فاتْه في هذا الوقت فلا بأس أن يذكره إلى ثلث الليل، والدليل على هذا التفضيل ما ورد في القرآن من الحثِّ على الذكْر في البكور- وهو أول الصباح-، والعشي- وهو وقت العصر إلى المغرب-[١].

وأذكار المساء والصباح سُنَّةٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم وليست واجبة، ويجوز لمن فاتَتْه أن يقضيها في غير وقتها وله الأجر والثواب.

والدليل على ذلك قول الإمام النووي في كتاب (الأذكار): ينبغي لمن كان له وظيفة من الذكْر في وقتٍ من ليلٍ أو نهارٍ، أو عَقِيب صلاةٍ أو حالةٍ من الأحوال، ففاتَتْه؛ أن يتداركها، ويأتي بها إذا تمكَّن منها، ولا يُهملها، فإنَّه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يُعرِّضْها للتفويت، وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييعها في وقتها، وقد ثبت في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن نامَ عن حزبه أو عن شيءٍ منه؛ فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتبَ له كأنَّما قرأه من الليل" رواه مسلم[٢].

وفي الختام؛ على المسلم أن يُكثر من ذكر الله في جميع أوقاته خاصة وقت الصباح والمساء؛ حتى يظل دائمًا وأبدًا محفوظًا بحفظ الله تعالى، وتنحلُّ عنه عقد الشيطان، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ على قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذَا هو نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وإلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ" رواه البخاري[٣]. ففي الحديثِ أنَّ الذِّكرَ يَطرُدُ الشَّيطانَ، وكذا الوُضوءُ والصَّلاةُ.

---

(١) ينظر: شرح بلوغ المرام للهيميد (٤/ ٧٦٨). شرح بلوغ المرام بطريقة سؤال وجواب، المؤلف: سليمان بن محمد اللهيميد

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥١٥) برقم (٧٤٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٢) برقم (١١٤٢) كتاب التهجد باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٨) برقم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

وقد وردت أبيات في فضْل الذِّكْر للشيخ السعدي- رحمه الله تعالى- يقول فيها:-

فذكْرُ إلهِ العرشِ سرًّا ومُعلِنًا يُزيل الشقا والهمَّ عنك ويَطردُ
ويَجلـبُ للخيراتِ دُنيـا وإن يأتِكَ الوسواسُ يومًا يشردُ
وأجـــلًا فقدْ أخبرَ المختارُ يومًا بأنَّ كثيرَ الذِّكْرِ في السبقِ مُفرَدُ
لصحبهِ ووصَّى مُعاذًا يسـتعينُ إلهَهُ على ذِكْرِهِ والشُّكر بالحُسْنِ يعبدُ
وأوصى لشخصٍ قد أتى لنصيحةٍ وقد كانَ في حمْلِ الشرائعِ يَجهدُ
بأن لا يزالَ رطبًا لسانُكَ هـذه تُعين على كُلِّ الأمورِ وَتَسعـدُ
وأخبرَ أنَّ الذكْرَ غرسٌ لأهلِهِ بجنَّاتِ عدْنٍ والمساكن تُمـهَّدُ
وأخـــبرَ أنَّ اللـــه يذكُــرُ عبدَهُ ومعه على كلِّ الأمورِ يُســدَّدُ[1]

---

(١) منهج الحق (ص ٥). منهج الحق منظومة في العقيدة والأخلاق، للشَّيخ العلَّامة عبد الرَّحمان بن ناصر السِّعدي رحمه الله تعالى (١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ) تُنشر لأوَّل مرَّة، من إصدارات موقع الشيخ ابن سعدي



٢١ ذي القعدة

أذكار الخروج من المنزل وأهميتها

عن أمِّ المؤمنين أمِّ سلمة- رضي الله عنها- تصف خروجه صلى الله عليه وسلم من بيتها فتقول: ما خرَجَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من بَيتي قَطُّ إلَّا رفَعَ طَرْفَه إلى السَّماءِ، فقال:" اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ أضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أظْلِمَ أو أُظلَمَ، أو أجهَلَ أو يُجهَلَ عليَّ" رواه الترمذي وأبو داود(١).

فقوله صلى الله عليه وسلم: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك: أي ألتجئ إليك، من أن أَزِلَّ، أي أن يقع مني الزَّلل، والزَّلل يكون بمعنى الخطأ قولًا أو فعلًا، ويكون بمُزايلة الحقِّ أي زلَّت قدمه، هذه زلَّة من فلانٍ، سواء كان ذلك يسيرًا أم كبيرًا، فهو يستعيذ بالله من أن يزلَّ، أن يحيد، أن يخرج عن دائرة الحقِّ في مقاله أو فعاله، وكذلك أيضًا هو يستعيذ بالله من أن يكون غيرُه هو مَن يُوقعه في الزَّلل، يستعيذ من أن يقع له الزَّلل بسبب غيره:" أو أُزَلَّ" يعني: أُصْرَف عن الحقِّ، يُوقعني في الخطأ، وفي الانحراف، وفي الزلَّة، أن يُوقعني غيري.

وكذلك يستعيذ بالله- تبارك وتعالى- من أن يظلم، فيقع الظُّلم منه لغيره، هذا الظُّلم سواء كان باللِّسان؛ بقولٍ يقوله في حقِّ غيره من: غيبةٍ، أو نميمةٍ، أو سبابٍ وشتائم، أو حكم على الآخرين لا يكون مُوافقًا للحقِّ والصَّواب، فكل هذا من الظُّلم، ويدخل في ذلك العدوان عليهم باللِّسان، واليد، والجوارح، وما إلى ذلك، هذا كلُّه من الظُّلم، سُوء الظنِّ بالناس ظلمٌ لهم، الحكم عليهم بغير الحقِّ هو من قبيل الظُّلم، الاحتقار للآخرين، التَّكبُّر عليهم، التَّعالي والتَّعاظم، كل هذا من الظُّلم.

والظُّلم أنواع كثيرةٌ جدًّا، والخارج من بيته عُرضة لهذه الأنواع أن يقع له شيءٌ من ذلك؛ إمَّا بسببٍ صدَرَ منهم ابتداءً، يعني: كأن يُستفزُّ مثلًا، أن يتصرَّف أحدٌ منهم تصرُّفًا يجعل الآخرين لربَّما يتغيَّظون عليه فيظلمونه ولو بالدُّعاء، فإنَّه كما قال شيخُ الإسلام- رحمه الله- بأنَّ الإنسان قد يُظْلَم، ولكنَّه يَظلم أعظم من مظلمته، فيكون مُتعدِّيًا بالدُّعاء على ظالمه بأكثر مما جنى(٢).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٢٥) برقم (٥٠٩٤) كتاب الأدب باب ما يقول إذا خرج من بيته. والترمذي في سننه (٥/ ٤٩٠) برقم (٣٤٢٧) أبواب الدعوات باب منه. والحديث قال صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٤٨٦).

(٢) لم أقف عليه.



"أَجهل" يعني: أفعل فعلَ الجُهلاء، يعني: من العدوان على الآخرين في أعراضهم، في دمائهم، في أموالهم، أو غير ذلك، فهذا الجهل بمعنى التَّعدِّي؛ ولهذا قال: أو يُجهَل عليَّ، خلافًا لـمَن فسَّره بالجهل الذي يُقابل العلم، فالجهل يأتي لهذا وهذا، لكن الظَّاهر أنَّ المرادَ به هنا- والله تعالى أعلم- أنَّه الجهل الذي بمعنى التَّعدِّي على الآخرين، يستعيذ بالله- تبارك وتعالى- من أن يكون عدوانيًّا، أن يكون جانيًا على أحدٍ من الناس، أن لا تصدُر منه جنايةٌ أصلًا، وعدوانٌ على أحدٍ في نفسٍ، أو مالٍ، أو عِرْضٍ، أو غير ذلك.

أو يُجهَل عليَّ يعني: يفعل الناسُ بي أفعالَ الجُهَّال من إيصال الضَّرر والمكروه وأنواع الأذى والعدوان، فيُقابلونه مقابلةَ الجاهلين بالسَّفه والوقاحة والسِّباب ونحو ذلك، فهذا يستعيذ الإنسانُ منه إذا خرج من بيته.

وكذلك يستعيذ بالله تعالى من ظلم الناس: أن يَظلمهم، أو أن يظلموه، أو أن يُؤذيهم، أو أن يصل إليه شيءٌ من أذاهم؛ لأنَّه لا بدَّ من مُخالطةٍ لهؤلاء الناس، فمَن سلم مِن ذلك جميعًا فقد سلم، وذلك أنَّ العبدَ لا يخلو- لأنَّه من طبيعة الإنسان- أنَّه لا بدَّ له من مُؤانسةٍ وخُلطةٍ واجتماعٍ بالناس، قد يصدُر منه أو يصدُر منهم ما يكون سببًا للآثام والأوزار، فهو يستعيذ بالله من ذلك جميعًا؛ ليكون مُعافًى، يتعوَّذ بالله من ذلك جميعًا أن يصدُر من طرفه، أو من طرف غيره؛ ولهذا كان بعضُ السَّلف يقول: اللهم سلِّمني وسلِّم مني.

وفي حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!" رواه أبو داود والنسائي(١).

ويذكر بعض أهل العلم هنا التَّناسُب في هذه المذكورات مع قوله: هُدِيتَ، وكُفِيتَ، ووُقِيتَ، فهو بعد أن يُقرِّر أنَّ الإنسان إذا خرج من منزله لا بدَّ أن يُعاشِر الناس، ويُزاول الأمر، فيخاف أن يعدل عن الصِّراط المستقيم: فإمَّا أن يكون في أمر الدِّين؛ فلا يخلو من أن يَضلَّ أو يُضلَّ، وإمَّا أن يكون في أمر الدُّنيا: فإمَّا بسبب جريان المعاملة معهم بأن يَظلِم أو يُظلَم، وإمَّا بسبب الاختلاط والمصاحبة:

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٢٥) برقم (٥٠٩٥) كتاب الأدب باب ما يقول إذا خرج من بيته. والترمذي في سننه (٥/ ٤٩٠) برقم (٣٤٢٦) أبواب الدعوات باب ما يقول إذا خرج من بيته. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٩) برقم (٩٨٣٧) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٦٥).



فإمَّا أن يَجهَل أو يُجهَل عليه، استعاذ من هذه الأحوال جميعًا بلفظٍ مُختَصرٍ سَلِسٍ[1]، ثمَّ يُطبِّق هذه المذكورات على قوله: هُدِيتَ، وكُفِيتَ، ووُقِيتَ.

فإنَّ العبد إذا قال:" بسمِ اللهِ" قيل له:" هُدِيتَ"، وإذا قال:" توكلتُ على اللهِ" يُقال له:" كُفِيتَ"، وإذا قال:" لا حولَ ولَا قوةَ إلَّا باللهِ"، يُقال له:" وُقِيتَ"، فهذه نتائج ثلاث مُرتَّبة على الجُمَل الثلاث الأولى.

ويُرتِّب الطَّيبي هنا ذلك أيضًا على هذا الدُّعاء: أعوذ بك أن أَزلَّ أو أُزلَّ، أو أَظلم أو أُظلم، أو أَجهل أو يُجهَل عليَّ، فهذه ثلاثٌ، وفي تفصيلها تتشعَّب كلُّ واحدةٍ إلى شعبتين، فيكون المجموعُ ستًّا.

فالمقصود أنَّ الثلاثَ هذه من حيث الإجمال؛ يقول: بأنَّ قوله:" هُدِيتَ" مُطابقٌ لقوله: أَضلَّ أو أُضلَّ، يُقال:" هُدِيتَ"؛ لأنَّ الذي يُقابل الضَّلال هو الهداية، وكذلك" كُفِيتَ" أنَّه مُطابقٌ لقوله: أن أَظلم أو أُظلم، فيُكفى ذلك؛ فلا يصلْ منه ظُلمٌ لأحدٍ، ولا يصل إليه ظُلْمٌ من أحدٍ.

وأنَّ قوله:" وُقِيتَ" مُوافِقٌ ومُطابِقٌ لقوله: أَجهل أو يُجهَل عليَّ، فهو يتخوَّف من عدوان الناس، أو أن يصل منه عدوانٌ إلى الآخرين، فيستعيذ بالله من ذلك كلِّه، فيُقال له:" وُقِيتَ"، أي بينك وبين هذا العدوان وقايةٌ، تُرْسٌ، أنت في منعةٍ.

المقصود أنَّ الإنسان حينما يلتجئ إلى الله- تبارك وتعالى- بهذا الذكر والدُّعاء والاستعاذة، ويحمي نفسَه من هذه المخاوف جميعًا: أن يَضلَّ أو يُضلَّ، أو يَزلَّ أو يُزلَّ، أو يَجهل أو يُجهل عليه، فينبغي للمسلم أن يُحافظ على ذلك، وأن يحرص عليه؛ ليكون مُعتصمًا بربِّه وخالقه، فيُحْفَظ، ولا يصل إليه مكروهٌ، مع الأَخْذ بالأسباب، وهذه الأسباب تكون مُرتبِطةً بالتَّوكُّل على الله، والاستعانة به.

وفي الختام فإنَّه كما سنَّ الدعاء عند الخروج من البيت، فكذلك سنَّ آداب الاستئذان، ودعاء الدخول إلى البيت، وهو:" اللهمَّ إنِّي أسألك خير المولج وخير المخرَج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى ربِّنا توكَّلنا" رواه أبو داود[2].

---

(١) ينظر: تحفة الأحوذي (٩/ ٢٧٢).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٢٥) برقم (٥٠٩٦) كتاب الأدب باب ما يقول إذا دخل بيته. والترمذي في سننه (٥/ ٤٩٠) برقم (٣٤٢٦) أبواب الدعوات باب ما يقول إذا خرج من بيته. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٩) برقم (٩٨٣٧) كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر. والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٢/ ٧٣٠).



ولهذا الدعاء فضلٌ كبيرٌ؛ فهو يمنع الشياطين من الدخول إلى البيت، عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- أنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ؛ قالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ" رواه مسلم. لكنَّه إن دخل بيته ولم يذكر الله- سبحانه وتعالى- دخلت الشياطين إلى البيت، ويُوضِّح ذلك تتمَّة الحديث السابق:" فإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ؛ قالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المبِيتَ، وإذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قالَ: أَدْرَكْتُمُ المبِيتَ وَالْعَشَاءَ" رواه مسلم(١).

وقد وصَّى النبي صلى الله عليه وسلم بالسَّلام على أهله عند الدخول إلى البيت، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- ما قد وصَّاه به النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" يا بُنَيَّ؛ إذا دخلتَ علَى أَهلِكَ فسلِّم، يَكُنْ برَكَةً عليكَ، وعلَى أهلِ بيتِكَ" رواه الترمذي(٢).

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٩٨) برقم (٢٠١٨) كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٥٩) برقم (٢٦٩٨) أبواب الاستئذان والآداب باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته. والحديث قال عنه الألباني: "حسن لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٦٦).



٢٢ ذي القعدة

آداب الرؤيا

عن أبي قتادة- رضي الله عنه- قال: قَالَ صلى الله عليه وسلم:" الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلُمًا يَخَافُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ" رواه البخاري[١]. فعلِمنا أنَّ الرؤيا نوعان: رؤيا صالحة، ورؤيا سوء.

وقد أرشد الشرع الحكيم إلى بعض الآداب التي ينبغي أن يفعلها مَن رأى في منامه رؤيا.

فمِن أهمِّ آداب الرؤيا الصالحة:

١- أن يعلم أنَّها من الله تعالى فيحمده عليها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا" رواه البخاري[٢].

٢- أن يفرح ويستبشر بها، وينشرح لها صدره، ولا يقصها إلَّا على مَنْ يُحبُّ، ولا يطلب تأويلَها إلَّا من ذي رأيٍ وحِكمة، وعلمٍ ونُصْح؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً؛ فَلْيُبْشِرْ، وَلَا يُخْبِرْ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ" رواه مسلم[٣]. وفي رواية الترمذي:" وَلَا تُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا لَبِيبًا أَوْ حَبِيبًا"[٤] وفي رواية الترمذي أيضًا:" لَا تُقَصُّ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ"[٥].

والحِكمة في عَرْضِ الرؤيا على أهل العلم والنُّصح: أنَّ العالِم يُؤوِّلها له على الخير مهما أمكنه. وأمَّا الناصح فإنَّه يُرشده إلى ما ينفعه ويُعِينه عليه. وأمَّا الحبيب فإنْ عَرَفَ خيرًا قاله، وإنْ جَهِلَ أو شَكَّ سَكَت.

ومن الآداب والضوابط المعتبَرة في المعبِّر: أن يكون عالِمًا حاذِقًا بعلْم تأويل الرؤى. وأنْ يحفظ الأسرار؛ فلا يذهب فيقول:" فلانٌ رأى كذا، أو كذا"، ممَّا فيه كَشْفٌ لها. وأنْ يكون عالِمًا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٢٥) برقم (٣٢٩٢) كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٢) برقم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٠) برقم (٦٩٨٥) كتاب التعبير باب الرؤيا من الله.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٢) برقم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.

(٤) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٣٦) برقم (٢٢٧٨) أبواب الرؤيا باب في تأويل الرؤيا ما يستحب منها وما يكره. والحديث صححه الألباني كما في الجامع الصغير وزياداته (١/ ٥٧٧).

(٥) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٣٧) برقم (٢٢٨٠) أبواب الرؤيا باب في تأويل الرؤيا ما يستحب منها وما يكره. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١٢٣٣).

بكتاب الله، وسُنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم، ولغةِ العرب، وأمثالِها، وما يجري على ألسنة الناس. وأنْ يُعَبِّر الرؤيا على مقادير الناس، ومذاهبِهم وأديانِهم وبلدانِهم، مع الاستعانة بالله تعالى، وسؤالِه التوفيقَ والسدادَ في تعبيره للرؤيا. وإذا لم يُمكنه تأويلها؛ فإنَّ الأَولى أنْ يُحيلها على مَنْ هو أعلم منه بالتأويل، ولا يتحرَّج في ذلك. وإذا كانت الرؤيا فيها شيءٌ يكرهه صاحبُها؛ فإنَّه يَصْمُت، أو يدعو صاحِبَها إلى الْتِزام تقوى الله تعالى. وأنْ ينوي بتعبيره التقرُّب إلى الله تعالى؛ لأنَّ تعبير الرؤيا سُنَّة مأخوذةٌ عن الأنبياء.

٣- أن يُفسِّرَها على أحسن الوجوه، فإنَّ ذلك ممَّا يشرح صدر الرائي، ويزيد في استبشاره وتوقُّعه للخير، والمسلمُ مُطالَب بالتفاؤل، وإحسانِ الظَّنِّ بالله تعالى في كلِّ أحواله، والتفسيرُ الحَسَنُ يصبُّ في هذا الاتجاه؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا رَأى أحَدُكُم الرُّؤيا الحَسَنَةَ فَلْيُفَسِّرْها ولْيُخْبِرْ بِها" رواه الترمذي[١].

ومن أهمِّ آداب الرؤيا السُّوء المكروهة:

١- الاستعاذة بالله تعالى من شرِّها، والاستعاذة من الشيطان؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ؛ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا" رواه البخاري[٢]. وعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ: كَانُوا إِذَا رَأَى أَحَدُهُمْ فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ قَالَ: أَعُوذُ بِمَا عَاذَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ شَرِّ مَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنْ يُصِيبَنِي مِنْهُ شَيْءٌ أَكْرَهُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[٣].

---

(١) قال الألباني: "أورده السيوطي من رواية الترمذي عن أبي هريرة بلفظ: "إذا رأى أحدكم الرؤيا الحسنة فليفسرها وليخبر بها وإذا رأى الرؤيا القبيحة فلا يفسرها ولا يخبر بها". وكذلك في "الجامع الكبير" (١/ ٥٦/ ٢)، وقال المناوي في "الفيض": "رمز لحسنه تبعا للترمذي، وحقه الرمز لصحته وظاهر صنيع المصنف أن الترمذي تفرد بإخراجه عن الستة، ولا كذلك، فقد رواه ابن ماجه وعن أبي هريرة باللفظ المذكور". كذا قال، ولم أجد الحديث عند الترمذي وابن ماجه باللفظ المذكور بعد مزيد من البحث عنه وتعاطي كل الوسائل الممكنة" سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٣٢٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٠) برقم (٦٩٨٥) كتاب التعبير باب الرؤيا من الله.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٧٠) برقم (٢٩٥٤٦). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.



٢- أن يبصق أو ينفث عن يساره ثلاثًا؛ ويوقن بأنَّها لنْ تضرَّه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ؛ فَلْيَنْفُثْ (وفي لفظ: فَلْيَبْصُقْ) عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ" رواه مسلم(١).

وكون البصق يسارًا؛ لأنَّ جهة اليسار محلُّ الأقذار، ويبصق ثلاثًا؛ للتأكيد. فيجب على المسلم أن يعتقد يقينًا أنَّ الحُلْمَ لن يضرَّه، وهو أمرٌ مُرتبِطٌ بالاعتقاد الصحيح، فيكون سببًا للسلامة من المكروه. والمتأمِّل في روايات هذه الأحاديث؛ يلحظ أنَّه قد ورد الأمْر بالنفْث والتفل والبصق، فلعلَّ المراد أن ينفخ العبد مع شيءٍ يسيرٍ من الريق.

٣- التَّحوُّل عن الجَنْب الذي ينام عليه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ" رواه مسلم(٢). أي: إلى الجَنْب الآخَر؛ تفاؤلًا بِتَحوُّل تلك الحال التي كان عليها.

٤- أن يقوم فيُصلِّي؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ؛ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ" رواه مسلم(٣). والصلاة فيها لجوء إلى الله تعالى؛ لِقُرْب المصلِّي من ربِّه عند سجوده.

٥- ألَّا يَقُصَّها على أحدٍ، ولا يطلبَ تفسيرها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا السَّيئة:" فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ" رواه البخاري(٤).

وقد قسَّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم الرؤيا إلى ثلاثة أقسام، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ"(٥).

فأمَّا القسم الأول الذي هو جزءٌ من خمس وأربعين جزءًا من النبوَّة، فهو الذي يُعبِّره المعبِّرون، لكن لا ينبغي أن يتجاسر على تعبيرها إلَّا مَن هو أهلٌ لتعبيره، عالِمٌ بتأويله، وَقِيلَ للإمام مَالِكٍ- رَحِمَهُ اللَّهُ-: أَيَعْبُرُ الرُّؤْيَا كُلُّ أَحَدٍ؟ فَقَالَ: أَبِالنُّبُوَّةِ يُلْعَبُ؟! وَقَالَ أيضًا: لَا يَعْبُرُ الرُّؤْيَا إِلَّا مَنْ يُحْسِنُهَا، فَإِنْ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٢) برقم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٢) برقم (٢٢٦١) كتاب الرؤيا.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٣) برقم (٢٢٦٣) كتاب الرؤيا.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٠) برقم (٦٩٨٥) كتاب التعبير باب الرؤيا من الله.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٣) برقم (٢٢٦٣) كتاب الرؤيا.

رَأَى خَيْرًا أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ رَأَى مَكْرُوهًا فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ. قِيلَ: فَهَلْ يَعْبُرُهَا عَلَى الْخَيْرِ وَهِيَ عِنْدَهُ عَلَى الْمَكْرُوهِ؛ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا عَلَى مَا أُوِّلَتْ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: لَا. ثُمَّ قَالَ: الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ، فَلَا يُتَلَاعَبُ بِالنُّبُوَّةِ[١].

وأمَّا القسم الثاني الذي هو تحزين من الشيطان فلا ينبغي تكلُّف تعبيره، بل ولا التحدُّث به، فعن جابر- رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ رأيتُ في المنام كأنَّ رأسي قُطِع. قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يُحدِّث به الناس. رواه مسلم[٢]. ورواه ابن ماجه أيضًا بلفظ: أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ وهو يخطب فقال: يا رسول الله؛ رأيتُ البارحة فيما يرى النائم كأنَّ عُنقي ضُرِبتْ وسقط رأسي فاتَّبعتُه فأخذتُه فأعدتُه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يُحدِّثنَّ به الناس[٣].

وأمَّا القسم الثالث فكذلك، لأنَّه ليس رؤيا، وإنَّما هو أشياء يهتمُّ بها الإنسان في يقظته، فتبقى في ذاكرته، فيراها في النوم.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: مِنْهَا أَهَاوِيلُ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ لِيَحْزُنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ. وَمِنْهَا مَا يَهُمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقَظَتِهِ، فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ. وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ" رواه ابن ماجه[٤].

وعلى المسلم ألَّا يتعجَّل في التأويل للرؤيا؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ، فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ" رواه أبو داود وابن ماجه[٥]. حتَّى يتبصَّر، ويُؤوِّلها على أحسن وجه، فإنَّها إذا أُوِّلت وقعَتْ على ما أُوِّلت إلَّا أنْ يشاء اللهُ تعالى.

---

(١) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٢٨٨). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٧) برقم (٢٢٦٨) كتاب الرؤيا باب لا يخبر بتلعب الشيطان به في المنام.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٨٧) برقم (٣٩١٢) كتاب تعبير الرؤيا باب من لعب به الشيطان في منامه فلا يحدث به الناس. والحديث صححه الألباني كما في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٤١).

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٨٥) برقم (٣٩٠٧) كتاب تعبير الرؤيا باب الرؤيا ثلاث. والحديث صححه الألباني كما في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٤٠).

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٠٥) برقم (٥٠٢٠) كتاب الأدب باب ما جاء في الرؤيا. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٨٨) برقم (٣٩١٤) كتاب تعبير الرؤيا باب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على واد. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٦٦٣).



كذا عليه أَلَّا يَكْذِبَ في رؤياه، والكذبُ في الرؤيا من أكبر الكبائر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" مِنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ" رواه البخاري[١]. وقوله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلُمٍ لَمْ يَرَهُ؛ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ" رواه البخاري[٢].

ونختم بما قاله ابن القيم- رحمه الله- في مدارج السالكين: ومَن أراد أن تصدُق رؤياه فليتحرَّ الصدق، وأكْل الحلال، والمحافظة على الأوامر والنواهي، ولْينمْ على طهارةٍ كاملةٍ، مُستقبِلًا القبلة، ويذكر الله حتَّى تغلبه عينه، فإنَّ رؤياه لا تكذب البتة، وأصدق الرؤيا ما كان بالأسحار، فإنَّه وقت النزول الإلهي، واقتراب الرحمة والمغفرة، وسكون الشياطين[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٤٣) برقم (٧٠٤٣) كتاب التعبير باب من كذب في حلمه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٤٢) برقم (٧٠٤٢) كتاب التعبير باب من كذب في حلمه.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٧٦). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٢٣ ذي القعدة

السلام وآدابه

للسلام آداب جليلة بيَّنَتْها السُّنَّة النَّبويَّة، ورغبت في تطبيقها وتنفيذها بدقة، تتمثَّل هذه الآداب فيما يلي:

الأدب الأوَّل: تسليم الصغير على الكبير، والراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير. من السُنَّة أن يُسلِّم الصغير على الكبير؛ وذلك لحقِّ الكبير من التوقير والتكريم، وهو الأدب الذي ينبغي سلوكه، ويُسلِّم الراكب على الماشي؛ حتَّى يحمل السلامُ الراكبَ على التواضع وعدم التكبُّر، ويُسلِّم الماشي على القاعد؛ لشبهه بالداخل على أهل المنزل، ويُسلِّم القليل على الكثير؛ لحقِّ الكثير؛ فحقُّهم أعظم.

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يُسلِّم الراكبُ على الماشي، والماشي على القاعد، والقليلُ على الكثير" متفق عليه[١].

فقوله صلى الله عليه وسلم:" والقليل على الكثير" أمرٌ نسبيٌّ، يشمل الواحد بالنسبة للاثنين فصاعدًا، والاثنين بالنسبة للثلاثة فصاعدًا وما فوق ذلك.

وقيل: يبدأ الأدنى منهما الأعلى قدرًا في الدين إجلالًا لفضْله؛ لأنَّ فضيلة الدين مُرغَّبٌ فيها في الشرع. وإذا كان هناك ماشيان، ثم حال بينهما حائل- كشجرة أو جدار ونحو ذلك- فإنَّه يُشرَع لهما السلام إذا التقيا مرَّة أخرى، ولو تكرَّر ذلك مرَّات؛ وذلك لما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال:" إذا لقِي أحدُكم أخاه فلْيُسلِمْ عليه، فإن حالتْ بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فلْيسلِمْ عليه" رواه أبو داود[٢].

الأدب الثاني: عدم تخصيص أحدٍ من الجالسين بالسَّلام: فإنَّ هذا مِن شأنِه أن يُوغر صدور الجالسين، ويزرع البُغض والحقد. لذا يُكرَه إذا لقى جماعة أن يَخُصَّ بعضهم بالسلام؛ لأنَّ القصد بمشروعية السلام تحصيل الأُلفة، وفي التخصيص إيحاشٌ لغير مَن خصَّ بالسلام.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٢) برقم (٦٢٣٢) كتاب الاستئذان باب تسليم الراكب على الماشي. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٣) برقم (٢١٦٠) كتاب السلام باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٥١) برقم (٥٢٠٠) كتاب الأدب باب في الرجل يفارق الرجل ثم يلقاه أيسلم عليه؟. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٣٦١).



الأدب الثالث: أن يُلقَى السلامُ برفقٍ ولينٍ وخفضِ صوتٍ على قومٍ فيهم نيام. بحيث لا يُقلقهم ولا يُوقظهم، وفي هذا أدبٌ نبويٌ رفيعٌ، حيث يُراعَى فيه حالُ النائم فلا يُكدَّر عليه نومه، وفي الوقت نفسه لا تفوت فضيلة السلام.

وعن المِقْدَاد- رضي الله عنه- في حَدِيثه الطويل قَالَ: كُنَّا نَرْفَعُ للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم نَصِيبهُ مِنَ اللَّبَن، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيلِ فَيُسَلِّمُ تسليمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ اليَقْظَان، فَجَاء النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّم كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ. رواه مسلم[١].

الأدب الرابع: استحباب تكرار السلام ثلاثًا، إذا كان الجمع كثيرًا، أو شَكَّ في سماع المسلَّم عليه. عن أنس- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أعادها ثلاثًا، وإذا أتى قومًا فسلَّم عليهم؛ سلَّم عليهم ثلاثًا. رواه البخاري[٢].

قال الإمام النووي: وهذا محمولٌ على ما إذا كان الجمعُ كثيرًا[٣].

وأضاف ابن حجر: وكذا لو سلَّم وظنَّ أنَّه لم يُسمَعْ فتُسنُّ الإعادة، فيُعيد مرَّة ثانية وثالثة، ولا يزيد على الثالثة[٤].

قال الحافظ ابن القيم: كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يُسلِّم ثلاثًا، ولعلَّ هذا كان هديه في السلام على الجمع الكثير الذين لا يبلغهم سلامٌ واحدٌ أو هديه في إسماع السلام الثاني والثالث؛ إن ظنَّ أنَّ الأول لم يحصل به الإسماع كما سلَّم لما انتهى إلى منزل سعد بن عبادة ثلاثًا فلمَّا لم يُجبْه أحدٌ رجع[٥].

الأدب الخامس: الجهر بإلقاء السلام، وكذلك الردُّ: لقد كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في السلام أن يرفع صوته بالسلام، وكذلك في الردِّ، فلا يحصل بالإسرار الأجر؛ إلَّا ما استُثْنِي.

وعن ثابت بن عبيد- رضي الله عنه- قال: أتيتُ مجلسًا فيه عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- فقال: إذا سلَّمتَ فأسمِعْ؛ فإنَّها تحية مباركة طيِّبة[٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٢٥) برقم (٢٠٥٥) كتاب الأشربة باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٠) برقم (٩٥) كتاب العلم باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه.

(٣) الأذكار للنووي (ص: ٢٤٥).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٧).

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٨٢).

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٤٧) برقم (١٠٠٥). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٨٥). الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.



وذكر ابن القيم: أنَّ مِن هديه صلى الله عليه وسلم أنَّه كان يُسمِع المسلِّمَ ردَّه عليه[١].

وقال ابن حجر: واستُدِلَّ بالأمر بإفشاء السلام على أنَّه لا يكفي السلام سرًّا، بل يُشترَط الجهر، وأقلُّه أن يُسمِعَ في الابتداء والجواب، ولا تكفي الإشارة باليد ونحوه[٢].

الأدب السادس: تعميم السلام على مَن يعرفه المرء أو لا يعرفه: عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال:" أن تُطعِمَ الطعام، وتقرأ السلام على مَن عرفتَ ومَن لم تعرف" رواه البخاري ومسلم[٣].

وهذا الحديث فيه الحثُّ على إفشاء السلام ونشره بين الناس، لما فيه من المصالح العظيمة، لعلَّ مِن أعظمها: التأليف بين المسلمين، وسلامة قلوبهم لبعض، وضده السلام على الخاصَّة، وفي الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ بين يدي الساعة تسليمَ الخاصَّة" رواه أحمد[٤].

الأدب السابع: استحباب إلقاء السلام على الصبيان: وذلك لتعويدهم وتدريبهم منذ الصغر على آداب الشريعة تأسيًّا بالنبي صلى الله عليه وسلم. عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنَّه مرَّ على صبيان فسلَّم عليهم، وقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله. متفق عليه[٥].

وفي السلام على الصبيان حَمْلٌ للنفس على التواضع، وسلوك لين الجانب.

الأدب الثامن: استحباب السلام عند دخول البيت. وذلك إذا كان مسكونًا، فإذا كان البيت خاليًا؛ فقد استحبَّ بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم أن يُسلِّم الرجل على نفسه إن كان البيت خاليًا.

عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: إذا دخل البيت غير المسكون؛ فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[٦].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٣٨٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٩)

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٢) كتاب الإيمان باب إطعام الإطعام من الإسلام. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٥) برقم (٣٩) كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٤١٥) برقم (٣٨٦٩). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٢٤٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٥) برقم (٦٢٤٧) كتاب الاستئذان باب التسليم على الصبيان. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٨) برقم (٢١٨٦) كتاب السلام باب استحباب السلام على الصبيان.

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٦٣) برقم (١٠٥٥). والحديث حسن إسناده الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٤٠٧).



قال ابن حجر: ويدخل في عموم إفشاء السلام؛ السلام على النفس لمن دخل مكانًا ليس فيه أحد، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾(١)(٢).

الأدب التاسع: استحباب ردُّ السلام على مَن حمل إليه السلام والمحمول إليه: عن غالبٍ قال: إنَّا لجلوسٌ بباب الحسن إذ جاء رجل فقال: حدَّثني أبي عن جدي قال: بعثني أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ائته فأقرئه السلام، قال: فأتيتُه فقلتُ: إنَّ أبي يُقرئك السلام. فقال: عليك وعلى أبيك السلام. رواه أبو داود(٣).

وعن عائشة- رضي الله عنه- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة؛ هذا جبريل يقرأ عليكِ السلام. قالتْ: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى(تريد رسول الله- صلى الله عليه وسلم-). رواه البخاري(٤).

وعن أنس- رضي الله عنه- قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده خديجة- رضي الله عنها- قال: إنَّ الله يُقرئ خديجة السلام. فقالتْ: إنَّ الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. رواه النسائي(٥).

الأدب العاشر: السلام على القوم عند الخروج من المجلس، فكما أنَّه يُسنُّ السلام عند القدوم على المجلس، فكذلك مِن السُّنَّة أن يُلقي السلام عند مفارقة ذلك المجلس.

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فلْيُسلمْ، فإن بدا له أن يجلس فلْيجلسْ، ثم إذا قام فلْيُسلِّمْ، فليستِ الأولى بأحقَّ من الآخرة" رواه أبو داود والترمذي(٦).

---

(١) النور: ٦١.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٠).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٥٨) برقم (٥٢٣١) كتاب الأدب باب في الرجل يقول: فلان يقرئك السلام. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٣٤٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١١٢) برقم (٣٢١٧) كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٩٦) برقم (٢٤٤٧) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٩٠) برقم (٨٣٠١) كتاب المناقب، مناقب خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٤١٣) برقم (٩٦٦٣). والترمذي في سننه (٥/ ٦٢) برقم (٢٧٠٦) أبواب الاستئذان والآداب باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٤٤) برقم (١٠١٢٩) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا قام. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٧٨).

قال الطيبي: أي: كما أنَّ التسليمة الأولى إخبارٌ عن سلامتهم من شرِّهِ عند الحضور، فكذلك الثانية إخبارٌ عن سلامتهم من شرِّهِ عند الغيبة، وليست السلامة عند الحضور أولى من السلامة عند الغيبة، بل الثانية أولى(١).

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣٠٤٩). شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.



٢٤ ذي القعدة

عيادة المريض فضلها وآدابها

إن زيارة المريض حق المسلم على أخيه المسلم، فإذا مرض شخص كان من حقه عليك أن تزورَه وتواسيَه وتُخفِّفَ من مرضه، فعن أبي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" حَقُّ المسْلِمِ عَلَى المسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ المرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ" رواه البخاري ومسلم(١).

فزيارة المريض أمرٌ مُرغَّبٌ فيه شرعًا، ومن حقوق المسلم على أخيه المسلم، ولكنَّها ليست واجبة، وقال بعض العلماء: إنَّها مُستحبَّة، ورأى آخرون أنَّها فرض كفاية، والغرض منها مؤانسة المريض وجبْر خاطر أهله والدعاء له.

وتشير الأحاديث إلى أنَّه يجب على المسلم أن يجعل زيارته لله وفي الله، لا لغرض دنيوي؛ كأن يعود الأغنياء ويترك الفقراء والمساكين والضعفاء الذين يُرزَق الناس ويُنصَرون بسببهم.

والمرض صورة من صور الضعف البشري الذي يعتري كل البشر، فالمريض يجد نفسه في أزمة حقيقية، يحتاج إلى رفعها عنه حسيًّا ومعنويًّا، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعًا ما يتحرك تجاه هؤلاء المرضى؛ للتخفيف عنهم ورفع معنوياتهم. وعن عثمان بن عفان-رضي الله عنه- قال: إنَّا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير" رواه أحمد(٢).

فالهدف من زيارة المريض مُوَاساته، وإظهار الحبِّ له؛ فيُتَرجَمُ ذلك إلى أثرٍ نفسيٍّ يعود على المريض، فيَسعد المريضُ، وكذلك أهلُهُ، وتهون عليه أزمته ومرضه.

ولعيادة المريض فضل عظيم وثواب جزيل، منه:

أولًا: الجلوس في معية الله عز وجل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ؛ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ؛ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧١) برقم (١٢٤٠) كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٤) برقم (٢١٦٢) كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٥٣٢) برقم (٥٠٤).



أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ؛ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ؛ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ؛ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ؛ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي" رواه مسلم(١).

ثانيًا: صلاة الملائكة عليه: ويكفى في فضل عيادة المريض؛ أن الملائكة تُصلِّي على العائد وتستغفر له، واستغفار الملائكة مجاب إن شاء الله، فعنْ أَبِي فَاخِتَةَ قَالَ: أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي، قَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ نَعُودُهُ، فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَعَائِدًا جِئْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَمْ زَائِرًا؟ فَقَالَ: لَا، بَلْ عَائِدًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ" رواه أحمد والتِّرمذي(٢).

وفي رواية أخرى عَنْه– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أيضًا؛ قَالَ: مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًا إِلَّا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ" رواه أبو داود(٣).

ثالثًا: نزول الرحمة والمغفرة: عن جابرِ بنِ عَبْد اللهِ– رضي الله عنه– قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" مَنْ عَادَ مَرِيضًا خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ، حَتَّى إِذَا قَعَدَ اسْتَقَرَّ فِيهَا" رواه أحمد(٤).

وعَنْ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: أَتَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ– رضي الله عنه– فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ؛ إِنَّ الْمَكَانَ بَعِيدٌ، وَنَحْنُ يُعْجِبُنَا أَنْ نَعُودَكَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، قَالَ:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٠) برقم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/ ١١٠) برقم (٧٠٢). والترمذي في سننه (٣/ ٢٩١) برقم (٩٦٩) أبواب الجنائز باب ما جاء في عيادة المريض. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٥٢) برقم (٧٤٥٢) كتاب الطب، ثواب من عاد مريضًا. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٤٨٩).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٨٥) برقم (٣٠٩٨) كتاب الجنائز باب في فضل العيادة على وضوء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٥٩).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٥/ ٨٨) برقم (١٥٧٩٧). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ١٩٨).



فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ هَذَا لِلصَّحِيحِ الَّذِي يَعُودُ الْمَرِيضَ، فَالْمَرِيضُ مَا لَهُ؟ قَالَ: تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ" رواه أحمد(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ تَبعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ" رواه مسلم(٢).

رابعًا: السعادة والنعيم: فالله تعالى يجعل ثواب العائد سعادة ورضا، فهو في ممشاه إلى المريض يمشي في رياض الجنة، ويتبوَّأ منها منزلًا، عَنْ ثَوْبَانَ- رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ؛ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ" رواه مسلم(٣). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ؛ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا" رواه الترمذي(٤).

خامسًا: معرفة نعمة الله عليك: رُوي أنَّ رجلًا جاء إلى أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- فقال: يا أم المؤمنين؛ إنَّ بي داءً؛ فهل عندك دواء؟ قالت: وما داؤك؟ قال: القسوة، قالت: بئس الداء داؤك، عُدِ المرضى، واشهدِ الجنائز، وتوقَّع الموت(٥).

ولقد لخص ابن حجر آداب عيادة المريض فقال: فِي الْعِيَادَة أَنْ لَا يُطِيلَ الْعَائِدُ عِنْد الْمَرِيض حَتَّى يَضْجَرهُ، وَأَنْ لَا يَتَكَلَّم عِنْده بِمَا يُزْعِجهُ. وَجُمْلَة آدَاب الْعِيَادَة عَشَرَة أَشْيَاء، وَمِنْهَا مَا لَا يَخْتَصُّ بِالْعِيَادَةِ: أَنْ لَا يُقَابِل الْبَاب عِنْد الِاسْتِئْذَان، وَأَنْ يَدُقّ الْبَاب بِرِفْقٍ، وَأَنْ لَا يُبْهِم نَفْسه كَأَنْ يَقُول:

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ١٧٩) برقم (١٢٧٨١). والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف جدًا" كما في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٣٨٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧١٣) برقم (١٠٢٨) كتاب الزكاة باب من جمع الصدقة، وأعمال البر.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٩) برقم (٢٥٦٨) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٢٩٢) برقم (٨٦٥١). والترمذي في سننه (٤/ ٣٦٥) برقم (٢٠٠٨) أبواب البر والصلة باب ما جاء في زيارة الإخوان. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ١٣٨).

(٥) رواه أبو داود في الزهد (ص ١٩٦) برقم (٢٠٧). الزهد لأبي داود السجستاني، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.



أَنَا، وَأَنْ لَا يَحْضُر فِي وَقْت يَكُون غَيْر لَائِق بِالْعِيَادَةِ؛ كَوَقْتِ شُرْب الْمَرِيض الدَّوَاء، وَأَنْ يُخَفِّف الْجُلُوس، وَأَنْ يَغُضّ الْبَصَر، وَيُقَلِّل السُّؤَال، وَأَنْ يُظْهِر الرِّقَّة، وَأَنْ يُخْلِص الدُّعَاء، وَأَنْ يُوَسِّع لِلْمَرِيضِ فِي الْأَمَل، وَيُشِير عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ جَزِيل الْأَجْر، وَيُحَذِّرهُ مِنْ الْجَزَع لِمَا فِيهِ مِنْ الْوِزْر[١].

ومن آداب زيارة المريض؛ الدعاء له بما ورد من أدعية مأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أدعية الشفاء:" اللَّهُمَّ ربَّ النَّاسِ؛ أَذْهِبِ الْبَأسَ، واشْفِ، أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفاءً لَا يُغَادِرُ سقَمًا" متفقٌ عليه[٢]. وعن أَبي سعيد الخُدْرِيّ- رضي اللَّه عنه- أَن جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يَا مُحَمدُ؛ اشْتَكَيْتَ؟ قال: نَعَمْ، قال:" بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يشْفِيك، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ " رواه مسلم[٣].

قال الشاعر:

أدبُ العيادةِ أن تكونَ مُسَلِّمًا * * * وتقومَ في إثرِ السلامِ مُودِّعا

وقال آخر:

حُسنُ العيادةِ يـومٌ بينَ يومينِ* * * واقعدْ قليلًا كمثل اللَّحظ بالعين

لا تُبرمِنَّ عليلًا في مُسـاءلةٍ* * * يكفيك من ذاكَ تسأله بحرفين[٤]

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٢٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣٢) برقم (٥٧٤٣) كتاب الطب باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٢٢) برقم (٢١٩١) كتاب السلام باب استحباب رقية المريض.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ 1718) برقم (٢١٨٦) كتاب السلام باب الطب والمرض والرقى.

(٤) ينظر هذين البيتين والذي قبلهما في: http://saaid.org/Doat/hamesabadr/١٠٨.htm..

٢٥ ذي القعدة

فضل الأذان

من الشعائر العظيمة التي جاء بها الإسلام؛ الأذان. وهو في اللغة: الإعلام بالشيء، قال الله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾(١)، أي إعلام. وقوله:﴿ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾(٢)، أي أعلمتُكم فاستوينا في العلم.

وفي الشرع: الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ معلومة مخصوصة مشروعة، وسُمِّي بذلك لأنَّ المؤذِّن يُعلِم الناس بمواقيت الصلاة، ويُسمَّى النداء؛ لأنَّ المؤذِّن يُنادي الناس ويدعوهم إلى الصلاة.

قال القرطبي وغيره: الأذان على قلَّة ألفاظه؛ مشتملٌ على مسائل العقيدة، لأنَّه بدأ بالأكبرية، وهي تتضمَّن وجود الله وكماله، ثم ثَنَّى بالتوحيد، ونفي الشرك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة، لأنَّها لا تُعرَف إلَّا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيدًا، ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت، والدعاء إلى الجماعة، وإظهار شعائر الإسلام، والحكمة في اختيار القول له دون الفعل؛ سهولة القول وتَيسُّره لكل أحدٍ في كل زمان ومكان(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَة- رضي اللَّه عنه- أَنَّ رسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَال:" لَوْ يعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّداءِ والصَّفِّ الأَولِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يسْتَهِموا علَيهِ لاسْتهموا علَيْهِ، ولوْ يعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِير لاسْتبَقوا إِلَيْهِ، ولَوْ يعْلَمُون مَا فِي العَتَمَةِ والصُّبْحِ لأتوهُما ولَوْ حبوًا" متفقٌ عليه(٤).

ومعنى الحديث: أنَّ الناس لو يعلمون ما في الأذان والصف الأول من الثواب العظيم والأجر الجزيل، ثم لم يجدوا طريقًا للقيام بالأذان والوقوف في الصف الأول؛ إلَّا القرعة لفعلوها واقترعوا من أجل تحصيل فضلهما.

---

(١) التوبة: ٣.

(٢) الأنبياء: ١٠٩.

(٣) ينظر: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٢/ ١٤٧). كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، دار النوادر – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٥) كتاب الأذان باب الاستهام في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٥) برقم (٤٣٧) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.

وعنْ مُعاوِية- رضي اللَّه عنه- قَال: سمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" المؤذِّنُونَ أَطْولُ النَّاسِ أعْنَاقًا يوْمَ القِيامةِ" رواه مسلم(١).

قال النووي- رحمه الله-: قيل: معناه أكثر الناس تشوُّقًا إلى رحمة الله تعالى؛ لأنَّ المتشوِّف يطيل عنقه إلى ما يتطلَّع إليه، فمعناه: كثرة ما يرونه من الثواب، وقال النضر بن شميل: إذا ألجم الناسَ العرقُ يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق، وقيل: معناه أنهم سادة ورؤساء، والعرب تصف السادة بطول العنق، وقيل: معناه أكثر أتباعًا، وقال ابن الأعرابي: معناه أكثر الناس أعمالًا ، قال القاضي عياض وغيره: ورواه بعضهم " إعناقًا " بكسر الهمزة أي: إسراعًا إلى الجنة. والعَنَق نوعٌ من السير سريع(٢).

وعنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ أَبِي صَعْصعَةَ أَن أَبَا سعِيدٍ الخُدْرِيّ- رضي اللَّه عنه- قَالَ لَهُ:" إِنِّي أراكَ تُحِبُّ الْغَنَم والْبادِيةَ، فإِذا كُنْتَ في غَنَمِكَ أَوْ بادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ للصَّلَاةِ؛ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يْسمعُ مَدَى صوْتِ المؤذِّن جِنٌّ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ؛ إِلَّا شَهِد لَهُ يوْمَ الْقِيامَةِ. قَالَ أَبُو سعيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم" رواه البخاري(٣).

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" مَن أذَّن ثنتي عشرة سنة وجبتْ له الجنة، وكُتِبَ له بتأذينه في كلِّ يومٍ ستون حسنة، ولكلِّ إقامةٍ ثلاثون حسنة" رواه ابن ماجه(٤).

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم للمؤذِّنين والأئمة فقال:" اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الْأَئِمَّةَ، وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ" رواه أبو داود(٥).

وعن البراء بن عازب- رضي الله عنه- أنَّ نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الله وملائكته يُصلُّون على الصف المقدَّم، والمؤذِّنُ يُغفَر له بمدِّ صوته، ويُصدِّقه مَن سمعه مِن رطبٍ ويابسٍ، وله مثلُ أجرِ مَن صلَّى معه" رواه النسائي(٦).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٩٠) برقم (٣٨٧) كتاب الصلاة باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه.

(٢) شرح النووي على مسلم (٤/ ٩١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦٠٩) كتاب الأذان باب رفع الصوت بالنداء.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٢٤١) برقم (٧٢٨) كتاب الأذان والسنة فيه باب فضل الأذان، وثواب المؤذنين. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٢١٤).

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٨٩) برقم (٧١٦٩). وأبو داود في سننه (١/ ١٤٣) برقم (٥١٧) كتاب الصلاة باب ما يجب على المؤذن من تعاهد الوقت. والترمذي في سننه (١/ ٤٠٢) برقم (٢٠٧) أبواب الصلاة باب ما جاء أن الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ٢٣١).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٦٦) برقم (١٨٥٠٦). والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٣٩) برقم (١٦٢٢) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، رفع الصوت بالأذان. والحديث قال عنه الألباني: "صحيح لغيره" كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢١٤).



وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ (قال الجمهور: المراد بالتثويب هنا الإقامة) بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ" رواه البخاري ومسلم(١).

ومن حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه-" أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ" رواه البخاري ومسلم(٢). قال الخطابي: وفيه أنَّ الأذان شعار الإسلام، وأنَّه لا يجوز تركه، ولو أنَّ أهل بلدٍ اجتمعوا على تركه؛ كان للسلطان قتالهم عليه(٣).

وقد شُرِعَ الْأَذَانُ بِالْمَدِينَةِ فِي السَّنَةِ الأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ عَلَى الأَصَحِّ. والأذان والإقامة فرضا كفاية على الرجال دون النساء للصلوات الخمس المكتوبة، فهما مشروعان بالكتاب؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(٤) ، وقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(٥). وبالسُّنَّة؛ لحديث مالك بن الحويرث- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" فإذا حضرت الصلاة فليؤذِّن لكم أحدُكم وليؤمَّكم أكبرُكم" رواه البخاري ومسلم(٦). فقوله: (أحدكم) يدلُّ على أنَّ الأذان فرض كفاية.

قال ابن تيمية: وفي السُّنَّة المتواترة أنَّه كان يُنادَى للصلوات الخمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبإجماع الأمَّة وعملها المتواتر خلفًا عن سلف(٧). والصواب أنَّ الأذان يجب على الرجال في الحضر والسفر، وعلى المنفرد، وللصلوات المؤدَّاة والمقْضيّة، وعلى الأحرار والعبيد.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦٠٨) كتاب الأذان باب فضل التأذين. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٩١) برقم (٣٨٩) كتاب الصلاة باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦١٠) كتاب الأذان باب ما يحقن بالأذان من الدماء.

(٣) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١/ ٤٦٠). أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

(٤) المائدة: ٥٨.

(٥) الجمعة: ٩.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٨) برقم (٦٢٨) كتاب الأذان باب من قال: ليؤذن في السفر مؤذن واحد. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٦٥) برقم (٦٧٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة.

(٧) شرح عمدة الفقه (ص ٩٦). شرح العمدة لشيخ الإسلام ابن تيمية - من أول كتاب الصلاة إلى آخر باب آداب المشي إلى الصلاة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨ هـ(، المحقق: خالد بن علي بن محمد المشيقح، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

ويُستحبُّ الترديد خلف المؤذن: عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله؛ إنَّ المؤذِّنين يفضلوننا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قُلْ كما يقولون، فإذا انتهيتَ فسل تُعطه. رواه أحمد وأبو داود(١).

كما يُستحبُّ الدعاء بعد الأذان: عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" مَن قال حين يسمع النداء: اللهمَّ ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة؛ آتِ مُحمَّدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة" رواه البخاري(٢).

وأخيرًا: تُستحبُّ الصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثل ما يقول، ثمَّ صلُّوا عليَّ؛ فإنَّه مَن صلَّى عليَّ صلاة صلَّى اللهُ عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنَّها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلَّا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمَن سأل لي الوسيلة حلَّتْ له الشفاعة" رواه مسلم(٣).

وختامًا: يُستحبُّ أن يكون الأذان بصوت جهوري جميل، وأن ينتظر المؤذّن فترة ليجتمع المسلمون ثم يقيم الصلاة. كما يُستحبُّ أن يستقبل المؤذِّن أو مقيم الصلاة القبلة، وأن يكونا على وضوء. ولا يجوز الأذان قبل دخول الوقت، فإن فعل ذلك فعليه الإعادة في الوقت المحدَّد. وإذا قضى المسلم عدة فرائض في وقت واحد؛ فيكفيه أذان واحد، ويقيم لكل صلاة فائتة. كما أنَّه لا يُؤذَّن ولا يُقام لصلاة الجنازة، ولا لصلاة العيد، ولا لوتر، ولا لنافلة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ١٧٤) برقم (٦٦٠١). وأبو داود في سننه (١/ ١٤٤) برقم (٥٢٤) كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح "كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٢٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٤) كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨٨) برقم (٣٨٤) كتاب الصلاة باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة.



٢٦ ذي القعدة

غزوة أحد (دروس وعبر)

لقد كانت غزوة أحد[١] بما فيها من أحداث مؤلمة؛ تربية للأمَّة في كل زمان ومكان، لما فيها من دروس وعبر، تتوارثها الأجيال تلو الأجيال، وهي كثيرة، منها:

حبُّ الصحابة الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ظهر ذلك بصورة عمليَّة حينما حاصر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه، وخلال هذا الموقف العصيب سارع المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقاموا حوله سياجًا بأجسادهم وسلاحهم، وبالغوا في الدفاع عنه، فقام أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع صدره ليقيه من سهام العدو، ويقول:" نحري دون نحرك يا رسول الله" رواه البخاري[٢].

وأبو دجانة يحمي ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والسهام تقع عليه ولا يتحرَّك.

وامتصَّ مالك بن سنان الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم حتى أنقاه. رواه الطبراني[٣].

وعرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة من الجبل فنهض إليها ليعلوها فلم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض عليه، فقال صلى الله عليه وسلم:" أوجب طلحة" أي الجنة. رواه أحمد والترمذي[٤].

وامرأة من بني دينار أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نعوهم لها قالتْ: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيرًا يا أمَّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالتْ: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأتْه قالتْ: كلُّ مصيبةٍ بعدك جلل. أي صغيرة. رواه الطبراني[٥].

---

(١) ينظر لهذه الغزوة: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٦٠ ٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٧) برقم (٣٨١١) كتاب مناقب الأنصار باب مناقب أبي طلحة رضي الله عنه. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٤٣) برقم (١٨١١) كتاب الجهاد والسير باب غزوة النساء مع الرجال.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ٤٧) برقم (٩٠٩٨)

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٣) برقم (١٤١٧). والترمذي في سننه (٤/ ٢٠١) برقم (١٦٩٢) أبواب الجهاد، باب ما جاء في الدرع. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٢٧).

(٥) ينظر: البداية والنهاية (٥/ ٤٤٩).

وهكذا سما حبُّ المسلمين الأوائل للرسول صلى الله عليه وسلم فوق كلِّ حبٍّ، إنَّه حبٌّ يعلو فوق حبِّ الآباء والأبناء والأزواج والأنفس، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾(١).

فالإيمان لا يكتمل حتى يمتلئ قلب المسلم بحبِّ النبي صلى الله عليه وسلم، فهو القائل صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين" رواه البخاري(٢). ويوم تمتلئ قلوب المسلمين بنحو هذا الحبِّ سينتصرون على أعدائهم مهما كانت العقبات.

ومن خلال غزوة أحد ظهر لنا أنَّ المعاصي من أهم أسباب الهزيمة وتخلُّف النصر عن الأمَّة، فبسبب معصية واحدة؛ ذهب النصر عن المسلمين بعد أن انعقدت أسبابه، ولاحت بوادره، ظهر هذا الدرس في مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، والذي قلب الموازين وأدَّى إلى الهزيمة، فالمسلمون انتصروا في بداية المعركة حينما امتثلوا أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، بينما انهزموا حينما خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم.

ومن ثم ينبغي أن يُعْلَم أنَّه وإن كان إعداد العُدَّة والعدد مطلبًا شرعيًّا، إلَّا أنَّ النصر والهزيمة لا يتوقَّفان عليهما، فبالمعاصي تدور الدوائر، فقد فاضت أرواح في تلك الغزوة بسبب معصية، ومُحيت حضارات كثيرة بسبب الذنوب والمعاصي. فكيف ترجو أُمَّةٌ عصت ربَّها، وخالفتْ أمر نبيِّها، وتفرَّقت كلمتها أن يتنزَّل عليها نصر الله وتمكينه؟!

فالمعاصي سبب كلِّ عناءٍ، وطريق كلِّ شقاءٍ، ما حلَّت في ديار إلَّا أهلكتها، ولا فشت في مجتمعات إلَّا أشقتها، وهي من الأسباب الرئيسية للهزيمة في الحروب، ومن ثم ينبغي الحذر منها والبُعد عنها، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾(٣) ، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾(٤).

---

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٥) كتاب الإيمان باب: حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٧) برقم (٤٤) كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة.

(٣) آل عمران: ١٦٥.

(٤) الشورى: ٣٠.



ومن الدروس الهامة من معركة أحد خطورة إيثار الدنيا على الآخرة، وأنَّ ذلك مما يُفقِد الأمَّة عون الله ونصره وتأييده، قال ابن مسعود- رضي الله عنه-: ما كنتُ أرى أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[١][٢].

وقال ابن عباس- رضي الله عنهما-: لما هزم اللهُ المشركين يوم أحد؛ قال الرماة: أدركوا الناس ونبي الله، لا يسبقوكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم"، وقال بعضهم: لا نبرح حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾[٣][٤].

ومن الحِكم الباهرة من هذه الغزوة إشاعة قتْل النبي صلى الله عليه وسلم فيها، كي يتنبه المسلمون إلى الحقيقة التي ينبغي أن يُوطِّنوا أنفسهم عليها، وهي قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٥] ، فلا يرتدُّوا على أعقابهم أو يضعفوا ويتراجعوا، إذا وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختفى من بينهم، أو تُوفِّي أو قُتِل، ومن أجل ذلك قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٦].

ولقد بان أثر هذا يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفعل، فكانت هذه الشائعة في يوم أحد وما نزل بسببها من القرآن، هي التي أيقظت المسلمين ونبَّهتهم، فودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلوبهم الحزينة، ثم رجعوا إلى الأمانة التي تركها لهم فقاموا بها أقوياء أشداء.

ومن العِبر أيضًا؛ رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه، فلو كان فظًّا غليظًا ما التفَّتْ حوله القلوب والمشاعر، فالناس في حاجة إلى رفق ورحمة، وقلب يشعر بهمومهم وآلامهم، ويشفق عليهم،

---

(١) آل عمران: ١٥٢.

(٢) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٧/ ٢٩٥). جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٣) آل عمران: ١٥٢.

(٤) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٧/ ٢٩٥).

(٥) الزمر: ٣٠.

(٦) آل عمران: ١٤٤.

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يُعنِّف الرماة الذين خالفوا أمره، ولم يُخرجْهم من الصَّفِ، بل قابل ضعفهم وخطأهم برفق وحكمة وعفو، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١].

بل إنَّ رحمته صلى الله عليه وسلم شملت في هذه المعركة الكافرين والذين آذوه وأرادوا قتله، فقال- صلى الله عليه وسلم- وهو يمسح الدم عن وجهه بعد إصابته يوم أحد:" كيف يفلح قومٌ شجوا وجه نبيهم وكسروا رُباعيَّته وهو يدعوهم إلى الله، اللهمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" رواه أحمد[٢].

فكان من نتيجة ذلك أنَّ أبا سفيان في أُحُد يقود المشركين، وشعاره: اعلُ هُبل، وفي فتح مكَّة يقول: لا إله إلَّا الله.

ووحشي يقتل حمزة في أُحُد، ثم يُسلِم ويَقتل مُدَّعي النبوة مسيلمة الكذَّاب بعد ذلك.

ومن خلال غزوة أحد يتَّضح أنَّ مبدأ الشورى مبدأ مهم في الإسلام، فقد استشار النبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابه في قتال المشركين خارج المدينة أو داخلها، وأَخذ برأي الأغلبية.

وأيضًا لا بدَّ من الأخذ بأسباب النصر المادية والمعنوية مع التوكُّل على الله والاعتماد عليه، فقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين، ولبس لأْمَة الحرب، وكافح معه الصحابة، وقاتل عنه جبريل وميكائيل أشدَّ القتال، رغم أنَّ الله عصمه من القتل.

---

(١) آل عمران: ١٥٩

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢١/ ٤٥٧) برقم (١٤٠٧٣).

٢٧ ذي القعدة

غزوة تبوك

اشتملت هذه الغزوة المباركة(١) على دروس عظيمة؛ منها:

١- أنَّ الجهاد بالمال لا يقلُّ عن الجهاد بالنفس، قال تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

٢- في هذه الغزوة فضيلة لعثمان- رضي الله عنه- فقد أنفق إنفاقًا عظيمًا حتى قال صلى الله عليه وسلم:" مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ" رواه الترمذي(٣).

٣- أنَّ فيها منقبة عظيمة لأبي بكر الصدِّيق وعمر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة- رضي الله عنهم جميعًا- ممَّن شاركوا في الإنفاق على جيش العسرة، حيث تصدَّق أبو بكر بماله كلِّه، وعمر بنصف ماله، وعبد الرحمن بن عوف أنفق ثمانية آلاف درهم- رضي الله عنهم-.

٤- أنَّ المنافقين دأبُهم الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين، وقد ذمَّهم الله غاية الذم وفضح أمرهم؛ قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝٦٤ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾(٤).

٥- أنَّ كثيرًا من الآيات في سورة التوبة نزلت تعالج موضوع الغزوة المباركة، نزل بعضها قبل الخروج، وبعضها بعد الخروج في السفر، وبعض آخر منها بعد الرجوع إلى المدينة، وقد اشتملت على ذكر ظروف الغزوة وفضح المنافقين، وفضل المجاهدين والمخلصين، وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين الخارجين منهم في الغزوة، والمتخلِّفين، إلى غير ذلك من الأمور.

---

(١) ينظر لغزوة تبوك: صحيح البخاري (٦/ ٢)، زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٤٦٠).

(٢) التوبة: ٤١.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٤/ ٢٣١) برقم (٢٠٦٣٠). والترمذي في سننه (٥/ ٦٢٦) برقم (٣٧٠١) أبواب المناقب، باب بدون ترجمة. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧١٣).

(٤) التوبة: ٦٤-٦٦.

٦- فضل الصحابة وحرصهم على الإنفاق في سبيل الله وتنافسهم في ذلك، ولذلك جاء في الحديث:" لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ" رواه البخاري ومسلم(١).

٧- أنَّ مسجد الضرار الذي بناه المنافقون قبل غزوة تبوك كان مكيدة للإسلام والمسلمين، لا يُراد به إلَّا الإضرار بالمسلمين والكفر بالله، وقد فضحهم الله وأنزل فيهم قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾(٢). وكان نزول هذه الآيات عندما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك، فلما نزلت هذه الآيات أمر بهدم المسجد.

٨- أنَّ فيها منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه- عندما خلفه رسول الله- صلى الله عليه وسلم عند النساء والصبيان وقال:" أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى" رواه البخاري ومسلم(٣).

٩- فيه الزجر والنهي عن السُّكنى في ديار المعذَّبين، والإسراع عند المرور على ديارهم.

١٠- ظهور بعض المعجزات والكرامات في هذه الغزوة، فمن ذلك عندما اشتدَّ بهم العطش حتَّى إنَّ الرجل لينحر البعير فيعصر فرثه فيشربه، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ربَّه فنزلت السحابة فأمطرتْ ولم تتجاوز العسكر. روى ابن حبَّان في صحيحه من حديث عبد الله بن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: قيل لعمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: حَدِّثْنَا مِنْ شَأْنِ الْعُسْرَةِ، قَالَ: خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٨) برقم (٣٦٧٣) كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا». ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٧) برقم (٢٥٤١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) التوبة: ١٠٧، ١٠٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ 19) برقم (٣٧٠٦) كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٠) برقم (٢٤٠٤) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.



كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الْمَاءَ، فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى نَظُنَّ أَنَّ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَدْ عَوَّدَكَ اللهُ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا، فَادْعُ لَنَا، فَقَالَ: أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَفَعَ صلى الله عليه وسلم يَدَيْه، فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى أَظَلَّتْ سَحَابَةٌ، فَسَكَبَتْ، فَمَلَأُوا مَا مَعَهُمْ، ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ، فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتِ الْعَسْكَرَ[١].

ومنها كذلك عندما أصابهم الجوع الشديد فنحروا النواضح، وأكلوا منها حتى قلَّ الظهر، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بفضل أزوادهم ودعا فيها بالبركة، فأكلوا جميعًا منها وحلَّت فيها البركة[٢].

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة أيضًا إخباره ببعض الأمور الغيبية، كقوله لمعاذ:" يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ؛ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا" رواه مسلم[٣].

١١- حُسْن خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم وإجابته إلى ما يلتمس منه أصحابه، وإجراؤهم على العادة البشرية في الاحتياج إلى الزاد في السفر.

١٢- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كغيره من البشر لا يعلم من الغيب إلَّا ما علَّمه الله، ولهذا لما ضلَّت ناقته لم يعرف مكانها حتى دلَّه الله عليها، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن يأتي بها.

١٣- جواز ائتمام الفاضل بالمفضول، وقد حدث هذا عندما صلَّى النبي صلى الله عليه وسلم خلف عبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه- الركعة الأولى من صلاة الفجر، ثم أتمَّ الثانية وحدَهُ[٤].

١٤- فيها منقبة لأبي ذر- رضي الله عنه- عندما أبطأ به بعيره، فأخذ متاعه وحمله على ظهره، ثم خرج ماشيًا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق[٥].

١٥- فيها منقبة لأبي قتادة- رضي الله عنه-، وذلك بحرصه على حراسة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه صلى الله عليه وسلم له.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٤/ ٢٢٣) برقم (١٣٨٣). والحديث ضعفه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣/ ٦٩). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

(٢) ينظر: البداية والنهاية (٧/ ١٦٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٤) برقم (٧٠٦) كتاب الفضائل باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٠) برقم (٢٧٤) كتاب الطهارة باب المسح على الناصية والعمامة.

(٥) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٤٦٧)



١٦- أنَّ من نام عن صلاة أو نسيها؛ فكفارته أن يُصلِّيَها إذا ذكرها، وليس في النوم تفريط، كما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة؛ عندما تأخَّر عن صلاة الفجر، وصلَّى خلف عبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه-.

١٧- ما جرى لأبي خيثمة- رضي الله عنه- من ندمه على تخلُّفه عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ثم استدراكه للأمر ووصوله إلى تبوك، وفيه بيان أنَّ المؤمن إذا وقع منه التقصير سرعان ما يتنبَّه ويستدرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [١].

١٨- أنَّ ساقي القوم آخرُهم شُربًا، لقول أبي قتادة- رضي الله عنه-: فشربتُ وشربَ رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

١٩- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يُحرَس كلَّ ليلةٍ من أصحابه خشية العدو.

---

(١) الأعراف: ٢٠١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٧٢) برقم (٦٨١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها.



٢٠- حرص النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته بأصحابه؛ وذلك بقوله لهم:" أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ" رواه البخاري ومسلم(١)، وكذلك ينبغي للأمير والقائد التحذير من المخاطر والأضرار.

٢١- كانت غزوة تبوك شاقَّة في بدايتها، ولكن كانت عاقبتها حميدة؛ لما تحقَّق فيها من ظهور عِزَّة الإسلام، ودخول الرعب في قلوب الأعداء، وما حصل من مكاسب سياسية من عقود ومعاهدات، ومكاسب مالية، حصلت بالصلح والالتزام بدفع الجزية، فتحقَّق بذلك قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

٢٢- أنَّ المنافقين يكيدون المكائد والمؤامرات للفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله، ولا أدلَّ على ذلك ممَّا فعلوه بالعقبة حين همُّوا بطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، فنجَّاه الله منهم، وذلك يُوجب أخذ الحذر منهم والاحتياط لما يُتوقَّع من كيدهم.

٢٣- أنَّ فيها منقبة لحذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- صاحب سرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بأسماء هؤلاء المنافقين الذين تآمروا على قتله واستكتمه ذلك.

٢٤- أنَّ الذي منع النبي صلى الله عليه وسلم من قتْل هؤلاء المنافقين؛ هو خشية أن يتحدَّث الناس أنَّ مُحمَّدًا يقتل أصحابه، فتحصل بذلك مفسدة تُنفِّر الناس من الإسلام، وهذا من الأدلَّة للقاعدة المشهورة: درء المفاسد مُقدَّمٌ على جلْب المصالح.

٢٥- مشروعية هجر أصحاب المعاصي؛ إذا كان الهجر يُؤدِّي إلى رجوعهم وفيه مصلحة. كما حدث مع الثلاثة الذين خُلِّفوا، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة باعتزالهم، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحُبتْ، وضاقتْ عليهم أنفسهم.

وهناك العديد والعديد من الدروس التي يضيق المقام والمقال عن حصرها.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ 125) برقم (١٤٨١) كتاب الزكاة باب خرص الثمر. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٥) برقم (١٣٩٢) كتاب الفضائل باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) البقرة: ٢١٦.

٢٨ ذي القعدة

يأيُّها النَّاس أنتُمُ الفقراءُ إلى الله

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[1].

يقول العلَّامة السعدي في تفسيره القيِّم لهذه الآية الكريمة: يخاطب الله تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنَّهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

فقراء في إيجادهم، فلولا إيجاده إيَّاهم لم يُوجدوا.

فقراء في إعدادهم بالقُوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعداده إيَّاهم بها؛ لما استعدوا لأيِّ عملٍ كان.

فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور؛ لما حصل لهم من الرزق والنعم شيء.

فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد. فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم؛ لاستمرَّت عليهم المكاره والشدائد.

فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير.

فقراء إليه في تألُّههم له، وحبِّهم له، وتعبُّدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يُوفِّقهم لذلك؛ لهلكوا وفسدت أرواحهم وقلوبهم وأحوالهم.

فقراء إليه في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يُصلِحهم، فلولا تعليمه لم يتعلَّموا، ولولا توفيقه لم يصلحوا.

فهم فقراء بالذات إليه بكل معنى وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفَّق منهم الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حالٍ من أمور دينه ودنياه، ويتضرَّع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يُعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامَّة من ربِّه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها.

{ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلْقه، ولا يفتقر إلى شيء ممَّا يفتقر إليه الخلْق، وذلك لكمال صفاته، وكونها كلُّها صفات كمال، ونعوت وجلال.

---

(١) فاطر: ١٥.

ومن غناه تعالى أنْ أغنى الخَلْقَ في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته وأسمائه، لأنَّها حُسنى، وأوصافه لكونها عُليا، وأفعاله لأنَّها فضْل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه، الغني في حمده(١).

وقال الإمام الزمخشري: فإن قلتَ: لمَ عرَّفَ الفقراء؟ قلتُ: قصد بذلك أن يُريهم أنَّهم لشدَّة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلُّهم مُفتقرين إليه من الناس وغيرهم؛ لأنَّ الفقر ممَّا يتبع الضعف، وكلَّما كان الفقير أضعف؛ كان أفقرَ، وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾(٢)، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾(٣)، ولو نكر لكان المعنى: أنتم بعض الفقراء(٤).

وقال الإمام القرطبي: فإن قلتَ: قد قوبل الفقراء بـ (الغني)؛ فما فائدة (الحميد)؟ قلتُ: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم، وليس كلُّ غنيٍّ نافعًا بغناه إلَّا إذا كان الغنيُّ جوادًا مُنعمًا، وإذا جاد وأنعم؛ حمده المنعِم عليهم واستحق عليهم الحمد، وذكر (الحميد) ليدلَّ به على أنَّه الغنيُّ النافع بغناه خلقه، الجواد المنعِم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه(٥).

وقال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: فإن قلتَ: كيف تجمع بين هذا وبين ثبوت الغنى لغير الله في الكتاب وفي السنة؟ قال الله تعالى: ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾(٦)، وقال النبي- عليه الصلاة والسلام-:" تُؤخَذُ مِن أغنياءهم وتُردُّ على فقراءهم" رواه البخاري ومسلم، فثبت بالكتاب والسُّنَّة أنَّ البشر فيهم الغني، كيف؟ الجواب: أنَّ غنى البشر غنًى محدود نسبي قاصر قابل للزوال كما أنَّه كان حادثًا، أمَّا غنى الله فهو غنًى مطلق كامل أزلي أبدي(٧).

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٨٧).

(٢) النساء: ٢٨.

(٣) الروم: ٥٤.

(٤) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٦٠٦). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٧).

(٦) البقرة: ٢٧٣.

(٧) تفسير العثيمين – فاطر (ص ١٣٥). تفسير القرآن الكريم- سورة فاطر، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ.

قال ابن القيم– رحمه الله–: أقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس؛ فلا يرى لنفسه حالًا ولا مقامًا ولا سببًا يتعلَّق به ولا وسيلة منه يمنُّ بها. بل يدخل على الله تعالى من ضرورته إلى ربِّه عزَّ وجلَّ، وكمال فاقته وفقره إليه، وأنَّ في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربِّه تبارك وتعالى، وأنَّه إن تخلَّى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تُجبَر، إلَّا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته، ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى[(١)]. أن لا ترى لنفسك مع ربِّك حالًا ولا مقامًا، ولا سببًا ولا شيئًا، وإنَّما تدخل على بابه سبحانه وأنت فقير، مسكين، ضعيف، مفلس، جاهل، ضائع، عاجز، ذليل، مُحتاج، مُتضرّع، ليس لك شيء، ولا بك شيء، ولا منك شيء. إن لم يرحمك مولاك هلكتَ، وإن لم يهدك ضللتَ، وإن لم يطعمك جُعتَ، وإن لم يحفظك اختُطفتَ، وإن لم يأخذ بيدك ضعتَ، وإن لم يُوفِّقك خُذِلتَ، وإن لم ينصرك هُزمتَ، وإن لم يثبتك فُتنتَ.

لما كثُر الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم والإصرار من الكفَّار، وقالوا: إنَّ الله لعلَّه يحتاج إلى عبادتنا حتَّى يأمرنا بها أمرًا بالغًا ويُهدِّدنا على تركها مُبالغًا، فقال تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾[(٢)]. فلا يأمركم بالعبادة لاحتياجه إليكم، وإنَّما هو لإشفاقه عليكم.

﴿ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[(٣)] ؛ هذا النداء عام للمؤمن والكافر، والبرِّ والفاجر، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، الناس عمومًا. وصدَّرَ الله هذا الحكم بهذا الخطاب الذي هو النداء؛ لأجل التنبيه وبيان الاهتمام به.

وفي الحقيقة أنَّه قد يُقال: كلُّ أحدٍ يعلم أنَّه فقيرٌ إلى الله، لكن هل نحن عملنا بمقتضى هذا العلم؟ لا، ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[(٤)] ، فقرَّر الله تعالى هذه الحال الثابتة التي لا ينفكُّ عنها إنسان– وهي الفقر إلى الله– من أجل أن يعمل بمقتضى هذه الحال، فيرجع إلى الله عزَّ وجلَّ، ولا يسأل إلَّا الله.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٧). الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

(٢) فاطر: ١٥.

(٣) فاطر ١٥.

(٤) العلق: ٦، ٧.



﴿أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ لما كان الإنسان هو الذي قد يرى نفسه مُستغنيًا عن الله؛ حصر الفقر فيه كأنَّه يقول: إن لم يكن أحدٌ فقيرًا إلى الله؛ فأنتم فقراء ولا بدَّ، وإذا كان الإنسان العاقل المدبِّر لنفسه فقيرًا إلى الله؛ فما بالك بالبهيمة، أليستْ أشدَّ فقرًا؟! بلى هي أشدُّ فقرًا إلى الله عزَّ وجلَّ من الإنسان، لكنه خاطب الإنسان بذلك؛ لأنَّه هو الذي يرى أنَّه قد استغنى عن الله، وأنَّه غنيٌّ عن الله.

بل إنَّ بعض بني آدم عكس القضية، فقال والعياذ بالله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [١]، فعكس القضية والواقع الذي تشهد به الفطرة.

وقد نظم الإمام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- القصيدة التائية في الافتقار إلى الله، فقال:

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ ... أَنَا الْمُسَيْكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي

أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي ... وَالْخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي

لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ ... وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ الْمَضَرَّاتِ

وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي ... وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي

إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا ... إِلَى الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْآيَاتِ

وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا ... وَلَا شَرِيكٌ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَّاتِ

وَلَا ظُهَيْرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِهِ ... كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ

وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٍ أَبَدًا ... كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي

وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ ... وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِ

فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ ... فَهُوَ الْجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ ... مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي [٢]

---

(١) آل عمران: ١٨١.

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٤٤). المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٢٩ ذي القعدة

شفاعة النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

لقد دلَّت الأحاديث النبوية الصحيحة على أنَّ للنبي محمد صلى الله عليه وسلم شفاعات كثيرة، منها ما يشترك فيها غيره معه، ومنها ما هو خاص به- عليه الصلاة والسلام-.

أنواع شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة:

١- الشفاعة العظمى الكبرى: وهي من خصائصه، التي أخبر الله تعالى عنها بأنها المقام المحمود، قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[(١)]، حين يأتي البشر الأنبياء نبيًّا نبيًّا؛ لشفعوا لهم، إلى أن يأتوا النبي محمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فيشفع لهم؛ وهي شفاعته- عليه الصلاة والسلام- لجميع الخلائق عند الله تعالى؛ ليبدأ الحساب، ويستريح الناس من طول الوقوف يوم القيامة؛ فعن ابْنَ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ:" إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النبي صلى الله عليه وسلم، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ" رواه البخاري[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ؛ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي- عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ

---

(١) الإسراء: ٧٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ 86) برقم (٤٧١٨) كتاب تفسير القرآن باب قوله: {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} [الإسراء: ٧٩].



قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى؛ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى؛ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي- عَزَّ وَجَلَّ-، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا؛ لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ؛ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ" رواه البخاري ومسلم(١).

٢- شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة بدخول الجنة، فلا يدخلها أهلها إلَّا بعد دخول النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ" رواه مسلم(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ 84) برقم (٤٧١٢) كتاب تفسير القرآن باب {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا} [الإسراء: ٣]. ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٤) برقم (١٩٤) كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٨) برقم (١٩٧) كتاب الإيمان باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا».



٣- شفاعته صلى الله عليه وسلم للعصاة من أُمَّته؛ ليخرجوا من النار ويدخلوا الجنة، فعنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ- رضيَ اللهُ عنه- عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ:" لَيَخْرُجَنَّ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِي، يُسَمَّوْنَ (جَهَنَّمِيُّونَ)" رواه الترمذي(١).

وفي رواية البخاري:" يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ"(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضيَ اللهُ عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الآخِرَةِ" رواه البخاري ومسلم(٣).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رضيَ اللهُ عنه- عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ:" شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي" رواه أبو داود(٤).

٤- شفاعته صلى الله عليه وسلم لقومٍ من أُمَّته؛ ليدخلوا الجنة من غير حساب ولا عذاب، ففي حديث أبي سعيد الخدري- رضيَ اللهُ عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي- عَزَّ وَجَلَّ-، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ؛ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ" رواه البخاري ومسلم(٥).

٥- شفاعته صلى الله عليه وسلم لجميع المؤمنين بدخول الجنة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رضيَ اللهُ عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٧١٥) برقم (٢٦٠٠) أبواب صفة جهنم باب منه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٦) برقم (٦٥٦٦) كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ 67) برقم (٦٣٠٤) كتاب الدعوات باب: لكل نبي دعوة مستجابة. ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٨) برقم (١٩٨) كتاب الإيمان باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ٤٣٩) برقم (١٣٢٢٢). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٣٦) برقم (٤٧٣٩) كتاب السنة باب في الشفاعة. والترمذي في سننه (٤/ ٦٢٥) برقم (٢٤٣٥) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلمباب منه. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٥٥٨).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٦/ 84) برقم (٤٧١٢) كتاب تفسير القرآن باب {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا} [الإسراء: ٣]. ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٤) برقم (١٩٤) كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

تَبَعًا"[١] وفي رواية قال:" أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ" رواه مسلم[٢].

٦- شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعض أهل النار أن يُخَفَّف عنهم من عذابها، ومن ذلك شفاعته- صلى الله عليه وسلم- لعمّه أبي طالبٍ؛ ليُخفَّف عنه من عذاب جهنم، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أبو طالبٍ، فَقَالَ:" لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ" رواه البخاري ومسلم[٣].

٧- شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات المؤمنين في الجنة، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ- رضيَ اللهُ عنها- قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَ:" اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ،، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ" رواه مسلم[٤].

هذا وأحقُّ الناس بشفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة؛ أهل التوحيد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ:" لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ" رواه البخاري[٥].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٨) برقم (١٩٦) كتاب الإيمان باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا».

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٨) برقم (١٩٦) كتاب الإيمان باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا».

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ 52) برقم (٣٨٨٥) كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب. ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٥) برقم (٢١٠) كتاب الإيمان باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٣٤) برقم (٩٢٠) كتاب الجنائز باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ 31) برقم (٩٩) كتاب العلم باب الحرص على الحديث.



وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رضِيَ اللهُ عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ" رواه البخاري ومسلم(١).

وعن جابرِ بنِ عَبدِ الله- رَضِيَ الله عنه- أيضًا أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" أُعطِيتُ خَمسًا لَم يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبلي: نُصِرْتُ بالرُّعبِ مَسيرةَ شَهرٍ، وجُعِلَت لي الأرضُ مَسجِدًا وطَهورًا، فأيُّما رَجُلٍ من أمَّتي أدرَكَته الصَّلَاةُ فليُصَلِّ، وأحِلَّتْ لي المغانِمُ ولَم تَحِلَّ لأحَدٍ قَبلي، وأُعطِيتُ الشَّفاعةَ، وكان النَّبيُّ يُبعَثُ إلى قَومِه خاصَّةً، وبُعِثتُ إلى النَّاسِ عامَّةً" رواه البخاري ومسلم(٢).

وعن أبي هُريرةَ- رَضِيَ الله عنه- أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَّم قال:" لَا يَصبِرُ على لَأْواءِ المدينةِ وشِدَّتِها أحَدٌ من أمَّتي إلَّا كُنتُ له شَفيعًا يَومَ القيامةِ أو شَهيدًا" رواه مسلم(٣).

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ- رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا" رواه الترمذي وابن ماجه(٤).

والخلاصة: ما قاله الإمام ابنُ القَيِّمِ- رحمه الله- بَعدَ أن ذَكَرَ أحاديثَ كثيرةً في الشَّفاعةِ: فقد تَضَمَّنَت هذه الأحاديثُ خَمسةَ أنواعٍ من الشَّفاعةِ:

أحَدُها: الشَّفاعةُ العامَّةُ التي يَرغَبُ فيها النَّاسُ إلى الأنبياءِ نَبيًّا بَعدَ نَبيٍّ حَتَّى يُريحَهمُ اللهُ من مَقامِهم.

النَّوعُ الثَّاني: الشَّفاعةُ في فتْحِ الجَنةِ لأهلِها.

النَّوعُ الثَّالِثُ: الشَّفاعةُ في دُخولِ مَن لا حِسابَ عليهِمُ الجَنةَ.

النَّوعُ الرَّابعُ: الشَّفاعةُ في إخراجِ قَومٍ من أهلِ التَّوحيدِ من النَّارِ.

النَّوعُ الخامِسُ: في تَخفيفِ العَذابِ عن بَعضِ أهلِ النَّارِ(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ 126) برقم (٦١٤) كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ 74) برقم (٣٣٥) كتاب التيمم. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠) برقم (٥٢١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٤) برقم (١٣٧٨) كتاب الحج باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٣٢٠) برقم (٥٤٣٧). والترمذي في سننه (٥/ ٧١٩) برقم (٣٩١٧) أبواب المناقب باب ما جاء في فضل المدينة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٣٩) برقم (٣١١٢) كتاب المناسك باب فضل المدينة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٢٠١).

(٥) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٣/ ٥٥). حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٥.



٣٠ ذي القعدة

يعرفون نعمت الله ثم يُنكرونها

يقول الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم في سورة النحل المعروفة بين العلماء بسورة النعم: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(١). حيث ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره عن مجاهد: أنَّ سبب نزول هذه الآية الكريمة: أنَّ أعرابيًّا أتى النَّبي صلى الله عليه وسلم فسأله. فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾(٢)، فقال الأعرابي: نعم، قال: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا ﴾(٣). قال الأعرابي: نعم، ثم قرأ عليه، كلُّ ذلك يقول الأعرابي: نعم، حتى بلغ: ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾(٤)، فولَّى الأعرابي. فأنزل الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾(٥).

وقال الإمام القرطبي: قوله تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ ٱللَّهِ) قال السُّدِّي: يعني محمَّدًا- صلى الله عليه وسلم-، أي يعرفون نبوَّته (ثُمَّ يُنكِرُونَهَا) ويُكذِّبونه.

وقال مجاهد: يريد ما عدَّد الله عليهم في هذه السورة من النعم؛ أي يعرفون أنَّها من عند الله، وينكرونها بقولهم: إنَّهم ورثوا ذلك عن آبائهم. وبمثله قال قتادة.

وقال عَوْن بن عبد الله: هو قول الرجل: لولا فلان لكان كذا، ولولا فلان ما أصبتُ كذا، وهم يعرفون النفع والضر من عند الله.

وقال الكَلْبِيّ: هو أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرَّفهم بهذه النعم كلِّها عرفوها وقالوا: نَعم، هي كلُّها نِعم من الله، ولكنَّها بشفاعة آلهتنا.

وقيل: يعرفون نعمة الله بتقلُّبهم فيها، وينكرونها بترْك الشكر عليها.

ويحتمل سادسًا يعرفونها في الشدَّة، وينكرونها في الرخاء.

ويحتمل سابعًا يعرفونها بأقوالهم، وينكرونها بأفعالهم.

---

(١) النحل: ٨٣.

(٢) النحل: ٨٠.

(٣) النحل: ٨٠.

(٤) النحل: ٨١.

(٥) النحل: ٨٣.



ويحتمل ثامنًا يعرفونها بقلوبهم، ويجحدونها بألسنتهم؛ نظيرها ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[(١)(٢)].

(وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ) قال بعض العلماء: معناه أنَّهم كلَّهم كافرون. أطلق الأكثر وأراد الكلَّ. قاله القرطبي والشوكاني. وقال الشوكاني: أو أراد بالأكثر العقلاء دون الأطفال ونحوهم. أو أراد كفر الجحود، ولم يكن كفر كلِّهم كذلك، بل كان كفرُ بعضِهم كفرَ جهلٍ[(٣)].

وعن مجاهد أيضًا (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) قال: هي المساكن والأنعام وما يُرزَقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب، تعرف هذا كُفَّارُ قريش ثم تُنكره، بأن تقول: هذا كان لآبائنا فورَّثونا إيَّاه[(٤)]. وقال آخرون: معنى ذلك أنَّ الكفَّار إذا قيل لهم: مَن رزقكم؟ أقرُّوا بأنَّ الله هو الذي يَرزقهم ثم يُنكرونه بقولهم: رُزِقنا ذلك بشفاعة آلهتنا[(٥)].

وذكر الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: قوله تعالى: (يعرفون نعمة الله) أي: يدركون بحواسِّهم أنَّ النعمة من عند الله[(٦)].

وقد بيَّن جلَّ وعلا: أنَّ بعثة نبيِّه صلى الله عليه وسلم فيهم من منن الله عليهم. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[(٧)]. وبيَّن في موضع آخر: أنَّهم قابلوا هذه النعمة بالكفران. وذلك في قوله:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[(٨)].

---

(١) النمل: ١٤.

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ١٦١).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٢٢). فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٢٧٣).

(٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٠٩). فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

(٦) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ٧٨٤). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣ هـ.

(٧) آل عمران: ١٦٤.

(٨) إبراهيم: ٢٨.



قوله: (نعمة الله) واحدة والمراد بها الجمع، فهي ليست واحدة، بل هي لا تُحصَى، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(١)، والقاعدة الأصوليَّة: أنَّ المفرد المضاف يَعُمُّ، والنعمة تكون بجلب المحبوبات، وتُطلَق أحيانًا على رفْع المكروهات(٢).

قوله: (ثم ينكرونها) أي: ينكرون إضافتها إلى الله؛ لكونهم يُضيفونها إلى السبب، مُتناسين المسبِّب الذي هو الله سبحانه، وليس المعنى أنَّهم ينكرون هذه النعمة، مثل أن يقولوا: ما جاءنا مطرٌ أو ولدٌ أو صحَّةٌ، ولكن ينكرونها بإضافتها إلى غير الله، مُتناسين الذي خلق السبب، فوُجِدَ به المسبَّب.

إنَّ أكثر الناس يعرفون نعمة الله تعالى ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون الجاحدون، لأنَّهم يعرفون نعم الله تعالى عليهم لكنَّهم يكفرونها، ومع ذلك لم يأمر الله تعالى الرسل إلَّا بالبلاغ والإنذار، والحكم على العباد لا يكون إلَّا للخالق سبحانه.

ونُقل عن بعض السلف: هو كقولهم: (كانت الريح طيبة والملَّاح حاذقًا) ونحو ذلك ممَّا هو جارٍ على ألسنة كثيرة(٣).

قوله:"كانت الريح طيبة". هذا في السفن الشراعية التي تجري بالريح، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾(٤) ، فكانوا إذا طاب سير السفينة قالوا: كانت الريح طيبة، وكان الملَّاح- وهو قائد السفينة- حاذقًا، أي: مُجيدًا للقيادة، فيضيفون الشيء إلى سببه وينسون الخالق جلَّ وعلا.

والخلاصة: أنَّ على المسلم دائمًا وأبدًا ألَّا ينسى فضْل الله، وألَّا ينسب النعم إلى أسبابه وآبائه وينسى المنعِم جلَّ وعلا، كلُّ شيءٍ منه بفضله كما قال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾(٥)، فالواجب شكر الله وعدم نسيانه، ولا مانع من ذكر الأسباب.

وختامًا؛ نرفع أيدينا إلى الله سبحانه وتعالى قائلين:

---

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ٧٨٤).

(٣) ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤١٠).

(٤) يونس: ٢٢.

(٥) النحل: ٥٣.



فيا ربِّ عفوك لا تأخذْ بزلَّتِنا	وارحمْ أيا ربِّ ذنبًا قد جنيناهُ
كم نطلبُ اللهَ في كلِّ ضُرٍ يَحلُّ بنا	فإنْ تَولَّتْ بلايانا نسيناهُ
ندعوه في البحرِ أن يُنجي سفينتَنا	فإنْ رجعنا إلى الشاطئ عصيناهُ
ونركـــبُ الجـــوَّ في أمنٍ وفي دعـةٍ	فما سقَطنا لأنَّ الحـــافظَ اللهُ[١]

(١) ينظر موقع الألوكة:
https://www.alukah.net/sharia/٠/١٣٦٦٠٧/%D٨%٩A%D٨%٩B%D٨%١B%D٩%١D%٩٨%٨D%٩٨%٦-
%D٩%٦٨%D٨%٩B%D٩%٥٨%D٨%A٩%D%-٨%A٧%D٩%٤٨%D٩%٤٨%D٩%٧٨%D%-٨%D٩%BA٩%٥٨-
%D٩%٨%D٩%A٩%٦٨%D٩%٣٨%D٨%B١%D٩%٨٨%D٩%٦٨%D٩%٧٨%D٨%A٧-
%D٨%D٨%EA٨%B٧%D٨%A٨%D٨%A٩/.



المؤلف

الأستاذ الدكتور / خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

هو بروفيسور في طب الأسرة والتعليم الطبي، وكان العميد المؤسِّس لكلية الطب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمشرف على الخدمات الطبية سابقًا. ويرأس حاليًا مجلس إدارة جمعية التطوُّع الصحية – أثر. وقد كان وكيلًا لجامعة الإمام للتخطيط والتطوير والجودة، ومستشارًا غير متفرغ لمعالي وزير التعليم السابق. وكان رئيسًا للجنة عمداء الطب بالجامعات السعودية. وله اهتمام كبير في العمل الصحي التطوُّعي؛ حيث تم تكريمه من معالي وزير الصحة بمناسبة اليوم العالمي للتطوُّع الموافق للخامس من شهر ديسمبر 2017 م. وهو أستاذ كرسي الدكتور الخولي لتطوير التعليم الطبي بالمملكة العربية السعودية. ورئيس تحرير ملحق مجلة المعلم الطبي الدولية. ورئيس تحرير مجلة جامعة الإمام للعلوم التطبيقية. ومؤسِّس الجمعية السعودية للدراسات الطبية الفقهية. وعضو المجلس الصحي السعودي سابقًا. وعضو مؤسِّس للجائزة الدولية للتميز في التعليم الطبي ومقرها بريطانيا. وقد شارك كمتحدِّث رئيس في أكثر من 300 مؤتمر عالمي في مجال التعليم الطبي وطب الأسرة، ولديه أكثر من سبعين بحثًا محكمًا ومنشورًا في دوريات عالمية ومحلية. وهو المحرر الرئيس لكتاب روتليدج الدولي للتعليم الطبي 2016 – "The Routledge International Handbook of Medical Education" – الناشر: روتليدج الدولية للكتب، التابعة لمجموعة تيلور وفرانسيس – Taylor & Francis Group – العالمية المعروفة. وقد حصل البروفيسور آل عبد الرحمن على العديد من الجوائز وشهادات التقدير المحلية والعالمية، من آخرها جائزة التميُّز في التحرير من الجمعية الأوربية الدولية للتعليم الطبي في شهر سبتمبر 2014م في المؤتمر الدولي للتعليم الطبي AMEE 2014 الذي عُقِد في مدينة ميلانو الإيطالية.


تم بحمد الله



٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر ذي الحجة

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء الثاني عشر

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر ذي الحجة الجزء الثاني عشر من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة
علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.ـ الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣٣ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.ـ (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ٢٤٠١٥ / ١٤٤٥
ردمك :٥-١٤٣٣-٠٥-٦٠٣-٩٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عزَّ وجلَّ بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفِّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويُرضي الله عزَّ وجلَّ.





مُقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القارئ الكريم الجزء الثاني عشر من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضمُّ فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيَّام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ تمَّ تقسيمها على أيَّام السنة الهجريَّة بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيَّام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مُخصَّصٌ لفوائد شهر ذي الحجَّة ، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحُجَّة لكاتبه وقارئه وكلِّ مَن أعان على نشْره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن

drkhalid63@gmail.com

الرياض

شهر ذي الحجَّة ١٤٤٥هـ

فهرس فوائد شهر ذي الحجَّة



غرَّة ذي الحجة

فضائل عَشْر ذي الحجَّة

إذا أقسم الله بشيءٍ دلَّ هذا على عِظَمِ مكانته وفضْله، إذ العظيم لا يُقسِم إلَّا بالعظيم، قال تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[١]. والليالي العَشْر هي عَشْر ذي الحجَّة، وهذا ما عليه جمهور المفسِّرين والخَلَف، وقال ابن كثير في تفسيره: وهو الصحيح[٢]. وممَّا يدلُّ على شرفها وفضْلها أنَّ الله تعالى قال: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[٣].

وقد جاء عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- في هذه الآية أنَّها أيَّام العَشْر، وأنَّ الأيَّام المعدودات أنَّها أيَّام التشريق[٤].

يقول أبو عثمان النهدي: كانوا- أي السلف- يُعظِّمون ثلاث عشرات: العَشر الأخير من رمضان، والعَشر الأُوَل من ذي الحجَّة، والعَشر الأُوَل من مُحرَّم[٥].

وشهد النبي ﷺ بأنَّ عَشْر ذي الحجَّة أعظمُ أيَّام الدنيا، وأنَّ العمل الصالح فيها أفضلُ منه في غيرها، كما في حديث ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-، حيث قال ﷺ:" مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قالوا: يا رسول الله؛ ولا الجهادُ في سبيل الله؟ قال: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ" رواه البخاري[٦].

---

(١) الفجر: ١-٢.

(٢) يُنظَر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٠- ٣٩١). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقِّق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣) الحج: ٢٨.

(٤) رواه البخاري عنه في صحيحه بصيغة الجزم، يُنظَر: صحيح البخاري (٢/ ٢٠) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيَّامه= صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقِّق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مُصوَّرة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٥) رواه قوام السُّنَّة في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠٥) برقم (١٨٨٠). الترغيب والترهيب، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السُّنَّة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، المحقِّق: أيمن بن صالح بن شعبان، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

(٦) رواه قريبًا منه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٠) برقم (٩٦٩) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق. واللفظ المذكور رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٣) برقم (١٩٦٨). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ)، المحقِّق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.



وفي حديث ابن عمر- رضي الله عنهما-:" مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ" رواه أحمد(١).

وفيها يوم عرفة، الذي قال فيه ﷺ كما في حديث عائشة- رضي الله عنها-:" ما من يومٍ أكثر من أن يُعتِقَ الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنَّه ليدنو ثم يُباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟" رواه مسلم(٢)، وهو يوم مغفرة الذنوب، وصيامه يُكفِّرُ سنتين. فيُسَنُّ الصيام في هذه الأيَّام، لا سيَّما يوم عرفة الذي قال فيه النبي ﷺ:" أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده"(٣)، بخلاف يوم عاشوراء الذي يُكفِّر سنة ماضية.

قال ابنُ حَجَرٍ ـ رحمه الله ـ: وظاهرُه أنَّ صيامَ يومِ عَرَفةَ أفضلُ مِنْ صيامِ يومِ عاشوراءَ، وقد قِيلَ في الحكمة في ذلك: إنَّ يوم عاشوراء منسوبٌ إلى موسى عليه السلام، ويومَ عَرَفةَ منسوبٌ إلى النبيِّ ﷺ؛ فلذلك كان أفضلَ(٤).

وقيل: لأنَّ يومَ عرفة يومٌ مُحمَّديٌّ، اختُصَّتْ به أُمَّة محمد ﷺ، وعاشوراء يومٌ مُوسَويٌّ، كان لأُمَّة موسى عليه السلام، ولما كان نبيُّنا أفضل من موسى، ولما كانت أُمَّته أفضل الأمم؛ كان ما اختُصَّتْ به أفضل(٥).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٠/ ٢٩٦) برقم (٦١٥٤). والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٦٤). ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٢) برقم (١٣٤٨) كتاب الحج. باب في فضْل الحج والعمرة ويوم عرفة. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، المحقِّق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي— بيروت.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨١٨) برقم (١١٦٢) كتاب الصيام. باب استحباب صيام ثلاثة أيَّام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس.

(٤) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٤٩).

(٥) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الحطاب (٣/ ٣١٤)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي (٣/ ٢٣٨)، ط: دار الفكر، بيروت- لبنان، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، الشربيني (٢/ ١٩٧)، ط: المكتبة التوفيقية، القاهرة، حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب (٢/ ٣٢٠)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.



وفيها أيضًا يوم النحر، الذي هو أعظم الأيَّام عند الله، قال ﷺ:" أعظمُ الأيَّام عند الله تعالى يوم النحر، ثم يوم القرِّ" رواه أحمد وأبو داود والنسائي[١].

وإنَّما حظيت عَشْر ذي الحجَّة بهذه المكانة والمنزلة لاجتماع أُمَّهات العبادة فيها، وهي: الصلاة والصيام، والصدقة والحج، ولا يتأتَّى ذلك في غيرها.

وقد تكلَّم أهل العلم في المفاضلة بينها وبين العَشر الأواخر من رمضان، ومِن أحسنِ ما قيل في ذلك؛ ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- عندما سُئل عن عَشْر ذي الحجَّة، والعَشر الأواخر من رمضان، أيُّهما أفضل؟ فأجاب: أيَّام عَشْر ذي الحجَّة أفضْل من أيَّام العَشر من رمضان، والليالي العَشْر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عَشْر ذي الحجَّة"؛ جمعًا بين النصوص الدالَّة على فضلِ كلٍّ منها، لأنَّ ليالي العَشْر من رمضان إنَّما فُضِّلتْ باعتبار ليلة القدر وهي من الليالي، وعَشْر ذي الحجَّة إنَّما فُضِّلتْ باعتبار الأيَّام، ففيها يوم النحر ويوم عرفة ويوم التروية[٢].

ومن الأعمال التي تتأكَّد في هذه الأيَّام؛ الصيام، وهو بالإضافة إلى أنَّه داخلٌ في عموم العمل الصالح؛ إلَّا أنَّه قد ورد فيه أدلَّة على جهة الخصوص، فعن حفصة- رضي الله عنها- قالت:" أربعٌ لم يكن يدعهنَّ النبي ﷺ: صيام عاشوراء، والعَشْر، وثلاثة أيَّام من كلِّ شهرٍ، والركعتين قبل الغداة" رواه أحمد والنسائي[٣].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ٤٢٧) برقم (١٩٠٧٥). وأبو داود في سننه (٢/ ١٤٩) برقم (١٧٦٥) كتاب المناسك. باب في الهدي قبل أن يعطب. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ١٩٢) برقم (٤٠٨٣) كتاب المناسك. فضْل يوم النحر. والحديث صحَّحه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٨١٠). السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣ هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدَّم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م. مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١ هـ)، المحقِّق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

(٢) يُنظَر: مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٨٧). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقِّق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٤/ ٥٩) برقم (٢٦٤٥٩). والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٩٨) برقم (٢٧٣٧) كتاب الصيام. كيف يصوم ثلاثة أيَّام من كلِّ شهرٍ، وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك. والحديث صحَّحه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٨١٠). مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١ هـ)، المحقِّق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.



والمقصود صيام التسع، لأنَّه قد نُهِي عن صيام يوم العيد، قال الإمام النووي عن عشْر ذي الحجَّة: بَلْ هِيَ مُستحبَّة استحبابًا شديدًا لا سيَّما التَّاسِعُ مِنْهَا، وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَقَدْ سَبَقَتِ الْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِهِ [١].

وممَّا يدلُّ بخصوصه ما رُوي عن بعض أزواج النبي ﷺ أنَّها قالت:" كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجَّة- وهي هذه الأيَّام- ويوم عاشوراء، وثلاثة أيَّام من كل شهر، والإثنين والخميس" أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد[٢].

وكان ابن عمر- رضي الله عنهما- يصوم هذه الأيَّام[٣]، وجاء عن بعض التابعين أيضًا أنَّهم كانوا يصومونها، فعن عبد الله بن عوف قال: كان محمد بن سيرين يصوم العَشْر جميعًا[٤].

وعن ليث قال: كان مجاهد يصوم العَشْر، قال: وكان عطاء يتكلَّفُها[٥].

وأفضل طاعة تُؤدَّى إلى الله في هذه العَشْر: الحجُّ لمن استطاع، فالحجُّ من أعظم أعمال البِرّ كما قال ﷺ وقد سُئل:" أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: إيمانٌ بالله ورسولِه، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مبرورٌ" متفق عليه[٦].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٢٤) برقم (١٩٠٧٥). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٢٥) برقم (٢٤٣٧) كتاب الصوم. باب في صوم العَشْر. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٨١) برقم (٢٦٩٣) كتاب الصيام. صوم النبي ﷺ بأبي هو وأُمِّي، وذِكْر اختلاف الناقلين في ذلك. والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص ٦٥٩). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقِّق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا– بيروت. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: المجدَّدة والمزيدة والمنقَّحة.

(٣) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٢٦٢). لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٤) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٢٦١). فقد ذكر ترغيب ابن سيرين رحمه الله وحثَّه على صيام هذه العَشر.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنَّفه (٢/ ٣٠٠) برقم (٩٢٢٢). الكتاب المصنَّف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥ هـ)، المحقِّق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد– الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٣) برقم (١٥١٩) كتاب الحج. باب فضْل الحج المبرور. ومسلم في صحيحه (١/ ٨٨) برقم (٨٣) كتاب الإيمان. باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.



ومن لم يستطع فأفضل طاعة في حقِّه أن يُضحِّي؛ فالأضحية سُنَّةٌ مُؤَكَّدةٌ في حقِّ الموسِر، بل إنَّ مِن العلماء مَن قال بوجوبها، وقد حافظ عليها النبي ﷺ.

ومن لم يستطع التقرُّب من الله في العَشْر الأواخر من رمضان؛ فإنَّه يُمكنه أن يبدأ من جديد في العَشْر الأوائل من ذي الحجَّة؛ من خلال المبادرة إلى التوبة النصوح وعدم التكاسل في العبادة، وفيما يتعلَّق بذنوب العبد تجاه الله فعليه بالتوبة والإقلاع عن الذنب، أمَّا إذا كانت ذنوبه تتعلَّق بحقوق العباد؛ فعليه بردِّ الحقوق إلى أهلها، فلا بدَّ من إنهاء الخصام والمشاحنات مع الآخرين استعدادًا لهذه الأيَّام؛ وخاصَّة مع الأقارب.

ويُسَنُّ إظهارُ التكبير المطلَق من أوَّل يومٍ من أيَّام ذي الحجَّة في المساجد والمنازل والطرقات والأسواق وغيرها، يجهر به الرجال، وتُسِرُّ به النساء، إعلانًا بتعظيم الله تعالى، ويستمرُّ إلى عصر آخر يومٍ من أيَّام التشريق، وهو من السُّنن المهجورة التي ينبغي إحياؤها في هذه الأيَّام، وقد ثبت أنَّ ابن عمر وأبا هريرة- رضي الله عنهما- كانا يخرجان إلى السوق أيَّام العَشْر يُكبِّرانِ ويُكبِّرُ الناس بتكبيرهما[١]. وكان عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- يُكبِّر في قُبَّتِه بمنى فيسمعه أهل المسجد فيُكبِّرون، ويُكبِّرُ أهل الأسواق حتَّى ترتجَّ منى تكبيرًا[٢]. وكان ابن عمر- رضي الله عنهما- يُكبِّر بمنى تلك الأيام، وخلْف الصلوات على فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه، وممشاه تلك الأيَّام جميعًا[٣].

والخلاصة: أنَّه ينبغي للعبد أن يستكثر من النوافل والمستحَبَّات، ويغتنم شرف الزمان، فيزيد ممَّا كان يعمله في غير العَشْر، ويعمل ما لم يتيسَّرْ له عمله في غيرها، ويحرص على عمارة وقته بطاعة الله تعالى من صلاة، وقراءة القرآن، ودعاء وصدقة، وبرٍّ بالوالدين وصلة للأرحام، وأمْرٍ بالمعروف ونهي عن المنكَر، وإحسانٍ إلى الناس، وأداءٍ للحقوق، وغير ذلك من طرق الخير وأبوابه التي لا تنحصر.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه مُعلَّقًا مجزومًا به (٢/ ٢٠) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٣٧) برقم (٦٢٦٧). السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقِّق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه مُعلَّقًا مجزومًا به (٢/ ٢٠) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق.

٢ ذي الحجة

فضائل الحجِّ والحثِّ على المبادرة إلى أدائه

لقد أمر الله عزَّ وجلَّ عباده المؤمنين بالمسارعة إلى الخيرات، وحثَّ النبيُّ ﷺ على المبادرة بفِعْل الطاعات، وحذَّر من التكاسل والتهاون في أداء الفرائض. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٣].

وقال النبي ﷺ:" بادروا بالأعمالِ فتَنًا كقطعِ اللَّيلِ المظلمِ، يُصبحُ الرَّجُلُ مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا، يبيعُ أحدُهم دينَهُ بِعَرَضٍ منَ الدُّنيا" رواه مسلم والترمذي. وفي روايةٍ للترمذي:" بادِروا بالأعمالِ سبعًا: هل تنتظرون إلَّا فقرًا مُنسيًا، أو غنىً مُطغيًا، أو مرضًا مُفسدًا، أو هرمًا مُفندًا، أو موتًا مُجهزًا، أو الدجالَ؛ فشرُّ غائبٍ يُنتَظَرُ، أو الساعةُ، فالساعةُ أدهى وأمرُّ"[٤].

وعن سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ" رواه أبو داود[٥].

وفي هذه الأحاديث وما أشبهها يحثُّ النَّبيُّ ﷺ على المبادرة إلى الطاعات قبل تعذُّرِها، والانشغال عنها بما يحدث من الفتن وشواغل الحياة.

---

(١) البقرة: ١٤٨.

(٢) آل عمران: ١٣٣.

(٣) الحديد: ٢١.

(٤) رواه الترمذي في سننه (٤/ ٥٥٢) برقم (٢٣٠٦) أبواب الزهد. باب ما جاء في المبادرة بالعمل. والحديث ضعَّفه الألباني كما في تحقيق رياض الصالحين للألباني (ص ٨٧). سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. رياض الصالحين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٥٥) برقم (٤٨١٠) كتاب الأدب. باب في الرفق. والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٤٠٣). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١-٤: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، جـ ٥-٦: ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.



قال في "تحفة الأحوذي": وفيها معنى التوبيخ على تقصير المكلَّفين عن المسارعة إلى الطاعات، أي: متى تعبدون ربَّكم؟ فإنَّكم إن لم تعبدوه مع قلَّة الشواغل وقوَّة البدن وتيسير الحال؛ فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل وضعف القوى؟! لعلَّ أحدكم ما ينتظر إلَّا غنى مُطغيًا.... [(١)].

والقصد: الحثُّ على المبادرة إلى فِعْل الطاعة قبل الانشغال عنها وخُلوِّ شيءٍ من ذلك.

والحجُّ من أهمِّ أعمال الطاعات التي تجب المبادرة إليها، فهو أحد أركان الإسلام التي بُنِي عليها، وذهب جمهور أهل العلم إلى أنَّه فرضٌ على الفور.

ورُوي عن الحسن البصري قال: قال عمر- رضي الله عنه-: لقد هممتُ أن أبعث رجالًا إلى هذه الأمصار، فينظروا كلَّ مَن كان له جدة فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين[(٢)].

وروى الإسماعيلي عن عبد الرحمن بن غنم أنَّه سمع عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- يقول: مَن أطاق الحجَّ فلم يحُجَّ؛ فسواء عليه يهوديًّا مات أو نصرانيًّا. قال ابن كثير- رحمه الله-: وهذا إسناد صحيح إلى عمر[(٣)].

والذي عليه الجمهور وتُعضِّدُه الأدلَّة هو أنَّ وجوب الحج على الفور، ومن أدلَّته قوله ﷺ:" مَن أرادَ أن يحُجَّ فلْيتعجَّلْ، فإنَّه قد تضلُّ الضالَّة، ويمرض المريض، وتكون الحاجة" رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه[(٤)].

---

(١) يُنظَر: تحفة الأحوذي (٦/ ٤٨٨). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية— بيروت.

(٢) الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٢/ ٤٢٦). التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، الناشر: مؤسسة قرطبة- مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م.

(٣) يُنظَر: مسند الفاروق (١/ ٤٤٨). مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- وأقواله على أبواب العلم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقِّق: إمام بن علي بن إمام، الناشر: دار الفلاح، الفيوم— مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٣٢) برقم (١٨٣٣). وابن ماجه في سننه (٢/ ٩٦٢) برقم (٢٨٨٣) كتاب المناسك. باب الخروج إلى الحجِّ. والحديث حسَّنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ١٦٨). سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي— بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.



ويقول الإمام ابن باز- رحمه الله تعالى-: فإنِّي أوصي إخواني المسلمين الذين لم يُؤدُّوا فريضة الحجِّ أن يبادروا بحجَّة الإسلام، فهذا هو الواجب على كلِّ مَن استطاع السبيل إلى ذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[١]، ويقول النبي ﷺ:" بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت" رواه البخاري ومسلم[٢]، ويقول ﷺ:" إنَّ الله قد فرض عليكم الحجَّ فحُجُّوا" رواه مسلم[٣].

فالواجب على كل مسلم ومسلمة يستطيع مؤونة الحجِّ إذا كان مُكلَّفًا أن يبادر بذلك وألَّا يُؤخِّره؛ لأنَّ الله جلَّ وعلا أوجب ذلك على الفور، ولا يجوز لأيِّ مسلمٍ مُكلَّفٍ مستطيعٍ الحجَّ أن يتأخَّر عن ذلك، بل يبادر ويسارع إلى هذا الخير العظيم، يقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح:" مَن حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدتْه أُمُّه" رواه البخاري ومسلم[٤].

ويقول- عليه الصلاة والسلام- في الحديث الآخر:" العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلَّا الجنَّة" رواه البخاري ومسلم[٥].

فهذه نعمة عظيمة، وخير عظيم، ينبغي للمسلم أن يحرص عليه، ويُشرَع له مع ذلك أن يتحرَّى الأعمال الخيريَّة في طريقه وفي مكَّة، من صدقةٍ على الفقراء والمساكين، والإكثار من قراءة القرآن الكريم وذِكْر الله تعالى، والإكثار من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، والإكثار من الصلاة في المسجد الحرام والطواف- إن تيسَّر ذلك- اغتنامًا للزمان والمكان؛ فإنَّ الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وفريضةٌ فيه خيرٌ من مائة ألفٍ فيما سواه، والصدقات فيه مُضاعَفة، وهكذا مثلها التسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر، والدعوة إلى الله، وتعليم الحاجِّ ما قد يجهل، كلُّ هذا ممَّا يُشرَع للمسلم.

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١) برقم (٨) كتاب الإيمان. باب قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ». ومسلم في صحيحه (١/ ٤٥) برقم (١٦) كتاب الإيمان. باب قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ».

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٥) برقم (١٣٣٧) كتاب الحج. باب فرض الحج مرَّة في العمر.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٣) برقم (١٥٢١) كتاب الحج. باب فضْل الحج المبرور. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٥٠) كتاب الحج. باب في فضْل الحج والعمرة ويوم عرفة.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢) برقم (١٧٧٣) أبواب العمرة. باب وجوب العمرة وفضْلها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٤٩) كتاب الحج. باب في فضْل الحج والعمرة ويوم عرفة.



ومـن ذلـك أن يجتهـد في تعلـيم إخوانـه الحُجَّـاج- إن كـان يوجـد عنـده علـمٌ- بالحلْـم والرِّفْـق والأسلوب الحَسَن، مع اغتنام الفرصة في وجوده بمكَّة بعمل أنواع الخير كما تقدَّم من صلاةٍ وطوافٍ ودعوةٍ إلى الله، والأمْر بالمعروف والنهْي عن المنكَر بالأسلوب الحَسَن والرفق والكلام الطَّيِّب[١].

فإن قيل: لماذا لم يحُجَّ النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة؛ إن كان الحجُّ يجب على الفور؟

والجواب: أنَّه ﷺ لم يحجَّ على الفور لكثرة الوفود عليه في تلك السنة، ولهذا تُسمَّى السنة التاسعة عام الوفود، ولا شكَّ أنَّ استقبال المسلمين الذين جاءوا إلى الرسول ﷺ ليتفقَّهوا في دينهم أمرٌ مُهِمٌّ، بل قد نقول إنَّه واجبٌ عليه ﷺ ليُبلِّغ الناس.

كما أنَّه في السنة التاسعة مِن المتوقَّع أن يحجَّ المشركون، فأراد النبي ﷺ أن يُؤخِّر مِن أجلِ أن يتمحَّض حجُّه للمسلمين فقط، وهذا هو الذي وقع، فإنَّه أذَّن في التاسعة ألَّا يحجَّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عريان، فقد كان الناس يطوفون عراةً بالبيت، إلَّا مَن كان مِن غير قريش، فلا يمكن أن يطوفوا بثيابهم بل يطوفون عراة، وكانت المرأة تطوف عارية.

والخلاصة: أنَّ الحجَّ واجبٌ في العمر مرَّة، وهو جهادٌ لا شوكة فيه، لما فيه من مفارقة الأوطان والأهل، وبذْل المال، والتعب والجهد. والواجب التعجُّل له قدر الإمكان والطاقة. قال رسول الله ﷺ:" تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ" رواه أحمد[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١٦/ ٣٤٧). مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٥٨) برقم (٢٨٦٧). والحديث حسَّنه الألباني، كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ١٦٨).

٣ ذي الحجة

التكبير المُطلَق في العَشْر من ذي الحجَّة

(وقته وفضْله وصيغه)

يقول العلَّامة ابن باز- رحمه الله تعالى-: أمَّا التكبير في الأضحى فمشروعٌ مِن أوَّل الشهر إلى نهاية اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجَّة؛ لقول الله سبحانه: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾[١]، وهي أيَّام العَشْر، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾[٢]، وهي أيَّام التشريق؛ ولقول النبي ﷺ:" أيَّامُ التشريقِ أيَّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ" رواه مسلم[٣].

وذكر البخاري في صحيحه تعليقًا عن ابن عمر وأبي هريرة- رضي الله عنهما-: أنَّهما كانا يخرجان إلى السوق أيَّام العَشْر فيُكبِّران ويُكبِّرُ الناس بتكبيرهما[٤]، وكان عمر بن الخطَّاب وابنه عبد الله- رضي الله عنهما- يُكبِّران في أيام منى في المسجد وفي الخيمة ويرفعان أصواتهما بذلك حتَّى ترتجَّ مِنى تكبيرًا[٥]، ورُوِيَ عن النبي ﷺ وعن جماعة من الصحابة- رضي الله عنهم- التكبير في أدبار الصلوات الخمس من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم الثالث عشر من ذي الحجَّة، وهذا في حقِّ غير الحاجِّ، أمَّا الحاجُّ فيشتغل في حال إحرامه بالتلبية حتَّى يرمي جمرة العقبة يوم النحر، وبعد ذلك يشتغل بالتكبير، ويبدأ التكبير عند أوَّل حصاة من رمْي الجمرة المذكورة، وإن كبَّر مع التلبية فلا بأس؛ لقول أنس- رضي الله عنه-:" كان يُلبِّي الملبِّي يوم عرفة فلا يُنكَر عليه، ويُكبِّرُ المكبِّرُ فلا يُنكَر عليه" رواه البخاري[٦]. ولكن الأفضل في حقِّ المحرم هو التلبية، وفي حقِّ الحلال هو التكبير في الأيَّام المذكورة.

---

(١) الحج: ٢٨.

(٢) البقرة: ٢٠٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٠) برقم (١١٤١) كتاب الصيام. باب تحريم صوم أيَّام التشريق.

(٤) رواه البخاري في صحيحه مُعلَّقًا مجزومًا به (٢/ ٢٠) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق.

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٣٧) برقم (٦٢٦٧).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٠) برقم (٩٧٠) أبواب العيدين. باب التكبير أيَّام منى، وإذا غدا إلى عرفة.



وبهذا تعلم أنَّ التكبير المطلَق والمقيَّد يجتمعان في أصحِّ أقوال العلماء في خمسة أيَّام؛ وهي: يوم عرفة ويوم النحر وأيَّام التشريق الثلاثة.

وأمَّا اليوم الثامن وما قبله إلى أوَّل الشهر فالتكبير فيه مُطلَق لا مُقيَّد؛ لما تقدَّم من الآية والآثار، وفي المسند عن ابن عمر– رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ أنَّه قال:" مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ" رواه أحمد[١][٢].

التكبير المطلَق وهو الذي لا يتقيَّد بشيء، فيُسنُّ دائمًا، في الصباح والمساء، قبل الصلاة وبعد الصلاة، في جميع الأوقات، ولا يُخصُّ بمكان مُعيَّن، فيُستحَبُّ في المنازل والمساجد والطرقات، أمَّا التكبير المقيَّد فهو الذي يتقيَّد بأدبار الصلوات.

ويُسنُّ التكبير المطلَق في عَشْر ذي الحجَّة وسائر أيَّام التشريق، وتبتدئ من دخول شهر ذي الحجَّة، أي من غروب شمس آخر يومٍ من شهر ذي القعدة إلى آخر يومٍ من أيَّام التشريق، وذلك بغروب شمس اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجَّة.

وأمَّا صيغ التكبير فلم يثبتْ عن النبي ﷺ صيغة مُعيَّنة فيها، وإنَّما ثبت عن صحابته– رضوان الله عليهم– عدَّة صيغٍ؛ منها:

الأُولى: قول:" اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا" وهذه الصيغة ثابتة عن سلمان الفارسي– رضي الله عنه–، أخرجها البيهقي في السنن الكبرى، وصحَّح الحافظ ابن حجر سندها[٣].

الثانية: قول:" اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، ولِلَّهِ الحمدُ" وهذه الصيغة ثابتة عن ابن مسعود– رضي الله عنه–، أخرجها ابن أبي شيبة في مُصنَّفه[٤].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٠/ ٢٩٦) برقم (٦١٥٤). والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٦٤).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١٣/ ١٨).

(٣) ذكره الذهبي في المهذب في اختصار السنن الكبير (٣/ ١٢٤٣). وصحَّح سنده الحافظ كما في فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٦٢). المهذَّب في اختصار السنن الكبير، اختصرهُ: أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عُثمان الذَّهَبيُّ الشَّافعيُّ (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف أبي تَميم يَاسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١ م. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محبُّ الدين الخطيب، عليه تعليقات العلَّامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. الناشر: دار المعرفة– بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٤) مُصنَّف ابن أبي شيبة (١/ ٤٨٨) برقم (٥٦٣٣).



الثالثة: قول:" اللَّهُ أَكْبَرُ كَبيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَللَّهِ الحمدُ"، وهذه الصيغة ثابتة عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-، أخرجها ابن أبي شيبة في مُصنَّفه[١].

وقال الشافعي في الأُمِّ: أُحِبُّ أن تكون زيادته" الله أكبرُ كبيرًا، والحمدُ لله كثيرًا، وسبحان الله بُكرةً وأصيلًا، لا إله إلَّا الله، ولا نعبد إلَّا إيَّاه، مُخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا إله إلَّا الله وحدَه، صدق وعدَه، ونصر عبدَه، وهزم الأحزاب وحدَه، لا إله إلَّا الله، والله أكبر"[٢] واحتجُّوا له بأنَّ النبي ﷺ قاله على الصفا، وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه من رواية جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أخصر من هذا اللفظ.

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال:" بينما نحن نُصلِّي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجلٌ من القوم: اللهُ أكبرُ كبيرًا، والحمدُ لله كثيرًا، وسُبحانَ اللهِ بُكرةً وأصيلًا، فقال رسول الله ﷺ: مَن القائل كلمة كذا وكذا؟ قال رجلٌ من القوم: أنا يا رسول الله، قال: عجبتُ لها، فُتِحتْ لها أبوابُ السماء، قال ابن عمر: فما تركتُهُنَّ منذ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك" رواه مسلم[٣].

فلْنحرِصْ على إحياء هذه السُّنَّة المباركة، بتطبيقها وحثِّ الناس عليها، حتَّى ننال أجر الذِّكْر والتكبير، وأجْر إحياء سُنَّة من سُنن المصطفى ﷺ. والأمرُ واسعٌ في هذا لعدم وجود نصٍّ عن النبي ﷺ يُحدِّد صيغة مُعيَّنة.

عن مَيمون بن مِهْران قال: أدركتُ الناسَ وإنَّهم ليُكبِّرون في العَشْر، حتَّى كنتُ أُشبِّهه بالأمواجِ مِن كثرتِها، ويقول: إنَّ الناسَ قد نقَصُوا في ترْكِهم التكبيرَ[٤].

---

(١) مُصنَّف ابن أبي شيبة (١/ ٤٨٩) برقم (٥٦٤٦). وصحَّح إسناده الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ١٢٦).

(٢) يُنظَر: الأم للشافعي (١/ ٢٧٦). الأم، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤ هـ)، الناشر: دار المعرفة– بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٢٠) برقم (٦٠١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب ما يُقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة.

(٤) يُنظَر: فتح الباري لابن رجب (٩/ ٩). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: ١- محمود بن شعبان بن عبد المقصود. ٢- مجدي بن عبد الخالق الشافعي. ٣- إبراهيم بن إسماعيل القاضي. ٤- السيد عزت المرسي. ٥- محمد بن عوض المنقوش. ٦- صلاح بن سالم المصراتي. ٧- علاء بن مصطفى بن همام. ٨- صبري بن عبد الخالق الشافعي. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين– القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.



قال ابن قدامة في المغني: ويُظهِرون التكبير في ليالي العيدَين، وهو في الفطر آكَدُ؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾(١)، وجملته أنَّه يُستحَبُّ للناس إظهار التكبير في ليلتَي العيد في مساجدهم ومنازلهم وطرقهم؛ مُسافرين كانوا أو مُقيمين لظاهر الآية المذكورة(٢).

ويقول أيضًا العلَّامة ابن باز- رحمه الله تعالى-: أمَّا التكبيرُ الجماعيُّ فهو غيرُ مشروعٍ بدعة، كونهم يتكلَّمون بصوتٍ واحدٍ، هذا بدعة غير مشروع(٣).

وختامًا؛ قال الإمام مالك- رحمه الله-: ويُكبِّرُ في أيَّام التشريق الرِّجالُ والنِّساءُ، والعبيدُ والصِّبيانُ، وأهلُ البادية والمسافرون، وكلُّ مسلمٍ صلَّى في جماعةٍ أو وحدَه، وتُسمِعُ المرأةُ نفسَها التكبيرَ، كانت في المسجد أو في بيتها(٤).

اللَّهُ أَكْبَرُ مِلْءُ سَمْعِي وَفَمِي ... اللَّهُ أَكْبَرُ رَجْعُهَا يُذْكِي دَمِي
اللَّهُ أَكْبَرُ وَإِلَيْهِ أَنْتَمِي ... لَا عِزَّ يَوْمًا لِلْعَدُوِّ الْمُجْرِمِ
اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِّرِي يَا أُمَّتِي ... عُنْوَانُ صَوْتِي فِي الدُّنَا وَعَقِيدَتِي
اللَّهُ أَكْبَرُ فِي الرَّخَا وَالشِّدَّةِ ... اللَّهُ أَكْبَرُ مَجْدُ طَهَ سُنَّتِي(٥)

---

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) المغني لابن قدامة (٣/ ٢٥٥). المغني، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، ط: عالم الكتب، الرياض- السعودية، الطبعة: الثالثة، سنة النشر: ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م.

(٣) فتاوى نور على الدرب لابن باز بعناية الشويعر (١٣/ ٣٥٥). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدَّم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

(٤) يُنظَر: المدونة (١/ ٢٤٨)؛ التاج والإكليل لمختصر خليل (٢/ ٥٨٢). المدونة، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م. التاج والإكليل لمختصر خليل، المؤلف: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: ٨٩٧ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.

(٥) الأبيات للدكتور محمد بن سعد الدبل.



٤ ذي الحجة

الترغيب في الأضحية وبيان أحكامها

الأضحية هي: ما يُذبَح من بهيمة الأنعام (الإبل والبقر والغنم) تقرُّبًا إلى الله تعالى، من بعد صلاة عيد النحر إلى آخر أيَّام التشريق.

والأضحية من شعائر الإسلام، إذا تركها أهل بلد قوتلوا عليها.

هذا وقد اختلف العلماء في حكمها: -

فقيل: إنَّها واجبة، قال به شيخ الإسلام ابن تيمية(١)، واستدلَّ أصحاب هذا القول بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾(٢)، وهذا فِعْلُ أمرٍ، والأمر يقتضي الوجوب.

٢- قال رسول الله ﷺ:" مَن كان ذَبَحَ أضحيته قبل أن يُصلِّي؛ فلْيذبحْ مكانها أخرى، ومَن لم يكن ذَبَحَ؛ فلْيذبحْ باسمِ الله" رواه مسلم(٣).

٣- قوله ﷺ:" مَن وجد سعةً فلم يُضحِ؛ فلا يقربنَّ مُصلَّانا" رواه أحمد وابن ماجه(٤).

وقيل: إنَّها سُنَّة مُؤكَّدة، وهو رأي الجمهور، واستدلَّ أصحاب هذا القول بما يلي:

١- حديث جابر- رضي الله عنه- قال: صليتُ مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى، فلمَّا انصرف أتى بكبشين فذبحهما فقال: بسمِ الله والله أكبرُ، اللهمَّ هذا عنِّي وعمَّن لم يُضحِّ من أُمَّتي. رواه أبو داود(٥). فأسقط بذلك الوجوب عنهم.

---

(١) يُنظَر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ١٦٢).

(٢) الكوثر: ٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٣) برقم (٩٨٥) أبواب العيدين. باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد، وإذا سُئل الإمام عن شيء وهو يخطب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٥١) برقم (١٩٦٠) كتاب الأضاحي. باب وقتها.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٢٤) برقم (٨٢٧٣). وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٤٤) برقم (٣١٢٣) كتاب الأضاحي. باب الأضاحي؛ واجبة هي أم لا؟ والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١١٠٦). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ١٣٣) برقم (١٤٨٣٧). وأبو داود في سننه (٣/ ٩٩) برقم (٢٨١٠) كتاب الضحايا. باب في الشاة يُضحَّى بها عن جماعة. والترمذي في جامعه (٤/ ١٠٠) برقم (١٥٢١) أبواب الأضاحي. باب بدون ترجمة. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٤٩).



٢- ما رواه الجماعة إلَّا البخاري من حديث أم سلمة:" مَن أراد منكم أن يُضحِّي فلا يأخذْ من شعره وأظافره"(١). فقد فوَّض ﷺ الأضحية إلى إرادة المكلَّف، ولو كانت الأضحيةَ واجبةً لم يَكِلْ ذلك إلى الإرادة.

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- بعدما انتهى من سرد القائلين بالوجوب، والقائلين بأنَّها سُنَّة مُؤَكَّدة: والأدلَّة تكاد تكون مُكافِئة، وسلوك سبيل الاحتياط ألَّا يدعها مع القدرة عليها؛ لما فيها من تعظيم الله وذِكْره وبراءة الذِّمَّة بيقين(٢).

وقد رغَّب رسول الله ﷺ في الأضحية؛ فروت عنه أمُّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنَّه قال:" ما عمِلَ آدمِيٌّ مِن عمَلٍ يومَ النَّحرِ أحبَّ إلى اللهِ مِن إهراقِ الدَّمِ، وَإنَّها لتَأْتي يومَ القيامةِ بقُرونِها وأشعارِها وأظْلافِها، وإنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللهِ بمكانٍ قبلَ أنْ يقَعَ مِنَ الأرضِ، فَطِيبوا بها نفسًا" رواه الترمذي(٣).

شروط الأضحية:-

١- أن تكون من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، ضأنها ومعزها؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾(٤)، ولقوله ﷺ:" لا تذبحوا إلَّا مُسنَّة، إلَّا أن تعسُر عليكم، فتذبحوا جذعة من الضأن" رواه مسلم(٥)،

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٦٥) برقم (١٩٧٧) كتاب الأضاحي. باب نَهْي مَن دخل عليه عَشْر ذي الحجَّة وهو مُريدُ التضحية أن يأخذ من شعره أو أظفاره شيئًا.

(٢) أحكام الأضحية والذكاة (٢/ ٢١٩). أحكام الأضحية والذكاة (مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين)، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٨٣) برقم (١٤٩٣) أبواب الأضاحي. باب ما جاء في فضْل الأضحية. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٤٥) برقم (٣١٢٦) كتاب الأضاحي. باب ثواب الأضحية. والحديث ضعَّفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (٢/ ١٤). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٤) الحج: ٣٤.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٥٥) برقم (١٩٦٣) كتاب الأضاحي. باب مِنَ الأضحية.

والمسِنَّة هي: الثنية من الإبل والبقر والغنم، ولم يُنقَل عنه ﷺ أنَّه ضحَّى بغير هذه الأجناس، ولا أمر أصحابه بأن يُضحُّوا بغيرها، فوجب اتباعه فيها.

والأفضل في الأضحية ما توافرت فيها صفات التمام والكمال كالسمن، وكثرة اللحم، وجمال المنظر، وغلاء الثمن؛ لقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[١]، قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: تعظيمها: استسمانها، واستعظامها، واستحسانها[٢].

٢- بلوغها السِّنَّ المطلوبة: وهي ستة أشهر في الضأن، وفي المعز سنة، وفي البقر سنتان، وفي الإبل خمس سنين.

٣- سلامتها من العيوب: لقوله ﷺ:" أربعٌ لا يُجزين في الأضاحي: العوراء البيِّن عورها، والمريضة البيِّن مرضها، والعرجاء البيِّن ظلعها، والعجفاء التي لا تنقي" رواه أحمد وأبو داود وغيرهما[٣].

وهناك عيوب أخفُّ من هذه ولكنها لا تمنع الإجزاء، ولكن يُكرَه ذبحُها كالعضباء، أي مقطوعة القرن والأذن والذَّنَب... إلخ، والأضحية قُربة إلى الله، والله طيِّبٌ لا يقبل إلَّا طيِّبًا.

٤- حُرْمةُ بيعها: فإذا تعيَّنت الأضحية لم يَجُزْ بيعُها ولا هبتُها إلَّا أن يُبدلَها بخيرٍ منها، وإن ولدتْ ضحَّى بولدها معها، كما يجوز ركوبُها عند الحاجة، والدليل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ رأى رجلًا يسوق بدنة، فقال: اركبها، قال: إنَّها بدنة، فقال: اركبها في الثانية أو في الثالثة[٤].

---

(١) الحج: ٣٢.

(٢) يُنظَر: تفسير السمعاني (٣/ ٤٣٧). تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقِّق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض– السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٦٨) برقم (١٨٥١٠). وأبو داود في سننه (٣/ ٩٧) برقم (٢٨٠٢) كتاب الضحايا. باب ما يُكرَه من الضحايا. والترمذي في جامعه (٤/ ٨٥) برقم (١٤٩٧) أبواب الأضاحي. باب ما لا يجوز من الأضاحي. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٥٠) برقم (٣١٤٤) كتاب الأضاحي. باب ما يُكرَه أن يُضحَّى به. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٣٣٨) برقم (٤٤٤٣) كتاب الضحايا. ما يُنهَى عنه من الأضاحي: العوراء. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٦١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٦٧) برقم (١٦٨٩) كتاب الحج. باب ركوب البدن. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٦١) برقم (١٣٢٣) كتاب الحج. باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها.



ولا يُعطَى الجزَّارُ شيئًا منها في مقابل أُجرته، لحديث عليٍّ- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ أمره ألَّا يُعطِي في جزارتها شيئًا، كما عند البخاري(١)، لأنَّ ذلك بمعنى البيع، وأمَّا إن أعطاه على سبيل الصدقة أو الهدية- بعد أن يُعطيَه أُجرته- فلا حرج في ذلك.

٥- ذبْحُها في وقتها المحدَّد، وهو من بعد صلاة العيد والخطبة، إلى قبل مغيب شمس آخر أيَّام التشريق، وهو اليوم الثالث عشر من أيَّام ذي الحجَّة، لقوله ﷺ:" إنَّ أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نُصلِّي، ثم نرجع فننحر، فمَن فعل هذا فقد أصاب سُنَّتنا، ومَن نحر قبل الصلاة فإنَّما هو لحمٌ قدَّمه لأهله، ليس من النُّسُك في شيءٍ" رواه البخاري(٢)، ولقوله ﷺ:" كلُّ أيَّامِ التشريقِ ذبْحٌ" رواه أحمد(٣).

وتُجزئ الأضحية الواحدة عن الرجل وأهل بيته وإن كثروا، لحديث أبي أيوب- رضي الله عنه- قال:" كان الرجل في عهد النبي ﷺ يُضحِّي بالشاة عنه وعن أهل بيته، فيأكلون ويُطعِمون" رواه الترمذي(٤).

ويُستحَبُّ للمُضحِّي أن يأكل من أضحيته، ويُهدي، ويتصدَّق، والأمر في ذلك واسع، لكن المختار عند أهل العلم أن يأكل ثلثًا، ويُهدي ثلثًا، ويتصدَّق بثلثٍ.

والأَولى للمُضحِّي أن يذبح أضحيته بنفسه إن كان يُحسِن الذبح، لأنَّ الذبح قُربة وعبادة، وله أن يُنيب عنه غيره، فقد نحر ﷺ بيده ثلاثًا وستين بَدَنة، واستناب عليًّا- رضي الله عنه- في نحْر ما تبقَّى(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٧٢) برقم (١٧١٦) كتاب الحج. باب لا يُعطَى الجزَّارُ من الهدْي شيئًا. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٥٤) برقم (١٣١٧) كتاب الحج. باب في الصدقة بلحوم الهدي وجلودها وجلالها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٩) برقم (٩٦٨) أبواب العيدين. باب التبكير إلى العيد. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٥٣) برقم (١٩٦١) كتاب الأضاحي. باب وقتها.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٧/ ٣١٦) برقم (١٦٧٥١). والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ٦١٧).

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٩١) برقم (١٥٠٥) أبواب الأضاحي. باب ما جاء أنَّ الشاة الواحدة تُجزي عن أهل البيت. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٥١) برقم (٣١٤٧) كتاب الأضاحي. باب مَن ضحَّى بشاةٍ عن أحدٍ. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٥٥).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨) كتاب الحج. باب حجَّة النبي ﷺ.

وينبغي أن يُراعِي آداب الذبح كالإحسان إلى الذبيحة وإراحتها، وأن يستقبل القبلة، وإن كانت الأضحية من الإبل فإنَّها تُنحَر قائمة معقولة يدها اليسرى، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾[1]، وإن كانت من غير الإبل فإنَّها تُذبَح مضجعة على جنبها الأيسر.

ويُستحَبُّ وضْع الرِّجْل على صفحة عنقها، ويقول: بسمِ الله، اللهُ أكبرُ.

ولقد اتفق العلماء على أنَّ ذبْح الأضحية والتصدُّق بلحمها؛ أفضل من التصدُّق بقيمتها؛ لأنَّ رسول الله ﷺ ضحَّى، ولا يفعل إلَّا ما هو أَولى وأفضل.

وختامًا فعلى المضحِّي أن يُخلِص في أضحيته، ويبتغي بها وجه الله تعالي؛ قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، ونُسُكي: أي ذبْحي.

---

(١) الحج: ٣٦.

(٢) الأنعام: ١٦٢.



٥ ذي الحجة

الصفا والمروة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[١].

والصفا: جمع صفاة، والصفا والصفوان والصفواء كلُّه الحجر العريض الأملس، أو الصخرة الملساء القوية المختلطة بالحصى والرمل. قال الأزهري: الصفا والمروة جبلان بين بطحاء مكَّة والمسجد[٢]، وقال ابن الأثير: الصفا أحد جبلَي المسعى[٣].

وجبل الصفا هو الجبل الذي يبدأ منه السعي، ويقع في الجهة الجنوبية مائلًا إلى الشرق على بعد نحو ١٣٠ مترًا من الكعبة. كما أنَّ الصفا في الأصل مكان عالٍ في أصل جبل أبي قبيس جنوب الصفا والمروة.

وذكر شمس الدين القرطبي وغيره سببًا آخر للتسمية فقال: أصل الصفا في اللغة الحَجَر الأملس، وهو جبل بمكَّة معروف، وذَكَّر الصفا لأنَّ آدم- عليه السلام- وقف عليه فسُمِّي به، ووقفت حواء على المروة فسُمِّيت باسم المرأة فأُنِّثتْ لذلك. والله أعلم[٤].

والمروة: واحد المرو، وهي حجارة بيض برَّاقة صِلاب، أو الصخرة القويَّة المتعرِّجة، وهو الأبيض الصلب، وهي جبل بمكَّة. قال الفيروز آبادي: المروة حجارةٌ بِيضٌ برَّاقة[٥]، وهو جبل بمكَّة يُذكَر مع

---

(١) البقرة: ١٥٨.

(٢) يُنظَر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٧٥). تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقِّق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤١). النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

(٤) يُنظَر: تفسير القرطبي (٢/ ١٧٩). الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية– القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

(٥) القاموس المحيط (ص ١٣٣٤). القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

الصفا، وقد ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز. وقال الزبيدي: قال الأصمعي: سُمِّي جبلُ المروةِ بذلك لكون حجارته بيضاء برَّاقة[(١)]. وقال الفيومي: المروة الحجارة البيض، والواحدة مروة، وسُمِّي بالواحدة الجبل المعروف بمكَّة[(٢)].

وقال الحموي: الصفا والمروة جبلان بين بطحاء مكَّة والمسجد الحرام[(٣)].

وذكر ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير): الصفا والمروة اسمان لجبلَيْنِ صغيرين متقابلين، فأمَّا الصفا فرأس نهاية جبل أبي قبيس، وأمَّا المروة فرأس منتهى جبل قُعَيقِعَانَ، وسُمِّي الصفا لأنَّ حجارته من الصفا، وهو الحجر الأملس الصلب، وسُمِّي المروة مروة لأنَّ حجارتها من المرو، وهي الحجارة البيضاء اللينة التي توري النار[(٤)].

ولا شكَّ أنَّ للصفا والمروة أهمِّيَّة عظيمة في نفوس العرب، ومكانة كبيرة في تاريخ المسلمين، فهما من الآثار العظيمة والمشاعر المقدَّسة، والذكريات التاريخية التي خلَّدها الإسلام في كتابه العزيز، وفرَضَ على المسلمين السعي بينهما والوقوف عليهما؛ تخليدًا لذكرى وقوف آدم وحواء عليهما- كما جاء في بعض الأخبار-، وشكرًا لنعمة الله تعالى على هاجر وابنها إسماعيل- عليهما السلام- وعلى البشرية من بعدهما، عندما نبع ماء زمزم لهاجر بعد سعيها سبع مرَّاتٍ بين الصفا والمروة.

ففي صحيح البخاري عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- مرفوعًا: أنَّ هاجر أمَّ إسماعيل لما تركها إبراهيم بموضع مكَّة ومعها ابنها إسماعيل وهو رضيع، وترك لها جرابًا من تمر، وسقاءً فيه ماء، فلمَّا نفدَ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلتْ تنظر إليه يتلوَّى، فانطلقتْ كراهية أن تنظر إليه فوجدتِ الصفا أقربَ جبلٍ يليها فقامت عليه، ثم استقبلتِ الوادي تنظر هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا فهبطتْ من الصفا وأتتِ المروة، فقامتْ عليها فنظرتْ هل ترى أحدًا، فلم ترَ أحدًا، ففعلتْ ذلك سبع مرَّاتٍ،

---

(١) يُنظَر: تاج العروس (٣٩/ ٥٢١). تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ)، المحقِّق: مجموعة من المحقِّقين، الناشر: دار الهداية.

(٢) يُنظَر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٥٧٠). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠ هـ)، الناشر: المكتبة العلمية– بيروت.

(٣) معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

(٤) التحرير والتنوير (٢/ ٦٠). التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.



قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال النبي ﷺ:" فلذلك سَعَى الناسُ بينهما". فسمعتْ صوتًا فقالتْ في نفسها: صه، ثم تسمَّعتْ فسمعتْ أيضًا، فقالتْ: قد أسمعتَ إن كان عندك غُوَاثٌ، فإذا هي بالمَلَكِ عند موضع زمزم، فبحث بعقبه حتَّى ظهر الماءُ، فشربتْ وأرضعتْ ولدَها[١].

وقد اختلفت الروايات والأقاويل في المسافة بين الصفا والمروة، فهناك من يقول: إنَّ المسافة بينهما تبلغ ٣٩٤,٥ مترًا، وهناك من يقول: إنَّها ٤٠٥ أمتار، وهناك من يقول: إنَّها ٣٧٥ مترًا.

ويتمُّ احتساب الشوط بداية من الصفا حتَّى ينتهي إلى المروة، وعند العودة من المروة إلى الصفا يتمُّ احتسابها شوطًا آخر، وليس احتساب الذهاب من الصفا إلى المروة والرجوع مرَّة أخرى شوطًا واحدًا، كما يُشترَط في السعي أن يكون بعد طواف؛ سواء كان ركنًا أم واجبًا أم نفلًا.

ويتمُّ احتساب الأشواط بداية من الصفا، وليس العكس، حيث تبدأ الأشواط من الصفا، ومع نهاية الشوط السابع يكون الساعي في المروة، كما بدأت السيدة هاجر- عليها السلام- أوَّلَ سعيها من الصفا إلى المروة.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر- رضي الله عنه-، وفيه: أنَّ رسول الله ﷺ لما فرغ من طوافه بالبيت؛ عاد إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من باب الصفا، وهو يقول: ﴿**إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ**﴾[٢]، ثم قال: أبدأُ بما بدأ الله به[٣].

وعن عروة بن الزبير بن العوام عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: أرأيتَ قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا**﴾[٤]. قلتُ: فواللهِ ما على أحدٍ جناحٌ أن لا يَطوَّف بهما؟ فقالت عائشة: بئسما قلتَ يا ابن أختي، إنَّها لو كانت على ما أوَّلتَها عليه كانت: فلا جناحَ عليه ألَّا يَطوَّف بهما، ولكنَّها إنَّما أُنزِلتْ أنَّ الأنصار كانوا قبل أن يُسلِموا كانوا يهلُّون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل. وكان مَن أهلَّ لها يتحرَّجُ أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله؛ إنَّا كنَّا نتحرَّجُ أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٢) برقم (٣٣٦٤) كتاب أحاديث الأنبياء. باب بدون ترجمة.

(٢) البقرة: ١٥٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨) كتاب الحج. باب حجَّة النبي ﷺ.

(٤) البقرة: ١٥٨.

ﱡﭐ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﱠ[١]. قالت عائشة: ثم قد سَنَّ رسولُ الله ﷺ الطواف بهما، فليس لأحدٍ أن يدع الطواف بهما. أخرجاه في الصحيحين[٢].

وقال الشعبي: كان إساف على الصفا، وكانت نائلة على المروة، وكانوا يستلمونهما، فتحرَّجوا بعد الإسلام من الطواف بينهما، فنزلت هذه الآية. وذكر ابن إسحاق أنَّ إسافًا ونائلة كانا بَشَرَيْنِ، فزنيا داخل الكعبة، فمُسِخَا حجرين، فنصبتهما قريش تجاه الكعبة؛ ليعتبر بهما الناس، فلمَّا طال عهدهما عُبِدَا، ثم حُوِّلا إلى الصفا والمروة، فنُصِبا هنالك، فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما[٣].

والسَّعْيُ بين الصفا والمروة ركنٌ في الحجِّ، وقيل: واجبٌ وليس بركنٍ، وقيل: بل مُستحَبٌّ، والقول الأوَّل أرجح. والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) البقرة: ١٥٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٥٧) برقم (١٦٤٣) كتاب الحج. باب وجوب الصفا والمروة، وجُعِلَ من شعائر الله. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٢٨) برقم (١٢٧٧) كتاب الحج. باب بيان أنَّ السعي بين الصفا والمروة ركنٌ لا يصحُّ الحجُّ إلَّا به.

(٣) يُنظَر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٠).



٦ ذي الحجة

الحَجَر الأسود

الحَجَر الأسود يوجد في الركن الجنوبي الشرقي للكعبة من الخارج، وهو مبدأ الطواف ومنتهاه، ويرتفع عن الأرض مترًا ونصفًا، وهو أسود اللون ذو تجويف أشبه بطاس الشرب. وهو محاط بإطار من الفضة الخالصة صونًا له، ويظهر مكان الحجر بيضاويًّا.

والسواد هو على الظاهر من الحَجَر، أمَّا بقية جرمه فهو على ما هو عليه من البياض.

وقد سطَّر بعض المؤرِّخين رؤيتهم ووصفهم للحَجَر الأسود عبر التاريخ. فممَّن رآه يوم قَلَعَهُ القرامطة في القرن الرابع: محمد بن نافع الخزاعي، فرأى السواد في رأسه فقط، وسائره أبيض، وطوله قدر ذراع.

وممَّن رآه ابن علَّان أثناء بناء الكعبة زمن السلطان مراد عام ١٠٤٠هـ. قال: ولون ما استتر من الحَجَر الأسود بالعمارة في جدر الكعبة أبيض بياض المقام- يعني مقام الخليل إبراهيم عليه السلام-، وذرع طوله نصف ذراع بذراع العمل، وعرضه ثُلُثُ ذراع، ونقص منه قيراط في بعضه، وسُمْكُه أربعة قراريط(١).

ويُروى أنَّ القطع تبلغ خمس عشرة قطعة إلَّا أنَّ القطع السبع الأخرى مُغطَّاة بالمعجون البُنِّي الذي يراه كلُّ مستلِمٍ للحَجَر، وهو خليط من الشمع والمسك والعنبر موضوع على رأس الحَجَر الكريم. وقد أورد إبراهيم رفعت باشا في مرآة الحرمين رسمًا للحَجَر الأسود خمس عشرة قطعة، فلعلَّ هذا الرسم كان للحَجَر أثناء حجَّاته التي كان فيها أميرًا للحج، وقد كانت آخر إمرة له للحج سنة ١٣٢٥هـ.

والحَجَر الأسود جاء به جبريل إلى إبراهيم- عليهما السلام- من السماء؛ ليوضع في مكانه من البيت.

فقد روى ابن جرير في تفسيره، والأزرقي في أخبار مكَّة بإسناد حسن، وكذا رواه الحاكم في مستدركه، وقال: صحيح على شرط مسلم، عن خالد بن عرعرة أنَّ رجلًا قام إلى عليٍّ- رضي الله

---

(١) يُنظَر: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر (والخامس عشر) للهجرة (٤/ ١٠١). أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر (والخامس عشر) للهجرة (وبعض القرون الماضية) المؤلف: محمد علي مغربي، الناشر (دار تهامة، دار البلاد) جدة، (مطبعة المدني) القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤- ١٤١٤هـ.



عنه- فقال:" ألا تخبرُني عن البيت؟ أهو أوَّل بيتٍ وُضِع في الأرض؟ فقال: لا، ولكن هو أوَّل بيتٍ وُضِع فيه البركة، مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمِنًا، وإن شئتَ أنبأتُك كيف بُنِيَ، إنَّ الله أوحى إلى إبراهيم أنِ ابنِ لي بيتًا في الأرض. قال: فضاق إبراهيم بذلك ذرعًا، فأرسل الله السكينة- وهي ريح خجوج، ولها رأسان- فأتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكَّة، فتطوَّت على موضع البيت كتطوِّي الحجفة، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقرُّ السكينة. فبنى إبراهيم وبقي حَجَرٌ، فذهب الغلام يبغي شيئًا، فقال إبراهيم: لا، ابغني حَجَرًا كما آمرُكَ. قال: فانطلق الغلام يلتمس له حَجَرًا، فأتاه فوجده قد ركَّبَ الحَجَر الأسود في مكانه، فقال: يا أبتِ؛ مَن أتاك بهذا الحَجَر؟ قال: أتاني به مَن لم يتَّكلْ على بنائك، جاء به جبريل من السماء. فأتمَّاه[١].

فالحَجَر الأسود نزل من السماء، فعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" نزل الحَجَر الأسود وهو أشدُّ بياضًا من اللبن، فسوَّدتْه خطايا بني آدم" رواه الترمذي[٢]. وفي رواية النسائي:" الحَجَر الأسود من الجنَّة"[٣]. وفي رواية أحمد:" نزل الحَجَر الأسود من الجنَّة، وكان أشدَّ بياضًا من الثلج، حتَّى سوَّدتْه خطايا أهل الشرك"[٤].

---

(١) يُنظَر: تفسير الطبري= جامع البيان (٢/ ٥٦٢)؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٣٢١)؛ أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ٦٢). أخبار مكَّة وما جاء فيها من الآثار، المؤلف: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠ هـ)، المحقِّق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر- بيروت. تفسير الطبري= جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م. المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٢١٧) برقم (٨٧٧) أبواب الحج. باب ما جاء في فضْل الحَجَر الأسود والركن والمقام. والحديث صحَّحه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٧٩٢).

(٣) رواه النسائي في سننه (٥/ ٢٢٦) برقم (٢٩٣٥) كتاب مناسك الحج. ذِكْر الحَجَر الأسود. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٦٠٦). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٣) برقم (٢٧٩٥). والحديث صحَّحه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩). صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.



فانظروا إلى أثر الذنوب على القلوب، فإن كان أثرها هكذا على الحَجَر، فما بالكم بأثرها على قلب البشر؟

كذلك أخرج الترمذي وأحمد قول رسول الله ﷺ:" إنَّ الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنَّة"[١].

وقد جاء عن عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- أنَّه جاء إلى الحَجَر الأسود فقبَّله، فقال:" إِنِّي أعلم أنَّك حَجَرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أَنِّي رأيتُ النبيَّ ﷺ يُقبِّلُكَ ما قبَّلتُك" رواه البخاري[٢].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ لهذا الحَجَر لسانًا وشفتَينِ، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحقٍّ"[٣].

وثبت عن النبيِّ ﷺ أنَّه كلَّما حاذى الحَجَر الأسود في طوافه أشار إليه أو استلمه بمحجنه، وقبَّل المحجن[٤]، وهو عصا محنية الرأس.

وتذكر كتب السير والتاريخ بناء قريش للكعبة المشرَّفة قبل مبعث النبي ﷺ، لما بلغ رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة- أي قبل بعثته بخمس سنوات-، اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة لِما أصابها من تصدُّع جدرانها، وكانت لا تزال كما بناها إبراهيم- عليه السلام- رضمًا (حجارة) فوق القامة، وقد تمَّ تقسيم العمل في بناء الكعبة بين القبائل، وتولَّت كلٌّ واحدة منها ناحية من نواحي الكعبة، فجعلوا يبنونها بحجارة الوادي، ولما بلغ البنيان موضع الحَجَر الأسود دبَّ الشقاق بين قبائل قريش، فكلٌّ يريد أن ينال شرف رفْع الحَجَر الأسود إلى موضعه، وكادوا أن يقتتلوا فيما بينهم، حتَّى جاء أبو أميَّة بن المغيرة المخزومي فاقترح عليهم أن يُحكِّموا فيما اختلفوا فيه أوَّل مَن يدخل عليهم مِن باب المسجد الحرام، فوافقوا على اقتراحه وانتظروا أوَّل قادم، فإذا هو رسول الله ﷺ، وما إن رأوه حتَّى هتفوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمَّدٌ، وما إنِ انتهى إليهم حتَّى أخبروه الخبر، فقال: هلمَّ إليَّ ثوبًا،

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٥٧٧) برقم (٧٠٠٠). والترمذي في جامعه (٣/ ٢١٧) برقم (٨٧٨) أبواب الحج. باب ما جاء في فضْل الحَجَر الأسود والركن والمقام. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٣٣٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٩) برقم (١٥٩٧) كتاب الحج. باب ما ذُكِرَ في الحَجَر الأسود. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٢٥) برقم (١٢٧٠) كتاب الحج. باب استحباب تقبيل الحَجَر الأسود في الطواف.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٢٦) برقم (٢٣٩٨). والترمذي في جامعه (٣/ ٢٨٥) برقم (٩٦١) أبواب الحج. باب ما جاء في الحَجَر الأسود. وابن ماجه في سننه (٢/ ٩٨٢) برقم (٢٩٤٤) كتاب المناسك. باب استلام الحَجَر. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٣٦).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩٢٧) برقم (١٢٧٥) كتاب الحج. باب جواز الطواف على بعير وغيره، واستلام الحَجَر بمحجن ونحوه للراكب.



فأتوه به فوضع الحَجَر في وسطه ثم قال: لتأخذْ كلُّ قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعًا، ففعلوا، فلمَّا بلغوا به موضعه أخذه بيده الشريفة ووضعه في مكانه[١]. وبقي منصوبًا في مكانه لم يطرأ عليه تغيير، حتَّى وقع الحريق العظيم في الكعبة المشرَّفة في حصار جيش الحصين ابن نمير لعبد الله بن الزبير- رضي الله عنهما-، فتصدَّع الركن من الحريق ثلاث فرق، فشدَّه ابن الزبير بالفضَّة[٢].

وفي سنة ١٨٩هـ لما اعتمر هارون الرشيد، ورأى الفضة قد رقَّت ولقلقت حول الحَجَر حتَّى خافوا على الركن أن ينقض؛ أمر بالحجارة التي بيَّنها الحَجَر الأسود فثُقِبتْ بالماس من فوقها وتحتها، ثم أُفرِغت فيها الفضة[٣].

وفى عام ٣١٧هـ هاجم القرامطة مكَّة المكرَّمة وانتزعوا الحَجَر الأسود، ثم عادوا به إلى ديارهم، ووضعوه فى كعبةٍ بديلةٍ فى الإحساء ليحجَّ إليها الناس. وظلَّ معهم لمدة ٢٢ عامًا، يطوف الناس حول الكعبة ولا يجدون الحَجَر الأسود، حتَّى هدَّد الخليفة الفاطمى العزيز بالله فى مصر القرامطة أن يُسيِّر لهم جيشًا إلى الإحساء ليُعيد الحَجَر الأسود، فخافوا على مُلكهم وأعادوا الحَجَر الأسود إلى مكَّة سنة ٣٣٩ هـ[٤].

هذا وقد قام العالِم البريطاني "ريتشار ديبرتون" برحلة إلى الحجاز مُتخفِّيًا في زي مغربي، مُدَّعيًا أنَّه مُسلِمٌ وكان يُجيد اللغة العربية، واندسَّ بين الحُجَّاج واستطاع أن يحصل على قطعة من الحجر، وحملها معه إلى لندن، وبدأت تجاربه عليها في المعامل الجيولوجية، فتأكَّد أنَّه ليس حَجَرًا أرضيًّا، بل هو من السماء، وسجَّل هذا في كتاب له بعنوان "الحجُّ إلى مكَّة والمدينة" الذي صدر باللغة الإنجليزية في لندن سنة ١٨٥٦م.

(١) يُنظَر: سيرة ابن اسحاق= السير والمغازي (ص ١٠٣) وما بعدها؛ سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ١٩٢) وما بعدها. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر- بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م. السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.

(٢) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ٢١٩).

(٣) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ٣٤٧).

(٤) يُنظَر: موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر (ص ٢٠٩). موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧هـ/١٩٩٦- ١٩٩٧م، المؤلف: أحمد معمور العسيري، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.



٧ ذي الحجة

الرُّكن اليَمَاني

أركان الكعبة هي زوايا الكعبة الأربعة، وجاءت تسميتها باعتبار اتجاهاتها الأربعة تارةً، وجاءت باعتبار خصوصية أخرى فيها تارة أخرى. وهذه الأركان الأربعة هي:-

١- الرُّكن الشرقي: وهو الركن الذي يكون بجوار باب الكعبة، ويُقابلُ بئر زمزم تقريبًا، ويُسمَّى بالركن الشرقي؛ لكونه باتجاه المشرق تقريبًا، ويُسمَّى أيضًا بالركن الأسود؛ لأنَّ الحَجَر الأسود مُثَبَّتٌ فيه، ومنه يبدأ الطواف حول الكعبة.

٢- الرُّكن العراقي: وهو الركن الذي يلي الركن الشرقي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الشمالي؛ لمواجهته للشمال تقريبًا، وهو الركن الذي يكون على الجانب الشرقي من حِجْر إسماعيل، ويُسمَّى أيضًا بالركن العراقي لكونه باتجاه العراق.

٣- الرُّكن الغربي: وهو الركن الذي يلي الركن الشمالي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الغربي؛ لمواجهته للمغرب تقريبًا، ويُسمَّى أيضًا بالركن الشامي؛ لكونه باتجاه الشام، وهو الرُكن الذي يكون على الجانب الغربي من حِجْر إسماعيل.

٤- الرُّكن اليماني: وهو الركن الذي يلي الركن الغربي حسب جهة الحركة في الطواف، ويُسمَّى بالركن الجنوبي؛ لمواجهته للجنوب تقريبًا، ويُسمَّى أيضًا الركن اليماني؛ لكونه باتجاه اليمن، ويُسمَّى أيضًا بالمستجار. وهو أحد أركان الكعبة المشرَّفة في اتجاه الجنوب، وهو الركن الموازي لركن الحَجَر الأسود.

فالركن اليماني إذًا هو ركن الكعبة المشرَّفة الجنوبي الغربي، ويوازي الركن الجنوبي الشرقي الذي يوجَد به الحَجَر الأسود، وهو يسبق الحَجَر الأسود في الطواف، ويُسمَّى بالركن اليماني؛ لأنه باتجاه اليمن، يسامته من البلاد الجزء الجنوبي من أفريقيا من سواكن على البحر الأحمر والرأس الأخضر على المحيط الأطلسي إلى رأس الرجاء الصالح، فكل جهة تستقبل ركنها.

ومن مُمِيِّزات الركن اليماني أنَّه على القواعد الأولى للبيت التي رفعها إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام.

ومن السُّنَّة أن يستلم الطائف الركن اليماني بيده في كلِّ طوافٍ، ولا يُقبِّله، فإن لم يتمكَّن من استلامه؛ لم يُشرَع له الإشارة إليه بيده. ويقول بينه وبين الحَجَر الأسود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1][2].

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: الركن اليماني كان الرسول ﷺ يستلمه ولم يكن يُكبِّر، وعلى هذا فلا يُسَنُّ التكبير عند استلامه[3].

ولا يُشرَع استلام الركن الشمالي ولا الغربي، لعدم ورود ذلك عن النبي ﷺ.

وروى الشيخان من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّه كان يقتصر على مسْح الركنين: اليماني، والذي فيه الحَجَر[4].

وقد طاف معاوية- رضي الله عنه- فجعل يستلم الأركان الأربعة، فأنكر عليه ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-، فقال معاوية: إنَّه ليس شيءٌ من البيت مهجورًا، فقال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[5]، ولم يستلم النبي ﷺ من البيت إلَّا الركنين اليمانيين، فقال: صدقتَ. أخرجه أحمد والترمذي[6].

وفضائل هذا الركن عظيمة ومزاياه جليلة. فمن فضائله:

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ١١٨) برقم (١٥٣٩٨). وأبو داود في سننه (٢/ ١٧٩) برقم (١٨٩٢) كتاب المناسك. باب الدعاء في الطواف. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ١٢٩) برقم (٣٩٢٠) كتاب المناسك. القول بين الركنين. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ٣٩٢). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُّنَّة بالإسكندرية.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٧/ ٢٤٧). الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢- ١٤٢٨هـ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٥١) برقم (١٦٠٩) كتاب الحج. باب مَن لم يستلم إلَّا الركنين اليمانيين. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٢٤) برقم (١٢٦٨) كتاب الحج. باب استحباب تقبيل الحَجَر الأسود في الطواف.

(٥) الأحزاب: ٢١.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٦٩) برقم (١٨٧٦). والترمذي في جامعه (٣/ ٢٠٤) برقم (٨٥٨) أبواب الحج. باب ما جاء في استلام الحَجَر والركن اليماني دون ما سواهما. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢/ ٣٥٨). صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية- المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسُّنَّة بالإسكندرية.



ما جاء عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ مسْح الحَجَر الأسود والركن اليماني يحُطَّانِ الخطايا حطًّا" رواه أحمد[1].

ومنها: ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" يأتي الركن اليماني يوم القيامة أعظم من أبي قبيس، له لسان وشفتان" رواه أحمد[2].

ومنها: ما رواه نافع عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحَجَر في كلِّ طوافِه. قال نافع: وكان ابن عمر يفعله. رواه أبو داود والنسائي[3].

ومن الحوادث التي حدثت للركن اليماني: ما ذكره ابن الأثير في الكامل في التاريخ في حوادث سنة سبع وأربعمائة، قال: تشعَّثَ الركن اليماني من البيت الحرام[4]. بمعنى تفرَّقت أجزاؤه.

وما ذكره في حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة قال: تضعضع الركن اليماني من البيت الحرام- زاده الله شرفًا- من زلزلة، وانهدم بعضه[5].

وقال صاحب النجوم الزاهرة: وفي سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة؛ وقع من الركن اليماني قطعة، وتحرَّك البيت الحرام مرارًا. وهذا شيء لم يُعهَد منذ بناه عبد الله بن الزبير- رضي الله عنهما[6].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٤٤٢) برقم (٥٦٢١). والنسائي في سننه (٥/ ٢٢١) برقم (٢٩١٩) كتاب مناسك الحج. ذِكْر الفضْل في الطواف بالبيت. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٣٧). المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٥٦٠) برقم (٦٩٧٨). والحديث حسَّنه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٨/ ٣١٣) برقم (٤٦٨٦). وأبو داود في سننه (٢/ ١٧٦) برقم (١٨٧٦) كتاب المناسك. باب استلام الركن. والنسائي في سننه (٤/ ١٢٧) برقم (٣٩١٤) كتاب المناسك. استلام الركنين في كل طواف. والحديث حسَّنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٠٨).

(٤) الكامل في التاريخ (٧/ ٦٤٠). الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٥) الكامل في التاريخ (٨/ ٦٧٢).

(٦) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (٦/ ١٣٩). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.



وذُكِر أنَّه تم إلصاق قِطَعِ الركن اليماني بالمسامير في عهد الفاطميين، كما أنَّه في عام ١٠٤٠هـ في عهد السلطان مراد الرابع الذي جدَّد بناء الكعبة؛ انكسر طرف حَجَر الركن اليماني، فوُضِعَ في محل ذلك رصاصٌ مُذابٌ، وأُلصِق الجزء المكسور.

ورُمِّم الركن اليماني ضمن أعمال الترميم الشامل للكعبة المشرَّفة التي جرت في عهد الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود عام ١٤١٧هـ.

والخلاصة: ما ذكره العلَّامة ابن باز- رحمه الله تعالى-: أمَّا الركن اليماني فلم يرد- فيما نعلم- ما يدلُّ على الإشارة إليه، وإنَّما يستلمه بيمينه إذا استطاع من دون مشقَّة ولا يُقبِّله، ويقول:" بسم الله، والله أكبر" أو "الله أكبر"، أمَّا مع المشقَّة فلا يُشرَع له استلامه، ويمضي في طوافه من دون إشارة أو تكبير؛ لعدم ورود ذلك عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه- رضي الله عنهم-.

أمَّا التكبير فيكون مرَّة واحدة، ولا أعلم ما يدلُّ على شرعية التكرار، ويقول في طوافه كلِّه ما تيسَّر من الدعوات والأذكار الشرعية، ويختم كلَّ شوطٍ بما ثبت عن النبي ﷺ أنَّه كان يختم به كلَّ شوطٍ، وهو الدعاء المشهور: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1][2].

وفي كتاب الأُمِّ للشافعي: وأُحِبُّ أن يستلم الركن اليماني بيده، ويُقبِّلها ولا يُقبِّله؛ لأنِّي لم أعلم أحدًا رَوى عن النبي ﷺ أنَّه قبَّل إلَّا الحَجَر الأسود، وإن قبَّله فلا بأس به[3].

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (١٧/ ٢٢٠).

(٣) الأم للشافعي (٢/ ١٨٦).



٨ ذي الحجة

صوم يوم عرفة

صيام يوم عرفة وهو اليوم التاسع من شهر ذي الحجَّة، وفي فضْله جاء الحديث الشريف، كما في صحيح مسلم:" صيام يوم عرفة أحتَسِب على اللهِ أن يُكفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله"(١).

فالحديث يدلُّ بظاهره على أنَّ صيام يوم عرفة يُكفِّر ذنوب سنتين.

والمراد بتكفير الذنوب: هي الصغائر، أمَّا الكبائر فلا بدَّ من التوبة منها، وهذه كفَّارة لما تجنَّب الكبائر، كما قال جلَّ وعلا: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾(٢)، أي تكفير الصَّغائر.

ومن هذا قوله ﷺ:" الصَّلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفَّارةٌ لما بينهنَّ إذا اجتُنِبَتِ الكبائرُ" رواه مسلم(٣)، يعني: الصَّغائر؛ لأنَّ الأحاديث يُفسِّر بعضُها بعضًا، إذا كانتِ الصَّلوات الخمس التي هي الفرائض لا تُكفِّر إلَّا الصَّغائر؛ فمن باب أولى صوم عرفة. وأمَّا حقوق العباد فلا بدَّ من ردِّها أو مسامحتهم.

كما أنَّه أحد الأيَّام العَشر من ذي الحجَّة، ومن المعلوم أنَّ الأيَّام العَشر الأوائل من ذي الحجَّة فترة زمنية مُبارَكة يُستَحبُّ فيها الإكثار من الطاعات والخيرات، وقد قال رسول الله ﷺ- كما رواه البخاري-:" ما من أيَّامٍ العمل الصالح فيها أفضل منه في هذه العَشر- يعني العَشر الأوائل من ذي الحجَّة-، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلَّا رجلٌ خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء"(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨١٨) برقم (١١٦٢) كتاب الصيام. باب استحباب صيام ثلاثة أيَّام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس.

(٢) النساء: ٣١.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٩) برقم (٢٣٣) كتاب الطهارة. باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مُكفِّراتٌ لما بينهن ما اجتُنِبَت الكبائر.

(٤) رواه قريبًا منه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٠) برقم (٩٦٩) أبواب العيدين. باب فضْل العمل في أيَّام التشريق. واللفظ المذكور رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٣) برقم (١٩٦٨). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقِّق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

والصيام في هذا اليوم يُستَحَبُّ على وجه التأكيد لغير الحاجِّ ليكون الجميع وُقوفًا على باب الرحمة والمغفرة؛ هذا بحَجِّه، وذاك بصومِه، ولا يُستَحَبُّ صيام هذا اليوم للحاجِّ، فالأولى له الفطر؛ لأنَّه أرفق به في آداب الوقوف ومهمَّات المناسك، وتحكي أمُّ الفضل بنت الحارث امرأة العبَّاس بن عبد المطَّلِب- رضي الله عنهما-: أنَّ ناسًا تمارَوْا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلتْ إليه بقدح لبن، وهو واقفٌ على بعيرِه بعرفة فشَرِبَه، وفي رواية: فشَرِب منه، والناس ينظرون إليه. رواه البخاري ومسلم(١).

قال ابن القيم- رحمه الله-: وكان من هديه ﷺ إفطار يوم عرفة بعرفة(٢).

وروى النسائي عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: حججتُ مع رسول الله ﷺ فلم يصمه، ومع أبي بكر فلم يصمه، ومع عمر فلم يصمه، ومع عثمان فلم يصمه، وأنا لا أصومه ولا آمر به ولا أنهى عنه. صحَّحه الألباني(٣).

وحكى الحافظ ابن حجر في الفتح عن الجمهور أنَّه يُستحَبُّ إفطار يوم عرفة للحاجِّ. وقال عطاء: مَن أفطر يوم عرفة ليتقوَّى به على الدعاء؛ كان له مثل أجر الصائم(٤).

وإذا وافق يوم عرفة يوم جمعة جاز إفراده بالصوم، والنهي الوارد عن إفراد صوم يوم الجمعة بدون سبب، ولكونه يوم جمعة أي تعظيمًا له أو ما شابه ذلك، أمَّا من صامه لأمرٍ آخر رغَّب فيه الشرع وحثَّ عليه فليس بممنوع، بل مشروع ولو أفرده بالصوم، ولو صام يومًا قبله بالنسبة ليوم عرفة كان أفضل، أمَّا صيام يوم بعده فلا يُمكن لأنَّ اليوم الذي بعده يوم عيد النحر، وهو مُحرَّمٌ صيامه لجميع المسلمين حُجَّاجًا كانوا أم غير حُجَّاج؛ لحديث أبي سعيد- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ:" نهى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٦٢) برقم (١٦٦١) كتاب الحج. باب الوقوف على الدابة بعرفة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٩١) برقم (١١٢٣) كتاب الصيام. باب استحباب الفطر للحاج بعرفات يوم عرفة.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٧٣). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٣٠٩) برقم (٥٤٢٠). والترمذي في جامعه (٣/ ١١٦) برقم (٧٥١) أبواب الصوم. باب كراهية صوم يوم عرفة بعرفة. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٢٢٨) برقم (٢٨٤٠) كتاب الصيام. إفطار يوم عرفة بعرفة، وذكر الاختلاف على أيوب في خبر ابن عبَّاس فيه. والحديث صحَّح إسناده الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢/ ٢٥١).

(٤) يُنظَر: فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٣٨).



عن صوم يومين: يوم الفطر ويوم النحر" متفق عليه[١]، وروى أبو عبيد مولى ابن الأزهر قال: شهدتُ العيد مع عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-، فجاء فصلَّى، ثم انصرف فخطب الناس، فقال:" إنَّ هذَين يومَين نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما؛ يوم فطركم من صيامكم، والآخر يوم تأكلون فيه من نُسُككم" رواه البخاري ومسلم[٢]، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه وتحريمه.

وهذا سؤال ورد إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

هل يجوز للشخص أن يُشرِك النِّيَّة في عملٍ واحدٍ أو لعملٍ واحدٍ، فمثلًا يكون عليه قضاء يوم من شهر رمضان وجاء عليه يوم وقفة عرفة، فهل يجوز أن ينوي صيام القضاء والنافلة في هذا اليوم، وتكون نيَّته أداء القضاء ونيَّة أخرى للنافلة؟

الجواب: لا حرج أن يصوم يوم عرفة عن القضاء، ويُجزئه عن القضاء، ولكن لا يحصل له مع ذلك فضْل صوم عرفة، لعدم الدليل على ذلك. لكن الأفضل للإنسان أن يقضي ما عليه من الصوم في غير يوم عرفة، ليجمع بين فضيلتَين: فضيلة القضاء، وفضيلة صوم يوم عرفة[٣].

وأيضًا نُذكِّر بالحديث الشريف الصحيح الذي يقول فيه ﷺ:" لا يَحِلُّ للمرأة أن تصوم وزوجُها شاهدٌ إلَّا بإذنه" متفق عليه[٤]، فالمرأة ليس لها أن تصوم تطوُّعًا وزوجها حاضر إلَّا بإذنه؛ لأنَّه قد يحتاج إليها- يستمتع بها-، فيمتنع بأسباب الصوم، فليس لها أن تصوم إلَّا بإذنه؛ لأنَّ له حقَّ الاستمتاع، ما عدا رمضان، فرمضان فريضة، فلا يحتاج إلى إذنٍ، عليها أن تصوم رمضان، ولهذا رُوي في سنن أبي داود بزيادة: "إلَّا رمضان"[٥]، أو صوم قضاء ما عليها عن أيَّام الحيض، عليها أن تصومها، ولو لم يأذن، عليها أن تصومها؛ لأنَّها من رمضان- قضاء رمضان-، ففي الحيض أو النفاس أفطرتْ في رمضان، فعليها أن تقضي، وليس له منْعُها من القضاء.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٢) برقم (١٩٩١) كتاب الصوم. باب صوم يوم الفطر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٠) برقم (١١٤٠) كتاب الصيام. باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٢) برقم (١٩٩٠) كتاب الصوم. باب صوم يوم الفطر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٩٩) برقم (١١٣٧) كتاب الصيام. باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى.

(٣) يُنظَر: فتاوى اللجنة الدائمة- ١ (١٠/ ٣٩٧). فتاوى اللجنة الدائمة- المجموعة الأولى، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٠) برقم (٥١٩٥) كتاب النكاح. باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحدٍ إلَّا بإذنه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١١) برقم (١٠٢٦) كتاب الزكاة. باب ما أنفق العبد من مال مولاه.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٣٠) برقم (٢٤٥٨) كتاب الصوم. باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٦٣).



وختامًا؛ فلصيام التطوُّع فوائد ومزايا كثيرة، ينبغي للمسلم تتبُّعها وتقصِّيها، منها ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾[١]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢]، فكلُّ إنسانٍ يحتاج إلى فِعْل الخير والعمل الصالح تقرُّبًا إلى الله، وتعبُّدًا له وزيادة في الأجر والثواب، فعطاء الله لا ممسك له، وثوابه لا حدود له، فعلى المسلم أن يُكثر من فِعْل الخير والعمل الصالح يرجو بذلك أحد أمرين:

الأول: التقرُّب إلى الله بِفِعْلِ الخير: فصيام التطوُّع من الأعمال التي تُقرِّب إلى الله تعالى، كما قال الإمام أحمد- رحمه الله-: الصيام أفضل ما تُطوّع به؛ لأنَّه لا يدخله الرياء[٣].

وكما قال ﷺ:" ما من عبدٍ يصوم يومًا في سبيل الله إلَّا باعد الله بذلك اليوم عن وجهه النَّار سبعين خريفًا" متفق عليه[٤]، وقال ﷺ أيضًا:" وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحِبَّه" رواه البخاري[٥].

الثاني: جبْرُ الخلل الحاصل في العبادة؛ فالإنسان لا يخلو من خطأ ونقص ومعصية، فكانت النوافل تُكمل الناقص من الفرائض، ومن ذلك الصوم، فشُرِع التطوُّع لجبر ذلك النقص، ولهذا قال النبي ﷺ:" التطوُّع تُكمَلُ به الفرائضُ يوم القيامة" رواه أحمد وأبو داود[٦].

(١) البقرة: ١٨٤.

(٢) الحج: ٧٧.

(٣) يُنظَر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٣/ ٥٢٨). توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: ١٤٢٣هـ)، الناشر: مكتَبة الأسدي، مكَّة المكرَّمة، الطبعة: الخامِسَة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٦) برقم (٢٨٤٠) كتاب الجهاد والسير. باب فضْل الصوم في سبيل الله. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٨) برقم (١١٥٣) كتاب الصيام. باب فضْل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضررٍ ولا تفويت حقٍّ.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٥) برقم (٦٥٠٢) كتاب الرقاق. باب التواضع.

(٦) جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى:" انظروا هل لعبدي من تطوُّعٍ؟ فإن كان له تطوَّعٌ قال: أتِمُّوا لعبدي فريضته من تطوُّعه" مسند أحمد (١٥/ ٢٩٩) برقم (٩٤٩٤). سنن أبي داود (١/ ٢٢٩) برقم (٨٦٤) كتاب الصلاة. باب قول النبي ﷺ: «كلُّ صلاةٍ لا يُتِمُّها صاحبها تتمُّ من تطوُّعه». وسنن الترمذي (٢/ ٢٧٢) برقم (٤١٣) أبواب الصلاة. باب ما جاء أنَّ أوَّل ما يُحاسَبُ به العبد يوم القيامة الصلاة. السنن الكبرى للنسائي (١/ ٢٠٥) برقم (٣٢١) كتاب الصلاة. المحاسَبة على ترْك الصلاة. وسنن ابن ماجه (١/ ٤٥٨) برقم (١٤٢٦) كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها. باب ما جاء في أوَّل ما يُحاسَبُ به العبد الصلاة. والحديث صحَّحه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٤١٩).

٩ ذي الحجة

التكبير المُقيَّد أدبار الصلوات

التكبير في عيد الأضحى مشروعٌ من أوَّل الشهر إلى نهاية اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجَّة؛ لقول الله سبحانه: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾[١]، وهي أيَّام العَشْر، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾[٢]، وهي أيَّام التشريق؛ ولقول النبي ﷺ:" أيَّامُ التشريقِ أيامُ أَكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ" رواه مسلم[٣].

والتكبير نوعان: مُطلَق: وهو الذي لا يَتقيَّد بشيء، فيُسَنُّ دائمًا، في الصباح والمساء، قبل الصلاة وبعد الصلاة، في جميع الأوقات، ولا يُخَصُّ بمكان مُعيَّن، فيُستحَبُّ في المنازل والمساجد والطرقات، ومُقيَّد: وهو الذي يتقيَّد بأدبار الصلوات.

والتكبير المطلَق والمقيَّد يجتمعان في أصحِّ أقوال العلماء في خمسة أيَّام، وهي: يوم عرفة ويوم النحر وأيَّام التشريق الثلاثة.

وأمَّا اليوم الثامن وما قبله إلى أوَّل الشهر؛ فالتكبير فيه مُطلَق لا مُقيَّد، وفي المسند عن ابن عمر– رضي الله عنهما– عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال:" ما من أيَّام أعظمُ عند الله ولا أحبُّ إليه العمل فيهنَّ من هذه الأيَّام العَشْر، فأكثروا فيهنَّ من التهليل والتكبير والتحميد" رواه أحمد[٤].

فإذا سَلَّم من الفريضة واستغفر ثلاثًا وقال:" اللهمَّ أنتَ السلام، ومنكَ السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام" رواه مسلم[٥]؛ بدأ بالتكبير.

وقد نقل الإمام أحمد الإجماع على التكبير المقيَّد الذي يكون بعد صلاة الصبح من يوم عرفة، فقد حكاه عن عمر وعليٍّ وابن مسعود وابن عبَّاس– رضوان الله عليهم–[٦].

---

(١) الحج: ٢٨.

(٢) البقرة: ٢٠٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٠) برقم (١١٤١) كتاب الصيام. باب تحريم صوم أيَّام التشريق.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٠/ ٢٩٦) برقم (٦١٥٤). والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٦٤). ضَعيفُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدِّين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض– المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤١٤) برقم (٥٩١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب استحباب الذِّكْر بعد الصلاة وبيان صفته.

(٦) يُنظَر: العدة شرح العمدة (ص ١٢٤). العدة شرح العمدة، المؤلف: عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (المتوفى: ٦٢٤هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.



١- عن عُمرَ بنِ الخَطَّابِ- رَضِيَ اللهُ عنه-: أنَّه كان يُكبِّر دُبرَ صلاةِ الغداةِ من يومِ عَرفةَ إلى صلاةِ الظهر مِن آخِرِ أيَّامِ التَّشريقِ[١].

٢- عن عليٍّ- رَضِيَ اللهُ عنه-: أنَّه كان يُكبِّرُ من صلاةِ الفجرِ يومَ عَرفةَ، إلى صَلاةِ العَصرِ مِن آخِرِ أيَّامِ التَّشريقِ[٢].

٣- عنِ الأَسودِ قال: كانَ عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ- رضي الله عنه- يُكبِّر من صلاةِ الفَجرِ يومَ عَرفةَ، إلى صلاةِ العصرِ من النَّحرِ؛ يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ،، لا إلهَ إلَّا الله، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحمدُ[٣].

٤- عن ابنِ عبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عنهما-: أنَّه كان يُكبِّرُ من غَداةِ عَرفةَ إلى صَلاةِ العَصرِ من آخِرِ أيَّامِ التَّشريقِ[٤].

فالتكبير المقيَّد مُستحَبٌّ بالإجماع، وهو الذي يكون في أدبار الصلوات الخمس بعد الاستغفار، خاصَّةً إذا أُدِّيَتْ في جماعة، كما يشترط أكثر الفقهاء، وليس في مشروعيَّته حديثٌ صحيحٌ مرفوعٌ، لكن نُقِلَ فيه إجماع الصحابة، قال الإمام النووي: وأمَّا التكبير المقيَّد؛ فيُشرَع في عيد الأضحى بلا خلافٍ لإجماع الأمَّة[٥].

وقال ابن رجب: اتفق العلماء على أنَّه يُشرَع التكبير عقيب الصلوات في هذه الأيَّام في الجملة، وليس فيهِ حديثٌ مرفوعٌ صحيحٌ، بل إنَّما فيهِ آثار عن الصحابة ومَن بعدهم، وعملُ المسلمين عليه[٦].

بل بلغ من أهمِّيَّة التكبير المقيَّد بأدبار الصلوات أنَّ العلماء قالوا: يقضيه إذا نسيه، فإذا نسي أن يُكبِّر عقب الصلاة؛ فإنَّه يُكبِّر إذا ذكر، ولو أحدث أو خرج من المسجد ما لم يطل الفصل بين الصلاة والتكبير.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٨٨) برقم (٥٦٣٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٨٨) برقم (٥٦٣٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٨٨) برقم (٥٦٣٣).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٨٩) برقم (٥٦٣٩).

(٥) المجموع شرح المهذب (٥/ ٣٢). المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، الناشر: دار الفكر، ((طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي)).

(٦) فتح الباري لابن رجب (٩/ ٢٢).



وهل يُكبَّر في أدبار صلاة النوافل؟ الجمهور على أنَّه لا يُشرَع التكبير في دبر صلاة النافلة، قال القاضي عياض: اختلفوا في التكبير دبر النوافل، فلم ير ذلك مالكٌ في المشهور عنه، والثوري، وأحمد، وإسحاق. وقال الشافعي: يُكبِّر(١).

فالتكبير في أيَّام التشريق بعد الصلوات محفوظٌ مِن فِعْلِ الصحابة- رضوان الله عليهم-، وعمر- رضي الله عنه-، وجماعة من الصحابة، ويُروَى عن النبي ﷺ، لكنَّ في إسناده ضعفًا(٢).

فالتكبير المقيَّد دبر الصلوات في عيد النحر مشروع، ووقت ابتدائه على الراجح من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيَّام التشريق. ويستمرُّ إلى ثلاث وعشرين صلاة مفروضة.

قال العلَّامة ابن باز- رحمه الله-: ورُوِي عن النبي ﷺ وعن جماعة من الصحابة- رضي الله عنهم- التكبير في أدبار الصلوات الخمس من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم الثالث عشر من ذي الحجَّة، وهذا في حقِّ غير الحاجِّ، أمَّا الحاجُّ فيشتغل في حال إحرامه بالتلبية حتَّى يرمي جمرة العقبة يوم النحر، وبعد ذلك يشتغل بالتكبير(٣).

وممَّا يُذكَر ههنا أنَّه ليس في عيدِ الفِطرِ تكبيرٌ مُقيَّدٌ عقبَ الصلواتِ، وهذا باتِّفاقِ المذاهبِ الفقهيَّة الأربعة: الحَنَفيَّة(٤)، والمالِكيَّة(٥)، والشافعيَّة على الأصحِّ(٦)، والحَنابِلَة على

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٣٠١). شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المسَمَّى: إكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقِّق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢) يُنظَر: فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٨/ ٦٧).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (١٣/ ١٨).

(٤) يُنظَر: النهاية في شرح الهداية (٤/ ٩١). النهاية في شرح الهداية (شرح بداية المبتدي) تأليف: حسين بن علي السغناقي الحنفي (ت ٧١٤ هـ)، تحقيق: رسائل ماجستير- مركز الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، الأعوام: ١٤٣٥- ١٤٣٨ هـ.

(٥) يُنظَر: البيان والتحصيل (١/ ٢٨٧). البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، حقَّقه: د محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٦) يُنظَر: المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (١/ ٢٢٧)؛ نهاية المطلب في دراية المذهب (٢/ ٦١٤). المهذب في فقه الإمام الشافعي، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية. نهاية المطلب في دراية المذهب، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، حقَّقه وصنع فهارسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الدِّيب، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.



الصَّحيح[١]؛ وذلك لأنَّه لم يُنقَلْ عن النبيِّ ﷺ ولا عن أصحابِه، ولو كان مشروعًا لفُعِل ولَنُقِل[٢].

ويُسنُّ الجهرُ بالتكبيرِ للرِّجالِ[٣]، وهذا مذهبُ الجمهور: المالِكيَّة[٤]، والشافعيَّة[٥]، والحَنابِلَة (٦)، وهو روايةٌ عن أبي حَنيفةَ، وقال به من الحَنَفيَّة أبو يوسف ومحمَّد بن الحسن.[٧] والطحاويُّ[٨]، عن أمِّ عَطيَّةَ- رَضِيَ اللهُ عنها- قالت:"كُنَّا نُؤمَر أنْ نَخرُجَ يومَ العيدِ، حتَّى نُخرِجَ البكرَ مِن خِدْرِها، وحتَّى نُخرِجَ الحُيَّضَ، فَيَكُنَّ خلْفَ الناسِ، فيُكبِّرْنَ بتكبيرِهم، ويَدْعون بدُعائِهم، يرجونَ بَرَكةَ ذلِك اليومِ وطُهرتَه" رواه البخاري ومسلم[٩]، فلولا إظهارُ التكبيرِ من الرِّجالِ؛ لَمَا كبَّر النِّساءُ خَلفَهم بتكبيرِهم.

---

(١) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٥/ ٣٦٨). الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير)، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرْداوي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي- الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة- جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) يُنظَر موقع الدرر السنية: حكم التكبير في عيدِ الفِطرِ - الموسوعة الفقهية - الدرر السنية(dorar.net) .

(٣) يُنظَر موقع الدرر السنية: ألفاظ التكبير وصفته - الموسوعة الفقهية - الدرر السنية(dorar.net) .

(٤) يُنظَر: شرح الرسالة (١/ ٤٤)؛ الجامع لمسائل المدونة (٣/ ٩٤٣). شرح الرسالة، المؤلف: أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ)، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م. الجامع لمسائل المدونة، المؤلف: أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي (المتوفى: ٤٥١هـ)، المحقِّق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي- جامعة أم القرى (سلسلة الرسائل الجامعية الموصَى بطبعها)، توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

(٥) يُنظَر: مختصر المزني (٨/ ١٢٤)؛ بحر المذهب للروياني (٢/ ٤٥٧). مختصر المزني (مطبوع مُلحَقًا بالأُمِّ للشافعي)، المؤلف: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (المتوفى: ٢٦٤هـ)، الناشر: دار المعرفة– بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي)، المؤلف: الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (ت ٥٠٢هـ)، المحقِّق: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.

(٦) يُنظَر: الإرشاد إلى سبيل الرشاد (ص ١٠٧)؛ المغني لابن قدامة (٣/ ٢٥٦). الإرشاد إلى سبيل الرشاد، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي موسى الشريف، أبو علي الهاشمي البغدادي (المتوفى: ٤٢٨هـ)، المحقِّق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٧) يُنظَر: تحفة الفقهاء (١/ ١٧٠). تحفة الفقهاء، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي (المتوفى: نحو ٥٤٠ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٨) يُنظَر: شرح مختصر الطحاوي للجصاص (٢/ ١٥٠).

(٩) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٠) برقم (٩٧١) أبواب العيدين. باب التكبير أيَّام منى، وإذا غدا إلى عرفة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٦) برقم (٨٩٠) كتاب صلاة العيدين. باب ذِكْر إباحة خروج النِّساء في العيدين إلى المصلَّى وشهود الخطبة مفارقاتٍ للرِّجال.



هذا وقد أنكر البعضُ التكبيرَ المقيَّدَ لعدم وروده عن النبي ﷺ في حديث صحيح، وممَّا أعجبني قول العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله تعالى-: كلُّ الأيَّام الثلاثة عشرة فيها تكبير مُطلَق، لكن من يوم عرفة إلى آخر أيَّام التشريق فيها مُقيَّدٌ أيضًا، يُكبِّرُ دبر الصلاة مع أذكار الصلوات، والمسألة هذه أمرها واسع، يعني لو أنَّ الإنسان لم يُكبِّر التكبير المقيَّد واكتفى بأذكار الصلوات؛ لكفى، ولو كبَّر حتَّى في أيَّام المطلَق دبر الصلوات؛ لجاز ذلك، الأمر في هذا واسع، لأنَّ الله تعالى قال في أدبار الصلوات: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾[3]، فكلُّها ذِكْرٌ، والأمر في هذا واسع، والمهمُّ أن نُعمِّر أوقات هذه العَشْر وأيَّام التشريق بالذِّكْر[4].

---

(١) النساء: ١٠٣.

(٢) الحج: ٣٤.

(٣) البقرة: ٢٠٣.

(٤) دروس للشيخ العثيمين (٥/ ٩، بترقيم الشاملة آليًّا). دروس الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

١٠ ذي الحجة

اليوم أكملتُ لكم دينكم

يقول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(١)، يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: هذه أكبر نعم الله عزَّ وجلَّ على هذه الأُمَّة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دينٍ غيره، ولا إلى نبيٍّ غير نبيِّهم- صلوات الله وسلامه عليه-، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجنِّ، فلا حلال إلَّا ما أحلَّه، ولا حرام إلَّا ما حرَّمه، ولا دين إلَّا ما شرعه، وكلُّ شيءٍ أخبر به فهو حقٌّ وصدقٌ، لا كذب فيه ولا خُلْف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾(٢)، أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي، فلمَّا أكمل الدين لهم تمَّت النعمة عليهم.

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(٣)، أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنَّه الدين الذي رضيه الله وأحبَّه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كُتُبِهِ.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾(٤)، وهو الإسلام، أخبر الله نبيَّه ﷺ والمؤمنين أنَّه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمَّه الله فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدًا.

وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرامٌ، ورجع رسول الله ﷺ فمات. قالت أسماء بنت عميس- رضي الله عنها-: حججتُ مع رسول الله ﷺ تلك الحجَّة، فبينما نحن نسير؛ إذ تجلَّى له جبريل، فمال رسول الله ﷺ على الراحلة، فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن، فبركتْ فأتيتُه فسجَّيتُ عليه بُردًا كان عليَّ.

قال ابن جريج وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بواحدٍ وثمانين يومًا. رواهما ابن جرير، ثم قال: حدَّثنا سفيان بن وكيع، حدَّثنا ابن فضيل، عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: لما

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) الأنعام: ١١٥.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) المائدة: ٣.



نزلتْ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[(١)]، وذلك يوم الحج الأكبر؛ بكى عمر فقال له النبي ﷺ: ما يُبكيك؟ قال: أبكاني أنَّا كنَّا في زيادة مِن ديننا، فأمَّا إذ أُكمِلَ؛ فإنَّه لم يُكمَل شيءٌ إلَّا نقص. فقال: صدقتَ.

ويشهد لهذا المعنى الحديثُ الثابتُ:" إنَّ الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء" رواه مسلم[(٢)].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا جعفر بن عون، حدَّثنا أبو العميس، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: جاء رجلٌ من اليهود إلى عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنَّكم تقرأون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلتْ؛ لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: وأيُّ آيةٍ؟ قال: قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾[(٣)]، فقال عمر: واللهِ إنِّي لأعلم اليوم الذي نزلتْ على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلتْ فيها على رسول الله ﷺ، نزلتْ عشية عرفة في يوم جمعة[(٤)].

ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون به. ورواه أيضًا مسلم[(٥)] والترمذي والنسائي من طرق عن قيس بن مسلم به، ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثوري، عن قيس عن طارق قال: قالت اليهود لعمر: إنَّكم تقرأون آية؛ لو نزلتْ فينا لاتَّخذناها عيدًا. فقال عمر: إنِّي لأعلم حين أُنزلتْ، وأين أُنزلتْ، وأين رسول الله ﷺ حيث أُنزلت يوم عرفة، وأنا والله بعرفة[(٦)(٧)].

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه دون قوله "فطوبي للغرباء" (١/ ١٣١) برقم (١٤٦) كتاب الإيمان. باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنَّه يأرز بين المسجدين. واللفظ المذكور رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٢٠) برقم (٣٩٨٧) كتاب الفتن. باب بدأ الإسلام غريبًا. والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٢٦٧).

(٣) المائدة: ٣.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٢٠) برقم (١٨٨).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٣١٣) برقم (٣٠١٧) كتاب التفسير.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٥٠) برقم (٤٦٠٦) كتاب تفسير القرآن. باب قوله: {اليوم أكملتُ لكم دينكم} المائدة: ٣.

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦).

وقال ابن جرير: حدَّثني يعقوب بن إبراهيم، حدَّثنا ابن علية، أخبرنا رجاء بن أبي سلمة، أخبرنا عبادة بن نسي، أخبرنا أميرنا إسحاق عن قبيصة قال: قال كعب: لو أنَّ غير هذه الأُمَّة نزلتْ عليهم هذه الآية؛ لنظروا اليوم الذي أُنزلتْ فيه عليهم، فاتَّخذوه عيدًا يجتمعون فيه. فقال عمر: أيُّ آيةٍ يا كعب؟ فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[١]، فقال عمر: قد علمتُ اليوم الذي أُنزلتْ فيه، والمكان الذي أُنزلتْ فيه، نزلتْ في يوم جمعة ويوم عرفة، وكلاهما- بحمد الله- لنا عيدٌ[٢].

وقال السعدي:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسُّنَّة كافيَينِ كلَّ الكفاية في أحكام الدين؛ أصوله وفروعه. فكلُّ مُتكلِّفٍ يزعم أنَّه لا بدَّ للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسُّنَّة، من علم الكلام وغيره؛ فهو جاهل، مُبطِلٌ في دعواه، قد زعم أنَّ الدين لا يكمُل إلَّا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله ﷺ، (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) الظاهرة والباطنة، (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أي: اخترتُه واصطفيتُه لكم دينًا، كما ارتضيتُكم له، فقوموا به شُكْرًا لربِّكم، واحمدوا الذي مَنَّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها[٣].

وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: قال: بعث الله نبيَّه بشهادة أن لا إله إلَّا الله، فلمَّا صدَّق بها المؤمنون زادهم الصلاة، فلمَّا صدَّقوا بها زادهم الصيام، فلمَّا صدَّقوا به زادهم الزكاة، فلمَّا صدَّقوا بها زادهم الحجَّ، فلمَّا صدَّقوا به زادهم الجهاد، ثم أكمل الله لهم دينهم، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾[٤][٥]، ومعلوم أنَّ النَّبيَّ ﷺ وأصحابه لم يحجُّوا حجَّة الفرض إلَّا ذلك

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) تفسير الطبري= جامع البيان (٩/ ٥٢٦).

(٣) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٢٠). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ)، المحقِّق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٥٢). تعظيم قدر الصلاة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقِّق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.



العام، فلمَّا حجُّوا حجَّة الإسلام؛ كمل لهم الدين بتكميلهم أركان الإسلام حينئذ. ولم يكن الدين قبل ذلك ناقصًا، كنقص مَن ترك شيئًا من واجبات دينه، بل كان الدين في كل زمان كاملًا بالنسبة إلى ذلك الزمان بما فيه من الشرائع والأحكام، وإنَّما هو ناقصٌ بالنسبة إلى الزمان الذي بعده، الذي تَجدَّد فيه من الشرائع والأحكام ما لم يكن قبل ذلك.

وفي الختام؛ فلا خلاف في أنَّ الدين قد كمُل قبل وفاة الرسول ﷺ تشريعًا وتوحيدًا، وعبادة وأخلاقًا، فالوحي قد كمُل قطعًا، والدين قد تمَّ، ولكنَّ هذا لا يمنع من الاجتهاد؛ لاستنباط حكمٍ للاختلاف في فهْم آيةٍ أو صحَّةِ حديثٍ، أو كون بعض ذلك ناسخًا أو منسوخًا، أو مُخصَّصًا أو مُقيَّدًا أو مُبيِّنًا، ونحو ذلك ممَّا تُمليه أساليب اللغة وأصول التشريع.

ولماذا عبَّر عند الحديث عن الدين بالكمال، وعن النعمة بالتمام؟ ذلك لأنَّ الكمال لا يقتضي الزيادة، والتمام يقتضي الزيادة، فنِعَمُهُ سبحانه وتعالى في زيادةٍ لا نهاية لها.

١١ذي الحجة

أيَّامُ التشريقِ أيامُ أكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرٍ لله

أيَّام التشريق أيَّام ذِكْر الله تعالى وشُكره، وإن كان الحقُّ أن يُذكَر الله تعالى ويُشكَر في كلِّ وقتٍ وحينٍ، لكن يتأكَّد في هذه الأيَّام المباركة. يقول النبي ﷺ:" أيَّامُ التشريق أيَّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرِ الله" رواه مسلم(١)، وفي رواية له أيضًا:" من كان صائمًا فلْيُفطرْ؛ فإنَّها أيَّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ" رواه أحمد(٢).

والتشريق مصدر شرَّق اللحمَ أي قدَّه. ومنه أيَّام التشريق، وهي ثلاثة أيَّامٍ بعد يوم النحر؛ لأنَّ لحوم الأضاحِي تُشرَّق أي تُشرَّر في الشَّمس. ويُقال: سُمِّيَتْ بذلك لقولهم: أَشرِقْ يا ثبير (وهو جبلٌ)، كيما نندفع في السير. وقال ابن الأعرابِيّ: سُمِّيَتْ بذلك لأنَّ الهَدْيَ لا يُذْبَح حتَّى تُشرق الشَّمس(٣).

قال الحافظ ابن رجب- رحمه الله تعالى-: وفي قول النبي ﷺ:" إنَّما أيَّامُ أكْلٍ وشرْبٍ وذِكْرٍ لله عزَّ وجلَّ" إشارة إلى أنَّ الأكل في أيَّام الأعياد والشُّرْب؛ إنَّما يُستعان به على ذِكْر الله تعالى وطاعته، وذلك من تمام شكر النعمة أن يُستعان بها على الطاعات، وقد أمر الله تعالى في كتابه بالأكل من الطَّيِّبات والشكر له، فمَنِ استعان بنعم الله على معاصيه فقد كفر نعمة الله وبدَّلها كُفرًا، وهو جديرٌ أن يُسلَبَها كما قيل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعَها ... فإنَّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ
وداوِمْ عليها بِشُكْرِ الإلهِ ... فشُكْرُ الإلهِ يُزيلُ النِّقَمْ

وخصوصًا نعمة الأكل من لحوم بهيمة الأنعام، كما في أيَّام التشريق، فإنَّ هذه البهائم مُطيعةٌ لله لا تعصيه، وهي مُسبِّحةٌ لله قانتة، كما قال تعالى:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾(٤)،

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٠) برقم (١١٤١) كتاب الصيام. باب تحريم صوم أيَّام التشريق.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٤٥١) بدون رقم. والحديث جوَّد إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٥٤٠).

(٣) يُنظَر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٥٠١). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

(٤) الإسراء: ٤٤.



وإنَّها تسجد له كما أخبر بذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾[2]، وربَّما كانتْ أكثر ذِكْرًا لله مِن بعض بني آدم، وفي المسند مرفوعًا: "رُبَّ بهيمةٍ خيرٌ من راكبها، وأكثرُ لله منه ذِكْرًا" رواه أحمد[3][4].

وذِكْرُ الله عزَّ وجلَّ المأمور به في أيَّام التشريق أنواع مُتعدِّدة:

منها: ذِكْرُ الله عزَّ وجلَّ عقب الصلوات المكتوبات بالتكبير في أدبارها، وهو التكبير المقيَّد، وهو مشروعٌ إلى آخر أيَّام التشريق عند جمهور العلماء.

ومنها: ذِكْرُه بالتسمية والتكبير عند ذبْح النُّسُك، فإنَّ وقت ذبْح الهدايا والأضاحي يمتدُّ إلى آخر أيَّام التشريق.

ومنها: ذِكْرُ الله عزَّ وجلَّ على الأكْل والشرْب، فإنَّ المشروع في الأكْل والشرْب أن يُسمِّي اللهَ في أوَّله، ويحمدَه في آخره، وفي الحديث عن النبي ﷺ:" إنَّ الله عزَّ وجلَّ يرضى عن العبد أن يأكلَ الأكْلة فيحمدَه عليها، ويشربَ الشَّرْبة فيحمدَه عليها" رواه مسلم[5].

ومنها: ذِكْرُه بالتكبير عند رمْي الجمار أيَّام التشريق، وهذا يختصُّ به الحُجَّاج.

ومنها: ذِكْرُ الله تعالى المطلَق، فإنَّه يُستحَبُّ الإكثار منه في أيَّام التشريق، وقد كان عُمرُ- رضي الله عنه- يُكبِّر بمنىً في قُبَّته، فيسمعه الناس فيُكبِّرون فترتجُّ منىً تكبيرًا[6]، وقد قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا

---

(١) النحل: ٤٩.

(٢) الحج: ١٨.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٩٢) برقم (١٥٦٢٩). وهذه الزيادة في الحديث ضعَّفها الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٦٠).

(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ١٦٣). روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٥) برقم (٢٧٣٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب استحباب حمْد الله تعالى بعد الأكل والشرب.

(٦) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٤٣٧) برقم (٦٢٦٧).

فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(١). وقد استحبَّ كثيرٌ من السلف كثرة الدعاء بهذا الدعاء في أيَّام التشريق.

يقول العلَّامة ابن باز- رحمه الله-: نهى النبي ﷺ عن صوم أيَّام التشريق، وبعث مَن يُنادِي في الناس: ألَّا تُصام؛ لأنَّها أيَّام أَكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرٍ، الناس يأكلون ويشربون، ويتقرَّبون إلى الله بالذبائح، بالهدْي والضحايا؛ فيأكلون ويشربون، ما هي بأيَّام صومٍ، لا صوم فريضةٍ، ولا صوم نافلةٍ، بل الواجب الفطر في يوم العيد وأيَّام التشريق؛ أربعة أيَّام يجب إفطارها، فهي أيَّام أَكْلٍ وشرْبٍ وذكْرٍ إلَّا من لم يستطع الهدْي؛ هدْي التَّمتُّع؛ فإنَّه له أن يصوم الثلاثة الأيَّام، خاصَّة من الناس؛ لما ثبت في البخاري في صحيحه- رحمه الله- عن عائشة، وابن عمر- رضي الله تعالى عنهما- قالا: لم يُرخَّصْ في أيَّام التشريق أن يُصَمْنَ إلَّا لمن لم يجد الهدْي. هكذا رواه البخاري في الصحيح من حديث عائشة وابن عمر(٢).

ومعنى (لم يُرخَّصْ) يعني: لم يُرخِّص النبي ﷺ به، إذا قال الصحابي: لم يُرخَّص أو رخَّص أو أُمِرنا أو..، هذا المراد به النبي ﷺ، هكذا قال أهل العلم؛ لأنَّ الرسول هو الآمِر الناهي المرخِّص- عليه الصلاة والسلام-.

فمعنى: (لم يُرخَّص) يعني: أنَّ النبي ﷺ لم يُرخِّص لأحدٍ أن يصوم أيَّام التشريق إلَّا مَن عجز عن الهدْي؛ فله أن يصوم الثلاثة إذا لم يصمْها قبل الحج، إذا لم يصمْها قبل عرفة، فله أن يصومها هذه الأيَّام، وله أن يُؤخِّرَها(٣).

وفي النَّهيِ عن صِيامِ هذه الأيَّامِ والأمْرِ بالأكْلِ والشُّربِ سِرٌّ حَسَنٌ؛ وهو أنَّ اللهَ تعالَى لما عَلِمَ ما يُلاقي الوافِدونَ إلى بَيتِه مِن مَشاقِّ السَّفَرِ، وتَعَبِ الإحْرامِ، وجِهادِ النُّفوسِ على قَضاءِ المناسِكِ؛ شرَعَ لهمُ الاسْتراحةَ عَقِبَ ذلك بالإقامةِ بِمِنًى يومَ النَّحرِ وثلاثةَ أيَّامٍ بعدَه، وأمَرَهُم بالأكْلِ فيها مِن لُحومِ الأضاحيّ؛ فهُمْ في ضِيافةِ اللهِ تعالَى فيها، لُطْفًا مِنَ اللهِ تعالَى بهم ورَحمةً، وشارَكَهم أيضًا أهلُ الأمْصارِ في ذلك؛ لأنَّ أهلَ الأمْصارِ شارَكُوهم في النَّصَبِ للهِ تعالَى، والاجْتِهادِ في عَشْرِ ذي الحِجَّةِ بالصَّومِ

---

(١) البقرة: ٢٠٠- ٢٠١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٣) برقم (١٩٩٧) كتاب الصوم. باب صيام أيَّام التشريق.

(٣) يُنظَر: فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٨/ ٧٣).

والذِّكرِ، والاجْتهادِ في العِباداتِ، وفي التَّقرُّبِ إلى اللهِ تعالَى بإراقةِ دِماءِ الأضاحِيّ، وفي حُصولِ المغفِرةِ، فشارَكُوهم في أعْيادِهِم، واشتَرَكَ الجَميعُ في الرَّاحةِ بالأكْلِ والشُّربِ، فصارَ المسلِمونَ كلُّهم في ضِيافةِ اللهِ تعالَى في هذه الأيَّامِ؛ يأكُلون مِن رِزقِه، ويَشكُرونَه على فضْلِه، ولما كان الكريمُ لا يَليقُ به أنْ يُجيعَ أضْيافَه؛ نُهُوا عن صِيامِها.

والخلاصة كما قال بعضهم: أيَّام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيمُ أبدانهم بالأكْل والشُّرْب، ونعيمُ قلوبهم بالذِّكْر والشُّكْر، وبذلك تتمُّ النعم.

فَكُلُوا وَاشرَبُوا، وَتَهَادُوا وَتَصَدَّقُوا، وَتَوَاصَلُوا وَتَرَاحَمُوا، وَتَزَاوَرُوا وَتَسَامَحُوا، وَصِلُوا أَرحَامَكُم وَاحذَرُوا القَطِيعَةَ، وَاجعَلُوا أَيَّامَ عِيدِكُم أَيَّامَ فَرَحٍ وَسُرُورٍ وَحُبُورٍ، وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنيَا أَو تُلهِيَنَّكُم أَو تُفَرِّقَنَّكُم؛ فَإِنَّمَا هِيَ دَارُ عُبُورٍ وَمُرُورٍ.



١٢ ذي الحجة

نعيم الجنَّة

الجنَّة لغة هي البستان، واصطلاحًا هي المكان الذي أعدَّه الله لعباده المؤمنين، وما شملت من أشكال النعيم واللذة، والفرح والسرور والطمأنينة، وهي الدار التي أعدَّها الله لأهل طاعته تكريمًا لهم؛ فمِن أجْلها تُترَك الملذَّات، وتُقاوَم شرور النفس ووساوسها.

ولها اسم واحد إذا ما قُصِد به ذاتها، وعدَّة أسماء إذا ما قُصِد به الصفات، ومن هذه الصفات: دار السلام، ودار الخُلد، ودار المقامة، وجنَّة المأوى، وكذلك جنَّات عدْن، والفردوس، وجنَّات النعيم، ومن أسمائها أيضًا المقام الأمين، ومقعد صدْقٍ.

ولا شكَّ أنَّ في الجنَّة فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، ممَّا لا يوجد مثله في الدنيا، فقد قال رسول الله ﷺ:" قال الله: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، فاقرأوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[(١)]" متفق عليه[(٢)].

وقد تواترت الأدلَّة على أنَّ الإنسان لا يتمنَّى شيئًا في الجنَّة إلَّا حقَّقه الله له، وأنَّه تعالى سيُعطيه فوق طموحاته وأمانيه، فقد قال تعالى: ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾[(٣)]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾[(٤)].

قال ابن كثير في تفسيره: (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ) من الملاذ؛ من مآكل، ومشارب، وملابس، ومساكن، ومراكب، ومناظر، وغير ذلك ممَّا لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلبِ أحدٍ[(٥)].

---

(١) السجدة: ١٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١١٥) برقم (٤٧٧٩) كتاب تفسير القرآن. باب قوله: {فلا تعلم نفسٌ ما أُخفِي لهم من قُرَّة أعين} السجدة: ١٧. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤) برقم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) الفرقان: ١٦.

(٤) فصلت: ٣١.

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٩٨).



أمَّا سُكَّانُها فقد قال عنهم رسول الله ﷺ:" إنَّ أوَّل زمرةٍ يدخلون الجنَّة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوَّطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة الأنجوج (عود الطيب)، وأزواجهم الحور العين، على خَلْقِ رجُلٍ واحدٍ، على صورة أبيهم آدم، ستُّون ذراعًا" رواه البخاري ومسلم[(١)].

وينادي منادٍ: إنَّ لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[(٢)(٣)].

وأمَّا مساكنُها فقد قال فيها رسول الله ﷺ:" لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتُربتُها الزعفران، مَن يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت، ولا تُبلَى ثيابُهم، ولا يفنى شبابُهم" رواه الترمذي[(٤)].

وقال ﷺ أيضًا:" إنَّ في الجنة غرفًا يُرَى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدَّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلَّى بالليل والناسُ نيامٌ" رواه أحمد والترمذي[(٥)].

وعن أسواقها يقول رسول الله ﷺ:" إنَّ في الجنة لَسُوقًا، يأتونها كلَّ جمعةٍ، فتهبُّ ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حُسنًا وجمالًا، فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حُسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: واللهِ لقد ازددتُم بعدَنا حُسنًا وجمالًا، فيقولون: وأنتم واللهِ لقد ازددتُم بعدَنا حُسنًا وجمالًا" رواه مسلم[(٦)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٣٢) برقم (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء. باب خلق آدم صلوات الله عليه وذرِّيَّته. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٩) برقم (٢٨٣٤) كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها. باب أوَّل زمرة تدخل الجنَّة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم.

(٢) الأعراف: ٤٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٢) برقم (٢٨٣٧) كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها. باب في دوام نعيم أهل الجنَّة، وقوله تعالى: {ونودوا أن تلكم الجنَّة أورثتموها بما كنتم تعملون} الأعراف: ٤٣.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٧١) برقم (٢٥٢٦) أبواب صفة الجنَّة. باب ما جاء في صفة الجنَّة ونعيمها. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٥٩٨).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٥٣٩) برقم (٢٢٩٠٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٣٥٤) برقم (١٩٨٤) أبواب البر والصلة. باب ما جاء في قول المعروف. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٢٦).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٨) برقم (٢٨٣٣) كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها. باب في سوق الجنَّة وما ينالون فيها من النَّعيم والجمال.

أمَّا أنهارها وثمارها؛ فيقول سبحانه وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[2].

وليس في الجنَّة دنِيٌّ، بل كلُّهم في أعلى المنازل والدرجات؛ فقد سأل موسى ربَّه: ما أدنى أهل الجنَّةِ منزلةً؟ قال: هو رجلٌ يجيء بعد ما أُدخِل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، فيُقال له: ادخلِ الجنَّة، فيقول: أي ربِّ، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخَذَاتِهم؟ فيُقال له: أترضى أن يكون لك مِثلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رَضِيتُ ربِّ، فيقول: لكَ ذلكَ، ومِثله ومِثله ومِثله ومِثله، فقال في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهتْ نفسُك، ولَذَّتْ عينُك، فيقول: رضيتُ ربِّ، قال: ربِّ؛ فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذين أردتُ، غرستُ كرامتهم بيديَّ، وختمتُ عليها، فلم تَرَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطرْ على قلبِ بشرٍ، قال: ومصداقُه في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3]" رواه مسلم[4].

والخلاصة: أنَّ على المسلم أن يعمل لجنَّةٍ عرضُها السموات والأرض، فلْيُشمِّرْ ولْيجتهدْ في العبادة والطاعة، يقول النبي ﷺ ذات يوم لأصحابه:" ألَا هل مُشمِّرٌ للجنَّة، فإنَّ الجنَّة لا خَطَرَ لها، هي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مَشِيد، ونهرٌ مُطرد، وفاكهة كثيرة نَضِيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحُلَلٌ كثيرة في مقامٍ أبدًا في حَبْرةٍ ونَضْرَةٍ، في دارٍ عاليةٍ سليمةٍ بهيَّةٍ، قالوا: نحن المشمِّرون لها يا رسول الله، قال: قولوا: إن شاء الله، فقال القوم: إن شاء الله" رواه ابن ماجه[5].

---

(١) الرعد: ٣٥.

(٢) محمد: ١٥.

(٣) السجدة: ١٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٧٦) برقم (١٨٩) كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنَّة منزلة فيها.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٤٨) برقم (٤٣٣٢) كتاب الزهد. باب صفة الجنَّة. والحديث ضعَّفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (٧/ ٣٧٠).



اعمـلْ لـدارِ البقـا رضـوانُ خازنُهـا | والجـارُ أحمـدُ والـرحمنُ بانيهـا
أرضُـها ذَهَـبٌ والمِسـكُ طينتُهـا | والزعفـرانُ حشـيشٌ نابـتٌ فيهـا
أنهارُهـا لـبنٌ محـضٌ ومِـن عسـلٍ | والخمـرُ يجـري رحيقًـا في مجاريهـا
والطـيرُ تجـري علـى الأغصـانِ عاكفـةً | تُسـبِّحُ اللهَ جهـرًا في مغانيهـا
مَـن يشـتري الـدارَ بالفـردوسِ يعمُرُهـا | بركعـةٍ في ظـلامِ الليـلِ يُخفيهـا(١)

يقـول الإمـام ابـنُ القـيم- رحمـه الله-: وكيـفَ يَقْـدرُ قـدرَ دارٍ؛ غرسَـها اللهُ بيـده، وجعلَهـا مقـرًّا لأحبابِه، وملأها من رحمتِه وكرامتِه ورضوانِه، ووصفَ نعيمَها بالفوزِ العظيمِ، ومُلْكَها بالمِلكِ الكبيرِ، وأودعَها جميعَ الخيرِ بحذافيرِه، وطهَّرها من كلِّ عيبٍ وآفةٍ ونقصٍ(٢).

---

(١) يُنظَر: بستان الواعظين ورياض السامعين (ص ١٨٠). بستان الواعظين ورياض السامعين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، المحقِّق: أيمن البحيري، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ٢٨٠). حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.

١٣ ذي الحجة

رؤية الله تعالى في الآخرة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في مجموع الفتاوى: فالرجاء وإن تَعَلَّقَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ؛ فَالْجَنَّةُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ نَعِيمٍ، وَأَعْلَاهُ النَّظَرُ إلَى وَجْهِ اللهِ. كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صهيب- رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" إذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؛ إنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ. فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُنْجِينَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إلَيْهِ، فَمَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إلَيْهِ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[(١)][(٢)][(٣)].

وفي رواية:" أنَّ الله تعالى يقول لأهلِ الجنَّةِ: أحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخطُ عليكم بعدَه أبدًا"[(٤)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه-: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ" رواه البخاري[(٥)].

فرؤيةُ وجهِ اللهِ الكريمِ من أعظم نعيمِ أهلِ الجنَّةِ: وصدقَ اللهُ العظيمُ إذ يقول: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾[(٦)].

وقد اختلف العلماء حول رؤية الله تعالى على ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: مَن نَفَى الرؤية بإطلاقٍ، فلم يُثبتْها في الدنيا، ولا في الآخرة على حدٍّ سواء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: وإنَّما يُكذِّب بها أو يُحرِّفها- أي: أحاديث الرؤية في الآخرة-

---

(١) يونس: ٢٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه دون ذكر الآية (١/ ١٦٣) برقم (١٨١) كتاب الإيمان. باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربَّهم سبحانه وتعالى.

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٥١) برقم (٧٥١٨) كتاب التوحيد. باب كلام الربِّ مع أهل الجنَّة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٦) برقم (٢٨٢٩) كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها. باب إحلال الرضوان على أهل الجنَّة فلا يسخط عليهم أبدًا.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٧) برقم (٦٥٧٣) كتاب الإيمان. باب الصراط جسر جهنَّم.

(٦) القيامة: ٢٢-٢٣.



الجهميَّة، ومَن تبِعهم مِن المعتزلة والرافضة ونحوهم، مِن الذين يُكذِّبون بصفات الله تعالى وبرؤيته، وغير ذلك، وهم المعطِّلة شرارُ الخَلْق والخليقة[١].

الطائفة الثانية: مَن يُثبت الرؤية بإطلاقٍ، فيزعم أنَّ الله يُرى في الدنيا عيانًا، كما يُرى في الآخرة عيانًا، وهذا يقول به بعض المتصوِّفة من الاتِّحاديَّة والحلوليَّة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: مَن قال مِن الناس: إنَّ الأولياءَ أو غيرَهم يرون الله بعينه في الدنيا فهو مبتدِعٌ ضالٌّ، مُخالِفٌ للكتاب والسُّنَّة، وإجماع سلف الأمَّة، لا سيَّما إذا ادَّعوا أنَّهم أفضل من موسى، فإنَّ هؤلاء يُستتابون، فإن تابوا وإلَّا قُتِلوا[٢].

الطائفة الثالثة: مَن نَفَى الرؤية العيانيَّة في الدنيا، وأثبتَها في الآخرة، وذلك في عرصات يوم القيامة، وفي الجنَّة، وهذا قول أهل السُّنَّة والجماعة. ونُقِلَ الإجماع على ذلك.

قال الإمام عبد الغني المقدسي- رحمه الله-: وأجمع أهل الحقِّ، واتَّفق أهل التوحيد والصدق؛ أنَّ الله تعالى يُرَى في الآخرة، كما جاء في كتابه، وصحَّ عن رسوله ﷺ[٣].

وقال الإمام ابن أبي العزِّ الحنفيِّ- رحمه الله-: وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السُّنَّة والجماعة[٤].

وقال الإمام النووي- رحمه الله-: قد تظاهرت أدلَّة الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة، فمَن بعدهم مِن سلف الأمَّة؛ على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين[٥].

لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: والذي عليه جمهور السلف أنَّ مَن جحد رؤية الله في الدار الآخرة؛ فهو كافرٌ، فإن كان ممَّن لم يبلغه العلم بذلك؛ عُرِّفَ ذلك كما يُعرَّف مَن لم تبلغه شرائع الإسلام، فإن أصرَّ على الجحود بعد بلوغ العلم له؛ فهو كافرٌ[٦].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩١).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص ١٢٥). الاقتصاد في الاعتقاد، المؤلف: عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (المتوفى: ٦٠٠ هـ)، المحقِّق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٤) شرح الطحاوية- ط الأوقاف السعودية (ص ١٥٣). شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢ هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(٥) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٥).

(٦) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٦).



فإن قيل: ورد أنَّ الربَّ يُكلِّم جميع عباده، يقول النبي ﷺ:" ما منكم أحدٌ إلَّا سيُكلِّمه ربُّه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلَّا ما قدَّم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلَّا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلَّا النار تلقاء وجهه، فاتَّقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة" متفق عليه(١). وغيره من الأحاديث الصحيحة التي تثبت كلام الله تعالى لغير المؤمنين. فهل معنى ذلك أنَّ غير المؤمن يرى الله سبحانه وتعالى؟ والجواب: بالطبع لا، فإنَّه لا يلزم من الكلام الرؤية، فالرؤية شيءٌ والكلام شيءٌ آخر، فهو عزَّ وجلَّ يُكلِّم جميع الخلْق، ولكنَّه لا يراه إلَّا المؤمنون.

قال أبو بكر الآجُري- رحمه الله-: إن قال قائل: فما تأويل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾(٢)، قيل له: معناها عند أهل العلم: أي: لا تحيط به الأبصار، ولا تحويه عزَّ وجلَّ، وهم يرونه من غير إدراك ولا يشكُّون في رؤيته؛ كما يقول الرجل: رأيتُ السماء، وهو صادق، ولم يُحِط بصرُه بكلِّ السماء، ولم يدركْها(٣).

وقال ابن حبان- رحمه الله-: يُرى في القيامة، ولا تُدركه الأبصار إذا رأتْه؛ لأنَّ الإدراك هو الإحاطة، والرؤية هي النظر، والله يُرى ولا يُدرَك كُنهُه(٤).

وقال أبو محمد البغوي- رحمه الله-: اعلَمْ أنَّ الإدراك غير الرؤية؛ لأنَّ الإدراك هو الوقوف على كُنهِ الشيء والإحاطة به، والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية بلا إدراك(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٤٨) برقم (٧٥١٢) كتاب التوحيد. باب كلام الربِّ عزَّ وجلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٣) برقم (١٠١٦) كتاب الزكاة. باب الحث على الصدقة ولو بشقِّ تمرة أو كلمة طيِّبة، وأنَّها حجابٌ من النَّار.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

(٣) الشريعة للآجري (٢/ ١٠٤٨). الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقِّق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن- الرياض/ السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٤) صحيح ابن حبان (١/ ٢٥٩). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٥) تفسير البغوي (٢/ ١٤٨). معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي، المؤلف: مُحيي السُّنَّة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقِّق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.



وختامًا؛ يقول العلَّامة ابن باز- رحمه الله تعالى-: رؤية الله في الآخرة ثابتة عند أهل السُّنَّة والجماعة، مَن أنكرها كَفَرَ، يراه المؤمنون يوم القيامة، ويرونه في الجنَّة كما يشاء بإجماع أهل السُّنَّة؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٢].

فسَّر النبيُّ ﷺ الزيادة بأنَّها النظر إلى وجه الله، وتواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة وفي الجنَّة، أمَّا في الدنيا؛ فلا يُرَى في الدنيا كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾[٣]، وقال لموسى: ﴿لَن تَرَانِي ﴾[٤].

وثبت عنه ﷺ أنَّه قال:" واعلموا أنَّه لن يرى أحدٌ ربَّه حتَّى يموت" رواه مسلم[٥]، فالدنيا ليست محلَّ الرؤية؛ لأنَّ الرؤية نعيم، رؤية الله أعلى نعيم أهل الجنَّة، وهذه الدار ليست دار النعيم، دار الأكدار ودار الأحزان ودار التكليف، فلا يُرى في الدنيا، لكنه يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون.

أمَّا الكُفَّار فهم عنه محجوبون، كما قال سبحانه:﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[٦]، فالكُفَّار محجوبون عن الله يوم القيامة، والمؤمنون يرونه في الآخرة[٧].

---

(١) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٢) يونس: ٢٦.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٤٥) برقم (١٦٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب ذِكْر ابن صيَّاد.

(٦) المطفِّفين: ١٥.

(٧) مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ٤١٠).



١٤ ذي الحجة

إنَّ الحسناتِ يُذهبنَ السَّيِّئاتِ

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾(١).

قال العلَّامة ابن كثير- رحمه الله -: وقوله (إنَّ الحسناتِ يُذهِبْنَ السَّيِّئاتِ) يقول: إنَّ فِعْلَ الخيرات يُكفِّر الذنوب السالفة، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: كنت إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وإذا حدَّثني عنه أحدٌ استحلفتُه، فإذا حلف لي صدقتُه، وحدَّثني أبو بكر- وصدق أبو بكر- أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول:" ما من مسلمٍ يُذنب ذنبًا، فيتوضَّأ ويُصلِّي ركعتين؛ إلَّا غُفِرَ له" رواه أبو داود(٢).

وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان: أنَّه توضَّأ لهم كوضوء رسول الله ﷺ ثم قال: هكذا رأيتُ رسول الله يتوضَّأ، وقال:" مَن توضَّأ نحو وضوئي هذا، ثمَّ صلَّى ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه؛ غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه" رواه مسلم(٣).

وروى الإمام أحمد وأبو جعفر بن جرير، من حديث أبي عقيل زهرة بن معبد: أنَّه سمع الحارث مولى عثمان يقول: جلس عثمان يومًا وجلسنا معه، فجاءه المؤذِّن فدعا عثمان بماء في إناء- أظنُّه سيكون فيه قدر مُدٍّ- فتوضَّأ، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضَّأ وضوئي هذا، ثم قال:" مَن توضَّأ وضوئي هذا، ثم قام فصلَّى صلاة الظهر؛ غُفِرَ له ما كان بينه وبين صلاة الصبح، ثم صلَّى العصر غُفِرَ له ما بينه وبين صلاة الظهر، ثم صلَّى المغرب غُفِرَ له ما بينه وبين صلاة العصر، ثم صلَّى العشاء

---

(١) هود: ١١٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ١٧٩) برقم (٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٨٦) برقم (١٥٢١) باب تفريع أبواب الوتر. باب في الاستغفار. والترمذي في جامعه (٢/ ٢٥٧) برقم (٤٠٦) أبواب الصلاة. باب ما جاء في الصلاة عند التوبة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٩) برقم (١٠١٧٥) كتاب عمل اليوم والليلة. ما يفعل مَن بُلِيَ بذنبٍ وما يقول. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٤٦) برقم (١٣٩٥) كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها. باب ما جاء في أنَّ الصلاة كفَّارة. والحديث حسَّنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٤١٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٤٣) برقم (١٥٩) كتاب الوضوء. باب الوضوء ثلاثًا ثلاثًا. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٠٥) برقم (٢٢٦) كتاب الطهارة. باب صفة الوضوء وكماله.

غُفِرَ له ما بينه وبين صلاة المغرب، ثم لعلَّه يبيت يتمرَّغ ليلته، ثم إن قام فتوضَّأ وصلَّى الصبح؛ غُفِرَ له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهُنَّ الحسناتُ يُذهِبنَ السَّيِّئاتِ" رواه أحمد(١).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنَّه قال:" أرأيتُم لو أنَّ بباب أحدكم نهرًا غمرًا يغتسل فيه كلَّ يومٍ خمس مرَّات، هل يُبقِي من درنه شيئًا؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال:" وكذلك الصلوات الخمس، يمحو الله بهنَّ الذنوب والخطايا" متفق عليه(٢).

وقال مسلم في صحيحه: حدَّثنا أبو الطاهر وهارون بن سعيد قالا حدَّثنا ابن وهب، عن أبي صخر: أنَّ عمر بن إسحاق مولى زائدة حدَّثه عن أبيه، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول:" الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان؛ مُكفِّرات ما بينهنَّ إذا اجتُنِبَت الكبائر"(٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، أنَّ أبا رهم السمعي كان يُحدِّث: أنَّ أبا أيوب الأنصاري حدَّثه أنَّ النبي ﷺ كان يقول:" إنَّ كلَّ صلاةٍ تحطُّ ما بين يديها من خطيئة" رواه أحمد(٤).

وروى البخاري عن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾(٥). فقال الرجل: إليَّ هذا يا رسول الله؟ قال: لجميع أمَّتي كلِّهم(٦).

وفي رواية مسلم: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إنِّي وجدتُ امرأة في بستانٍ، ففعلتُ بها كلَّ شيءٍ؛ غير أنِّي لم أجامعْها، قبَّلتُها ولزمتُها، ولم أفعلْ غير ذلك، فافعلْ بي ما شئتَ. فلم يقلْ رسولُ الله ﷺ شيئًا، فذهب الرجل، فقال عمر: لقد ستر الله عليه، لو ستر على نفسه.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٥٣٧) برقم (٥١٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٢) برقم (٥٢٨) كتاب مواقيت الصلاة. باب الصلوات الخمس كفَّارة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٦٢) برقم (٦٦٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب المشي إلى الصلاة تُمحَى به الخطايا وتُرفَعُ به الدرجات.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٩) برقم (٢٣٣) كتاب الطهارة. باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مُكفِّراتٌ لما بينهن ما اجتُنِبت الكبائر.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٨٩) برقم (٢٣٥٠٣). والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٣٠).

(٥) هود: ١١٤.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١١) برقم (٥٢٦) كتاب مواقيت الصلاة. باب الصلاة كفَّارة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٦) برقم (٢٧٦٣) كتاب التوبة. باب قوله تعالى: {إنَّ الحسناتِ يُذهِبنَ السَّيِّئات} هود: ١١٤.

فأتبعه رسول الله ﷺ بصره ثم قال: رُدُّوه عليَّ. فرَدُّوه عليه، فقرأ عليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[١]. فقال معاذ- وفي رواية عمر-: يا رسول الله؛ أَلَهُ وحده أم للناس كافَّة؟ فقال: بل للناس كافَّة[٢].

ويقول رسول الله ﷺ:" إنَّ الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإنَّ الله يُعطي الدنيا مَن يُحبُّ ومَن لا يُحبُّ، ولا يُعطي الدين إلَّا مَن أحبَّ. فمَن أعطاه الله الدِّين فقد أحبَّه، والذي نفسي بيده؛ لا يُسلِم عبدٌ حتَّى يُسلِمَ قلبُه ولسانُه، ولا يؤمن حتَّى يأمن جارُه بوائقَه. قال: قلنا: وما بوائقُه يا نبي الله؟ قال: غِشُّه وظُلمُه، ولا يكسب عبدٌ مالًا حرامًا فينفق منه فيُبارَك له فيه، ولا يتصدَّق فيُقبَل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلَّا كان زاده إلى النَّار، إنَّ الله لا يمحو السَّيِّئ بالسَّيِّئ، ولكنَّه يمحو السَّيِّئ بالحَسَن، إنَّ الخبيث لا يمحو الخبيث" رواه أحمد[٣][٤].

وفي وصيَّته ﷺ للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، وفي رواية لمعاذ بن جبل- رضي الله عنهما- قال:" اتقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ" رواه أحمد والترمذي[٥].

ونقل النووي عن القاضي عياض: هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تؤتَ كبيرةٌ، وهو مذهب أهل السُّنَّة، وأنَّ الكبائر إنَّما تُكفِّرها التوبة، أو رحمة الله وفضْله[٦].

وقال في دليل الفالحين: ثم هذا في الصغائر المتعلِّقة بحقِّ الله تعالى، أمَّا الكبائر فلا يُكفِّرها على الصحيح إلَّا التوبة بشروطها، وأمَّا التبعات فلا يُكفِّرُها إلَّا إرضاءُ أصحابِها [٧].

---

(١) هود: ١١٤.

(٢) اللفظ لأحمد في مسنده (٧/ ٣١٩) برقم (٤٢٩٠). والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٨/ ٢٣).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١٨٩) برقم (٣٦٧٢).

(٤) يُنظَر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٥٥- ٣٥٧).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٢٨٤) برقم (٢١٣٥٤). والترمذي في جامعه (٤/ ٣٥٥) برقم (١٩٨٧) أبواب البر والصلة. باب ما جاء في معاشرة الناس. والحديث حسَّنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٠٩).

(٦) شرح النووي على مسلم (٣/ ١١٢).

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١/ ٢٣٢). دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.



وفي مسند الإمام أحمد: عن أبي عثمان قال: كنتُ مع سلمان الفارسي تحت شجرة، فأخذ منها غُصنًا يابسًا فهزَّه حتَّى تحاتَّ ورقُه، ثم قال: يا أبا عثمان؛ ألا تسألُني لمَ أفعلُ هذا؟ فقلتُ: لمَ تفعلُه؟ قال: هكذا فعل رسول الله ﷺ وأنا معه تحت شجرة، فأخذ منها يابسًا فهزَّه حتَّى تحاتَّ ورقُه، فقال: يا سلمان؛ ألا تسألني: لمَ أفعلُ هذا؟ قلتُ: ولمَ تفعلُه؟ فقال: إنَّ المسلم إذا توضَّأ فأحسنَ الوضوءَ، ثم صلَّى الصلوات الخمس؛ تحاتَّتْ خطاياه كما يتحاتُّ هذا الورق. وقال: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[(١)][(٢)].

ونختم بوصيَّته ﷺ للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري- رضي الله عنه- الذي قال: قلتُ: يا رسول الله؛ أوصني. قال: إذا عملتَ سيئة فأتبعْها حسنةً تمحُها. قال: قلتُ: يا رسول الله؛ أمِنَ الحسناتِ: لا إله إلَّا الله؟ قال:" هي أفضلُ الحسناتِ" رواه أحمد[(٣)].

وقال الحسن البصري- رحمه الله-: استعينوا على السَّيِّئات القديمات بالحسنات الحديثات، وإنَّكم لن تجدوا شيئًا أذهبَ بسيِّئةٍ قديمةٍ من حسنةٍ حديثةٍ، وأنا أجدُ تصديقَ ذلك في كتابِ الله: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾[(٤)][(٥)].

---

(١) هود: ١١٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ١١١) برقم (٢٣٧٠٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٣٨٥) برقم (٢١٤٨٦). والحديث حسَّن إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيءِ من فقهها وفوائدها (٣/ ٣٦١).

(٤) هود: ١١٤.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٢). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧ هـ)، المحقِّق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٥ ذي الحجة

الكعبة المُشرَّفة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾(١). يقول الإمام البغوي في تفسيره: قوله عزَّ وجلَّ: (جعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ) قال مجاهد: سُمِّيَتْ كعبة لتربيعها، والعرب تُسمِّي كلَّ بيتٍ مُربَّعٍ كعبةً، قال مقاتل: سُمِّيَتْ كعبةً لانفرادها من البناء، وقيل: سُمِّيَتْ كعبةً لارتفاعها من الأرض، وأصلها من الخروج والارتفاع، وسُمِّيَ الكعبُ كعبًا لنتوئه، وخروجه من جانبي القدم، ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرج ثديُها: تكعَّبَتْ(٢).

ويقول الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار: جعل الله الكعبة المشرَّفة قيامًا للناس الذين يقيمون حولها، ويحجُّون إليها؛ فكانت سببًا لقيام مصالحهم ومنافعهم بإبداع تعظيمها في قلوبهم، وجذْب الأفئدة إليها، وصرْف الناس عن الاعتداء عليها وعلى مجاوريها وحُجَّاجها، وإعانتهم على توفير الأرزاق فيها، ويُؤيِّدُه دعاء إبراهيم- عليه السلام- لما حكاه الله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٣)، واستأنس- رحمه الله- بآيتَيْ سورة القصص وسورة العنكبوت. وهما: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٤)، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾(٥)(٦).

---

(١) المائدة: ٩٧.

(٢) تفسير البغوي (٢/ ٩٠).

(٣) إبراهيم: ٣٧.

(٤) القصص: ٥٧.

(٥) العنكبوت: ٦٧.

(٦) يُنظَر: تفسير المنار (٧/ ٩٩). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.



وهي أوَّل بيت بُنِيَ لعبادة الله عزَّ وجلَّ في الأرض، قال تعالي: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وهي قِبلة المسلمين، ومحطُّ أنظارهم، ومن أسماء الكعبة: البيت الحرام- البيت العتيق- الحرم- بكَّة- البيت المعمور.

ويبلغ ارتفاع الكعبة خمسةَ عشر مترًا تقريبًا، وفي ضلعها الشرقي يقع بابُها مُرتفعًا عن الأرض نحو مترين. أمَّا أركان الكعبة الأربعةُ فهي: الركن الأسود- وهو المشرَّف بالحَجَر الأسود-، والركن الشامي، والركن اليماني، والركن العراقي. وفي أعلى الجدار الشمالي يُوجَد الميزابُ المصنوعُ من الذهب الخالِص، والمطِلُّ على حِجْرِ إسماعيل- عليه السلام-.

وقيل: بناها أوَّلَ مرَّةٍ الملائكة قبل آدم، لكنَّها هُدمتْ بفعل طوفان نبي الله نوح- عليه السلام-. ثم قام إبراهيم مع إسماعيل- عليهما السلام- بإعادة بناء الكعبة[2].

وتُفيد بعض الروايات التاريخية أنَّ الكعبة بُنيت عدة مرَّات عبر التاريخ؛ وفيما يلي أسماء البناة: الملائكة، وآدم وشيث بن آدم، وإبراهيم وإسماعيل، والعمالقة، وجرهم، وقصي بن كلاب، وقريش، وعبد الله بن الزبير، والحَجَّاج بن يوسف، والسلطان مراد الرابع[3].

وكانت الكعبة موضع تعظيم وإجلال الناس والولاة على مكَّة، يُعمِّرونها ويُجدِّدون بنيانها عند الحاجة، ويكسونها، ويحتسبونه فخرًا وتشريفًا لهم، حتَّى جاء الإسلام فزاد في تشريفها، وحثَّ على تعظيمها وتطهيرها، وكساها النبي ﷺ والصحابة بعده.

وكانت قريش قد بنت الكعبة قبل بعثة النبي ﷺ، وتركتْ جزءًا من البيت تابعًا للحِجْر؛ لأنَّ النفقة قد قصرت بهم.

وكان النبي ﷺ يُحبُّ أن يُعيد بناءها على قواعد إبراهيم- عليه السلام، وأن يُدخِل الجزء الذي تركوه من الكعبة، وأن يجعل لها بابَينِ لاصِقَينِ بالأرض، كما في حديث عائشة- رضي

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) يُنظَر: العرف الشذي شرح سنن الترمذي (٢/ ٢٥٢). العرف الشذي شرح سنن الترمذي، المؤلف: محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، تصحيح: الشيخ محمود شاكر، الناشر: دار التراث العربي- بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(٣) يُنظَر: بهجة المحافل وبغية الأماثل (١/ ٥٢). بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، المؤلف: يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (المتوفى: ٨٩٣ هـ)، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: بدون.

الله عنهـا-:" لـولا أنَّ قومَـكِ حـديث عهـدٍ بجاهليـةٍ؛ لأمـرتُ بالبيـت فهُـدِمَ، فأدخلـتُ فيـه مـا أُخِـرَجَ منـه، وألزقتُـه بالأرض، وجعلـتُ لـه بابَـينِ: بابًـا شـرقيًّا، وبابًـا غربيًّـا، فبلغـتُ بـه أسـاس إبراهيم" رواه البخاري(١).

وفي سنة ٦٤هـ لما تولَّى حكم الحجاز عبد الله بن الزبير بن العوَّام- رضي الله عنهما-؛ بَنَى الكعبة المشرَّفة على ما أحبَّ النبيُّ ﷺ، مُشتملةً على ما تركتْه قريش، وجعل لها بابَينِ: بابًا يدخل منه الناس، وبابًا يخرجون منه.

وفي سنة ٧٤هـ في عهد عبد الملك بن مروان حاصر الحَجَّاج مكَّة المكرَّمة، وقتل عبد الله بن الزبير- رضي الله عنهما-، وكتب إلى عبد الملك بن مروان يُخبره أنَّ ابن الزبير قد بنى البيت على أسٍّ نظر إليه العدول من أهل مكَّة، يعني به قواعد إبراهيم عليه السلام، فأمره بأن يرُدَّ الكعبة على البناء الأوَّل الذي بنتْه قريش، فنقض البناء من جهة الحجر، وسدَّ الباب الذي فتحه ابن الزبير، وأعاده إلى بناء قريش(٢).

واتَّفقَ المؤرِّخون على أنَّ الكعبة المشرَّفة بقيتْ على بناء عبد الملك بن مروان لم تحتج إلى بناء جديد، ولم يُصبْها وهنٌ ولا خرابٌ في الجدران، وكلُّ ما احتاجتْ إليه إنَّما هو ترميمات وإصلاحات حتَّى عام ١٠٤٠هـ. وسبب ذلك أنَّه نزل بمكَّة في صباح يوم الأربعاء ١٩ شعبان سنة ١٠٣٩هـ مطرٌ غزيرٌ، واستمرَّ إلى آخر النهار، جرى منه سيلٌ كثيرٌ دخل المسجد الحرام والكعبة المشرَّفة، ووصل إلى نصف جدارها، وفي آخر النهار سقط الجدار الشامي من الكعبة، وبعض الجدارَيْنِ الشرقي والغربي، وسقطت درجة السطح، ولما تسرَّب الماء نُظِّفت الكعبة والمسجد الحرام من الطين ومُخلَّفات السيل، وكُتِبَ في ذلك إلى العلماء والأمراء، فاتَّفقَ الرأي على هدم ما بقي من الجدران، فأمر السلطان مراد الرابع بهدم ما بقي من جدران الكعبة لتداعيها، فشرع في الهدم وتلاه البناء والتعمير، وتمَّ الانتهاء من بنائها في ٢ ذي الحجة سنة ١٠٤٠هـ(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٧) برقم (١٥٨٦) كتاب الحج. باب فضْل مكة وبنيانها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧١) برقم (١٣٣٣) كتاب الحج. باب نقْض الكعبة وبنائها.

(٢) يُنظَر: تاريخ الإسلام (٢/ ٥٩٨). تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقِّق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

(٣) يُنظَر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (٤/ ٤٣٣). سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المؤلف: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: ١١١١هـ)، المحقِّق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.



ولم تحتج الكعبة بعد ذلك إلى إعادة بناء، وإنَّما هي ترميمات وإصلاحات في أوقات مختلفة، حتَّى كان عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز- رحمه الله- عندما لوحظ بعض التلف في بعض أجزاء الكعبة المشرَّفة المصنوعة من الخشب، وكان السقف أكثر تعرُّضًا للتلف من غيره وكذلك الأعمدة الخشبية، فخيف على الكعبة من هذا الضعف والتآكُل. فأمر- رحمه الله- بترميم الكعبة المشرَّفة ترميمًا كاملًا شاملًا من داخلها وخارجها على أحسن وجه، وبُدئ العمل في شهر محرم عام ١٤١٧هـ، وانتهي منه في نفس السنة في شهر جمادى الثاني، فآلتْ إلى أحسن حال بعد ترميمها(١).

(١) يُنظَر: الكعبة المعظَّمة والحرمان الشريفان (ص١٤٣). الكعبة المعظَّمة والحرمان الشريفان- عمارة وتاريخيًّا، المؤلف: عبيد الله محمد أمين كردي، طبع: مجموعة بن لادن السعودية.

١٦ ذي الحجة

حِجْر إسماعيل

تشير المصادر التاريخية إلى أنَّ حِجْر إسماعيل له خمسة أسماء شهيرة أوَّلها:

١- الحِجْر: وسُمِّي بهذا لأنَّه من الكعبة المشرَّفة، فهو حِجْر الكعبة وبه يُصَبُّ الميزاب، وهو الجزء المثبت على سطح الكعبة في الجهة الشمالية، لتصريف المياه المتجمِّعة على سطحها إلى الحِجْر عند سقوط الأمطار أو غَسْل السطح.

ويشهد لهذا الاسم ما جاء عن أبي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ:" لقد رَأَيْتُنِي في الْحِجْرِ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عن مَسْرَايَ" رواه مسلم[١].

٢- جَدْر: ورد في صحيحَي البخاري ومسلم أنَّ عائشة بنت أبي بكر- رضي الله عنهما- سألتْ رسول الله ﷺ عن الجَدْر: أَمِنَ البيت هو؟ قال: نعم[٢].

ورُوي عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا قال له: أرأيتَ الحطيم؟ قال: لا حطيم، إنَّ أهل الجاهلية كانوا يُسمُّونه الحطيم، وإنَّما هو الجَدْر، كان أحدُهم إذا حلف جاء بمحجنه أو بسوطه فوضعه عليه، وإنَّما هو الجَدْر، فمَن طاف بالبيت فلْيطُفْ مِن ورائه[٣].

٣- حفرة إسماعيل: وأصل شهرة هذا الاسم أنَّ الحفرة كانت قبل رفْع قواعد الكعبة المشرَّفة وبنائها.

٤- الحطيم: وهو الموضع الموالي لميزاب الكعبة، وسُمِّي بهذا الاسم نسبة لانفصاله عن الكعبة وتحطُّمه، قال ابن الضياء: والمشهور عند الأصحاب- أي الأحناف- أنَّ الحطيم اسم للموضع الذي فيه الميزاب، وبينه وبين البيت فرجة، فسُمِّي هذا الموضع حطيمًا، لأنَّه محطوم من البيت- أي مكسور منه- فعيل بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول[٤].

وقال الأزرقي: فسُمِّي هذا الموضع الحطيم لأنَّ الناس كانوا يُحطِّمون هنالك بالأيمان، ويُستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم، فقَلَّ مَن دعا هنالك على ظالمٍ إلَّا هلك، وقَلَّ مَن حلف هنالك إثمًا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٥٦) برقم (١٧٢) كتاب الإيمان. باب ذِكْر المسيح ابن مريم والمسيح الدَّجَّال.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٦) برقم (١٥٨٤) كتاب الحج. باب فضْل مكَّة وبنيانها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٣) برقم (١٣٣٣) كتاب الحج. باب جدر الكعبة وبابها.

(٣) ذكره الحربي في كتابه غريب الحديث لإبراهيم الحربي (٢/ ٣٨٩). غريب الحديث، المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨- ٢٨٥هـ]، المحقِّق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى- مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٤) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٤/ ٣٩٢). الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، المؤلف: محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)، الناشر: جمعية النشر والتأليف الأزهرية.



إلَّا عُجِّلت له العقوبة، فكان ذلك يحجز الناس عن الظلم، ويتهيَّب الناس الأيمان هنالك، فلم يزل ذلك كذلك حتَّى جاء الله بالإسلام، فأخَّر الله تعالى ذلك لما أراد إلى يوم القيامة(١).

ويشهد لهذا الاسم ما جاء عن مَالِكِ بن صَعْصَعَةَ- رضي الله عنهما- أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عن لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ قال: بَيْنَمَا أنا في الْحَطِيمِ- وَرُبَّمَا قال في الْحِجْرِ- مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ... إلخ. رواه البخاري(٢).

٥- حِجْر إسماعيل: وترجع هذه التسمية لما ورد تاريخيًّا بأنَّ إبراهيم جعله حِجْرًا، أي حضنًا لإسماعيل يأوي إليه هو وغنمه، وجعل فوقه عريشًا من شجر الأراك الذي تشتهر به أودية مكَّة.

وهو قطعة من الكعبة؛ لما عمَّرت قريش الكعبة قصرت بهم النفقة، فأخرجوا بعض البيت، وكانوا قد جمعوا أموالًا من أكساب طيِّبة، وأبعدت عن النفقة الأكساب الخبيثة، كمهر البغيِّ والرِّبا ونحو ذلك، فقصرتْ بهم النفقة؛ فأخرجوا الحِجْر، ومعظمه وأكثره من الكعبة من عند المنحنى، نحو سبعة أذرع، هذا من الكعبة.

يقول العلَّامة ابن باز- رحمه الله-: أمَّا قول بعض الناس: إنَّ فيه أمواتًا، وإنَّ إبراهيم مدفونٌ فيه، أو ما أشبهه، هذا كلُّه باطلٌ، ليس فيه أموات، لا إسماعيل ولا غيره، هذا مِن خُرافات الإسرائيليِّين، وبعض كتب التاريخ التي لا تُبالي، فالحِجْر ليس فيه أموات، والمسجد ليس فيه أموات(٣).

وللحِجْر فضْل عظيم، فالصلاة فيه مُستحَبَّة؛ لأنَّه من البيت، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه دخل الكعبة عام الفتح وصلَّى فيها ركعتين، وقد روتْ عائشة- رضي الله عنها- رغبتها في دخول الكعبة فتقول:" كنتُ أُحبُّ أن أدخل البيت فأصلِّي فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فأدخلَني في الحِجْر، فقال: صلِّي في الحجر إذا أردتِ دخول البيت؛ فإنَّما هو قطعة من البيت، فإنَّ قومكِ اقتصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت"(٤).

---

(١) أخبار مكَّة للأزرقي (٢/ ٢٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٥٢) برقم (٣٨٨٧) كتاب مناقب الأنصار. باب المعراج.

(٣) فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٧/ ٢٩٤).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ١٦٣) برقم (٢٤٦١٦). وأبو داود في سننه (٢/ ٢١٤) برقم (٢٠٢٨) كتاب المناسك. باب الصلاة في الحِجْر. والترمذي في جامعه (٣/ ٢١٦) برقم (٨٧٦) أبواب الحج. باب ما جاء في الصلاة في الحِجْر. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ١١٥) برقم (٣٨٨١) كتاب المناسك. الصلاة في الحِجْر. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" صحيح وضعيف سنن أبي داود (٥/ ٢٨).

وكان عبد الله بن عبَّاس- رضي الله عنهما- يقول: صلُّوا في مُصلَّى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار. قيل: ما مُصلَّى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، قيل: وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم[(١)]. والموضع الذي ذكر أنَّه تحت ميزاب الكعبة يقع داخل الحِجْر.

كما روي عن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- أنَّه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه: ألا تسألوني من أين جئتُ؟ قالوا: من أين جئتَ يا أمير المؤمنين؟ قال: كنتُ قائمًا على باب الجنَّة، وكان قائمًا تحت الميزاب يدعو الله عنده[(٢)].

أمَّا الفريضة فالأحوط عدم أدائها في الكعبة أو في الحِجْر، لأنَّ النبي ﷺ لم يفعل ذلك، ولأنَّ بعض أهل العلم قالوا: إنَّها لا تصحُّ في الكعبة، ولا في الحِجْر لأنَّه من البيت، قال ابن قدامة: لا تصحُّ الفريضة في الكعبة ولا على ظهرها، وجوَّزه الشافعي وأبو حنيفة لأنَّه مسجد، ولأنَّه محلٌّ لصلاة النفل فكان محلًّا للفرض كخارجها، ولنا قول الله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[(٣)]، والمصلِّي فيها أو على ظهرها غير مُستقبِلٍ لجهتها، والنافلة مبناها على التخفيف والمسامحة، بدليل صلاتها قاعدًا وإلى غير القبلة في السفر على الراحلة[(٤)].

أمَّا ركعتا الطواف فإنَّه يُستحَبُّ الإتيان بهما خلف مقام إبراهيم إن أمكن ذلك، ويصحُّ الإتيان بهما في أيِّ مكانٍ من الحرم حتى في الحِجْر عند الجمهور، قال ابن المنذر النيسابوري: أجمع العلماء على أنَّ ركعتَي الطواف تصحَّان حيث صلَّاهما؛ إلَّا مالكًا فإنَّه كره فِعْلهما في الحِجْر[(٥)].

ولذا أيضًا لا يجوز لطائفٍ بالبيت في حجٍّ أو عمرةٍ أو نفلٍ؛ أن يدخل من حِجْر إسماعيل ولا يُجزئه ذلك لو فَعَلَه، لأنَّ الطواف بالبيت، والحِجْر من البيت، لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ

---

(١) أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ٣١٨).

(٢) يُنظَر: أخبار مكَّة للفاكهي (٢/ ٢٩٢). أخبار مكَّة في قديم الدهر وحديثه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكِّي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقِّق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

(٣) البقرة: ١٤٤، ١٥٠.

(٤) المغني لابن قدامة (٢/ ٤٧٥).

(٥) يُنظَر: الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر (٣/ ٢٨٧). الإشراف على مذاهب العلماء، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩ هـ)، المحقِّق: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، الناشر: مكتبة مكَّة الثقافية، رأس الخيمة- الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.



﴿ٱلۡعَتِيقِ﴾[(١)]، ولِمَا روتْه عائشة- رضي الله عنها- قالتْ: سألتُ رسول الله ﷺ عن الحِجْر قال: هو من البيت[(٢)]. وفي رواية قالتْ: إِنِّي نذرتُ أن أصلِّي في البيت. قال: صلِّي في الحِجْر؛ فإنَّ الحِجْر من البيت[(٣)].

وعليه فلا يجوز بأيِّ حالٍ من الأحوال الطَّوافُ من داخل الحِجْرِ، ومَنْ فَعَلَ ذلك في أحد أشواط الطَّوافِ أو بعضِها؛ فعليه إعادتُها ليصِحَّ طوافه.

ويبدو من القراءات التاريخية أنَّ الحِجْر كان محلَّ اهتمامٍ من الخلفاء والملوك والأمراء، سواء كانوا على تهامة ومكَّة، أو على الدول العربية والإسلامية؛ ونذكر على سبيل المثال ما حدث في عهد أبي جعفر المنصور حيث إنَّ الحِجْر كانت حجارته بادية، وكان أبو جعفر يحجُّ فرآها، فقال: لا أُصبحَنَّ حتَّى يُستَر جدارُ الحِجْرِ بالرُّخام. فدعا العمال فعملوه على السرج قبل أن يصبح، وجدَّد رخامه الخليفة العباسي المهدي، وكان تبطين البلاط بالرُّخام عام ١٦١هـ، وكان رخامًا أبيض وأخضر وأحمر، وكان مُداخِلًا بعضه في بعض أحسن من هذا العمل، ثمَّ لما تكسَّر جدَّده أبو العباس عبد الله بن داود بن عيسى أميرُ مكَّة ٢٤١هـ، ثم جُدِّد بعد ذلك في خلافة المتوكِّل سنة ٢٨٣هـ[(٤)]، كما قام بتجديده وتعميره الخليفة الناصر العباسي سنة ٥٧٦هـ، وجُدِّد مرة أخرى في خلافة المستنصر العباسي سنة ٦٣١هـ، والملك المظفَّر صاحب اليمن سنة ٦٥٩هـ، والملك محمد بن قلاوون سنة ٧٢٠هـ، والملك علي بن الأشرف شعبان سنة ٧٨١ هـ، والملك الظاهر برقوق سنة ٨٠١هـ، ثم جرت إصلاحات مختلفة فيه سنة ٨٢٢ هـ، والسلطان قايتباي سنة ٨٨٨هـ، وعمَّره الملك قانصوه الغوري ٩١٦هـ، والسلطان عبد المجيد خان ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م[(٥)].

---

(١) الحج: ٢٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٦) برقم (١٥٨٤) كتاب الحج. باب فضْل مكَّة وبنيانها. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٣) برقم (١٣٣٣) كتاب الحج. باب جدر الكعبة وبابها.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ١٦٣) برقم (٢٤٦١٦). وأبو داود في سننه (٢/ ٢١٤) برقم (٢٠٢٨) كتاب المناسك. باب الصلاة في الحِجْر. والترمذي في جامعه (٣/ ٢١٦) برقم (٨٧٦) أبواب الحج. باب ما جاء في الصلاة في الحِجْر. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ١١٥) برقم (٣٨٨١) كتاب المناسك. الصلاة في الحِجْر. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" صحيح وضعيف سنن أبي داود (٥/ ٢٨).

(٤) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (١/ ٣١٣).

(٥) يُنظَر: (٢/ ١٠٨). أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر (والخامس عشر) للهجرة (وبعض القرون الماضية) المؤلف: محمد علي مغربي، الناشر (دار تهامة، دار البلاد) جدة، (مطبعة المدني) القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤- ١٤١٤هـ.



وفي عام ١٣٤٦هـ أمر الملك عبد العزيز بستة شمعدانات على جدار حِجْر إسماعيل من النحاس الأصفر، وكل واحد منها له ثلاثة رؤوس على كل رأس منها مصباح كهربائي واحد، ولا زالت فكرتها باقية إلى يومنا هذا، في صورة ثلاثة مصابيح مُوزَّعة على نصف الدائرة، الأوَّل عند الطرف المحاذي للركن الشمالي، والثاني عند الطرف المحاذي للركن الغربي، والثالث على رأس الحطيم(١).

(١) يُنظَر: تذكرة أولي النهى والعرفان (٣/ ٢٦٦). تذكرة أولي النهى والعرفان بأيَّام الله الواحد الديَّان وذكر حوادث الزمان، المؤلف: إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن «من علماء أهل القصيم»، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.



١٧ ذي الحجة

مقام إبراهيم

المراد بالمقام إنَّما هو الحَجَرُ الذي كان إبراهيم- عليه السلام- يقوم عليه لبناء الكعبة. وقصَّة بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة المعظَّمة ووقوف إبراهيم- عليه السلام- على حَجَر المقام؛ رواها البخاري في صحيحه في حديث طويل عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: ثم قال: يا إسماعيل؛ إنَّ الله أمرني بأمرٍ، قال: فاصنعْ ما أمرك ربُّك. قال: وتُعينُني؟ قال: وأُعينُك. قال: فإنَّ الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا، وأشار إلى أكمَّة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتَّى إذا ارتفع البناء؛ جاء بهذا الحَجَر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١]. قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢][٣].

يقول أنس- رضي الله عنه- قال: رأيتُ المقام فيه أصابع إبراهيم وأخمص قدميه، غير أنَّه أذهبَه مسْحُ الناس بأيديهم[٤].

وقد ذكر الله تعالى المقام الكريم في كتابه العزيز في آيتين عظيمتين كريمتين: ذكره الله تعالى في آيةٍ بيِّنةٍ من أعظم آيات حرم الله، كما أمر المؤمنين باتِّخاذه مُصلًّى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[٥]. وقال تعالى في ثنائه وذِكْره للبيت والمقام: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٦].

يقول العلَّامة ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: إنَّ أوَّل بيتٍ وُضِعَ للناس مباركًا وهدى للعالمين للذي ببكَّة، فيه علاماتٌ بيِّناتٌ من قدر الله، وآثار خليله إبراهيم، منهنَّ أثر قدم خليله النبي إبراهيم في الحَجَر الذي قام عليه[٧].

---

(١) البقرة: ١٢٧.

(٢) البقرة: ١٢٧

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٢) برقم (٣٣٦٤) كتاب أحاديث الأنبياء. باب بدون ترجمة.

(٤) يُنظَر: أخبار مكَّة للفاكهي (١/ ٤٥٠).

(٥) البقرة: ١٢٥.

(٦) آل عمران: ٩٦-٩٧.

(٧) تفسير الطبري= جامع البيان (٦/ ٢٩).



وعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:" الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، ولولا أنَّ الله طمس على نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب" رواه أحمد والترمذي(١).

وعن أنس بن مالك قال: قال عمر- رضي الله عنهما-: وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ، فقلتُ: يا رسول الله؛ لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مُصلًّى فنزلتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾(٢) رواه البخاري ومسلم(٣).

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعًا، وصلَّى خلف المقام ركعتين، ثم خرج إلى الصفا، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٤)(٥).

وروى مسلم في صحيحه عن جابر- رضي الله عنه- في صفة حجَّة النبي ﷺ: حتى إذا أتينا البيت معه ﷺ استلم الركن فرمل ثلاثًا، ومشى أربعًا، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم- عليه السلام- فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾(٦). فجعل المقام بينه وبين البيت، وكان يقرأ في الركعتين: " قل يا أيها الكافرون"، و" قل هو الله أحد"(٧).

لذلك يُشرَع بعد الطواف صلاة ركعتين خلف المقام، ولا يُشرَع مسْح المقام فضلًا عن تقبيله، وكان ابن الزبير- رضي الله عنهما- ينهى عن ذلك ويقول: إنَّكم لم تُؤمروا بالمسْح، وإنَّما أُمِرْتم بالصلاة(٨).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٥٧٧) برقم (٧٠٠٠). والترمذي في جامعه (٣/ ٢١٧) برقم (٨٧٨) أبواب الحج. باب ما جاء في فضْل الحجر الأسود والركن والمقام. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٣٣٦).

(٢) البقرة: ١٢٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٩) برقم (٤٠٢) كتاب الصلاة. باب ما جاء في القبلة، ومن لم يرَ الإعادة على مَن سها فصلَّى إلى غير القبلة. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٥) برقم (٢٣٩٩) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه.

(٤) الأحزاب: ٢١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٨) برقم (٣٩٥) كتاب الصلاة باب قول الله تعالى: {واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مُصلًّى} البقرة: ١٢٥. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٠٦) برقم (١٢٣٤) كتاب الحج. باب ما يلزم من أحرم بالحج، ثم قدم مكَّة من الطواف والسعي.

(٦) البقرة: ١٢٥.

(٧) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨) كتاب الحج. باب حجَّة النبي ﷺ.

(٨) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٤٩) برقم (٨٩٥٨). المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقِّق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يُطلَب من: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.



وكان ابن عمر- رضي الله عنهما- إذا أراد أن يُصلِّي خلف المقام؛ جعل بينه وبين المقام صفًّا أو صفَّينِ أو رَجُلًا أو رَجُلَينِ(١).

وعن موضع مقام إبراهيم؛ فقد روى البيهقي بإسناد صحيح عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: إنَّ المقام كان زمان رسول الله ﷺ وزمان أبي بكر- رضي الله عنه- مُلتصِقًا بالبيت، ثم أخَّره عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-(٢).

وذلك عندما جاء سيل في خلافة عمر- رضى الله عنه- فاحتمله، حتَّى وُجِدَ أسفل مكَّة فأُتِيَ به، فرُبِطَ إلى أستار الكعبة، حتَّى قدِم عمر- رضى الله عنه- فاستثبت في أمره حتَّى تحقَّق موضعه الأوَّل فأعاده إليه وبنى حوله.

وأوَّل مَن حلَّى المقام هو الخليفة المهدي العباسي؛ لما خشي عليه أن يتفتَّت؛ فهو من حَجَرٍ رخوٍ، فبعث بألف دينار، فضبَّبوا بها المقام من أسفله إلى أعلاه، وفي خلافة المتوكِّل زِيدَ في تحليته بالذهب، وجعل ذلك فوق الحلية الأولى، وذلك سنة ٢٣٦هـ(٣).

ولم تزل حلية المهدي على المقام حتَّى قلعت عنه في سنة ٢٥٦هـ؛ لأجل إصلاحه، فجُدِّد وصُبَّ عليه حتَّى يشتدَّ، وزِيدَ في الذهب والفضَّة على حليته الأولى، فعُمِلَ له طوقان من ذهب فيهما ٩٩٢ مثقال وطوق من فضَّة، وأُحضِر المقام إلى دار الإمارة، وأُذيبتْ له العقاقير بالزئبق، وشُدَّ بها شدًّا جيّدًا حتَّى التصق، وكان قبل ذلك سبع قطع قد زال عنها الالتصاق لما قلعت الحلية عنه في سنة ٢٥٥هـ لأجل إصلاحه. وكان الذي شدَّه بيده في هذه السنة بِشْرُ الخادم مولى أمير المؤمنين المعتمد العباسي، وحمل المقام بعد اشتداده، وتركيب الحلية إلى موضعه وذلك ٢٥٦هـ(٤).

ومن المعلوم أنَّ هذا الحَجَر كان داخل مقصورة نُحاسية مُربَّعة الشكل، وعليها قُبَّة قائمة على أربعة أعمدة تحتلُّ مساحة كبيرة بجوار الكعبة، إلَّا أنَّ كثرة الحُجَّاج في السنوات الأخيرة أوجبت توسعة المطاف بعد أن ضاق بالطائفين، فكان وجود القُبَّة عائقًا لهذه التوسعة. ودارت مناقشات بين علماء المسلمين حول جواز نقل المقام من موضعه، واختلفت الآراء بين القول بالجواز أو عدمه(٥).

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٤٩) برقم (٨٩٦٠).

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٦٣). دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٣) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (٢/ ٣٦).

(٤) يُنظَر: أخبار مكَّة للفاكهي (١/ ٤٧٦).

(٥) يُنظَر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/ ٢٧٢). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكِّي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.



وانتهى الأمر إلى قرارٍ مِن رابطة العالم الإسلامي في جلسة الرابطة المنعقِدة بتاريخ ٢٥ من ذي الحجَّة ١٣٨٤هـ بإزالة جميع الزوائد الموجودة حول المقام، وإبقاء المقام في مكانه على أن يُجعَل عليه صندوق من البلوري السميك القوي على قدر الحاجة وبارتفاع مناسب يمنع تعثُّر الطائفين ويتسنَّى معه رؤية المقام.



١٨ ذي الحجة

معالم مكَّة (المشاعر، طوى، الجعرانة، التنعيم ..)

المشاعر المقدَّسة هي أماكنُ جغرافية تقع في محيط مكَّة المكرَّمة، وَرَدَ ذِكْرُها صراحةً أو الإشارة إليها في القرآن الكريم، وهي: مِنى، وعرفات، ومزدلفة. ويأتي إليها المسلمون الذين يريدون تأدية فريضة الحجِّ، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام. يرتبط كلُّ مشعرٍ بعدد من المناسك والأعمال التي يُؤمر بها الحُجَّاج، والتي تبدأ في اليوم الثامن من شهر ذي الحجَّة، وفيه يتَّجه الحجيج إلى منى لقضاء يوم التروية، ثم ينفرون (يُسرعون) إلى عرفة لقضاء يوم عرفة، ثم يعودون إلى منى مرورًا بمزدلفة لقضاء أيَّام التشريق.

وتعود تسمية المشاعر المقدَّسة إلى اعتياد العرب تسمية المواقع بصفة جزءٍ منها، أو بفعل أمر بها، أو لحادثة حدثت فيها؛ ولم تخرج أسماء المشاعر عن ذلك.

فالمشاعر هي: المعالم، ومواضع النُّسُك. ومنها قولك: شعرت بالشيء، أي علمته، وأغلب الظنِّ أنَّ أسماء المشاعر عُرِفتْ منذ ذلك الوقت؛ وكلُّ ما ورد في أسباب أسمائها المتعدِّدة وتعليلها؛ إنَّما هي أقوالٌ تناقلها الخلف عن السلف؛ لذا يصعب الركون إلى إفراد سبب دون الآخر. فمشاعر الحج إذا ذُكِرت فالمقصود بها عرفات ومزدلفة ومنى.

وقد ذُكِرَ عَرفات ومزدلفة في القرآن الكريم في سورة البقرة: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[١]، والمشعر الحرام هو مزدلفة.

يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) أي: اذكروه بالدعاء والتلبية عند المشعر الحرام، ويُسمَّى جمعًا لأنَّه يجمع ثَمَّ المغرب والعشاء، قاله قتادة، وقيل: لاجتماع آدم فيه مع حواء، وازدلف إليها، أي دنا منها، وبه سُمِّيَت المزدلفة. ويجوز أن يُقال: سُمِّيَتْ بفعل أهلها؛ لأنَّهم يزدلفون إلى الله، أي يتقرَّبون بالوقوف فيها. وسُمِّي مشعرًا من الشعار وهو العلامة؛ لأنَّه مَعلَمٌ للحجِّ والصلاة والمبيت به، والدعاء عنده من شعائر الحج، ووُصِفَ بالحرام لحرمته[٢].

---

(١) البقرة: ١٩٨.

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٤٢١).



وتقع المزدلفة بالقرب من مكَّة جنوب شرق منى، وبين منى وجبل عرفة، وهي ذات أهمِّيَّةٍ بالنسبة إلى المسلمين أثناء تأديتهم لفريضة الحج؛ فهي ثالث المشاعر المقدَّسة التي يمرُّ بها الحجيج خلال رحلتهم الإيمانيَّة المقدَّسة؛ حيث يبدأ الحجيج في المشعر الأوَّل مكَّة بالطواف حول الكعبة، ثم مرورًا بالمشعر الثاني وهو الوقوف بعرفة، وبعد أداء المناسك المفروضة خلالهما، ثم بعد الإفاضة من عرفات؛ ينزلون إلى المزدلفة للمبيت وأداء بعض المناسك والفرائض على هدْي النبي ﷺ.

وفي الصحيح عن جابر- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ صلَّى الفجر بالمزدلفة، ثم ركب القصواء حتَّى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه، وكبَّره، وهلَّله، ووحَّده، فلم يزل واقفًا حتَّى أسفر جِدًّا، فدفع قبل أن تطلع الشمس. رواه مسلم(١).

وثبت عن بعض العلماء أنَّ مزدلفة كلَّها تُسمَّى المشعر الحرام.

قال الشيخ محمد بن عثيمين- رحمه الله-: وعلى هذا يكون المشعر الحرام؛ تارة يُراد به المكان المعيَّن الذي وقف عنده النبي ﷺ، وهو الجبل المعروف في المزدلفة وعليه بُنِي المسجد؛ وأحيانًا يُراد به جميع المزدلفة؛ لأنَّها مشعر حرام. وإنَّما قُيِّدَتْ بالمشعر الحرام؛ لأنَّ هناك مشعرًا حلالًا، وهو عرفة، فإنَّه مشعر، بل هو أعظم المشاعر المكانية، فهو مشعر لكنَّه حلال؛ لأنَّه خارج أميال الحرم، بخلاف المشعر الحرام الذي بمزدلفة الذي يقف الناس فيه، فإنَّه حرام. ولم تُسمَّ منىً مشعرًا حرامًا؛ لأنَّه ليس بها وقوفٌ مُستقِلٌّ(٢).

أمَّا طوى فوادٍ من أودية مكَّة، وهو أحد أودية مكَّة الثلاثة التي يتكوَّن اليوم منها عمرانها. المعروف اليوم بـ "بئر طوى" بجرول بين القُبَّة وريع أبي لهب، وهي بئر مطويَّة عليها بناء، يزورها الحُجَّاج المغاربة. وبئر طوى قد بات به النبي ﷺ حتَّى أصبح واغتسل من ماء بئره، وصلَّى ثم دخل مكَّة؛ رواه البخاري(٣). والبئر ما زالت موجودة بجرول إلى يومنا هذا. وموضع البئر هو المكان الذي بات فيه رسول الله ﷺ ليلة فتح مكَّة، وذلك بإجماع مُؤرِّخي مكَّة، وكُتَّاب السيرة الشريفة.

فلمَّا أصبح أخذ ذات اليسار على طول الوادي وأمر خالدًا أن يأخذ ذات اليمين من عند المكان المعروف اليوم بالقُبَّة، فيأخذ (كُدىً) بالقصر، فيأتي مكَّة من أسفلها.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨) كتاب الحج. باب حجَّة النبي ﷺ.

(٢) يُنظَر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٣/ ٨٧). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن- دار الثريا، الطبعة: الأخيرة، ١٤١٣هـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٩) برقم (١٥٥٣) كتاب الحج. باب الإهلال مُستقبِل القبلة.



والجِعْرَانة: بكسر أوَّله وسكون ثانيه وتخفيف الراء، كذا اتَّفق اللغويون على ضبطها. وأهل مكَّة اليوم ينطقونها بضم الجيم. ويقع وادي الجِعرانة إلى الشمال الشرقي من مكَّة المكرَّمة، وينتهي إلى وادي سرق. والجِعرانة اليوم قرية صغيرة في صدر وادي صف، فيها مسجد يعتمر منه أهل مكَّة المكرَّمة، ولها مركز إمارة، وتربطها بمكَّة طريق مُعبَّدة، وفيها زراعة قليلة. وماؤها يُضرَب به المثل في عذوبته. وكان النبي ﷺ قد اعتمر منها بعد غزوة الطائف. خرج منها ليلًا وعاد من ليلته(١). والراجح أنَّ عمرته ﷺ من الجعرانة كانت ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة عام الفتح.

وروى الأزرقي أنَّ رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمرات: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، والثالثة عمرة الجعرانة، والرابعة عمرة حجَّته. ثم ذكَر أنَّ رجلًا من قريش بنى مسجدًا هناك، غير أنَّه ذكَر أنَّ رسول الله ﷺ كان بالعُدوة القُصوى، بينما المسجد اليوم في العُدوة الدُّنيا، ولا زال معمورًا يعتمر منه أهل مكَّة(٢).

والتَّنْعِيم: وادٍ ينحدر شمالًا بين جبال بشم شرقًا وجبل الشَّهيد جنوبًا فيصبُّ في وادي ياج، وهو ميقاتٌ لمن أراد العمرة من المكِّيِّين، وتُسمَّى عمرته: عمرة التنعيم، أي مكان الاعتمار، وذلك تمييزًا لها عن عمرة الجعرانة، وكان يُسمَّى نعمان، قال الشاعر:

فلَمْ ترَ عيني مثلَ سربٍ رأيتُه ... خرجنَ منَ التنعيمِ مُعتَمِراتِ
مررنَ بفخٍ ثُمَّ رُحنَ عشيةً ... يُلبِّينَ للرحمنِ مُؤتَجِراتِ
فأصبحَ ما بينَ الأراكِ وحذوه ... إلى الجزعِ جزعِ النَّخلِ والعمراتِ
له أرَجٌ بالعنبرِ الغضِّ فاغمٌ ... تطلَّع ريَّاه منَ الكفراتِ
تضوعُ مِسكًا بطنُ نَعْمانَ إذ مشتْ ... به زينب في نسوةٍ عَطِرَاتِ(٣)

وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجَّة الوداع، فأهللنا بعمرة، ثم قال رسول الله ﷺ: مَن كان معه هدْي فلْيهللْ بالحجِّ مع العمرة، ثم لا يحلَّ حتَّى يحلَّ منهما جميعًا، قالت: فقدمتُ مكَّة وأنا حائض ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، فشكوتُ ذلك

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣) برقم (١٧٧٨) أبواب العمرة. باب: كم اعتمر النبي ﷺ؟ ومسلم في صحيحه (٢/ ٩١٦) برقم (١٢٥٣) كتاب الحج. باب بيان عدد عمر النبي ﷺ وزمانهنَّ.

(٢) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (٢/ ٢٠٧).

(٣) يُنظَر: زهر الآداب وثمر الألباب (١/ ٢١٥). زهر الآداب وثمر الألباب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت.

لرسول الله ﷺ فقال: انقضي رأسكِ وامتشطي وأهِلّي بالحجِّ ودعي العمرة، فقالت: ففعلتُ، فلمَّا قضينا الحجَّ أرسلني رسول الله ﷺ إلى التنعيم فاعتمرتُ، فقال: هذا مكان عُمرتِكِ. رواه مسلم(١).

وقد ثبت أنَّ رسول الله ﷺ أمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يعمر عائشة أخته- رضي الله عنهم- من التنعيم، ومن ذلك اليوم اتَّخذه أهل مكَّة عمرة، وهو أقرب الحلِّ إلى المسجد الحرام؛ فهو يقع على قرابة ستة أميال شمالًا من المسجد الحرام على طريق المدينة.

ويُسمَّى مسجد التنعيم أو مسجد السيدة عائشة- رضي الله عنها-.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٤٠) برقم (١٥٥٦) كتاب الحج. باب كيف تهل الحائض والنفساء؟، ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٧٠) برقم (١٢١١) كتاب الحج. باب بيان وجوه الإحرام، وأنَّه يجوز إفراد الحج والتمتُّع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، ومتّى يحلُّ القارن من نُسُكه.



١٩ ذي الحجة

غزوة الخندق

غزوة الخندق[١] تُسمَّى بهذا الاسم لأنَّ النبي ﷺ حفر خندقًا حول المدينة، وأشار إليه بهذا سلمان الفارسي- رضي الله عنه-، ويُقال لها أيضًا غزوة الأحزاب؛ لأنَّ قريشًا جمعت أحزابًا كثيرةً: غطفان وغير غطفان، والأحابيش وغيرهم، جمعوا حتَّى قال أصحابُ السِّيَر: إنَّهم نحو عشرة آلاف، كلُّهم قصدوا المدينة للقضاء على النبي ﷺ بزعمهم وأصحابه، ولكنَّ الله خيَّبهم وردَّهم خائبين، وأنزل عليهم جنودًا لم يروها من الملائكة، وأنزل عليهم ريحًا، وكانت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة.

وسببها أنَّ عشرين رجلًا من زعماء اليهود وسادات بني النضير أتوا إلى قريش بمكَّة يُحرِّضونهم على غزو الرسول ﷺ ويوالونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش.

ثم خرج هذا الوفد إلى غطفان، فدعاهم إلى ما دعا إليه قريشًا فاستجابوا لذلك، ثم طاف الوفد في قبائل العرب يدعوهم إلى ذلك، فاستجاب له مَن استجاب، وهكذا نجح ساسة اليهود وقاداتهم في تأليب أحزاب الكفر على النبي ﷺ والمسلمين.

وعلى أثر ذلك خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة- وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف، ووافاهم بنو سليم بمر الظهران، وخرجت من الشرق قبائل غطفان- بنو فزارة يقودهم عيينة بن حصن، وبنو مرة يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع يقودهم مسعر بن رحيلة، كما خرجت بنو أسد وغيرها، واتَّجهت هذه الأحزاب وتحرَّكت نحو المدينة على ميعاد كانت قد تعاقدت عليه، وبعد أيَّام تجمَّع حول المدينة جيش عرمرم بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل، فسارع رسول الله ﷺ إلى عقد مجلس استشاري مع أصحابه تناولوا فيه خطَّة الدفاع عن المدينة، وبعد مناقشات جرتْ بينهم اتفقوا على قرار قدَّمه الصحابي الجليل سلمان الفارسي- رضي الله عنه- قال سلمان: يا رسول الله؛ إنَّا كُنَّا بأرض فارس إذا حُوصرنا خندقنا علينا، وكانت خطَّة حكيمة لم تعرفها العرب قبل ذلك، فأسرع رسول الله ﷺ إلى تنفيذ الخطَّة.

فأمر ﷺ بحفر الخندق من جهة الشمال، وهي عورة المدينة لا يستطيع المهاجمون نفاذًا إلى المدينة إلَّا منها، وذلك لأنَّ المدينة كانت مُشبَّكةً بالبنيان، ومُحاطة بالحُرَّات وبساتين النخل من كلِّ

---

(١) يُنظَر لهذه الغزوة: سيرة ابن هشام. ت السقا (٢/ ٢١٤) وما بعدها؛ ومرويات غزوة الخندق (ص ٤٥). مرويات غزوة الخندق، المؤلف: إبراهيم بن محمد المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولي، ١٤٢٤هـ.



جانبٍ سوى الشمال، فاتَّخذ الخندق في هذه الناحية. وشرعوا في حفر الخندق الذي يمتدُّ طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه تسعة أذرع، وعمقه من سبعة أذرع إلى عشرة. وكان على كل عشرةٍ من المسلمين حفْرُ أربعين ذراعًا، وعمِلَ المسلمون في الحفر على عجل، يبادرون قدوم القوم، وقد تراوحت مدَّة الحفر ما بين ستَّة أيَّام وأربعة وعشرين يومًا، وعند الواقدي: أربعًا وعشرين ليلة، وقال بعضهم: خمسة عشر يومًا.

وقد شارك النبي ﷺ بنفسه في حفر الخندق، عن سهل بن سعد- رضي الله عنه- قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في الخندق وهم يحفرون وننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةْ. رواه البخاري(١).

وروى البخاري أيضًا عن البراء بن عازب- رضي الله عنه- قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ، حَتَّى وَارَى عَنِّي الغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا(٢)، وكان المسلمون يعملون بهذا النشاط وهم يُقاسون من شدَّة البرد والجوع ما يُفتِّتُ الأكباد، كما قال أنس بن مالك- رضي الله عنه-: كان أهل الخندق يُؤتَون بملء كفَّي من الشعير، فيُصنَعُ لهم بإهالةٍ سنخةٍ (الإهالة: الدهن، وسنخة: أي تغيَّرت من طول بقائها)، تُوضَع بين يدي القوم والقوم جياع، وهي بشعة في الحلْق ولها ريحٌ مُنتِنٌ. رواه البخاري(٣).

وأثناء هذه الأحداث وقعتْ آياتٌ من أعلام النبوة، فقد رأى جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- في النبي ﷺ خمصًا شديدًا فذبح بهيمة، وطحنتِ امرأتُه صاعًا من شعير، ثم التمس من رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٤) برقم (٣٧٩٧) كتاب مناقب الأنصار. باب دعاء النبي ﷺ: «أصلح الأنصار والمهاجرة». ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٣١) برقم (١٨٠٤) كتاب الجهاد والسير. باب غزوة الأحزاب وهي الخندق.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٠) برقم (٤١٠٦) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٣٠) برقم (١٨٠٣) كتاب الجهاد والسير. باب غزوة الأحزاب وهي الخندق.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٠٨) برقم (٤١٠٠) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.



سرًّا أن يأتيَ في نفرٍ من أصحابه، فقام النبي ﷺ بجميع أهل الخندق، وهم ألفٌ، فأكلوا من ذلك الطعام وشبعوا، وبقيتْ برمة اللحم تغطُّ به كما هي، وبقي العجين كما هو. رواه البخاري ومسلم(١).

وأعظم من ذلك ما رواه البخاري عن جابر- رضي الله عنه- أيضًا قال: إنَّا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضتْ في الخندق، فقال: أَنَا نَازِلٌ، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ (والمعنى صار رملًا يسيل ولا يتماسك) أَوْ أَهْيَمَ، وفي رواية: فكانتْ مِنِّي التفاتة، فإذا رسول الله ﷺ قد شدّ على بطنه حَجَرًا. رواه البخاري ومسلم(٢).

وعن البراء بن عازب- رضي الله عنه- قال: لَمَّا كَانَ حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَحْفُرَ الْخَنْدَقَ؛ عَرَضَ لَنَا فِي بَعْضِ الْجَبَلِ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ شَدِيدَةٌ، لَا تَدْخُلُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَآهَا أَخَذَ الْمِعْوَلَ وَأَلْقَى ثَوْبَهُ، وَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ. ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الْأَبْيَضَ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا. رواه أحمد(٣).

واستخلف النبي ﷺ على المدينة ابن أمِّ مكتوم- رضي الله عنه-.

ولما أراد المشركون مهاجمة المسلمين واقتحام المدينة؛ وجدوا خندقًا عريضًا يحول بينهم وبينها، فالتجأوا إلى فرْض الحصار على المسلمين، بينما لم يكونوا مُستعِدِّين له حين خرجوا من ديارهم. إذ كانت هذه الخطَّة كما قالوا مكيدة ما عرفتْها العرب، فلم يكونوا قد أدخلوها في حسابهم أصلًا.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٠٨) برقم (٤١٠٢) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٠) برقم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة. باب جواز استتباعه غيرَه إلى دار مَن يثق برضاه بذلك، وبتحقُّقه تحقُّقًا تامًّا، واستحباب الاجتماع على الطعام.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٠٨) برقم (٤١٠١) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٠) برقم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة. باب جواز استتباعه غيرَه إلى دار مَن يثق برضاه بذلك، وبتحقُّقه تحقُّقًا تامًّا، واستحباب الاجتماع على الطعام.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٦٢٥) برقم (١٨٦٩٤).

وقد قال تعالى حكاية عن الأحزاب وشعور المؤمنين ساعتها: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[١]، وقال تعالى حكاية عن المنافقين وضعفاء النفوس الذين تزعزعتْ قلوبهم لرؤية هذا الجيش: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٢]، وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف، فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، وكان شعارهم: (حم لَا يُنْصَرُونَ).

وكرِه فوارس من قريش أن يقفوا حول الخندق مكتوفي الأيدي، فاقتحموا الخندق، منهم عمرو بن وُدٍّ، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، وضراب بن الخطَّاب وغيرهم، وذكروا أنَّ عليًّا بارز عمر وقتله، وأنَّ الزبير قتل نوفل المخزومي، وأنَّ الباقين فرُّوا إلى معسكرهم.

وانشغل رسول الله ﷺ حتى فاتته بعض الصلوات، فجعل يسبُّ كُفَّار قريش ويدعو عليهم، فقال ﷺ: " مَلأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ" رواه البخاري[٣].

ودعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال:" اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ؛ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ" رواه البخاري ومسلم[٤].

وقد استجاب الله تعالى لدعوة رسوله ﷺ، فدبَّت الفُرقة في صفوف المشركين، وسرى بينهم التخاذل، وأرسل الله عليهم جندًا من الريح فجعلت تُقوِّض خيامهم، ولا تدع لهم قدرًا إلَّا كفأتْها، ولا طُنُبًا (وهي الحبال التي تُشدُّ بها الخيمة) إلَّا قلعتْه، ولا يقرُّ لهم قرار، حتَّى إنَّ الرجل منهم لم يكد يهتدي إلى رحله. روى البخاري ومسلم عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ النبي ﷺ قال: نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ[٥].

(١) الأحزاب: ٢٢.

(٢) الأحزاب: ١٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٠) برقم (٤١١١) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٣٦) برقم (٦٢٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب التغليظ في تفويت صلاة العصر.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١١) برقم (٤١١٥) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٦٣) برقم (١٧٤٢) كتاب الجهاد والسير. باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٠٩) برقم (٤١٠٥) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦١٧) برقم (٩٠٠) كتاب صلاة الاستسقاء. باب في ريح الصبا والدبور.



وأرسل الله جُندًا من الملائكة يزلزلونهم ويُلقون في قلوبهم الرعب والخوف، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾(١).

وأقام المشركون مُحاصِرين رسولَ الله ﷺ والمسلمين في شتاء بارد أربعًا وعشرين ليلة، وكانت بداية الحصار في شوَّال ونهايته في ذي القعدة، وكان انصرافهم يوم الأربعاء لسبع ليالٍ بقين من ذي القعدة، فلمَّا أصبح رسول الله ﷺ والمسلمون وقد فتح الله تعالى لهم، وأقرَّ أعينهم بجلاء الأحزاب؛ قال ﷺ: "الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ" رواه البخاري(٢).

---

(١) الأحزاب: ٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٠) برقم (٤١١٠) كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.



٢٠ ذي الحجة

فتحُ مكَّة

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾[١].

وقعت غزوة فتح مكَّة[٢] في السنة الثامنة من الهجرة، وكان سببُها نقض قريش العهد الذي بينها وبين رسول الله ﷺ في الحُديبية، وذلك أنَّ بني بكر كانت قد دخلت في حلف قريش، وبني خزاعة قد دخلت في حلف النبي ﷺ، فقاتلت بنو بكر خزاعة وقتلوهم حتى ألجأوهم إلى الحرم وقتلوهم فيه، وعاونتها قريش بالسلاح والرجال خفية، وقدم عمرو بن سالم الخزاعي على النبي ﷺ يناشده النصر بما بينهم من حِلْفٍ وإسلامٍ، ذاكِرًا ما فعلتْه بنو بكر وقريش بهم.

فقال رسول الله ﷺ: نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم، فما برح حتَّى مرَّت عنانة من السماء فرعدت، فقال رسول الله ﷺ: إنَّ هذه السحابة لَتستهلُّ بنصر بني كعب.

وعلى إثر ذلك أرسل النبي ﷺ إلى قريش يُخيِّرُها بين ثلاثٍ: إمَّا أن يدوا القتلى من خزاعة (أي يدفعوا دية القتلي)، أو يتبرَّأوا من حِلْفِ بني نفاثة، أو أن ينبذ إليهم على سواءٍ، فاختارت قريش خيار الحرب.

فخرج رسول الله ﷺ ومعه الصحابة وهم صائمون في رمضان، فلمَّا اقتربوا من مكَّة أمرهم بالإفطار ليتقوَّوا عند القتال. عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَكَانَتْ رُخْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا، وَكَانَتْ عَزْمَةً، فَأَفْطَرْنَا. رواه مسلم[٣].

لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا؛ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ،

---

(١) الفتح ٢٧.

(٢) يُنظَر لهذه الغزوة: مغازي الواقدي (٢/ ٧٨٠) وما بعدها؛ سيرة ابن هشام (٢/ ٣٨٩) وما بعدها. المغازي، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي– بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٨٩) برقم (١١٢٠) كتاب الصيام. باب أجر المفطر في السفر إذا تولَّى العمل.



فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ؟ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ: نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَدْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ، فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ خَطْمِ الخَيْلِ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى المسْلِمِينَ. فَحَبَسَهُ العَبَّاسُ، فَجَعَلَتِ القَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَان. رواه البخاري[١].

فَمَرَّتِ الْقَبَائِلُ عَلَى راياتها، فكلَّما مرَّت راية، قَالَ: مَنْ هذه؟ فأقول (الراوي العبَّاس بن عبد المطَّلِب- رضي الله عنه- عمُّ النبي ﷺ): بني سُلَيْمٍ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِبَنِي سُلَيْمٍ، ثُمَّ تَمُرُّ أُخْرَى، فَيَقُولُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ كَتِيبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَضْرَاءُ، فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الحَدَق، قال: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ: مَا لِأَحَدٍ بِهَؤُلَاءِ قِبَلٌ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْيَوْمَ لَعَظِيمٌ، فَقُلْتُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! إِنَّهَا النُّبُوَّةُ، قَالَ: فنعم إذًا، فقلتُ: النَّجَاءُ إِلَى قَوْمِكَ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَاهُمْ بِمَكَّةَ، فَجَعَلَ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؛ هَذَا مُحَمَّدٌ، قَدْ أَتَاكُمْ بِمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِه، ثم قال: مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، فَقَالُوا: قَاتَلَكَ اللَّهُ، وَمَا يُغني عَنَّا دَارُكَ، قَالَ: وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ[٢].

وفي ٢٠ رمضان ٨ هـ، الموافق ١١ يناير ٦٣٠م، دخل رسول الله ﷺ مكَّة فاتحًا في جيش قوامه ١٠ آلاف رجُلٍ، حيث ميمنة الجيش بقيادة خالد بن الوليد من ناحية الجنوب، والميسرة بقيادة الزبير بن العوَّام من ناحية الشمال، بينما كان المهاجرون بقيادة أبي عبيدة بن الجرَّاح من ناحية الشمال الغربي، والأنصار بقيادة سعد بن عبادة من ناحية الغرب. وقاد عكرمة بن أبي جهل ٣٠٠٠ رجلٍ من المشركين، فكانت المقاومة ضعيفة، حيث بلغ عدد شهداء المسلمين ثلاثة من الفرسان، في حين قُتِلَ من المشركين اثنا عشر رجلًا، حتَّى قال أبو سفيان عن ذلك: أُبيحتْ خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم.

ودخل رسول الله ﷺ متواضعًا؛ فدخل مكَّة وهو يركب ناقته، ويقرأ سورة الفتح، وكان يُطأطئ رأسه حتَّى لتكاد تمسُّ رحلَه شُكرًا لربّه تعالى، ولما جاء على باب الكعبة قال: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثم أقبل إلى الحَجَر الأسود واستلمه، ثم

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٤٦) برقم (٤٢٨٠) كتاب المغازي. باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟

(٢) يُنظَر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٨٩) وما بعدها.

عمد إلى تطهير صحن الكعبة من الأصنام (قيل: ٣٦٠ صنمًا)، فجعل يطعنها بقوسٍ في يده، ويكسرها، وهو يقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[(١)]، ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[(٢)]، والأصنام تتساقط على وجوهها، ثم طاف بالبيت. ودخل الكعبة، وصلَّى بها، ثم خرج وقريش صفوفٌ ينتظرون ما يصنع، فقال: يا معشر قريش؛ ما ترون أنِّي فاعلٌ بكم؟ قالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، قال: فإنِّي أقول لكم كما قال يوسف لإخوانه: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء. وأمر بلال بن رباح أن يصعد الكعبة فيُؤذِّن. وفي اليوم الثاني خطب رسول الله ﷺ في الناس، وفيها: إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلا يَلْتَقِطُ لُقْطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلا يُخْتَلَى خَلَاهُ[(٣)].

ثم بايع الرِّجال والنِّساء من أهل مكَّة على السمع والطاعة، وأقام بمكَّة تسعة عشر يومًا.

ورغم أنَّها معركة وحرب؛ إلَّا أنَّ الإسلام حثَّ على الحفاظ على الدماء وعلى عَظَمَةِ وحُرْمة المكان الذي وقع فيه القتال وهو الحرم المكِّي، فكان هذا حافزًا إلى كفِّ المسلمين لسيوفهم ما أمكنهم ذلك. ولهذا لما قال سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ- رضي الله عنه-: يَا أَبَا سُفْيَانَ؛ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ، فَلَمَّا علم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بذلك قَالَ: كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ. رواه البخاري[(٤)].

وكان مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة قبل أن يُسلِم، فأراد العبَّاس- رضي الله عنه- أن يكون المفتاح له مع السقاية، لكنَّ الرسولَ ﷺ دفعه إلى عثمان بعد أن خرج من الكعبة، وردَّه إليه قائلًا: اليوم يوم برٍّ ووفاءٍ، وكان الرسولُ ﷺ قد طلب من عثمان بن طلحة المفتاحَ قبل أن يُهاجر إلى المدينة، فأغلظ له القول ونال منه، فحلم عنه ﷺ وقال: يا عثمان؛ لعلك ترى هذا المفتاح يومًا بيدي، أضعُه حيث شئتُ، فقال: لقد هلكتْ قريشٌ يومئذٍ وذلَّتْ، فقال: بل عمرتْ وعزَّتْ يومئذٍ،

---

(١) الإسراء: ٨١.

(٢) سبأ: ٤٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٤) برقم (١٨٣٤) كتاب جزاء الصيد. باب لا يحلُّ القتال بمكَّة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٦) برقم (١٣٥٣) كتاب الحج. باب تحريم مكَّة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها؛ إلَّا لمنشدٍ على الدوام.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٤٦) برقم (٤٢٨٠) كتاب المغازي. باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟



ووقعتْ كلمتُه من عثمان بن طلحة موقعًا، وظنَّ أنَّ الأمر سيصير إلى ما قال، إلَّا أنَّ الرسول ﷺ قد أعطاه مفاتيح الكعبة قائلًا له: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برٍّ ووفاءٍ، خذوها خالدةً تالدةً، لا ينزعها منكم إلَّا ظالم، فلم يُعْطِ الرسولُ ﷺ المفتاحَ أحدًا من بني هاشم، وقد تطاول لأخْذه رجالٌ منهم.

وحانت الصلاة، فأمر الرسولُ ﷺ بلالًا أن يصعد فيُؤذِّن على الكعبة، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أُسيدًا ألَّا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنَّه حقٌّ لاتَّبعتُه، فقال أبو سفيان: أما والله لا أقول شيئًا، لو تكلَّمتُ لأخبرتْ عنّي هذه الحصباء، فخرج عليهم الرسولُ ﷺ فقال لهم: قد علمتُ الذي قلتُم، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنَّك رسولُ الله، واللهِ ما اطَّلع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول: أخبرك.

وأخيرًا فقد ذكر كثيرٌ من المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)]؛ أنَّ المراد من الفتح القريب: فتْح مكَّة[(٢)].

---

(١) الصف: ١٣.

(٢) يُنظَر: تفسير الثعلبي= الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢٦/ ٣٦٠)؛ التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٢٩٣)؛ تفسير السمعاني (٥/ ٤٢٨). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين (٢١) مُثبَتٌ أسماؤهم بالمقدِّمة (ص ١٥)، أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة– المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدَّمه وقرَّظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م. تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقِّق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض– السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.



٢١ ذي الحجة

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ

يقـول الله عـزَّ وجـلَّ في كتابـه الكـريم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[(١)].

قال السعدي: قل للمؤمنين أي: أرشِدِ المؤمنين، وقلْ لهم: الذين معهم إيمان، يمنعهم من وقوع ما يخلُّ بالإيمان: { يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ } عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيَّات، وإلى المردان (جمع أمرد وهو الغلام جميل الصورة)، الذين يُخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور. { وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ } عن الوطء الحرام، في قُبُل أو دُبُر، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسِّها، والنظر إليها. { ذَلِكَ } الحفظ للأبصار والفروج { أَزْكَى لَهُمْ } أطهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإنَّ مَن حفِظ فرجه وبصره؛ طهُر من الخبث الذي يتدنَّس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترْك المحرَّم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمَن ترَك شيئًا لله؛ عوَّضه الله خيرًا منه، ومَن غضَّ بصره عن المحرَّم؛ أنار الله بصيرته، ولأنَّ العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومُقدِّماته مع داعي الشهوة؛ كان حِفْظُه لغيره أبلغ، ولهذا سمَّاه الله حفظًا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظُه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه؛ لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما؛ أوقعاه في بلايا ومحن، وتأمَّلْ كيف أمر بحفظ الفرج مُطلقًا، لأنَّه لا يُباح في حالة من الأحوال، وأمَّا البصر فقال: { يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ } أتى بأداة " مِن " الدالَّة على التبعيض، فإنَّه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكَّرهم بعلمه بأعمالهم؛ ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرَّمات[(٢)].

وقال أبو العالية: كلُّ فرْجٍ ذُكِرَ حِفْظُهُ في القرآن فهو من الزِّنا إلَّا هذه، (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) فإنَّه يعني الستر[(٣)].

---

(١) النور: ٣٠.

(٢) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٦٦).

(٣) يُنظَر: تفسير الطبري= جامع البيان. ت شاكر (١٩/ ١٥٤).



ومن الأحاديث الدالة على غضِّ البصر؛ قول رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه-:" يا عليُّ؛ لا تُتبِعِ النظرة النظرة؛ فإنَّ لك الأولى، وليست لك الآخرة" رواه أبو داود والترمذي[١].

وعن جرير بن عبد الله البجلي- رضي الله عنه- قال: سألتُ النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فقال:" اصرفْ بصرَكَ" رواه مسلم[٢].

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفضِي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تُفضِي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد" رواه مسلم[٣].

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: إيَّاكم والجلوسَ على الطرقات. قالوا: يا رسول الله؛ لا بدَّ لنا من مجالسنا، نتحدَّث فيها. فقال رسول الله ﷺ: إن أبيتم؛ فأعطوا الطريق حقَّه. قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال:" غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر" رواه البخاري ومسلم[٤].

وفي البخاري: مَن يضمنْ لي ما بين لَحْيَيْهِ وما بين رجليه؛ أضمنْ له الجنَّة[٥].

قال ابن كثير: ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب، كما قال بعض السلف:" النظرُ سهامُ سُمٍّ إلى القلب"؛ ولذلك أمر الله بحفظ الفروج، كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك[٦].

وقال أيضًا:(ذلك أزكى لهم) أي: أطهر لقلوبهم وأنقى لدينهم، كما قيل:" مَن حفِظَ بصرَه؛ أورثه الله نورًا في بصيرته". ويُروى:" في قلبه".

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٦٤) برقم (١٣٦٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٤٦) برقم (٢١٤٩) كتاب النكاح. باب ما يؤمر به من غضِّ البصر. والترمذي في جامعه (٥/ ١٠١) برقم (٢٧٧٧) أبواب الأدب. باب ما جاء في نظرة الفجاءة. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١٣١٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٩٩) برقم (٢١٥٩) كتاب الآداب. باب نظر الفجاءة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٦٦) برقم (٣٣٨) كتاب الحيض. باب تحريم النظر إلى العورات.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٢) برقم (٢٤٦٥) كتاب المظالم والغصب. باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٧٥) برقم (٢١٢١) كتاب اللباس والزينة. باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقَّه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٠) برقم (٦٤٧٤) كتاب الرقاق. باب حِفْظ اللِّسان.

(٦) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢).



وقد قال الإمام أحمد: حدَّثنا عتاب، حدَّثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال:" ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أوَّل مرَّةٍ ثم يغضُّ بصرَه؛ إلَّا أخلفَ الله له عبادةً يجدُ حلاوتَها" رواه أحمد[١]. أحمد[١].

ورُوِي هذا مرفوعًا عن ابن عمر، وحذيفة، وعائشة- رضي الله عنهم- ولكنْ في إسنادها ضعف، إلَّا أنَّها في الترغيب، ومثله يُتسامَح فيه.

وفي الطبراني من طريق عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة مرفوعًا:" لَتغضُّنَّ أبصارَكم، ولَتحفظُنَّ فروجَكم، ولتقيمنَّ وجوهَكم- أو: لتكسفنَّ وجوهكم"[٢].

وقال الطبراني: حدَّثنا أحمد بن زهير التستري قال: قرأنا على محمد بن حفص بن عمر الضرير المقرئ، حدَّثنا يحيى بن أبي بكير، حدَّثنا هريم بن سفيان، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ النظرةَ سهمٌ من سهامِ إبليسَ مسمومٌ، مَن تركه مخافتي؛ أبدلتُه إيمانًا يجدُ حلاوتَه في قلبه" رواه الطبراني[٣].

وقوله: (إنَّ الله خبيرٌ بما يصنعون)، كما قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[٤].

وفي الصحيح عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" كُتِبَ على ابن آدم حظُّه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة. فزنا العينين: النظر. وزنا اللسان: النطق. وزنا الأذنين: الاستماع. وزنا اليدين: البطش. وزنا الرِّجْلَين: الخطي. والنفس تمنَّى وتشتهي، والفرج يُصدِّق ذلك أو يُكذِّبه". رواه البخاري تعليقًا، ومسلم[٥] مُسندًا من وجه آخر بنحو ما تقدَّم.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٦١٠) برقم (٢٢٢٧٨). والحديث ضعَّفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٣٦).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٠٨) برقم (٧٨٤٠). والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٤). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، المحقِّق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية– القاهرة، الطبعة: الثانية.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٧٣) برقم (١٠٣٦٢). والحديث ضعَّفه الألباني كما في ضعيف الترغيب والترهيب (٣/ ١٧٧).

(٤) غافر: ١٩.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٤) برقم (٦٢٤٣) كتاب بدء السلام. باب زنا الجوارح دون الفرج. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٦) برقم (٢٦٥٧) كتاب القدر. باب قُدِّرَ على ابن آدم حظُّه من الزنا وغيره.



وقد قال كثيرٌ من السلف: إنَّهم كانوا ينهون أن يُحِدَّ الرجلُ نظره إلى الأمرد. وقد شدَّد كثيرٌ من أئمة الصوفية في ذلك، وحرَّمه طائفة من أهل العلم؛ لما فيه من الافتتان، وشدَّد آخرون في ذلك كثيرًا جدًّا.

وقال ابن أبي الدنيا: حدَّثنا أبو سعيد المدني، حدَّثنا عمر بن سهل المازني، حدَّثني عمر بن محمد بن صهبان، حدَّثني صفوان بن سليم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:"كلُّ عينٍ باكيةٌ يوم القيامة؛ إلَّا عينًا غضَّتْ عن محارم الله، وعينًا سهرتْ في سبيل الله، وعينًا يخرج منها مثلُ رأسِ الذبابِ من خشيةِ الله عزَّ وجلَّ"[(١)][(٢)].

وقال عنترة العبسي:

وأغُضُّ طرفي ما بدتْ لي جارتي   حتَّى يُواري جارتي مأواها[(٣)]

ولم يذكر الله تعالى ما يُغضُّ البصرُ عنه ويُحفَظ الفرج منه، غير أنَّ ذلك معلومٌ بالعادة، وأنَّ المراد منه المحرَّم دون المحلَّل. وفي البخاري: وقال سعيد بن أبي الحسن للحسن: إنَّ نساء العجم يكشفْنَ صدورهنَّ ورءوسهنَّ؟ قال: اصرفْ بصرَك[(٤)].

وروى الأوزاعي قال: حدَّثني هارون بن رئاب أنَّ غزوان وأبا موسى الأشعري كانا في بعض مغازيهم، فكشفتْ جارية، فنظر إليها غزوان، فرفع يده فلطم عينه حتَّى نفرتْ، فقال: إنَّكِ للحَّاظةٌ إلى ما يضرُّكِ ولا ينفعكِ؛ فلقي أبا موسى فسأله فقال: ظلمتَ عينك، فاستغفرِ الله وتُبْ، فإنَّ لها أوَّل نظرة، وعليها ما كان بعد ذلك. قال الأوزاعي: وكان غزوان ملك نفسه، فلم يضحك حتَّى مات- رضي الله عنه-[(٥)].

ولقد كره الشعبي أن يُديم الرجلُ النظرَ إلى ابنته أو أمِّه أو أخته؛ وزمانه خيرٌ من زماننا هذا، وحرامٌ على الرجل أن ينظر إلى ذات محرمة نظرَ شهوةٍ يُردِّدُها[(٦)].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٣). والحديث ضعَّفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (٤/ ٦٥). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة- بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢- ٤٤).

(٣) يُنظَر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٧/ ١٢٢). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، المحقِّق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

(٤) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا. صحيح البخاري (٨/ ٥١) كتاب الاستئذان. باب بدون ترجمة.

(٥) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٣).

(٦) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٣).



وروى بهز بن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه، عن جدِّه قال: قُلتُ: يا رسول الله؛ عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مِمَّا مَلَكَتْ يمينُكَ، قُلتُ: الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ؟ قالَ: إنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ"، قُلتُ: فالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا، قالَ:" فَاللهُ أَحقُّ أَنْ يُستحيا مِنْهُ" رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم[١].

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٣/ ٢٣٥) برقم (٢٠٠٣٤). وأبو داود في سننه (٤/ ٤٠) برقم (٤٠١٧) كتاب الحمام. باب ما جاء في التعرِّي. والترمذي في جامعه (٥/ ٩٧) برقم (٢٧٦٩) أبواب الأدب. باب ما جاء في حِفْظ العورة. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٨٧) برقم (٨٩٢٣) كتاب عِشْرة النِّساء. نظر المرأة إلى عورة زوجها. وابن ماجه في سننه (١/ ٦١٨) برقم (١٩٢٠) كتاب النكاح. باب التستر عند الجماع. والحديث حسَّنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٣٤).



٢٢ ذي الحجة

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ

يقـول الله تعـالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾(١)، قـال الإمـام القرطبي: قوله تعالى: (وقل للمؤمنات) خصَّ الله سبحانه وتعالى الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد؛ فإنَّ قوله (قل للمؤمنين) يكفي؛ لأنَّه قولٌ عامٌّ يتناول الذكَر والأنثى من المؤمنين، حسب كلِّ خطابٍ عامٍّ في القرآن(٢).

وقـال السـعدي: لما أمـر المـؤمنين بغـضِّ الأبصـار وحفـظ الفـروج؛ أمـر المؤمنـات بـذلك، فقـال: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) عن النظر إلى العورات والرجال بشهوة ونحو ذلك من النظر الممنوع(٣).

وقال ابن كثير:" هذا أمرٌ من الله تعالى للنساء المؤمنات، وغيرةٌ منه لأزواجهنَّ، عباده المؤمنين، وتمييزٌ لهنَّ عن صفة نساء الجاهلية وفِعَال المشركات. وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال: بلغنا- والله أعلم- أنَّ جابر بن عبد الله الأنصاري حدَّث: أنَّ أسماء بنت مرثد كانت في محلٍّ لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلْنَ عليها غير متَّزِرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا! فأنزل الله: (وقل للمؤمنات يغضُضنَ من أبصارهنَّ ويحفظنَ فروجهنَّ) الآية.

فقوله تعالى: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) أي: عمَّا حرَّم الله عليهنَّ من النظر إلى غير أزواجهنَّ. ولهذا ذهب كثيرٌ من العلماء إلى أنَّه: لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلًا.

وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهنَّ إلى الأجانب بغير شهوة، كما ثبت في الصحيح: أنَّ رسول الله ﷺ جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد، وعائشة أمُّ المؤمنين تنظر إليهم مِن ورائه، وهو يسترها منهم حتَّى ملَّتْ ورجعتْ"(٤)(٥).

---

(١) النور: ٣١.

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٦).

(٣) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٦٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٨) برقم (٤٥٥) كتاب الصلاة. باب أصحاب الحراب في المسجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٩) برقم (٨٩٢) كتاب صلاة العيدين. باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيَّام العيد.

(٥) يُنظَر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٤).



هذا وقد اتَّفق الفقهاء على تحريم نظر المرأة إلى عورة الرجل. كما اتَّفقوا على المنع أيضًا في غير العورة حال وجود الفتنة بهذا النظر. كما اتَّفقوا على إباحة النظر في حال الحاجة، كنظر الطبيبة إلى المريض إذا لم يوجد الطبيب الرَّجُل[١].

ولكن اختلف الفقهاء اختلافًا واسعًا حول نظر المرأة إلى غير العورة من الرجل من غير حاجة، على أربعة آراء:

الرأي الأول: لا يُباح لها النظر إلى الرجل بأي حالٍ من الأحوال. وهو قول عند الشافعية[٢]، ورواية عند الحنابلة[٣]. واستدلُّوا بعموم قوله تعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ). ووجه الاستدلال: أنَّ الله سبحانه أمر بغضِّ البصر مُطلقًا، فحُرِّمَ النظرُ عليهِنَّ للرجال، كما يحرُمُ على الرجال النظرُ إليهنَّ.

واحتجُّوا أيضًا بحديث أم سلمة- رضي الله عنها- قالت: كنتُ عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابنُ أمِّ مكتوم وذلك بعد أن أُمِرنا بالحجاب، فقال النبي ﷺ: احتجبا منه. فقلنا: يا رسول الله؛ أليس أعمى لا يُبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال النبي ﷺ: أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟ رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي[٤]. ووجه الاستدلال: أنَّه ﷺ أمر بالاحتجاب منه مع أنَّه أعمى لا يراهما، فدلَّ ذلك على أنَّ نظر المرأة إلى الرجل ممنوع.

---

(١) يُنظَر: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (٣/ ١١٧)؛ فقه النكاح والفرائض (ص ٤٤). موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، إعداد: د. أسامة بن سعيد القحطاني، د. علي بن عبد العزيز بن أحمد الخضير، د. ظافر بن حسن العمري، د.فيصل بن محمد الوعلان، د. فهد بن صالح بن محمد اللحيدان، د. صالح بن عبيد الحربي، د. صالح بن ناعم العمري، د.عزيز بن فرحان بن محمد الحبلاني العنزي، د. محمد بن معيض آل دواس الشهراني، د. عبد الله بن سعد بن عبد العزيز المحارب، د. عادل بن محمد العبيسي، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م. فقه النكاح والفرائض، المؤلف: محمد عبد اللطيف قنديل، الناشر: بدون، الطبعة: بدون.

(٢) يُنظَر: شرح النووي على مسلم (٤/ ٣١)؛ روضة الطالبين وعمدة المفتين (٧/ ٢٥)؛ تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٧/ ٢٠٠). روضة الطالبين وعمدة المفتين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، رُوجِعتْ وصُحِّحتْ: على عدَّة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة: بدون طبعة، عام النشر: ١٣٥٧هـ- ١٩٨٣م.

(٣) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢٠/ ٥١).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤٤/ ١٥٩) برقم (٢٦٥٣٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٦٣) برقم (٤١١٢) كتاب اللباس. باب في قوله عزَّ وجلَّ: {وقل للمؤمنات يغضُضنَ من أبصارهنَّ} النور: ٣١. والترمذي في جامعه (٥/ ١٠٢) برقم (٢٧٧٨) أبواب الأدب. باب ما جاء في احتجاب النِّساء من الرِّجال. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٢٩٣) برقم (٩١٩٧) كتاب عِشْرة النِّساء. نظر النِّساء إلى الأعمى. والحديث ضعَّفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٣٤).



وأنَّ المرأة كالرجل يحرُمُ عليها الاستمتاع بالأجنبي، كما يحرُمُ على الأجنبي الاستمتاع بها، فإذا كان الأجنبي يحرُمُ عليه النظر إليها خشية الفتنة، فكذلك المرأة يحرُمُ عليها النظر إلى الرجل خشية الفتنة. وليس أحدهما بأولى من الآخر.

الرأي الثاني: يُباح لها النظر إلى غير العورة من الرجل. وبه قال الحنفية[١]، وهو المذهب عند الشافعية[٢]، وعند الحنابلة[٣]. واستدلُّوا بحديث فاطمة بنت قيس- رضي الله عنها- أنَّ النبي ﷺ قال لها: اعتدي في بيت ابن أمِّ مكتوم، فإنَّه رجل أعمى، تضعين ثيابك فلا يراك. رواه مسلم[٤]. ووجه الاستدلال: أنَّ ابنَ أمِّ مكتوم رجلٌ أجنبيٌّ من فاطمة، فلو كان نظرُ المرأة إلى الرجل مُحرَّمًا لنهاها النبي ﷺ عن ذلك.

كما استدلُّوا بحديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: رأيتُ النبي ﷺ يسترُني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتَّى أكون أنا الذي أسأم. رواه البخاري ومسلم[٥]. ووجه الاستدلال: أنَّ نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي لو كان مُحرَّمًا لمنع الرسولُ ﷺ عائشةَ منه.

وأيضًا حديث ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ خرج يوم أضحى أو فطر، فصلَّى ركعتين لم يُصلِّ قبلها ولا بعدها، ثم أتى النساء ومعه بلال، فأمرهُنَّ بالصدقة، فجعلت المرأة تُلقي خُرصها وتلقي سِخابها. رواه البخاري مسلم[٦]. ووجه الاستدلال: أنَّ نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي لو كان مُحرَّمًا لما قابلهُنَّ رسول الله ﷺ بالموعظة، ولا سِيَّما أنَّ معه بلالًا.

كما أنَّ النساء لو مُنِعْنَ النظر؛ لوجب على الرجال الحجاب كما وجب على النساء؛ لئلَّا ينظرْنَ إليهم. فاستمرار العمل على جواز خروج النساء إلى المساجد والأسواق والأسفار

---

(١) يُنظَر: المبسوط للسرخسي (١٠/ ١٤٨)؛ الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٦/ ٣٧١). المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة- بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م. رد المحتار على الدر المختار، المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، الناشر: دار الفكر- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٢) يُنظَر: شرح النووي على مسلم (٤/ ٣١)؛ روضة الطالبين وعمدة المفتين (٧/ ٢٥)؛ تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٧/ ٢٠٠).

(٣) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢٠/ ٥١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١١١٤) برقم (١٤٨٠) كتاب الطلاق. باب المطلَّقة ثلاثًا لا نفقة لها.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٨) برقم (٤٥٤) كتاب الصلاة. باب أصحاب الحراب في المسجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٨) برقم (٨٩٢) كتاب صلاة العيدين. باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيَّام العيد.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٩) برقم (٩٦٤) أبواب العيدين. باب الخطبة بعد العيد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٦) برقم (٨٨٤) كتاب صلاة العيدين. باب ترْك الصلاة قبل العيد وبعدها في المصلَّى.



مُنتقبات؛ لئلَّا يَراهُنَّ الرجال، ولم يُؤمر الرجال قط بالانتقاب؛ لئلَّا يراهم النساء، فدلَّ ذلك على تغاير الحكم بين الطائفتين.

الرأي الثالث: يُباح لها النظر إلى ما يظهر غالبًا من الرَّجُل كالوجه واليدين، والقدمين والرقبة ونحو ذلك. وهو قول عند الشافعية[١]، ورواية عند الحنابلة[٢]. واستدلُّوا بنفس أدلَّة مَن قال بإباحة نظر المرأة إلى ما عدا العورة، وهي حديث فاطمة وحديث عائشة- رضي الله عنهما- فليس فيهما إلَّا ما يظهر غالبًا، وليس فيهما أنَّ فاطمة وعائشة نظرتَا إلى بطنٍ أو ظهرٍ مع ما في ذلك من احتمال الفتنة.

الرأي الرابع: يُكرَه للمرأة النظر إلى الرجل. وهذا القول رواية عند الحنابلة، واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]، وهي ظاهر كلام الإمام أحمد[٤]. ويمكن الاستدلال لهذا القول بالجمْع بين الأدلَّة، وبأنَّه يُكرَه للرجل أن ينظر من المرأة ما ليس بعورة لغير حاجة؛ خوفًا أن يدعو ذلك إلى الفتنة، وهذا المعنى موجود أيضًا في المرأة؛ إذ لا يُؤمَن عليها حصول الفتنة بنظرها إلى الأجنبي، فينبغي أن يُكرَه ذلك، وهذا معنى مُعتبَر.

مع أنَّ القول بالكراهة ينبغي أن يُحمَل على ما يظهر غالبًا كالوجه واليدين والقدمين ونحوهما، وأمَّا ما لا يظهر غالبًا كالبطن والظهر والفخذين؛ فكلُّ ذلك ممَّا يحرُمُ على المرأة النظر إليه، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أمر النِّساء بغضِّ البصر، ولم يرد ما يدلُّ على جواز مثل هذا النظر، كما يمكن حملُ المنع في حديث أم سلمة " أفعمياوان أنتما " على مثل هذه الحال، مع ما في هذا النوع من النظر من الفتنة الظاهرة، والله أعلم.

(١) يُنظَر: روضة الطالبين وعمدة المفتين (٧/ ٢٥)؛ تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٧/ ٢٠٠).

(٢) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢٠/ ٥١).

(٣) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢٠/ ٥٢).

(٤) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢٠/ ٥٢).



٢٣ ذي الحجة

وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه

عن أبي برزة نضلة بن عبيد الأسلمي- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتَّى يُسألَ: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه" رواه الترمذي(١).

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" لا تزول قدمُ ابن آدم يوم القيامة من عند ربِّه حتَّى يُسألَ عن خمسٍ: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم" رواه الترمذي(٢).

يعني: لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة من موقف الحساب حتَّى يُسأل عن هذه الأمور الأربعة، وهذا الحديث ظاهره العموم أنَّ كلَّ أحدٍ لا يجاوز موقف الحساب حتَّى يُسأل، ومن أهل العلم مَن يقول: إنَّه يُستثنَى مِن ذلك مَن جاء في النصوص الأخرى أنَّه لا يُحاسَب، فالسبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة مِن غير حسابٍ ولا عذابٍ لا يدخلون في هذا العموم.

وقوله ﷺ: (وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه) أي هل اكتسبه من طريق مباح أو من طريق شبهات؟ وماذا فعل بهذه الأموال؟ هل سخَّرها في معصية؟ هل أضاع هذه الأموال بالإسراف والمباهاة، أو وضَعَها في أمورٍ من السفه الذي لا يرضاه الله؟ والله عزَّ وجلَّ يقول:﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾(٣)، فضيَّع المال، ووَضَعَه بأيدي مَن يُضيِّعونه من النساء والصبيان، فكان مِتلافًا لهذه الأموال التي ابتلاه الله سبحانه بها.

والمال لا يختصُّ بالنقود التي يُعطاها الإنسان فقط، فالسيارة من المال؛ ماذا عمل بها، هل يذهب بهذه السيارة إلى أماكن لا يرضاها الله سبحانه وتعالى؟ هذا المسكن من المال؛ هل استغلَّه في المعصية، أم في طاعة الله عزَّ وجلَّ؟ .... إلخ.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦١٢) برقم (٢٤١٧) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ. باب في القيامة. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦٢).

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦١٢) برقم (٢٤١٦) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ. باب في القيامة. والحديث حسَّنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٤١٦).

(٣) النساء: ٥.

للأسف الشديد فإنَّ مع كثرة الشهوات والشبهات، وكثرة الفتن، وقلَّة المال، وغلاء الأسعار، ونزْع البركة من الأموال والأوقات؛ أصبح كثيرٌ من الناس يطلب المال من أي مكانٍ وبأيَّة طريقةٍ، ولا يسأل عن حِلِّه ولا حُرمته، إلَّا مَن رحم الله، بل إنَّ بعض الناس أصبح يبخل عند إخراج الزكاة، والبعض يبحث عن الرُّخَص في إسقاط الزكاة، لِماذا؟ وقد علم المسلم أنَّ الرزق قد كتبه الله للعبد وهو في بطن أمه، ولن تموت نفس حتَّى تستكمل رزقها، وأنَّ رزق الله لا يجلبه حرصُ حريصٍ ولا يدفعه كراهةُ كارهٍ، وإنَّما على العبد أن يسلك الطرق المباحة للكسب بنيَّة طيِّبة، أمَّا أن يرتكب المحرَّمات ليكسب، أو يُرْهِق نفسه ويُصيبه القلق والاكتئاب من أجل الكسب أو لفوات المال؛ فهذا خلاف ما قدَّره الله وشرعه.

إنَّ المال وديعةٌ من الله للعبد، والله يُعطي العبد بقَدَرٍ؛ حتَّى يعيشَ بسلام ولا يبغِيَ في الأرض، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[١].

وأعطاه المال وقيَّده بضوابط شرعيَّة، فليس له أن يخبط في ماله بغير حقٍّ، قال سبحانه وتعالى في صفة عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٢].

ونهى عن الإسراف والتبذير، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[٣]، وقال أيضًا: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[٤].

ولذا سيُسْأل العبد عن ماله: كيف كسبه؟ وكيف أنفقه؟ فالبعض رزقه الله مالًا، وهو يخبط فيه يمنة ويسرة، ولا يرعى فيه حقًّا، عن خولة بنت عامرٍ الأنصارية- رضي الله عنها- قالتْ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:" إنَّ رجالًا يَتخوَّضونَ في مال الله بغير حقٍّ؛ فلهم النارُ يوم القيامة" رواه البخاري[٥].

---

(١) الشورى: ٢٧.

(٢) الفرقان: ٦٧.

(٣) الإسراء: ٢٦.

(٤) الأعراف: ٣١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٨٥) برقم (٣١١٨) كتاب فرْض الخمس. باب قول الله تعالى: {فأنَّ لله خمسه وللرسول} الأنفال: ٤١.



وأعظم منه جُرمًا ذلك الذي يُنفقه في الحرام، فيشتري السَّيِّئات بماله، كمَن يشرب الدُّخان أو المخدِّرات، أو يدفع مالًا ليزني، أو يسافر لأماكن الفجور، أو يدخل أماكن المنكَر بماله، كلُّ هذا سيُسأل عنه.

ومثله الذي يغشُّ في البيع والمعاملات، ويسرق ويرتشي، ويأكل مال غيره بالحرام، ويحاول كسْب المال بأيَّة طريقة، فالحلال عنده ما حلَّ في اليد.

أخرج البخاري في صحيحه من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان لأبي بكر الصديق- رضي الله عنه- غلامٌ يُخرِج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنتُ تكهَّنتُ لإنسانٍ في الجاهلية، وما أُحسِنَ الكهانة إلَّا أنِّي خدعتُه، فلقيني فأعطاني بذلك هذا الذي أكلتَ منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كلَّ شيءٍ في بطنه[١].

وروى الترمذي عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ"[٢].

وأخرج البخاري أيضًا أنَّ عمرَ بن الخطَّاب- رضي الله عنه- كان قد فرض للمهاجرين الأوَّلين أربعة آلاف، وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة، فقيل له: هو مِن المهاجرين، فلِمَ نقصتَه مِن أربعة آلاف؟ فقال: إنَّما هاجر به أبواه، يقول: ليس هو كمَن هاجر بنفسه[٣].

قال ابن عثيمين- رحمه الله-: وهذا يدلُّ دلالة عظيمة على شدَّة ورع أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-. وهكذا يجب على مَن تولَّى شيئًا من أمور المسلمين ألَّا يُحابي قريبًا لقُرْبِه، ولا غنيًّا لغناه، ولا فقيرًا لفقره، بل يُنزِلُ كلَّ أحدٍ منزلته، فهذا من الورع والعدل، ولم يقلْ عبد الله بن عمر: يا أبتِ، أنا مُهاجِرٌ، ولو شئتُ لبقيتُ في مكَّة؛ بل وافق على ما فرضه له أبوه[٤]. ذريَّة بعضُها مِن بعضٍ في الورع.

والخلاصة أنَّ قوله ﷺ: (وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه) مَعْنَاهُ أَنَّ الإِنْسَانَ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْمَالِ الَّذِى فِى يَدِهِ فِى الدُّنْيَا، فَإِنْ كَانَ أَخَذَهُ مِنْ طَرِيقٍ غَيْرِ الْحَرَامِ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ مُؤَاخَذَةٌ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مَا أَنْفَقَهُ فِيهِ أَمْرٌ أَبَاحَهُ الشَّرْعُ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٤٣) برقم (٣٨٤٢) كتاب مناقب الأنصار. باب أيَّام الجاهلية.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٢/ ٥١٢) برقم (٦١٤) أبواب السفر. باب ما ذُكِرَ في فضْل الصلاة. والحديث صحَّحه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٢٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٦٣) برقم (٣٩١٢) كتاب مناقب الأنصار. باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٤) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٠٨) شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.



فَالنَّاسُ فِى أَمْرِ الْمَالِ ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ؛ اثْنَانِ هَالِكَانِ وَوَاحِدٌ نَاجٍ، فَالْهَالِكَانِ: أَحَدُهُمَا الَّذِى جَمَعَ الْمَالَ مِنْ حَرَامٍ، وَالآخَرُ الَّذِى جَمَعَهُ مِنْ حلالٍ ثُمَّ صَرَفَهُ فِى الْحَرَامِ، وَكَذَلِكَ الَّذِى يَصرِفُهُ فِى الْحَلالِ لِلرِّيَاءِ هَالِكٌ. أمَّا الناجِي فَهُوَ الَّذِى جَمَعَهُ مِنْ حَلَالٍ، وَأنفقَهُ فِي حَلَالٍ وَطَاعَةٍ مِن غيرِ رياءٍ ولا إسرافٍ.



٢٤ ذي الحجة

ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له

قد ثبتتْ فضيلة ماء زمزم في أحاديث كثيرة، وتوارث المسلمون تعظيمها من غير إنكار مُنكرٍ ولا مدافعة دافع، فمن الأحاديث الثابتة في ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حادثة شقِّ صدره ﷺ، وغسْله بماء زمزم[١]، فتخصيص ماء زمزم دون غيره بغسْل صدره الشريف يدلُّ على فضْله وبركته.

وحديث أبي ذر- رضي الله عنه- أنَّه لما أخبر النبي ﷺ بمكثه ثلاثين بين يومٍ وليلةٍ بمكَّة، قال له النبي ﷺ: فمَن كان يُطعِمُكَ؟ فقال له: ما كان لي طعامٌ إلَّا ماء زمزم، فقال له النبي ﷺ:" إنَّها مباركة، إنَّها طعامُ طعمٍ" رواه مسلم[٢].

فقوله ﷺ: (إنَّها مباركة) يدلُّ دلالة صريحة على بركتها وفضْلها على سائر المياه.

ومنها قوله ﷺ أيضًا:" خيرُ ماءٍ على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم، وشفاء السقم" رواه المنذري والهيثمي والطبراني وابن حبان ورواته ثقات[٣].

ورواه البزار بلفظ:" زمزم طعام طعم، وشفاء سقم" وسنده صحيح[٤].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٤٧) برقم (١٦٢) كتاب الإيمان. باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩١٩) برقم (٢٤٧٣) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم. باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٩٨) برقم (١١١٦٧)؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٢٨٦). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، المحقِّق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٤) رواه البزار في مسنده (٩/ ٣٦١). والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٥٦٠). مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقِّق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقَّق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقَّق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقَّق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).



ومنها حديث جابر- رضي الله عنه- مرفوعًا:" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له" رواه أحمد وابن ماجه[(١)]، ورواه البيهقي[(٢)] والدارقطني[(٣)] والحاكم[(٤)] بزيادة:" إِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي بِهِ شَفَاكَ اللهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِشبَعِكَ أَشْبَعَكَ اللهُ بِهِ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِيَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطَعَهُ اللهُ، وَهِيَ هَزَمَةُ جِبْرِيلَ- ضربها برجله فنبع الماء- وَسُقْيَا اللهِ إِسْمَاعِيلَ"(٥)، وروى الديلمي عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- بمثله من غير زيادة:" وَإِنْ شَرِبْتَهُ مُسْتَعِيذًا عَاذَكَ اللهُ" وصحَّحه الحاكم والبيهقي والمنذري، وحسَّنه ابن حجر[(٦)].

وقال ابن القيم في زاد المعاد: الحديث حسنٌ، وقد صحَّحه بعضُهم، وجعله بعضُهم موضوعًا، وكِلا القولين فيه مجازفة. وقد جرَّبتُ أنا وغيري- والكلام لابن القيم- من الاستشفاء بماء زمزمَ أُمورًا عجيبة، واستشفيتُ به من عدَّة أمراض، فبرأتُ بإذن الله[(٧)].

وكان ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- إذا شرب من ماء زمزم قال: اللهمَّ إِنِّي أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاءً من كل داء[(٨)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ١٤٠) برقم (١٤٨٤٩). وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠١٨) برقم (٣٠٦٢) كتاب المناسك. باب الشرب من زمزم. والحديث صحَّحه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٢٠).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٤٨).

(٣) سنن الدارقطني (٣/ ٣٥٤) برقم (٢٧٣٩). سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥ هـ)، حقَّقه وضبط نصَّه وعلَّق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٤ م.

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٦٤٦) برقم (١٧٣٩).

(٥) الحديث قال عنه الألباني: "باطل موضوع" كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ٣٢٩).

(٦) لم أقف على تحسين الحافظ في كتبه. فالله أعلم. إلَّا أنَّه في التلخيص الحبير كأنَّه يميل إلى أنَّ الحديث موقوف؛ فقال بعد ذِكْر إسناد الحديث:" قلتُ: والجارودي صدوق، إلَّا أنَّ روايته شاذَّة؛ فقد رواه حُفَّاظ أصحاب ابن عيينة كالحميدي، وابن أبي عمر، وغيرهما عن ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: وممَّا يُقوِّي رواية ابن عيينة ما أخرجه الدينوري في المجالسة من طريق الحميدي قال: كنَّا عند ابن عيينة فجاء رجل فقال: يا أبا محمد؛ الحديث الذي حدَّثتنا عن ماء زمزم صحيح؟ قال: نعم. قال: فإنِّي شربتُه الآن لتُحدِّثني مائة حديث. فقال: اجلس. فحدَّثه مائة حديث. اهـ". التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير (٤/ ١٦٤٤) (٤). التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، المحقِّق: الدكتور محمد الثاني بن عمر بن موسى، الناشر: دار أضواء السلف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.

(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٣٦١).

(٨) يُنظَر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/ ٣٤٢).



واشتُهر عن الإمــام الشافعي أنَّه شـــربه للرمــي، فكان يصيب من كلِّ عَشرةٍ تسعةً[١].

ودخل ابن المبارك زمزم فقال: اللهمَّ إنَّ ابنَ المؤمّل حدَّثني عن أبي الزبير عن جابر أنَّ رسول الله ﷺ قال:" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له "؛ فاللهمَّ إنِّي أشربُه لعطش يوم القيامة[٢].

وقال ابن المقرئ في تاريخ دمشق: كُنَّا عند ابن عُيينة فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا محمَّد؛ ألستم تزعمون أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له"؟ قال: نعم. قال: فإنِّي قد شربْتُه لتُحدِّثني بمائتي حديث. قال: اقعد. فحدَّثه بها[٣].

وسُئِلَ ابنُ خزيمة: مِن أين أوتيتَ العلمَ؟ فقال: قال رسول الله ﷺ:" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له"، وإنِّي لما شربتُ سألتُ الله علمًا نافعًا[٤].

ولما حجَّ الخطيب البغدادي شَرِبَ من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله ثلاث حاجات؛ آخِذًا بالحديث، فالحاجة الأولى: أن يُحدِّثَ بتاريخ بغداد في بغداد، والثانية: أن يُمليَ الحديث بجامع المنصور، والثالثة: أن يُدْفَنَ عند بشر الحافي. فقضى الله له ذلك[٥].

والإمام النووي نفسه قال في تهذيب الأسماء: وجاء" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له" معناه مَن شَرِبَهُ لحاجةٍ نالها، وقد جرَّبه العلماء والصالحون لحاجات أخرويَّة ودنيويَّة فنالوها بحمْدِ الله تعالى وفضْلِه[٦].

---

(١) يُنظَر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٣/ ١١٦). مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٢) يُنظَر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٣٦٠).

(٣) يُنظَر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٥/ ٣٠٨). تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقِّق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٤) يُنظَر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٠). سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، المحقِّق: مجموعة من المحقِّقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٥) يُنظَر: تاريخ الإسلام (١٠/ ١٨٠).

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ١٣٩). تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، عُنيتْ بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يُطلَب من: دار الكتب العلمية، بيروت— لبنان.

وقال أيضًا: وهذا ممَّا عمل العلماء والأخيار به، فشربوه لمطالب لهم جليلة فنالوها، قال العلماء: فيُستحَبُّ لمن شَرِبَه للمغفرة أو للشفاء من مرض ونحو ذلك؛ أن يقول عند شُرْبه: اللهمَّ إنَّه بلغني أنَّ رسول الله ﷺ قال:" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له". اللهمَّ وإنِّي أشربه لتغفر لي، ولتفعل بي كذا وكذا، فاغفر لي، أو افعل، أو اللهمَّ إنِّي أشربه مُستشفيًا به فاشفني، ونحو هذا[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في فتاوى نور على الدرب: هذا الحديث إسناده حسن، ولكن هل المراد العموم وأنَّ الإنسان إن شربه لعطشٍ صار ريَّان، أو لجوعٍ صار شبعان، أو لجهلٍ صار عالمِا، أو لمرضٍ شُفِيَ، أو ما أشبه ذلك. أو يُقال: إنَّه لِمَا شُرِبَ له فيما يتعلَّق بالأكل والشرب، بمعنى إنْ شربتَه لعطشٍ رويت، ولجوعٍ شبعتَ دون غيرها. هذا الحديث فيه احتمال لهذا ولهذا[٢].

وقال في موضع آخر: الذي يظهر لي والله أعلم: أنَّ ماء زمزم لما شُرِبَ له ممَّا يتغذَّى به البدن، بمعنى: أنَّك لو اكتفيتَ به عن الطعام كفاك، وعن الشراب كفاك[٣].

وممَّا ينبغي التنبُّه له أنَّ حصولَ المراد لشاربه أو تأخُّرَ ذلك لا يُستدلُّ به على صحَّة الحديث أو عدمها، فإنَّ ذلك شبيهٌ باستجابة الدعاء، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٤]، وليس معنى ذلك أن يحصل المطلوب في الحال، فقد قال ﷺ:" ما على الأرضِ مُسلمٌ يدعو الله بدعوةٍ إلَّا أتاه الله إيَّاها، أو صرف عنه من السوء مثلها" رواه الترمذي[٥].

---

(١) الأذكار للنووي (ص ٢٠٣). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، طبعة جديدة مُنقَّحة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٢) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٦/ ٢، بترقيم الشاملة آليًّا). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، [الكتاب مرقم آليًّا].

(٣) لقاء الباب المفتوح (٧٥/ ١٤، بترقيم الشاملة آليًّا). لقاء الباب المفتوح، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كلَّ خميسٍ. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر عام ١٤٢١هـ]، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٤) غافر: ٦٠

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٥٦٦) برقم (٣٥٧٣) أبواب الدعوات. باب في انتظار الفرَج وغير ذلك. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح"كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٧).



وقَال ﷺ:" ما من مُسلمٍ ينصب وجهه للهِ عزَّ وجلَّ في مسألة إلَّا أعطاها إيَّاه، إمَّا أن يُعجِّلَها له، وإمَّا أن يدَّخرَها له" رواه أحمد(١). وفي رواية من حديث أبي هريرة :" ما من مؤمن ينصب وجهه إلى الله تعالى يسأله إلَّا أعطاه إيَّاها، إمَّا أن يجعلها له في الدنيا، وإمَّا أن يدَّخِرها له في الآخرة ما لم يعجِّل، قالوا: وما عجلته؟ قال: يقول: دعوتُ الله عزَّ وجلَّ فلا أراه يُستجاب لي" رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

فكلُّ داعٍ يُستجابُ له، لكن تتنوَّع الإجابة فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوَضه.

ثم ينبغي كذلك أن تُراعَى شروطُ وأسبابُ حصول الإجابة أو القبول أو حصول المطلوب، فقد نبَّه أهل العلم على أنَّ شُربَ ماء زمزم لا يُفيد شاربه إن فعله مُجرِّبًا لا مُوقِنًا.

قال ابن العربي في أحكام القرآن: النبي ﷺ قال:" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له" وأخبر بأنَّ هذا موجود فيه إلى يومه ذلك، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، لمن صحَّت نيَّته وسلمت طويته، ولم يكن به مُكذِّبًا، ولا شربه مُجرِّبًا؛ فإنَّ الله مع المتوكِّلين، وهو يفضح المجرِّبين، ولقد كنتُ- والكلام له- بمكَّة مُقيمًا وكنتُ أشرب ماء زمزم كثيرًا، وكُلَّما شربتُه نويتُ به العلم والإيمان، حتَّى فتح الله لي بركته في المقدار الذي يسَّره لي من العلم، ونسيتُ أن أشربه للعمل؛ ويا ليتني شربتُه لهما حتَّى يفتح الله عليَّ فيهما(٢).

والخلاصة أنَّ المذاهب الأربعة أكَّدتْ أنَّ الشرب من ماء زمزم سُنَّةٌ من سُنن الحج والعمرة. وهذه أقوالهم في كُتُبهم:

١- الأحناف: يُستحبَّ للحاجِّ أن يأتي زمزم فيشرب من مائه، ثم يَصُبَّ منه على بدنه(٣).

٢- المالكية: يُستحَبُّ لمن حجَّ أن يستكثر من ماء زمزم تبرُّكًا ببركته(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٤٨٧) برقم (٩٧٨٥). والحديث صحَّحه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٧).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٩٨). أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٣) يُنظَر: المبسوط للسرخسي (٤/ ٢٤).

(٤) يُنظَر: تحبير المختصر وهو الشرح الوسط لبهرام على مختصر خليل (٢/ ٢٠٤). تحبير المختصر وهو الشرح الوسط على مختصر خليل في الفقه المالكي، المؤلف: تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقِّق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب . د.حافظ بن عبد الرحمن خير، الناشر: مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٣- الشافعية: يُستحبُّ الشربُ من ماء زمزم للأثر فيه عن جابر- رضي الله عنه- عند مسلم:" ثم شرب من ماء زمزم بعد فراغه"[١] والحديث في صفة حجّه ﷺ[٢].

٤- الحنابلة: ثم يأتي زمزم فيشرب منها لما أحبَّ، ويتضلَّع منه، بلا نزاع في الجملة[٣].

وقال الشيخ ابن باز- رحمه الله تعالى-: يُستحَبُّ للحاجِّ الشُّرْبُ من ماء زمزم والتضلُّعُ منه، والدُّعاء بما تيسَّر من الدعاء النافع[٤].

والتضلُّع: هو الإكثار من شُرْبه حتَّى يمتلئ، ويرتوي منه ويشبع ريًّا.

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: الدُّعاء عند شُرْبه قد استحبَّه الكثير من العلماء[٥].

وقال العبَّاس بن عبد المطلِّب- رضي الله عنه-: تنافسَ الناسُ في زمزم في زمن الجاهلية، حتَّى كان أهل العيال يَفِدون بعيالهم فيشربون فيكون صبوحًا لهم (شُرْب أول النهار)، وقد كُنَّا نَعُدُّها عونًا على العيال، وكانتْ تُسمَّى زمزمُ في الجاهلية (شبَّاعة)[٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨) كتاب الحج. باب حجَّة النبي ﷺ.

(٢) يُنظَر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (٤/ ٣٧٤). البيان في مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨ هـ)، المحقِّق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج- جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٣) يُنظَر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٩/ ٢٣٥).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (١٦/ ٨٣).

(٥) يُنظَر: لقاء الباب المفتوح (٧٥/ ١٤، بترقيم الشاملة آليًّا).

(٦) يُنظَر: أخبار مكَّة للأزرقي (٢/ ٥١- ٥٢).



٢٥ ذي الحجة

فتبيَّنوا (التثبُّت في الأخبار)

ذكر كثيرٌ من المفسِّرين في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾[1]؛ أنَّ هذه الآية نزلت في الوليد بن عُقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا محمد بن سابق، حدَّثنا عيسى بن دينار، حدَّثني أبي أنَّه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي يقول : قدمتُ على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فدخلتُ فيه وأقررتُ به، ودعاني إلى الزكاة فأقررتُ بها، وقلتُ: يا رسول الله؛ أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمَن استجاب لي جمعتُ زكاته، ويرسل إليَّ رسولُ الله رسولًا لإبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعتُ من الزكاة. فلمَّا جمع الحارث الزكاة ممَّن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه؛ احتبس عليه الرسولُ فلم يأته، فظنَّ الحارث أنَّه قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله، فدعا بسروات قومه، فقال لهم: إنَّ رسول الله ﷺ كان وقَّتَ لي وقتًا يرسل إليَّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبْس رسولِه إلَّا مِن سخطةٍ كانت، فانطلِقوا فنأتي رسول الله ﷺ، وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده ممَّا جمَعَ مِن الزكاة، فلمَّا أن سار الوليد حتَّى بلغ بعض الطريق فَرِقَ- أي: خاف- فرجع فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إنَّ الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي. فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث. وأقبل الحارث بأصحابه حتَّى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلمَّا غشيهم قال لهم: إلى مَن بُعِثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولِمَ؟ قالوا: إنَّ رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنَّك منعتَه الزكاة وأردتَ قتله. قال: لا والذي بعث محمدًا بالحقِّ ما رأيتُه بتةً ولا أتاني. فلمَّا دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعتَ الزكاة وأردتَ قتْل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحقِّ ما رأيتُه ولا أتاني، وما أقبلتُ إلَّا حين احتبس عليَّ رسولُ رسولِ الله ﷺ خشيتُ أن يكون كانت سخطةٌ منَ الله ورسولِه. قال: فنزلتْ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ

---

(١) الحجرات: ٦.



وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾[1][2].

قال السعدي: وهذا أيضًا من الآداب التي على أولي الألباب التأدُّب بها واستعمالها، وهو أنَّه إذا أخبرهم فاسقٌ بخبرٍ أن يتثبَّتوا في خبره، ولا يأخذوه مُجرَّدًا، فإنَّ في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإنَّ خبَرَه إذا جُعِلَ بمنزلة خبر الصادق العدل؛ حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل مِن تلَفِ النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر؛ ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق؛ التثبُّت والتبيُّن، فإن دلَّت الدلائل والقرائن على صدقه؛ عُمِلَ به وصُدِّقَ، وإن دلَّتْ على كذبه كُذِّبَ ولم يُعمَل به، ففيه دليل على أنَّ خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق مُتوقَّفٌ فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثيرٍ من الخوارج المعروفين بالصدق، ولو كانوا فُسَّاقًا[3].

وقال ابن عيثمين- رحمه الله- في تفسيره: فإنْ جاءنا فاسقٌ بخبرٍ، هل نقبله؟ لا، هل نردُّه؟ لا، لا نقبله لِمَا عنده من الفسق، ولا نردُّه لاحتمال أن يكون صادقًا؛ ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولم يقل: فردُّوه، ولم يقل: فاقبَلوه، بل يجب علينا أن نتبيَّن، وفي قراءة: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ وهما بمعنى متقارب، المعنى: أن نتثبَّت[4].

وقد استخرج العلماء من هذه الآية الكريمة عدَّة دلالات، منها:

١. أنَّ خبر العدل مقبولٌ غير مردودٍ، اللهمَّ إلَّا إن لاحت قرائن تدلُّ على وهْمِه وعدم ضبطه، فإنَّه يُردُّ.

٢ـ أنَّه سبحانه وتعالى لم يأمر بردِّ خبر الفاسق وتكذيبه وردِّ شهادته جملةً، وإنَّما أمر بالتبيُّن، فإن قامت قرائن وأدلَّة تدلُّ على صدقه عُمِلَ بدليل الصدق، ولو أخبر به مَن أخبر.

---

(١) الحجرات: ٦-٩.

(٢) يُنظَر: تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٣٧٠). والحديث رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٠٣) برقم (١٨٤٥٩). والحديث صحَّحه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٢٣٢).

(٣) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٠٠).

(٤) يُنظَر: تفسير العثيمين: الحجرات- الحديد (ص ٢٤). تفسير الحجرات- الحديد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.



٣. كما أنَّها تضمَّنتْ ذمَّ التسرُّع في إذاعة الأخبار التي يُخشَى من إذاعتها، ولقد عاب ربُّنا تبارك وتعالى هذا الصنف من الناس، كما في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢].

٤- أنَّ في تعليل هذا الأدب بقوله تعالى: ﴿ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ ما يُوحي بخطورة التعجُّل في تلقِّي الأخبار عن كلِّ أحدٍ، خصوصًا إذا ترتَّبَ على تصديق الخبر طعنٌ في أحدٍ، أو بهتٌ له.

وختامًا فقد اتَّفق العلماء على أنَّ شهادة الفاسق لا تُقبَل؛ عملًا بقوله ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾، وكذلك لا تُقبَل روايتُه؛ لأنَّ الرواية عن رسول الله ﷺ أمانة ودين، والفسق يبطلها؛ لاحتمال كذبه على رسول الله ﷺ[٣].

قال الإمام القرطبي: ومَن ثَبَت فسقُه بطَل قولُه في الأخبار إجماعًا؛ لأنَّ الخبر أمانة، والفسق قرينة يبطلها[٤].

وختامًا؛ دخل رجلٌ على عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- وذكر له عن رجل شيئًا، فقال له عمر: إن شئتَ نظرنا في أمرك، فإن كنتَ كاذبًا فأنتَ من أهل هذه الآية: ﴿ إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[٥] ، وإن كنتَ صادقًا فأنتَ من أهل هذه الآية: ﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾[٦] ، وإن شئتَ عفونا عنك؟ فقال: العفوَ يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا. فعفا عنه عمر[٧].

---

(١) النساء: ٨٣

(٢) يونس: ٣٩.

(٣) يُنظَر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام (ص ٥٤٢). روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، المؤلف: محمد بن علي الصابوني.

(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ٣١٢).

(٥) الحجرات: ٦.

(٦) القلم: ١١.

(٧) يُنظَر: الأذكار للنووي (ص ٣٤٨).

٢٦ ذي الحجة

وجوب لزوم الجماعة وذمُّ الفُرقة

وردتْ في القرآن العظيم آياتٌ تأمر المؤمنين، وتحثُّهم على لزوم الجماعة، وتُبيِّن لهم أنَّ الأمَّة الإسلامية أمَّة واحدة، وتُحذِّرهم من التفرُّق والاختلاف. ومن تلك الآيات:

١- قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(١).

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٢).

٣- وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾(٣).

٤- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾(٤).

٥- وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ ﴾(٥).

وجاء عن رسولنا الكريم ﷺ العديدُ من الأحاديث النبوية الشريفة التي تأمر بلزوم جماعة المسلمين، وتُحذِّر من الفُرقة ومفارقة الجماعة، منها:

١- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال:" إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا- وذَكَرَ منها-: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" رواه مسلم(٦).

٢- وفي حديث حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- في الفتن، والشاهد فيه: قوله ﷺ: دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلْتُ- أيْ حُذيفةُ-: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا. قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) آل عمران: ١٠٥.

(٣) الأنعام: ١٥٣.

(٤) الأنعام: ١٥٩.

(٥) سورة الأنفال: ٤٦.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٠) برقم (١٧١٥) كتاب الأقضية. باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حقٍّ لزمه، أو طلب ما لا يستحقُّه.



قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ. قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ" رواه البخاري ومسلم(١).

٣- وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنَّه قال:" مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً" رواه مسلم(٢).

٤- وعن عَرْفَجَةَ- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:" إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ- وَهِيَ جَمِيعٌ- فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ" رواه مسلم(٣).

٥- وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ- يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ- إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الْجَمَاعَةَ" رواه البخاري(٤).

٦- عن عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- قال: قال ﷺ:" عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ" رواه أحمد والترمذي(٥).

٧- عن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" يدُ اللَّهِ معَ الجماعةِ، ومَن شذَّ شذَّ إلى النَّارِ" رواه الترمذي(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٩) برقم (٣٦٠٦) كتاب المناقب. باب علامات النُّبوَّة في الإسلام. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧٥) برقم (١٨٤٧) كتاب الإمارة. باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدُّعاة إلى الكُفر.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧٦) برقم (١٨٤٨) كتاب الإمارة. باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدُّعاة إلى الكُفر.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧٩) برقم (١٨٥٢) كتاب الإمارة. باب حُكْم مَن فرَّق أمر المسلمين وهو مجتمع.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٥) برقم (٦٨٧٨) كتاب الديات. باب قول الله تعالى: {أنَّ النَّفس بالنَّفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنَّ بالسنِّ والجروح قصاص فمَن تصدَّق به فهو كفَّارةٌ له ومَن لم يحكُم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون} المائدة: ٤٥. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٠٢) برقم (١٦٧٦) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات. باب ما يُباح به دم المسلم.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٢٢٠) برقم (٢٣١٤٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٤٦٥) برقم (٢١٦٥) أبواب الفتن. باب ما جاء في لزوم الجماعة. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٢٨٦) برقم (٩١٨١) كتاب عِشْرة النِّساء. ذِكْر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عمر فيه. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٩٩).

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٦٦) برقم (٢١٦٧) أبواب الفتن. باب ما جاء في لزوم الجماعة. والحديث قال عنه الألباني: "صحيح دون (ومَن شذَّ)" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٦٧).

وقد نصَّ ابن تيميَّة على أنَّ الواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يُصلِّي معهم الجمعة والجماعة، ويُوالي المؤمنين ولا يُعاديهم، وإنْ رأى بعضَهم ضالًّا أو غاويًا وأمكن أن يهديه ويرشده؛ فعل ذلك، وإلَّا فلا يُكلِّفُ الله نفسًا إلَّا وسعها[١].

والالتزام بالجماعة يقتضي أمرين:

الأول: الالتزام بالجماعة اعتقادًا، وهو أن تكون عقيدتك كعقيدة الجماعة الأولى جماعة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومَن نهج نهجهم، وسار على طريقهم. قال ابن مسعود- رضي الله عنه-: الجماعة ما وافق الحقَّ ولو كنتَ وحدك[٢].

الثاني: الالتزام بالجماعة صفًّا، وهو أن تكون بقلبك وقالبك مع أهل الحقِّ أينما كانوا وحيثما كانوا. وأهل الحق هم الذين قال فيهم النبي ﷺ:" لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ" متفق عليه[٣].

وقد اختلف العلماء في مفهوم الجماعة والمقصود بها على أقوال[٤]:

١- أنَّ الجماعة هم السواد الأعظم من أهل الإسلام، وممَّن قال بهذا عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه، فقد رُوي أنَّه لما قُتل عثمان بن عفَّان- رضي الله عنه- سُئِل عن الفتنة فقال: عليك بالجماعة؛ فإنَّ الله لم يكن ليجمع أمَّة محمد ﷺ على ضلالة، واصبر حتَّى يستريح بَرٌّ أو يُستراح من فاجر[٥].

٢- أنَّ الجماعة هي جماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمَن خرج عمَّا عليه جماعة علماء الأمَّة؛ مات ميتة جاهلية، لأنَّ الله تعالى جعلهم حُجَّة على العالمين، وأمَّا العامَّة فعنها تأخذ دينها، وإليها تفزع في النوازل، وهي تبعٌ لها، وممَّن قال بهذا عبد الله بن المبارك، فقد قيل له: مَن الجماعة الذين ينبغي أن يُقتدَى بهم؟ قال: أبو بكر وعمر، فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحُسين بن واقد، فقيل: هؤلاء ماتوا، فمِنَ الأحياء؟ قال: أبو حمزة السكري[٦].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٦).

(٢) يُنظَر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٦/ ٤٠٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٧) برقم (٣٦٤١) كتاب المناقب. باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٣) برقم (١٩٢٠) كتاب الإمارة. باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم مَن خالفهم».

(٤) يُنظَر هذه الأقوال: الاعتصام للشاطبي (٣/ ٢٠٩- ٢١٦).

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٤٠) برقم (٦٦٦).

(٦) يُنظَر: الاعتصام للشاطبي (٣/ ٢١١). الاعْتِصَام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠ هـ)، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د. هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.



٣- أنَّ الجماعة هي جماعة الصحابة على الخصوص، فإنَّهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلًا، ولأنَّهم المتلقُّون لكلام النُّبوَّة، الذين فهموا مراد الله بالتلقِّي من نبيِّه مشافهة، على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال بخلاف غيره، فإنَّ فيه لأهل الاجتهاد مجالًا للنَّظر ردًّا أو قبولًا، فأهل البدع إذًا غير داخلين فيه، وممَّن قال بهذا القول عمر بن عبد العزيز.

٤- أنَّ الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمرٍ؛ فواجب على غيرهم مِن أهل الملل اتِّباعهم، وهم الذين ضَمِن الله لنبيِّه ﷺ أن لا يجمعهم على ضلالة.

٥- أنَّ الجماعة هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أميرٍ، وقد اختار هذا القول الإمام الطبري؛ وحاصل هذا القول أنَّ الجماعةَ راجعةٌ إلى الاجتماع على الإمام الموافِق للكتاب والسُّنَّة، وذلك ظاهر في أنَّ الاجتماع على غير سُنَّةٍ خارجٌ عن معنى الجماعة كالخوارج ومَن جرى مجراهم.

والخلاصة والذي يظهر أنَّه لا تعارض بين هذه الأقوال؛ إذ الجماعة هي مَن كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام، والتابعون ومَن تبعهم بإحسان، فمَن وافقهم فهو مِن الجماعة وإن كان فردًا، ومَن خالفهم فهو من أهل الشذوذ والفرقة وإن كثُر عددهم.



٢٧ ذي الحجة

شدَّة الحرِّ والبردِ من نارِ جهنَّم

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:" اشتكت النارُ إلى ربِّها فقالت: ياربِّ؛ أكل بعضي بعضًا، فأذِنَ لها بنفَسَيْنِ: نَفَسٍ في الشتاء، ونَفَسٍ في الصيف، فهو أشدُّ ما تجدون من الحرِّ، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير" رواه البخاري ومسلم(١).

وفي رواية أخرى:" قالتِ النَّار: ربِّ؛ أَكَلَ بعضي بعضًا، فأْذَنْ لي أتنفس، فأذِنَ لها بنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ في الشتاء، ونَفَسٍ في الصيف، فما وجدتم من بردٍ أو زمهريرٍ فمِن نَفَسِ جهنَّم، وما وجدتم من حرٍ أو حرور فمِن نَفَس جهنَّم" رواه مسلم(٢).

وفي رواية ثالثة:" اشتكت النَّار إلى ربِّها فقالت: يا ربِّ؛ أكل بعضي بعضًا، فجعل لها نَفَسَيْنِ: نَفَسٌ في الشتاء، ونَفَسٌ في الصيفِ، فشدَّة ما تجدون مِن البرد مِن زمهريرها، وشدَّة ما تجدون مِن الحرِّ مِن سمومها" رواه ابن ماجه(٣).

ففي جهنَّم ألوانٌ مُتعدِّدةٌ مِن العذاب، ففيها البرد الشديد والحرُّ الشديد، قال تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾(٥)، فالحميم هو الحارُّ الذي قد انتهى حرُّه، وأمَّا الغسَّاق فهو البارد الذي لا يُستطاع من برده، ولا يُواجَه مِن نتنه، فعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهَرَاقُ فِي الدُّنْيَا؛ لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا" رواه أحمد والترمذي(٦).

وقد جعل الله تعالى ما في الدنيا مِن شدَّة الحرِّ والبرد مُذكِّرًا بحرِّ جهنَّم وبردها، ودليلًا عليها، ولهذا تُستحَبُّ الاستعاذة منها عند وجود ذلك. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٣) برقم (٥٣٧) كتاب مواقيت الصلاة. باب الإبراد بالظهر في شدَّة الحرّ. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٣١) برقم (٦١٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب استحباب الإبراد بالظهر في شدَّة الحرِّ لمن يمضي إلى جماعة، ويناله الحرُّ في طريقه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٣٢) برقم (٦١٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب استحباب الإبراد بالظهر في شدَّة الحرِّ لمن يمضي إلى جماعة، ويناله الحرُّ في طريقه.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٤٤) برقم (٤٣١٩) كتاب الزهد. باب ذكر الشفاعة.

(٤) ص: ٥٧-٥٨.

(٥) النبأ: ٢٤-٢٥.

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٨/ ٣١٠) برقم (١١٧٨٦). والترمذي في جامعه (٤/ ٧٠٦) بإسناد حديث رقم (٢٥٨٤) أبواب صفة جهنَّم. باب ما جاء في صفة شراب أهل النَّار. والحديث ضعَّفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٥٨٢).



رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنْ النَّارِ" رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه(١).

كما روى الدارميُّ عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:" إذا كان يومٌ حارٌّ، فإذا قال الرجل: لا إلهَ إلَّا اللهُ، ما أشدَّ حرَّ هذا اليومِ، اللَّهُمَّ أجرْنِي مِن حرِّ جهنَّم؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ لجهنَّم: إنَّ عبدًا مِن عبيدي استجارني مِن حَرِّكِ، وأنا أُشهِدُكِ أنِّي قد أجرتُه، وإذا كان يومٌ شديدُ البردِ، فقال: لا إلهَ إلَّا اللهُ، ما أشدَّ بردَ هذا اليومِ، اللهُمَّ أجرْنِي مِن زمهريرِ جهنَّمَ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ لجهنَّمَ: إنَّ عبدًا مِن عبيدِي استجارَنِي مِن زمهريرِكِ، وإنِّي أُشهدُكِ أنِّي قدْ أجرتُهُ، قالوا: وما زمهريرُ جهنَّمَ؟ قال: بيتٌ يُلقَى فيه الكافرُ فيَتميَّزُ مِنْ شدَّةِ بَرْدِها بعضُهُ مِنْ بعضٍ"(٢).

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: والمراد بالزمهرير: شدَّة البرد، واستشكل وجوده في النار، ولا إشكال؛ لأنَّ المراد بالنار: محلُّها، وفيها طبقة زمهريرية(٣).

ثم اختلف العلماء أيضًا في نَفَسَيْ جهنَّم؛ هل هما على الحقيقة أم على المجاز؟ وأكثر العلماء على أنَّ ذلك على الحقيقة أيضًا.

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: قال القرطبي: لا إحالة في حمل اللفظ على حقيقته، قال: وإذا أخبر الصادقُ بأمرٍ جائزٍ؛ لم يُحتجْ إلى تأويله، فحمْلُهُ على حقيقته أولى، وقال النووي نحو ذلك، ثم قال: حمْلُهُ على حقيقته هو الصواب.

ورجَّح البيضاوي حمْلَه على المجاز، فقال: شكواها مجازٌ عن غليانها، وأكْلُها بعضها بعضًا مجازٌ عن ازدحام أجزائها، وتنفُّسُها مجازٌ عن خروج ما يبرز منها(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ٤٠٨) برقم (١٣١٧٣). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٩٩) بإسناد حديث رقم (٢٥٧٢) أبواب صفة الجنَّة. باب ما جاء في صفة أنهار الجنَّة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٤٧) برقم (٩٨٥٨) كتاب عمل اليوم والليلة. مَنِ استجار بالله من النَّار ثلاث مرَّاتٍ، وسأل الجنَّة ثلاث مرَّاتٍ. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٥٣) برقم (٤٣٤٠) كتاب الزهد. باب صفة الجنَّة. والحديث صحَّحه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٠٧٦).

(٢) رواه الدارمي في نقضه على المريسي (١/ ٣٢٤). والحديث قال عنه الألباني: "مُنكَر" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّئ في الأُمَّة (١٣/ ٩٥١). نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عزَّ وجلَّ من التوحيد، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠ هـ)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المحقِّق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٨ م.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٩).



قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله-: وفي هذا الحديث دليلٌ على أنَّ الجمادات لها إحساس؛ لقوله: (اشتكت النَّار إلى ربِّها فقالت: يا ربِّ؛ أكل بعضي بعضًا)، مِن شدَّة الحرِّ وشدَّة البرد، فأذِنَ الله لها أن تتنفَّس في الشتاء، وتتنفَّس في الصيف، تتنفَّس في الصيف ليخفَّ عليها الحرُّ، وفي الشتاء ليخفَّ عليها البرد، وعلى هذا فأشدُّ ما نجد مِن الحرِّ؛ يكون من فيح جهنَّم، وأشدُّ ما يكون من الزمهرير؛ من زمهرير جهنَّم[١].

فإن قيل: قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾[٢]، فنفى البرد عن أهل النَّار، فكيف نوفِّق بين الآية والحديث؟ والجواب: أنَّ البرد المنفي هو ما يكون لهم فيه راحة أو نعيم، والزمهرير الذي هو لونٌ مِن عذابهم هو شدَّة البرد الذي يُعذَّب أهلُه به من شدَّته، نعوذ بالله من النَّار وأهلِّها؛ ولا راحة لهم فيه ممَّا يُعانون من الحرِّ والسَّموم.

قال القاضي عياض: قيل معنى الحديث أنَّها إذا تنفَّستْ في الصيف قَوِيَ لهبُ تنفُّسِها حرَّ الشمس، وإذا تنفَّستْ في الشتاء دفع حرُّها شدَّةَ البرد إلى الأرض[٣].

وقال ابن التين: فإن قيل: كيف يُجمَعُ بين البرد والحرِّ في النَّار؟ فالجواب: أنَّ جهنَّم فيها زوايا فيها نار، وزوايا فيها زمهرير، وليست محلًّا واحدًا يستحيل أن يجتمعا فيه[٤].

وقال مغلطاي: لقائلٍ أن يقول: الذي خَلَقَ الملك من ثلج ونار؛ قادرٌ على جمْع الضدين في محلٍّ واحدٍ، قال: وأيضًا فالنَّار من أمور الآخرة، والآخرة لا تُقاس على أمر الدنيا[٥].

وقال الحسن البصري: كلُّ بردٍ أهلَكَ شيئًا فهو مِن نَفَسِ جهنَّم، وكلُّ حَرٍّ أهلك شيئًا فهو مِن نَفَسِ جهنَّم[٦].

---

(١) من شرح الشيخ على صحيح البخاري. كتاب الصلاة ومواقيتها، يُنظَر: الشيخ محمد بن صالح العثيمين-صحيح البخاري-١٠ a-7 (alathar.net).

(٢) النبأ: ٢٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٥٨٢).

(٤) يُنظَر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/ ٣٠). تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى– مصر، عام النشر: ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

(٥) يُنظَر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١/ ٣٠).

(٦) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٣٢٠).



ورُوي عن زبيد اليامي أنَّه قام ليلة للتهجُّد، فعمد إلى مطهرةٍ له قد كان يتوضَّأ فيها، فغسل يده، ثم أدخلها في المطهرة، فوجد الماء الذي فيها باردًا بردًا شديدًا قد كاد أن يجمد، فذكر الزمهرير ويده في المطهرة، فلم يُخْرِجْ يده من المطهرة حتى أصبح، فجاءته الجارية وهو على تلك الحال فقالت: ما شأنُك يا سيدي، لِمْ تُصلِّ الليلة كما كنتَ تُصلِّي؟ قال: ويحكِ إنِّي أدخلتُ يدي في هذه المطهرة، فاشتدَّ عليَّ بردُ الماء، فذكرتُ به الزمهرير، فواللهِ ما شعرتُ بشدَّة برده حتَّى وقفْتِ عليَّ. انظري لا تُخبري بهذا أحدًا ما دمتُ حيًّا. فما علمَ بذلك أحدٌ حتَّى مات رحمه الله(١).

ورأى عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- قومًا في جنازة وقد هربوا من الشمس إلى الظلِّ، وتَوَقَّوا الغبار، فبكى ثم أنشد:

مَن كانَ حين تُصيبُ الشمسُ جبهتَه ... أوِ الغبارُ يخافُ الشينَ والشعثا
ويألفُ الظلَّ كي يبقى بشاشتُه ... فسوفَ يسكنُ يومًا راغمًا جدثا
في ظلِّ مقفرةٍ غبراءَ مُظلمةٍ ... يُطيلُ تحتَ الثَّرى في غمِّها اللبثا
تَجهَّزِي بجهازٍ تبلغين به ... يا نفسُ قبل الردى لم تُخلَقي عبثا(٢)

(١) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٣٣٣).

(٢) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٣٢١).

٢٨ ذي الحجة

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ

عن عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال: أتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وهو يَقرأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[١]، قال:" يقولُ ابنُ آدَمَ: مالي، مالي، وهل لك- يا ابنَ آدَمَ- مِن مالِك إلَّا ما أكَلْتَ فأفنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فأبلَيتَ، أو تصدَّقْتَ فأمضَيتَ؟!" رواه مسلم[٢].

وعن أنس بن مالك- رَضِيَ اللهُ عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" لو أنَّ لابن آدم واديًا من ذهب؛ لأحبَّ أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلَّا الترابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تاب"، قال ثابت عن أنس عن أُبَيّ: كُنَّا نرى هذا من القرآن، حتَّى نزلتْ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾. رواه البخاري[٣]. وفي رواية أخرى:" لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا"[٤].

وعن عليِّ بن أبي طالب- رَضِيَ اللهُ عنه- قال: كنَّا نشكُّ في عذاب القبر، حتَّى نزلت هذه الآية: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٥] في عذاب القبر. رواه الترمذي[٦].

واستدَلَّ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ- رحمه اللهُ- بقَولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ على أنَّ الزَّائِرَ لا بُدَّ أن يرجِعَ إلى وطَنِه، وأنَّ القُبورَ ليست بدارِ إقامةٍ[٧].

وكذلك يُذكَرُ عن بعضِ الأعرابِ أنَّه سَمِعَ قارئًا يقرأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فقال: واللهِ ما الزَّائِرُ بمقيمٍ، واللهِ لَنُبعَثَنَّ؛ لأنَّ الزَّائِرَ- كما هو معروفٌ- يَزورُ ويَرجِعُ[٨].

---

(١) التكاثر: ١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٣) برقم (٢٩٥٨) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٣) برقم (٦٤٣٩) كتاب الرقاق. باب ما يُتَّقَى من فتنة المال. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٥) برقم (١٠٤٨) كتاب الزكاة. باب لو أنَّ لابن آدم وادِيَين لابتغى ثالثًا.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٢) برقم (٦٤٣٦) كتاب الرقاق. باب ما يُتَّقَى من فتنة المال. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٥) برقم (١٠٤٨) كتاب الزكاة. باب لو أنَّ لابن آدم وادِيَين لابتغى ثالثًا.

(٥) التكاثر: ١-٣.

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٤٤٧) بإسناد حديث رقم (٣٣٥٥) أبواب تفسير القرآن. باب ومِن سورة ألهاكم التكاثر. والحديث ضعَّف إسناده الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٣٥٥).

(٧) يُنظَر: تفسير العثيمين: جزء عمَّ (ص ٣٠٣). تفسير جزء عمَّ، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

(٨) يُنظَر: تفسير العثيمين: جزء عمَّ (ص ٣٠٣).



وعن أنس بن مالك- رَضِيَ اللهُ عنه- يقول: قال رسول الله ﷺ:" يتبعُ الميتَ ثلاثةٌ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحدٌ: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله" رواه البخاري ومسلم(١).

وقال الإمام ابن كثير في سبب نزول السورة: قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبو سعيد الأشج، حدَّثنا أبو أسامة، قال صالح بن حيان: حدَّثني عن ابن بريدة في قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: نزلتْ في قبيلتين من قبائل الأنصار في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان، وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور. فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟- يشيرون إلى القبر- ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾(٢).

ويُروى أنَّ هذه الآية نزلت في اليهود حين قالوا: نحن أكثر من بني فلان. وبنو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتَّى ماتوا على ضلال، وحِرْصُ اليهود على جمْع المال وكنزه؛ معروفٌ من قديم، ويقال: إنَّها نزلتْ في حَيَّيْنِ تَفاخرا وتكاثرا، فقالوا: نحن أكثرُ سيِّدًا، وأعزُّ عزيزًا، وأعظمُ نفرًا، وأكثرُ عائدًا، وكان أحدُهما أكثر، ثم تفاخرا وتكاثرا بالأموات، فقالوا: نحن أكثرُ أمواتًا، وكان أحدُهما أكثرَ موتى(٣).

قال السعدي: يقول تعالى مُوبِّخًا عباده عن اشتغالهم عمَّا خُلِقُوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته والإنابة إليه، وتقديم محبَّته على كل شيء: (أَلْهَاكُمُ) عن ذلك المذكور (التَّكَاثُرُ) ولم يذكر المتكاثَر به، ليشمل ذلك كل ما يَتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال والأولاد، والأنصار والجنود، والخدم والجاه، وغير ذلك ممَّا يُقصَدُ منه مكاثرة كلِّ واحدٍ للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى. فاستمرَّتْ غفلتُكم ولهوتُكم وتشاغُلُكم (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) فانكشف لكم حينئذ الغطاء، ولكن بعد ما تعذَّر عليكم استئنافه. ودلَّ قوله: (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) أنَّ البرزخ دارٌ مقصودٌ منها النفوذ إلى الدار الباقية، أنَّ الله سمَّاهم زائرين، ولم يُسمِّهم مُقيمين. فدلَّ ذلك على البعث والجزاء بالأعمال في دارٍ باقيةٍ غير فانيةٍ، ولهذا توعَّدهم بقوله: (كَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) أي: لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب؛ لَمَا ألهاكم

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٧) برقم (٦٥١٤) كتاب الرقاق. باب سكرات الموت. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٣) برقم (٢٩٦٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٣).

(٣) تفسير البغوي (٥/ ٢٩٨).

التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة. ولكن عدم العلم الحقيقي؛ صيَّركم إلى ما ترون، (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) أي: لَتَرِدُنَّ القيامة، فلترَوُنَّ الجحيم التي أعدَّها الله للكافرين. (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) أي: رؤية بصرية، كما قال تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾[١]، (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) الذي تنعَّمتم به في دار الدنيا: هل قمتم بشكره، وأديتم حقَّ الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه؟! فيُنعِّمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين: قال الله عزَّ وجلَّ: (ألهاكم التكاثر) الخطاب للناس، (وألهاكم) أي شغلكم عن ذِكْر الله وعن الصلاة وعن طاعة الله. (التكاثر) أي التكاثر في الأموال والأولاد كما قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾[٣]. ألهى الناسَ عن طاعة الله كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٤]. وصدق الله عزَّ وجلَّ، انظرْ إلى الذين ابتلوا بحُبِّ الدنيا وإيثارها على الآخرة؛ كيف ألْهتْهم عن ذكر الله؟ كيف شغلتْهم؟ شغلت القلب والفكر والبدن لطلب الحياة الدنيا إلى متى؟ اقرأ (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) يعني إلى أن مِتُّم وأنتم لاهون بها. وهل زيارة المقابر قريبة أو بعيدة؟ أجيبوا. قريبة. وهل هي معلومة أو غير معلومة؟ غير معلومة، ربما يكون الإنسان في القبر آخر النهار، وهو أوَّل النهار في القصر[٥].

أرى أهلَ القصورِ إذا أُميتوا ... بَنَوا فوقَ المقابرِ بالصخورِ
أَبَوا إلَّا مُباهاةً وفخرًا ... على الفقراءِ حتَّى في القبورِ
لعمرُكَ لو كشفتَ التُّربَ عنهم ... فما تدري الغَنِيَّ مِنَ الفقيرِ
ولا الجِلْدَ المباشِرَ ثوبَ صوفٍ ... مِنَ الجِلْدِ المباشِرِ للحريرِ
إذا أَكَلَ الثرى هذا وهذا ... فما فَضْلُ الغَنِيِّ على الفقيرِ؟[٦]

---

(١) الكهف: ٥٣.

(٢) تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٣).

(٣) الحديد: ٢٠.

(٤) التغابن: ١٥.

(٥) يُنظَر: تفسير قوله تعالى: (ألهاكم التكاثر حتَّى زرتم...– ابن عثيمين(al-fatawa.com)

(٦) يُنظَر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٣٠٤). التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.



٢٩ ذي الحجة

حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا

قال عمرُ بنُ الخطَّابِ- رضِي اللهُ عنه-: حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنوا أعمالكم قبل أن تُوزنوا، فإنَّه أخفُّ عليكم في الحسابِ غدًا أن تُحاسِبوا أنفسَكم اليومَ، وتزيَّنوا للعَرضِ الأكبرِ، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[١]، وإنَّما يَخِفُّ الحساب يوم القيامة على مَن حاسَبَ نفسه في الدنيا[٢].

وقال أيضًا: حاسِبْ نفسك في الرَّخاء قبل حساب الشِّدَّة، فإنَّ مَن حاسَب نفسه في الرَّخاء عاد أمرُه إلى الرضا والغبطة، ومَن شغلتْه حياته، وألهتْه أهواؤه؛ عاد أمرُهُ إلى الندامة والحسرة[٣].

ودوام محاسبة النفس معناه: أن يتصفَّح الإنسان عمله، وينظر في أقواله وأفعاله وجميع ما يصدر منه أوَّلًا بأول. فإن وَجَد خيرًا محمودًا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن وَجَدَهُ شرًّا مذمومًا استدركه إن أمكن، وتاب منه واستغفر، وانتهى عن مثله في المستقبَل.

والأصل في هذه المحاسبة في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[٤].

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٥].

وقوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٦].

---

(١) الحاقة: ١٨.

(٢) يُنظَر: مسند الفاروق (٢/ ٦١٢) وقال ابن كثير عقبه:" أثر مشهور، وفيه انقطاع، وثابت بن الحجَّاج هذا جَزَري، تابعي صغير، لم يُدرك عمرَ، ولم يَروِ عنه سوى جعفر بن بُرقان ". مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقِّق: إمام بن علي بن إمام، الناشر: دار الفلاح، الفيوم– مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(٣) يُنظَر: محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص ٥٩). محاسبة النفس لابن أبي الدنيا، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم / عبد الله الشرقاوي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية/ دار الكتب العلمية/ مكتبة القرآن- بيروت.

(٤) البقرة: ٢٣٥.

(٥) البقرة: ٢٨١.

(٦) آل عمران: ٣٠.



وقولـــه: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾(١).

وقولـــه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾(٢).

وقوله: ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾(٣).

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾(٤).

وقولـــه: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾(٥).

ومن الأحاديث قوله ﷺ:" الكيّسُ مَن دَانَ نفسه وعَمِلَ لما بعدَ الموت، والعاجز مَن أتبعَ نفسه هواها، وتمنَّى على الله الأماني" رواه الترمذي(٦).

قال الفضيل بن عياض لرجلٍ: كم عمرك؟ فقال الرجل: ستُّون سنة، قال الفضيل: إذًا أنت منذ ستّين سنة تسير إلى الله تُوشِك أن تَصِل، فقال الرجل: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال الفضيل: يا أخي؛ هل عرفتَ معناها؟ قال الرجل: نعم، عرفتُ أنِّي لله عبدٌ، وأنِّي إليه راجعٌ، فقال الفضيل: يا أخي؛ مَن عرف أنَّه لله عبدٌ وأنَّه إليه راجعٌ؛ عرف أنَّه موقوفٌ بين يديه، ومَن عرف أنَّه موقوفٌ عرف أنَّه مسؤولٌ، ومَن عرف أنَّه مسؤولٌ؛ فليُعِدَّ للسؤال جوابًا.

هذا وقد أقسم الله عزَّ وجلَّ بالنفس اللوَّامة، فقال تعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾(٧)، أي التي تُكثر لوم صاحبها على التفريط في فِعْل الخير، وتعاتبه على الوقوع في الشَّرِّ(٨).

---

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) الأنبياء: ٤٧.

(٣) المجادلة: ٦.

(٤) الحشر: ١٨.

(٥) الزلزلة: ٦-٨.

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٣٨) بإسناد حديث رقم (٢٤٥٩) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع. باب بدون ترجمة. والحديث ضعَّفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٤٥٩).

(٧) القيامة: ٢.

(٨) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١١٣).



قال الحسن البصري: لا تَلقَى المؤمنَ إلَّا يُعاتِب نفسه: لماذا فعلتِ كذا؟ ماذا تريدين مِن كذا؟ والفاجر يمضي قدمًا لا يُحاسِب نفسه(١).

وقال مالك بن دينار: رحم الله عبدًا قال لنفسه: ألستِ صاحبة كذا؟ ألستِ صاحبة كذا؟ ثم زمَّها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله فكان لها قائدًا(٢).

ويقول ميمون بن مهران: لا يكون العبد تقيًّا حتَّى يُحاسِب نفسه كما يُحاسِب الشريكُ الشحيحُ شريكَه: من أين مطعمُه وملبسُه؟(٣).

ومن صور المحاسبة أنَّ عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- دخل حائطًا "حديقة نخيل" فأخذ يُحاسِب نفسه ويقول: عمر بن الخطَّاب أمير المؤمنين!! بخ بخ!! والله لتتقينَّ الله يا ابن الخطَّاب أو ليُعذبنَّك(٤).

وكان يزيد الرقاشي يُحاسِب نفسه كلَّ يومٍ ثم يبكي ويقول: ويحك يا يزيد؛ مَن يصوم عنك بعد الموت؟ ويحك يا يزيد؛ مَن يُصلِّي عنك بعد الموت؟ ويحك يا يزيد؛ مَن يتصدَّق عنك بعد الموت؟(٥).

ويقول عامر بن قيس: لقيتُ ناسًا من أصحاب محمد ﷺ فأخبروني أنَّ أخلصَ الناسِ يومَ القيامة أشدُّهم محاسبةً في الدنيا لنفسه، وأنَّ أشدَّ الناسِ فرحًا يوم القيامة أشدُّهم حُزنًا في الدنيا، وأنَّ أكثرَ الناس ضحكًا يوم القيامة أكثرُهم بكاءً في الدنيا(٦).

وذكر الإمام أحمد عن وهب قال: مكتوبٌ في حكمة آل داود: حقٌّ على العاقل ألَّا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يُناجي فيها ربَّه، وساعة يُحاسِب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين

---

(١) يُنظَر: محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص ٢٤).

(٢) يُنظَر: محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص ٢٦).

(٣) يُنظَر: سنن الترمذي (٤/ ٦٣٨).

(٤) رواه مالك في موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني (ص ٣٢٧). موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩ هـ)، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة: الثانية، مَزِيَدة مُنقَّحَة.

(٥) يُنظَر: المجالسة وجواهر العلم (٣/ ١٠٧). المجالسة وجواهر العلم، المؤلف: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقِّق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين- أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت- لبنان)، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

(٦) يُنظَر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٦/ ٥).



يُخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يُخلِّي فيها بين نفسه وبين لذَّاتها فيما يحلُّ، فإنَّ في هذه الساعة عونًا على تلك الساعات وإجمامًا للقلوب(١).

وكان توبة بن الصمة من المحاسِبين لأنفسِهم، فحسب يومًا فإذا هو ابن ستِّين سنة، فحسب أيَّامها، فإذا هي واحدٌ وعشرون ألفَ يومٍ وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلي! ألقَى ربِّي بواحدٍ وعشرين ألفَ ذنبٍ؟ كيف وفي كل يوم آلافٌ من الذُّنوب؟ ثمَّ خرَّ مغشيًّا عليه، فنظروا فإذا هو ميِّتٌ، فسمعوا قائلًا يقول: يا لَكِ ركضة إلى الفردوس الأعلى(٢).

وذكر الإمام ابن القيم- رحمه الله- أنَّ محاسبة النفس تكون:

أوَّلًا: البدء بالفرائض، فإذا رأى فيها نقصًا تداركه.

ثانيًا: ثم المناهي، فإذا عرف أنَّه ارتكب منها شيئًا تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

ثالثًا: محاسبة النفس على الغفلة، ويتدارك ذلك بالذِّكْر والإقبال على الله.

رابعًا: محاسبة النفس على حركات الجوارح: كلام اللِّسان، ومشْي الرِّجْلين، وبطْش اليدين، ونظر العينين، وسماع الأذنين، ماذا أردتُ بهذا؟ ولمن فعلتُه؟ وعلى أيِّ وجهٍ فعلتُه؟(٣).

ومحاسبة النفس نوعان:

النوع الأول: محاسبة النفس قبل العمل، فهو أن يقف العبد عند أوَّل همِّه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتَّى يتبيَّن له رجحانه على تركه. قال الحسن: رحم الله عبدًا وقف عند همِّه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخَّر.

والنوع الثاني : محاسبة النفس بعد العمل. وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبة النفس على طاعة قصَّرتْ فيها في حقِّ الله تعالى.

الثاني: أن يُحاسِب نفسه على كلِّ عملٍ كان ترْكُه خيرًا مِن فِعْله.

الثالث: أن يُحاسِب نفسه على أمرٍ مُباحٍ أو معتادٍ: لمَ فَعَلَهُ؟ وهل أراد به اللهَ والدارَ الآخرةَ؟ فيكون رابحًا، أم أراد به الدنيا وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به.

---

(١) يُنظَر: محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص ٣٠).

(٢) يُنظَر: صفة الصفوة (٢/ ٣٦٢). صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، المحقِّق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م.

(٣) يُنظَر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٨٣). إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقِّق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.



والخلاصة: مَن حاسَب نفسه قبل أن يُحاسَب؛ خفَّ في القيامة حسابُه، وحضر عند السؤال جوابُه، وحَسُنَ منقلبُه ومآبُه، ومَن ترك لنفسه هواها، وسعى لها في تحقيق مُناها، وترَكَها من غير مؤاخذة ولا محاسبة؛ دامتْ حسراتُه، وطالتْ في عرصات القيامة وقفاتُه، وقادتْه إلى الخزي والمقتِ سيِّئاتُه(١).

(١) يُنظَر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٨١).

٣٠ ذي الحجة

نهاية العام (نسأل الله حُسْنَ الختام)

ها هو عامٌ هجريٌّ كاملٌ قد مضى، طُويت صفحاتُه، وانقضت ساعاتُه، وتصرَّمت لياليه وأيامُه، بأفراحه وأحزانه، ومواعظه وعِبره، مضى ليكون شاهدًا علينا بما أودعناه فيه من خيرٍ أو شرٍّ، مضى ولن يعود إلى يوم القيامة، غير أنَّ ما عملناه فيه قد دُوِّن، وَحَفِظَهُ الكرام الكاتبون، وسيُعرَضُ علينا يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(١).

إنَّ هذا العام المنصرم هو مِن أعمارِنا بلا شكٍّ، كما قال الحسن البصري- رحمه الله-: يا ابن آدم؛ إنَّما أنتَ أيَّامٌ، إذا ذهب يومٌ ذهب بعضُكَ(٢). وقال أبو الدرداء- رضي الله عنه-: إنَّما أنتَ أيَّامٌ، كلَّما مضى منك يومٌ مضى بعضُك(٣).

هذا إذا مضى يومٌ، فكيف وقد نقص من العمر عامٌ كاملٌ واقتربنا من الأجل؛ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(٤)، المؤمن والكافر، والبرُّ والفاجر، والفقير والتاجر، والمأمور والآمِر، والحاكم والمحكوم، كلُّهم على موعدٍ مع الموت كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾(٥).

فها أنتَ يا عبد الله تقترب من أجَلك، لتنتقل من سعة الدور والقصور، إلى ضيق الأجداث والقبور، وهناك بين أطباق الثرى لا جليس ولا أنيس إلَّا ما قدَّمتْ مِن صالح العمل، فمَن كان مِن أهل الصلاح؛ كان قبرُه روضةً مِن رياض الجنان، وفُسِحَ له في قبره مدَّ بصره، وفُتِحَ له بابٌ إلى الجنَّة، فيأتيه من رَوحها وريحانها.

ومَن كان فاسدًا فاسقًا مُعرِضًا عاصيًا لله؛ كان قبرُه حفرةً من حفر النار يُعذَّبُ فيه، ويُفتَح له بابٌ إلى النار، فيأتيه مِن حَرِّها وسمومها، ويُضيَّقُ عليه قبرُه حتَّى تختلف فيه أضلاعُه، ثم تقوم الساعة

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ٢٢٥). الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٣) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٣٠٤).

(٤) الأعراف: ٣٤.

(٥) العنكبوت: ٥٧.



فيُبعَث الناسُ ليروا طريقهم؛ إمَّا إلى جنَّةٍ عرضُها السماوات والأرض، وإمَّا إلى نارٍ وقودها الناس والحجارة، فماذا قدَّمتَ يا عبد الله لهذا اليوم العظيم، قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[١].

فيا أبناء العشرين؛ كم مات من أقرانكم وتخلَّفتم؟!

ويا أبناء الثلاثين؛ أُصِبتم بالشباب على قُرْبٍ من العهد، فما تأسَّفتم؟

ويا أبناء الأربعين؛ ذهب الصبا، وأنتم على اللهو قد عكفتم!!

ويا أبناء الخمسين؛ تنصَّفتُم المائة، وما أنصفتم!!

ويا أبناء الستِّين؛ أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم، أتلهون وتلعبون؟ تالله لقد أسرفتم!!

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال: أعذرَ اللهُ إلى امرئٍ أخَّرَ أجله حتَّى بلَّغه ستِّين سنة[٢].

سنُودِّع عامًا مضى بكلِّ ما فيه، رغم سرعة أيَّامه ولياليه، وكأنَّه بالأمس قد بدأ. كُنَّا نستعِدُّ لقدومه، وها نحن نستعِدُّ لرحيله، وكأنَّنا في دوامةٍ مع عجلة الأيَّام التي ما تلبث أن تبدأ إلَّا أنَّها قد انتهت. فاللَّهُمَّ إنَّا نسألك حُسْن الختام.

انتهى عامٌ ويأتي عامٌ آخر، يستقبله الناسُ داعين ربَّهم أن يكون مليئًا بالفرح والسرور، بعيدًا عن الشقاء والحزن، ولكنَّ دوام الحال من المحال، فيجب أن يعرف الإنسان أنَّ الأيَّام كلَّها مُتقلِّبة، لا تثبتْ على حال، فليستْ كلُّها سعيدة، وليستْ كلُّها تعيسة، ولكن لا بدَّ أن يمرَّ ببعض الأزمات التي هي من خصائص الحياة الدنيا.

فاللَّهُمَّ في أوَّل يومٍ من العام الجديد؛ ارزقْنا حُبَّك وفرحة تدمع لها العين. اللَّهُمَّ اجعلْه عامًا مليئًا بالخير والفرحة، واجعلْه نهاية لكلِّ ألمٍ وحُزنٍ وهمٍّ وضيقٍ، اللَّهُمَّ بشِّرْنا بكلِّ ما نتمنَّاه، واجعلْ هذا العام فاتحة خيرٍ.

اللَّهُمَّ بدِّلْنا فرحةً تُنسينا أوجاعَنا، وتجمعُ شمْلَنا، وتُصلِحُ أحوالَنا، وتَحقِنُ دِماءَنا، ورُدَّنا إليكَ ردًّا جميلًا. اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك فواتح الخير، وخواتمه، وجوامعه، وأوَّله وآخره، وظاهره وباطنه، والدَّرجات العُلا من الجنَّة.

---

(١) المؤمنون: ٩٩- ١٠٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٩) برقم (٦٤١٩) كتاب الرقاق. باب مَن بلغ ستِّين سنة؛ فقد أعذر اللهُ إليه في العمر.

اللَّهُمَّ بعلْمِك الغيبَ، وقُدْرتِك على الخلْقِ؛ أحْيِنا ما علمتَ الحياةَ خيرًا لنا، وتوفَّنا إذا علِمْتَ الوفاةَ خيرًا لنا، اللَّهُمَّ نسألُك خشيتَك في الغيبِ والشهادةِ، ونسألُك كلمةَ الإخلاصِ في الرضا والغضبِ، ونسألُك القصدَ في الفقرِ والغِنى، ونسألُك نعيمًا لا ينفدُ، ونسألُك قُرَّةَ عينٍ لا تنقطعُ، ونسألُك الرضا بالقضاءِ، ونسألُك بَرْدَ العيْشِ بعدَ الموتِ، ونسألُك لذَّةَ النظرِ إلى وجهِك، والشوقَ إلى لقائِك، في غيرِ ضرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فتنةٍ مُضلَّةٍ. اللَّهُمَّ زَيِّنا بزينةِ الإيمانِ، واجعلْنا هُداةً مُهتدينَ.

اللَّهُمَّ اغفِرْ لِحَيِّنا وَمَيِّتِنا، وصَغيرِنا وكَبيرِنا، وذَكَرِنا وأُنْثانا، وشاهِدِنا وغائِبِنا، اللَّهُمَّ مَن أحْيَيْتَه منَّا فأَحْيِه على الإسْلامِ، ومَن تَوَفَّيْتَه منَّا فتَوَفَّه على الإيمانِ.

اللَّهُمَّ أَصلِحْ لنا دِيننا الذي هو عصمةُ أمرنا، وأَصلِحْ لنا دُنيانا التي فيها معاشُنا، وأَصلِحْ لنا آخرَتنا التي فيها مَعادُنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لنا من كلِّ شرٍّ.

اللَّهُمَّ أنتَ خلقْتَ نفوسَنا، وأنتَ توفَّاها، لك مماتُها ومحياها، وإنْ أحيَيْتَها فاحفَظْها، وإنْ أمَتَّها فاغفِرْ لها، اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك العافيةَ.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك أن تجعل خيرَ أعمالِنا خواتيمَها، وخيرَ أعمارِنا أواخرَها، وخيرَ أيامِنا يوم نلقاك. اللَّهُمَّ ارزقْنا حُسْنَ الخاتمة، وأعِذْنا من سُوئها، وثبِّتْنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، يا ذا الجلال والإكرام.

﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾(١).

﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾(٢).

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾(٣).

أخي الحبيب: لا تُضيِّعْ أيامَكَ، فإنَّها رأسُ مالِكَ، فإنَّكَ ما دُمتَ قادرًا على رأس مالِكَ؛ قدرتَ على الربح، وإنَّ بضاعة الآخرة كاسدةٌ في يومِكَ هذا، فاجتهدْ حتَّى تجمع بضاعة الآخرة في وقت الكساد، فإنَّه يجئ يومٌ تصيرُ هذه البضاعة فيه عزيزة، فاستكثِرْ منها في يوم الكساد ليومِ العِزِّ، فإنَّك لا تقدر على طلَبِها في ذلك اليوم.

إنَّا لَنفـــرحُ بالأيَّامِ نقطـــعُها ... وكلُّ يومٍ مضى يُدنِي مِنَ الْأَجَلِ
فَاعملْ لِنفسِكَ قَبْلَ الموتِ مُجْتَهِدًا ... فإنَّما الرِّبحُ والخُسرانُ في العَمَلِ(٤)

---

(١) آل عمران: ١٩٣.

(٢) الأعراف: ١٢٦.

(٣) الشعراء: ٨٣.

(٤) يُنظَر: لطائف المعارف لابن رجب (ص ٣٠٤).




تم بحمد الله